الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري . قسنطينة .

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية .

قسم : التاريخ .

رقم التسجيل : ...............

الرقم التسلسلي :...../ ......

# المجتمع اللوبي

# في بلاد المغرب القديم

## ( من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي )

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم

إعداد الطالبة :

مها عيساوي

إشراف الأستاذ :

أ. د./ محمد الصغير غانم

– لجنة المناقشة:

– تاريخ المناقشة:...........

| الاسم و اللقب | الرتبة | الصفة | الجامعة الأصلية |
|---|---|---|---|
| محمد البشير شنيتي | رئيسا | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجزائر 2:الجزائر |
| محمد الصغير غانم | مشرفا و مقررا | أستاذ التعليم العالي | جامعة منتوري. قسنطينة |
| عبد العزيز بن الأحرش | عضوا | أستاذ التعليم العالي | جامعة منتوري. قسنطينة |
| أم الخير العقون | عضوا | أستاذ التعليم العالي | جامعة السانية .وهران |
| سليم دريسي | عضوا | أستاذ محاضر –أ– | جامعة الجزائر 2:الجزائر |
| سليمان بن السعدي | عضوا | أستاذ محاضر –أ– | جامعة منتوري. قسنطينة |

السنة الجامعية : 2010/2009

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

إلى أستاذي ومنهلي

و موجِّهي وأبي الذي عوَّضني فقدان

والدي .

إلى من أنار لي درب البحث العلمي في التاريخ

القديم .

إلى أستاذي الفاضل الجليل :

" الدكتور محمد الصَّغير غانم ".

# الإهداء

إلى روح والدي – طيَّب الله ثراه- .

إلى والدتي الكريمة – أطال الله عمرها – .

إلى نجلي العزيز : " حمزة عبد الرزاق " .

إلى شقيقي "نور الدين "

وشقيقتيّ : " فاطمة " و " زهرة " .

إلى كل أفراد أسرتي و عائلتي

و أخص بالذكر قدوتي في الحياة الأستاذ الدكتور :

" أحمد عيساوي " – حفظه الله –.

## قائمة الاختصارات

### الحوليات

- **Ant.Afr. :** Antiquités Africaines .
- **B.A.C.T.H.S. :** Bulletin Archéologiques du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques.
- **J.Asia. :** Journal Asiatique.
-**M.E.F.R.A. :** Mélanges de l'école Française de Rome Antiquité.
- **R.Af. :** Revue Africaine.
- **R.S.A.C.** = Rec .De Constantine : Recueil des notices et mémoires de la société Archéologique Historique et Géographiques de département de Constantine .
-**R.Tun**. : Revue Tunisienne.
- **R.E.P.P.A.L.** : Revue des études Phéniciennes –Puniques et des Antiquités Libyques .

### الكتب

- **A.A.A.** : Atlas Archéologique de l'Algérie.
- **C.N.N.M**. : Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque.
- **H.A.A.N.** : Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.
- **R.I.L.** : Recueil des Inscriptions Libyques.

### دور النشر

- A.N.P.S.M.H. : Agence Nationale D'Archéologie et des Protection Des Sites et Monuments Historiques .
- C.N.R.S. : Centre Nationale des Recherches Scientifiques.
- P.U.F. : Presses Universitaires de France.

## قائمة المصطلحات

- بلينوس القديم : بلينوس الكبير أو الأكبر .
- الجرميون : الجرامنت.
- الجيتول : الجداليون : الجدالة .
- صفونيسبة : صوفونيزب : صفو .
- ع. ح. ق . : عصر حجري قديم : باليوليتي .
- ع. ح.ق. أس : عصر حجري قديم أسفل : باليوليتي أسفل .
- ع.ح.ح. : عصر حجري حديث : نيوليتي .
- ق.م : قبل الميلاد .
- كرتن : قرطن : سيرتا .
- م. : للميلاد أو ميلادي .
- المزالمة : موزولامي : ميزولاني .
- مسنسن : ماسينيسا : ماسنيسان .
- مكوسن : مسيبسا .
- هيرودوتس : هيرودوتوس .


مقدمة

# مقدمة

* ***التعريف بموضوع البحث***

يُعدُّ المجتمع اللوبي القديم – في مفهومه الشامل – مجتمعاً كبيراً ؛ تضمن مجتمعات فرعية عديدة ، كانت قد عاشت وانتشرت في كامل المنطقة المحصورة بين غرب النيل إلى المحيط الأطلسي ، ولئن شاعت تلك التسمية الاصطلاحية في المصادر الكتابية الإغريقية ، فإن ذلك نابع من مفهوم " لوبة " لدى المؤرخين الإغريق والجغرافيين القدماء الذين اعتبروها عَلَمًا جغرافيا يشير إلى كامل شمال القارة الإفريقية ، ولعلهم قد استقوا تلك التسمية مما ورد في النقوش المصرية القديمة التي تعود إلى الألف الأولى قبل الميلاد .

ومن هنا ، فالمجتمع اللوبي القديم هو ذلك المجتمع المحلي الذي عرف انقسامات داخلية متباينة ، غير أنَّ الميزة الكبرى لأفراده هو أنهم استمروا محافظين على النظام القبلي كبنية اجتماعية شاملة لهم ، حيث أنهم تطوروا وتغيروا في نسقه ، دون أن يمنعهم ذلك في بعض المناطق من الوصول إلى صورة المجتمع المدني الذي تدرجوا إليه عبر الزمن كلما توفرت لهم الشروط الملائمة لذلك .

من هذا المنطلق ، كان اختياري لموضوع البحث الموسوم بـ : " المجتمع اللوبي القديم ( من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي ) " .

أما سبب اختياري للفترة الزمنية المشار إليها آنفاً ، فيرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع المدروس ، حيث أنني عالجته من زاوية واحدة ، ألا وهي زاوية تطور النسيج الاجتماعي ، الذي لا يمكن تلمس خطواته ، إلا عبر أجيال طويلة .

و عليه ، فقد يتبادر في ذهن الدارس للوهلة الأولى ، أن الفترة الزمنية للموضوع طويلة جدا ، يمكن القول عنها أنها تغطي كامل فترة العصور القديمة . لكن المتتبع لتاريخ اللوبيين – سواء في المصادر الكتابية أو المادية – يعلم الشحَّ الكبير والندرة الغالبة على أخبارهم الاجتماعية . عدا ما حوته من مقارنة بأخبارهم السياسية والعسكرية . ولذلك عمدتُ إلى دراسة الموضوع بشكل عام طوال تلك الفترة ، لكنني

ركزت بصورة خاصة على الفترة المحصورة بين القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس للميلاد .

و انطلاقاً من مسلَّمةِ تطور المجتمع ، فإن التسمية تتطور أيضا ، فمصطلح اللوبيين في المصادر الرومانية والبيزنطية ثم الإسلامية اختفى تقريبا ، لتعوضه – لاحقاً – أسماء أعلام جديدة ، بعيدة لغويا كل البعد عن " لوبه " ، و قريبة كل القرب جغرافيا منها ، فقد ظهر مصطلح النوميديون و الموريون ثم البربر.

***أهمية البحث***

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله لمسألة تطور النسيج الاجتماعي بالمغرب القديم ، عبر تاريخه الطويل ؛ وفقا لجدلية قيام المجتمعات الانقسامية . راصدا بعض المناطق التي كان فيها محافظا على خصوصيته القبلية ، وأخرى تطور فيها إلى مجتمع مدني ، كالريف النوميدي وحواضر البروقنصلية .

كما يتناول البحث بالتحليل والدراسة البنيات الاجتماعية الأساسية عند اللوبيين ، آخذا النوميديين أنموذجاً للدراسة من الوجهة الاجتماعية والثقافية ، لتعذر الإلمام بجميع المجتمعات الفرعية فيه ، ناظرة بعين الاعتبار لتطور بنية القرابة التي يعتمد عليها التنظيم السياسي العائلي ، وانتماء الأفراد للتجمعات السلالية ، مع رصدي – طبعا – لمقومات المجتمع من حيث النشاط الاقتصادي لأفراده و نموهم ثم علاقاتهم ، ولغة تواصلهم وديانتهم وأبرز عاداتهم وأعرافهم .

و بذلك ، فإن أهمية المجتمع تكمن في أنه عمل يدرس مظاهر الحياة الاجتماعية القديمة من مختلف مصادرها .

كما أخذت أيضا موضوع المقاومات المحلية المسلحة أنموذجا للدراسة في كل مرحلة ، ووجدت أن معظمها كان ذا طابع اجتماعي و ردة فعل حاسمة على وضعية استغلالية معينة من الوجود الأجنبي ذلك أن موضوع الحروب وكل المظاهر والممارسات العسكرية وجدت لتستمر باعتبارها عنصراً ثابتاً ودائماً في التاريخ المغاربي القديم مثل الحرب اللوبية المصرية خلال الألف الأولى ق.م و ثورة اللوبيين 237 ق.م ثم مقاومة تاكفاريناس ( 14–27 م ) ثم مقاومة الدوارين خلال الرن الرابع للميلاد .

* دواعي اختيار البحث

لقد تضافرت مجموعة من الأسباب والدوافع دفعتني إلى الخوض في هذا البحث أجملها فيما يلي :

1- الاهتمام بالتاريخ الحضاري لبلاد المغرب القديم ، كونه لم ينل نصيبه من الدراسة مقارنة بالتاريخ السياسي والعسكري .

2- ندرة الدراسات السوسيوتاريخية الخاصة بالمجتمع اللوبي .

3 - السعي إلى جمع وتحليل مختلف النصوص الأدبية والمعطيات الأثرية التي أشارت إلى التاريخ الاجتماعي في المغرب القديم .

4 - محاولة البحث و التركيز والتعمق في فهم التاريخ الاجتماعي للمغرب القديم ، وبخاصة خلال المرحلة السابقة للاحتلال الروماني ، ذلك أن التاريخ الاجتماعي خلال مرحلة الاحتلال الروماني للمغرب القديم كان قد حظي بالكثير من الدراسة والتحليل .

5- عدم الاكتراث بتوحيد مصطلحات التاريخ القديم ، مما يخلق إشكالية المفهوم في المدارس التاريخية المعاصرة ، إذ أن كل مدرسة تطلق تسميات معينة وفقا لمرجعيتها و منطلقاتها ، ومنها المجتمع اللوبي .

6- قلة الدراسات التاريخية للمجتمعات القبلية القديمة ، التي لم تترك إرثا مكتوبا ، حيث أن الصورة الغالبة لدراسة مجتمع القبيلة مقتصرة على علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، بالرغم أن التتبع التاريخي للأحداث هو أساس فهم المجتمعات الإنسانية.

7- قلة المعلومات التاريخية عن الواقع الاجتماعي القديم للسكان الأصليين في الربوع التي انتشروا فيها ، رغم نشاط البحث الأثري واتساع نطاقه واجتهاد الأثريين .

إن كل تلك الأسباب والدوافع جعلتني أخوض في موضوع تاريخي من وجهة نظر اجتماعية ( سوسيولوجية) .

### * هدف البحث

يسعى هذا البحث إلى غاية بعيدة ألا وهي : الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي القديم و جمعه من ثنايا النصوص القديمة والنقوش .

أما الهدف القريب فيسعى إلى :

1 – محاولة فهم المجتمع المغاربي القديم عن طريق التعمق في دراسة مواضيع معينة كالحركات الاجتماعية والدينية ثم التراتب الطبقي وكذا فئة الشباب والمرأة ثم الأسرة واللغة وتطوُّرها ، وكذا القيم السلوكية والعادات ثم التقاليد والأعراف .

2 – محاولة تقديم رؤية شاملة وعامة للمجتمع اللوبي بناء على ما وصلت إليه أيدينا من المصادر الكتابية والمادية .

### * إشكالية البحث

من أجل تحقيق أهداف البحث كان حري بي أن أطرح إشكالية كبرى تمحور حولها البحث ، ومجموعة من الإشكالات الفرعية التي تناولناها في كل باب من الأبواب الأربعة التي عالجنا فيها موضوع المجتمع ، وقد أفادتنا تلك التساؤلات الفرعية في فهم الموضوع المدروس .

فأما **الإشكالية الكبرى** فمفادها ما يلي :

– إذا كان المغرب القديم مهد اللوبيين منذ عصور ما قبل التاريخ ، وكانت مواطن كل قبيلة قريبة إلى الأخرى ، وكانت لهجاتهم مفهومة فيما بينهم ، و كانت المصادر الكتابية القديمة قد عرَّفتهم على أنهم وحدة عرقية متشابهة الخصائص ، فهل شكَّل اللوبيون مجتمعاً بالمفهوم الاجتماعي المعاصر ؟

– ما هي المظاهر الحضارية التي ميزت المجتمع اللوبي القديم عبر تاريخه الطويل ؟

– هل حافظ على مقوماته وخصائصه الحضارية في ظل الاحتلال القديم ؟

قد تبدو الإجابة عن هذه الإشكالية محفوفة بالتشكيك من طرف المؤرخين الذين يرفض بعضهم مجرد إسقاط الواقع المعاصر على الواقع القديم بدعوى الفرق الشاسع بين الحياة المعاصرة والقديمة ، إلا أن المنهج المتبع في البحث – والذي سيتم عرضه

لاحقا – سوف يحاول أن يعرض لنقاط التلاقي بين الدراسة التاريخية والدراسة الاجتماعية .

أما **الإشكالات الفرعية** التي تناولتها في الأبواب ، فيمكن حصرها في التساؤلات الآتية :

ففي **الباب الأول** طرحت ما يلي :

– هل المجتمع اللوبي القديم أصيل المغرب القديم أم هو وافد ؟

– ما هي أبرز المستمسكات المادية الدالة على أصالة الإنسان اللوبي القديم في بلاد المغرب القديم ، في عصور ما قبل التاريخ ، والتي تبين لنا أنه إنسان محلي وغير وافد ؟

– كيف كان الحضور التاريخي للوبيين في المصادر المصرية القديمة التي تعتبر في معظمها أثرية ؟

– كيف شكَّل اللوبيون دولة قوية عندما توفرت لهم الظروف المناسبة ؟

أما **الباب الثاني** فطرحت فيه ما يلي :

– ما هي المجتمعات التي احتواها المجتمع اللوبي من خلال المصادر الإغريقية ؟

– ما هي خصائصها ومميزاتها الاجتماعية – فقط – عبر الأجيال خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد برؤية هيرودوتية ؟

أما **الباب الثالث** ، فتساءلتُ : كيف تطور النسيج الاجتماعي خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد في عهد الدولة النوميدية ؟ والذي هو أنموذج البحث .

و**الباب الرابع** طرحتُ فيه القضايا الآتية :

– ما هي التغييرات التي عرفها المجتمع اللوبي بدءا من التسمية ووصولا بالمظاهر الحضارية الجديدة التي فرضتها الرومنة ما بين القرن الأول والخامس للميلاد ؟

– هل تطور المجتمع كلية من الصورة القبلية إلى الصورة المدنية أم أن تطوره كان مقتصراً فقط على مناطق دون أخرى ؟

– ما هي أبرز انقساماته الداخلية ؟

– كيف يمكن تتبع أحد أنساقه في هذه المرحلة كالمجتمع النوميدي ؟

– هل يمكن تعميم المصطلح على النسيج الاجتماعي الذي كان قاطنا في المغرب القديم بنوعيه المحلي والوافد ؟

وهنا أود أن أسوق ما اتفق المؤرخون القدامى عليه – ومنهم هيرودوتس – من مفهوم واحد للمجتمع اللوبي ، والذي يعني : " السكان الأصليين للمغرب القديم " ، أما المؤرخون المحدثون ومنهم " ستيفان جزال " وغيره كثيرون ، فيعتبرون مصطلح " اللوبي " مرادفا لمنطقة " شمال أفريقيا " .

أما المؤرخون المعاصرون ، فقد حافظوا على التسمية التاريخية ، إلا أنهم غالبا ما يتجنبون مصطلح " المجتمع المغاربي القديم " لاعتبارات إيديولوجية ، لكن المتمعن في المصطلح يجد أنه – إذا أخضعه للتقعيد من المصادر اللغوية – فهو الأنسب والأبعد عن أي توجه ، لكونه تسمية أشمل وأوسع ؛ و تضم بين جَنَبَاتِهَا مجتمعات فرعية محلية ووافدة أيضاً .

فحسب المفهوم الاجتماعي لمصطلح المجتمع ، يمكن أن نعتبر المجتمع الوافد الذي استقر وتناسل في المغرب القديم في بعض المدن الساحلية كقرطاجة ، جزءا من المجتمع اللوبي القديم في مفهومه الشامل ، خاصة إذا علمنا أنَّ من الشروط الأساسية – بغض النظر عن اللهجة و الجد المشترك – لاعتبار مجموعة بشرية ما جزءا من مجموعة أخرى هو الاستقرار في أرض تلك الأخيرة .

وهكذا أقول : أن المجتمع اللوبي القديم ما هو ، إلا مجتمع كبير ، تتغير تسميته تبعا لمصادر كل فترة ، فهو نسبة لمصادر الفترة التاريخية المصرية و الإغريقية والرومانية ، ذلك : المجتمع اللوبي الانقسامي الذي تفرع منه على سبيل المثال المجتمعان النوميدي و الموري وغيرهما .

و للإجابة عن ذلك ركزت على عرض التفسيرات التاريخية للمجتمع اللوبي القديم بدءاً من التسمية ، ووصولاً إلى المظاهر الكبرى .

بعد أن استعرضتُ الصورة الأولى للمجتمع اللوبي القديم على أنه مجتمع قبلي ، واصلتُ البحث في مظاهر تطوره وانقساماته الداخلية ، حيث وجدتُ أنه مجتمع كان قد عانى كثيرا من التدخل الأجنبي ، ولذلك لم ينعم أفراده بحريتهم في أرضهم التي نشؤوا فيها . ذلك أن الثروات الطبيعية التي تمتع بها المغرب القديم جعلته مطمعا

للشعوب الغازية الناهبة لخيراته ، ولذلك أيضاً لم يجد اللوبيون ولا من جاء بعدهم فرصة للتطور في راحة وأمان دون حروب ، وللحفاظ على مقوماتهم كانوا يلجؤون إلى التكتل والاتحاد القبلي ( نظام الكونفدرالية ) كردة فعل على الاحتلال الأجنبي .

فمثلا : إننا لا نعرف لماذا لم تذكر قبائل لوبية أخرى في المصادر المصرية باستثناء ( التحنو والتمحو واللبو والمشوش ) ؟ ثم كيف اتحدَّت سبع عشرة قبيلة رصدها هيرودوتس إلى أربعة اتحادات ( ماصيلية وماصيصلية ومورية وجيتولية ) . و التي ذكر سالوستيوس منها اثنتين . ثم لماذا تتغير تسمية المجتمع اللوبي كلية لتصبح تسمية مغايرة تماما في العهد البيزنطي ألا وهي تسمية " المجتمع الموري " ؟

وتمثيلاً لما ذهبت إليه : فإن الفينيقيين تناسلوا مع اللوبيين مشكلين المجتمع البوني ، أما الإغريق في قورينة فظلوا فئة دخيلة ، و على المنوال نفسه فقد ظل الرومان طبقة متميزة بثقافتها اللاتينية التي نشرت الرومنة ، تلك الأخيرة التي غيَّرت الكثير في التراتب الطبقي للمجتمع المحلي .

وهكذا يشكل الفراغ والانقطاع التاريخي في المصادر الكتابية إشكالية صعبة قد لا نجد إجابات عنها لا في المصادر المادية ، ولا في التاريخ ، ولذلك لجأت إلى علوم مساعدة ورافدة للتاريخ ، واستخدمت مناهج بحث مساعدة في هذه الدراسة .

### * المنهج المتبع في البحث

نظرا لصعوبة موضوع البحث المدروس ، فقد اعتمدتُ على أكثر من منهج بحث ، أوردهم فيما يلي :

- المنهج التاريخي الوصفي .
- المنهج الاجتماعي ( السوسيولوجي ) التعليلي .
- منهج دراسة الحالة .

فأما الأول فقد لجأت إليه عند معالجة سير الأحداث التي وقعت في الماضي مركزين على وصف ظاهرة معينة وصفا دقيقا .

وأما الثاني فقد استخدمته لشرح الثغرات التاريخية ، التي لا توجد لها إجابات في سير الأحداث التاريخية التي أوردتها المصادر الكتابية .

وفي هذا المقام : يقوم المنهج الاجتماعي بفحص و تحليل الأحـداث التاريخية وفـقاً لرؤيةٍ اجتماعية ، فيحـقق عـلم الاجتـماع بـذلك فهماً أوسع وأكثـر عمقـا للحقائق التاريخية حين يعتمد على المنهج التاريخي في تـحليلاته خـاصة في مجـال الاسـتفادة من المعلـومة التاريخية ، كما يساعد على تبيان مظاهر التفاعـل والتـأثر التي تشكِّل الحدث التاريخي .

وأما الثالث فقد كان عن طريق أخذ عينات أنموذجية للدراسة .

فمثلا : إنه في العهد الروماني كانت كل مدينة من مدن المغرب القـديم تتميـز بخصائصها الحضارية عن الأخرى خلال الاحتلال الروماني ، وتزخر بشواهد عـن ملامح الحياة الاجتماعية في ذلك العهد .

ولما كان من الصعوبة بمكان الإلمام بها جميعا ، فقد تم الاعتماد على بعـض العينات للدراسة كمدن نوميديا ، وفي مقدمتها مدينة تيفست ( تبسة حاليا ) لأنها تحتوي على خصائص مميزة ، كوجود المدينة القديمة قائمة ويتعايش السكان معها ، ولـذلك قمت بدراستها منذ عصور ما قبل التاريخ وصولا إلى العهد البيزنطي .

لكن لماذا لا نجد دراسات بحثية جديدة حول تيفست ؟ رغم أنها مدينة تعـددت فيها الاكتشافات ، وتراكمت فيها النقود والتماثيل والوثائق المادية ، فإنه – للأسف – لا توجد تعليلات جديدة ، حيث أن الباحثين الجدد لم يجرؤوا على التعليل ، وعليه تبقى الدراسات على حالها ، ولذلك يحتاج الباحث في التاريخ إلى استخدام النمط التعليلي في تفسير الظاهرة التاريخية .

بناءً على ما سبق ، تكتسي قضية المنهج المتبع في الدراسات الـسوسيوتاريخية أهمية كبيرة لدى الباحـثين في تـقديم صورة واضحة خاضـعة خـضوعاً مزدوجـاً للاتجاه المقارن التاريخي وللتفكير الاجتماعي بهـدف تفسير الأحـداث التـي تتعلـق بسيرورة المجتمع .

وعليه : فإنَّ تطبيق المنهج الاجتماعي على دراسة تاريخ المجتمعات القديمـة ليس بالأمر السهل ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمجتمعات التـي تناولتهـا المـصادر الكتابية على هامش أحداثها الأساسية . والمصادر المادية المعادية في غياب مـصادر

مادية محلية تبقى ملاذنا المفضل عند الدراسة ، كما هو الحال بالنسبة لتاريخ المجتمع اللوبي القديم ، ولذلك تسعى محاولات التأصيل الاصطلاحي التي اعتمدتها في البحث وسيلة للشرح والتدقيق .

و الجدير بالذكر أنه لم يتـأت لي ذلك إلا بالارتكاز على مناهج بعض العلـوم الإنسانية وفي مقدمتها علم الآثار والأنثروبولوجيا والنقوش والإثنوغرافيا .[1]

*** خطة البحث**

لقد قمت بمراعاة المظاهر الحضارية لكل زمان ومكان تطور خلاله المجتمع اللوبي القديم ، ولذلك فقد شمل هذا البحث مدخلا و أربعة أبواب تضمنت 14 فصلا ثم أنهينا البحث بخاتمة احتوت على جملة من الاستنتاجات التي استقيناها من البحث .

فأما ***المدخل*** فقد قمت من خلاله ، بمحاولة التقعيد لمفهوم المجتمع اللوبي القـديم من خلال تطور معاني المصطلح والإحاطة بإطاره الزماني والمكاني ، ومدى تجسد كلمة مجتمع عند اللوبيين .

وعنونت ***الباب الأول*** كالآتي : المجتمع اللوبي القـديم (نـشأته ومظـاهره ) ، وقسمته إلى أربعة فصول .

عالجت في ***الفصل الأول*** : التجمعات السكانية الباكرة في عصور ما قبل التاريخ بصفة عامة .

---

[1] ***حول استخدام المؤرخين للمنهج الاجتماعي ( السوسيولوجي ) راجع الدراسات الآتية*** :

- محمد عبده محجوب ، طرق ومناهج البحث السوسيولوجي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص . 241 .
- صلاح مصطفى الفوَّال ، علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ، ص . 17 .
- أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي ، ج . 1 ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1965 ، ص .ص. ( 208 – 249 ) .
- محمد نجيب بوطالب ، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط. 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2002 ، ص . 17
- محمد عبده محجوب ، مقدمة في الأنثروبولوجيا ، ط . 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص . 17 .
- حسين عبد الحميد رشوان ، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي،المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2003 ، ص . 255 .
- هيوغ أتكن ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، تر:محمود زايد ، ط .2 ، دار العلم للملايين،بيروت،1982 ، ص . 113
- ليليا بنسالم وآخرون ، الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي ) ، تر : عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، ط . 2 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 ، ص . 18 .
- فيليب تولرا وجان فارنييه ، إثنولوجيا وأنثروبولوجيا ، تر:مصباح الصمد ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،2004، ص.8.
- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط.5 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996 ، ص. 93.
- عبد الله العروي ، ثقافتنا في ضوء التاريخ ، ط.6 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2002 ، ص.ص. ( 10–16 ) .

وفي ***الفصل الثاني*** درست : الحضور التاريخي للمجتمع اللوبي في المصادر المصرية .

أما ***الفصل الثالث*** فتناولت فيه : الملامح الحضارية الكبرى للأسرتين اللوبيتين ( 22-23 ) الحاكمتين في مصر خلال الألف الأول ق.م .

وعني ***الفصل الرابع*** بظهور ونشأة المجتمع اللوبي خلال القرن الخامس ق.م ، هذا عن الباب الأول .

أما ***الباب الثاني*** فعنونته بالملامح الكبرى للمجتمع اللوبي فيما بين ( القرنين السادس ق.م – والقرن 2 ق.م ) ، حيث احتوى على ثلاثة فصول .

عالجت في ***الفصل الأول*** : المجتمع اللوبي في عهد ازدهار الدولة القرطاجية .

أما ***الفصل الثاني*** فيعتبر من الفصول الهامة في الدراسة ، حيث ركزت فيه على المجتمع اللوبي– النوميدي .

كذلك الحال بالنسبة ***للفصل الثالث*** الذي فسر العلاقة بين السياسة والمجتمع من خلال حالة المجتمع النوميدي . لتظهر في هذا الباب بوادر الظاهرة الاجتماعية التي بدأ ينفرد بها النوميديين .

ثم لتتجلى بوضوح الدراسة الاجتماعية ، وذلك في ***الباب الثالث*** الذي عنونته بانقسامات المجتمع اللوبي خلال القرن الثاني ق.م ومظاهره الحضارية من خلال أنموذج المجتمع النوميدي ، وقسمته إلى ثلاثة فصول .

فكان ***الفصل الأول*** يحمل عنوان: المجتمع النوميدي( دراسة سوسيوتاريخية ) .

أما ***لفصل الثاني*** فكان عبارة عن خلاصة لمظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي .

و أما ***الفصل الثالث*** فتطرق إلى الحياة الدينية والثقافية في المجتمع النوميدي .

أما ***الباب الرابع*** فوسمته بالآتي : قراءة اجتماعية لسكان المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني .

حيث تناولت في ***الفصل الأول*** : النسيج الاجتماعي في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني .

أما ***الفصل الثاني*** فتطرق إلى : الديانة ووظائفها في المجتمع المغاربي القديم خلال الفترة الرومانية .

كما درست في ***الفصل الثالث*** : الثقافة واللغة في المجتمع .

أما ***الفصل الرابع*** فلم ألمسه سوى لمساً خفيفاً ما دام العنوان الذي حددته في موضوع الدراسة ينتهي عشية الفتوحات الإسلامية ، وعليه فقد كان الفصل خاصا فقط بدراسة تطور التركيبة الاجتماعية لسكان المغرب القديم خلال العهد البيزنطي ، ونهاية المجتمع القديم .

أما ظهور المجتمع البربري عشية الفتوحات الإسلامية ، فلم أتطرق إليه نظرا للتغيرات والتحولات العميقة التي مست المجتمع إثر انتشار الدين الإسلامي الحنيف ، وذلك لطبيعة المصادر التي تناولت تلك الفترة الزمنية .

وهكذا : يتضح للمتتبع لتاريخ المجتمع اللوبي القديم أنني قد تطرقت إليه في ذروته الانقسامية ألا وهو المجتمع النوميدي ، ثم في العصور التاريخية العتيقة ثم الفترة الكلاسيكية فالفترة الميلادية.

ولكل فترة مصادرها كما سيرد لاحقاً .

**** المصادر والمراجع ونقدها***

بالنسبة لمصادر البحث ومراجعه فقد اعتمدت على جملة من المصادر المادية والكتابية ، ونظرا لشساعة الموضوع المدروس فإن المصادر والمراجع قد تنوعت بشكل كبير ، وقد حاولت – بشكل دؤوب – العودة إلى مصادر كل ميدان يندرج في موضوع المجتمع .

فمثلا : عند دراستي للمواقع الجغرافية كنت اعتمد على الأطالس ، وعند البحث في المفاهيم ألجأ إلى المصادر المعجمية ، وعند الدراسة الأثرية أعود إلى التقارير التي توفرها الدواوين والحوليات . وكذا الحال بالنسبة للحياة الدينية اعتمدت على المصادر والمراجع المهتمة بالتاريخ الديني ، وعند دراستي للتاريخ اللغوي اعتمدت على المصادر اللغوية ، وعند دراستي للحياة الاجتماعية ارتكزت على المصادر السوسيولوجية .

تجدر الإشارة هنا إلى أنني قمت بأبحاث حاولت أن أجتهد فيها ، مع الإشارة إلى أنني لست متخصصة في الآثار ولا في الإثنوغرافيا ، حيث قمت بالتنقل إلى مناطق عديدة بهدف جمع النقوش اللوبية ، و رصد بعض الأعراف والتقاليد المتوارثة في مناطق أوراس النمامشة التي كانت جزءا من نوميديا .

ومع كثرة المصادر والمراجع وتنوعها فإنني سأكتفي هنا بذكر أهم المصادر التي أفادتني في بناء البحث ، وهي كما يلي :

– ***المصادر المادية*** : من أهمها النقوش وتقارير الحفريات الأثرية :

– *النقوش :*

1– ديوان النقوش اللوبية للأب شابو ( ***Recueil des Inscriptions Lybiques*** ) .

2– المجموعة الكاملة للنقوش النوميدية ( ***Collections Complètes des Inscriptions Numidiques*** ) للضابط الباحث فيدارب ( ***Faidherbe***) مذيلة بملخص إثنوغرافي عن النوميديين .

3– ديوان النقوش الليبو– بربرية للطبيب الباحث روبو ( ***Receuil D'Inscriptions Libyco-Berbères*** ) .

وتكمن الفائدة من دواوين النقوش في كونها مصادر لمعرفة جوانب اجتماعية كثيرة مثل أسماء الأعلام والطبقات التي تنتمي إليها و فئات الأعمار للنوميديين .

– *تقارير الحفريات :*

استفدنا من المعلومات الأثرية الورقية المنشورة في كل من :

1– المجلة الأفريقية (***La Revue Africaine*** ).

2– مجلة الدراسات الفينيقية والبونية واللوبية (***REPPAL*** ) الصادرة عن المعهد الوطني للتراث بتونس .

3– مجلة جمعية قسنطينة ( ***Receuil de Constantine*** ) الصادرة خلال القرن **XIX** .

4– ليبيكا ( ***Libyca*** ) .

كما استفدت من تقارير الحفريات والمسح المعاصرة المنشورة إلكترونيا والتي قامت بها البعثة الإيطالية بالتعاون مع الوكالة الوطنية للآثار فيما بين (2003 – 2005 ) بأحدث الوسائل والتقنيات العلمية .

- منشورات المدرسة الفرنسية في روما ( Mélanges de l'école Française de Rome )، والتي اطلعت عليها من خلال حسابي الخاص في الموقع الإلكتروني الخاص بها على شبكة الإنترنت .

- *تقرير خاص غير منشور* : حيث كان لي - بفضل الله عز وجل - سبْقُ اكتشاف نقش لوبي في منطقة الشافية بالطارف شرق الجزائر سنة 2009 ، ألحقته في الفصل الرابع من الباب الرابع من هذا البحث ، وإنني لم أجرؤ على ذكر هذا السبق إلا بعد أن درست دراسة وافية منطقة الشافية و مختلف الأبحاث التي تناولت المنطقة وتأكدت من عدم ثبوت هذا النقش في أيٍّ من الدواوين النقوشية السابقة .

إلى جانب هذا فقد استعنت بالأطلس الأثري للجزائر لستيفان جزال ( ***Atlas Archéologique de l'Algérie*** ) ، والذي لا غنى لأي باحث في التاريخ القديم عنه .

والملاحظ على المصادر المادية أنها قد قدمت لنا الكثير من المعلومات العلمية الصادقة والتي بينت لنا أن المجتمع اللوبي القديم كانت له لغة يتكلمها وديانة يتعبد بها .

أما المصادر الكتابية فنذكر من أهمها :

- ***المصادر الكتابية*** :

- *المصادر الدينية* : متمثلة في الكتاب المقدس المترجم عن اللغات الأصلية من نشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بالقاهرة سنة 2004 ، وهي نسخة جديدة و كاملة تحتوي على جميع الأسفار و الأصحاح مذيلة بخرائط قديمة وبجداول المكاييل والموازين والمسافات والعملات في العهدين القديم والجديد ، استفدنا منه في تتبع أخبار شيشنق وانتشار المسيحية في المغرب القديم .

- *النصوص الأدبية الإغريقية :* من أهمها على الإطلاق

1- نصوص هيرودوتس في الكتاب الرابع من مؤلفه التاريخ : حيث اطلعنا عليها من خلال اللغة الفرنسية لغةً وسيطةً من الترجمة الشهيرة لستيفان جزال في كتابه ( ***Textes Relatifs D'Hérodote*** ) ، وتاريخ هيرودوت باللغة العربية من ترجمة : عبد الإله الملاح من منشورات أبو ظبي سنة 2002 ، باعتبارها أقدم مصدر كتابي يتناول تاريخ لوبة واللوبيين .

2- نصوص بوليبيوس في الكتاب الثالث و ديودوروس الصقلي .

– *النصوص الأدبية الرومانية* : أهمها :

1– نصوص بلينوس القديم في كتابه التاريخ الطبيعي الجزء الخامس .

2– نصوص استرابون في كتابه الجغرافيا في الجزء السابع عشر.

- التواريخ لسالوستيوس : اعتمدت على نسخ عديدة من لغات وسيطة ، وأردفتها بآخر وأحدث ترجمة منقحة ومزيدة لشارل دي روزيي ( ***Ch.De Rozier*** ) وإيف جرمان ( ***Yves Germain*** ) منشورة سنة 2003 بباريس .

– *الكتب والدراسات* : احتجت لدراسة موضوع المجتمع اللوبي إلى مجموعة من الكتب و التآليف الخاصة بتاريخ المغرب القديم منها القديمة والتي تعتبر اللبنة الأساسية في تاريخ المغرب القديم ، وقد نشرت خلال القرنين الماضيين باللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية ، و أخرى جديدة تتسم بالجرأة في الطرح والتحليل والتعليل وتعدد المناهج ونشرت خلال الألفية الثالثة باللغات الأوروبية و اللغة العربية ، وسأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1– مجموعة المؤرخ ستيفان جزال ( ***Stéphane Gsell*** ) المتكونة من ثمانية أجزاء و التي تحمل عنوان : التاريخ القديم لشمال أفريقيا ( ***Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*** ) .

2– اللوبيون الغربيون ( ***The Eastern Libyans*** ) لأوريك بيتس( ***Oric Bates*** ) المنشور سنة 1914 بلندن .

3– دراسة جديدة قيمة للأثري جان بيار موهان حول مجتمعات ما قبل التاريخ .

4– دراسة للمؤرخ الفرنسي وَلِيد قرطاج يان لوبويك ( ***Yann Le Bohec*** ) تحت عنوان : " تاريخ أفريقيا الرومانية (146ق.م–439م ) " من منشورات بيكار سنة 2005 ، وله العديد من الدراسات حول التاريخ الحضاري للمغرب القديم .

5– دراسة جديدة موسوعية شاملة مصورة للمؤرخ سيرج لانسيل ( ***Serge Lancel***) تحت عنوان " الجزائر القديمة " (***L'Algérie Antique***) ، حيث احتوى الكتاب على مئات الصور لآثار الجزائر بعد الترميمات التي طالتها في مطلع الألفية ،وقد صدر سنة 2003.

6- مؤلفات المؤرخ محمد حسين فنطر : منها المنشورة في مجلة **REPPAL** ، و منها التي اضطلعت بنشرها دار أليف بتونس ككتاب الحرف والصورة في عالم قرطاج .
7- مؤلفات المؤرخ محمد الصغير غانم : والتي نشرتها دار الهدى بالجزائر فيما بين ( 2005-2009) ، وتتناول التاريخ السياسي والعسكري والديني في الدولة النوميدية ، ومن أهمها : المملكة النوميدية والحضارة البونية وسيرتا النوميدية .

هذا فضلا عن كتابات كثيرة لعل أبرزها كتابات المؤرخ غابريال كامبس واللغوي ليونال جالان و المؤرخ محمد البشير شنيتي في دراسته القيمة و المتميزة المعنونة بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني .

كما استفدت أيضاً من مجموعة متنوعة من المعاجم كالمعجم الوسيط ، وتاج العروس ولسان العرب ، والدراسات اللسانية حول علم الأصوات والتي ساهمت بمعرفتنا لحقائق كثيرة في اللغة اللوبية ، مثل : كتاب فرديناند دي سوسير حول الألسنية العامة و خولة طالب الإبراهيمي حول مبادئ في اللسانيات ، وكذا كتابات اللغوي سالم شاكر ، وفي الجانب السوسيولوجي إلى سلسلة الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي ) لنخبة من المفكرين الاجتماعيين .

- *المواقع الإلكترونية* :

في خضم التطور التقني الكبير وتوخي الباحث الحذر من المعلومات المنشورة عبر شبكة الإنترنت ، تجدر الإشارة إلى أنه لا غنى عن العودة إلى مواقع معينة تتمثل في : المكتبات الإلكترونية التي تحتفظ بآلاف الكتب والمجلات العلمية المحكمة المصورة على نظام ( pdf ) ومنها على سبيل المثال :

1- المكتبة الوطنية الفرنسية جاليكا للتاريخ القديم : www.gallica.bnf.fr
2- المكتبة الإلكترونية في ليون لمجلات العلوم الإنسانية والاجتماعية بيرسي : http://www.persee.fr
3- المكتبة الإلكترونية الخاصة للسيد محمد بن ناصف المعروفة بالجزائر القديمة ، www.algérie-ancienne.com
4- مكتبة المصادر الأدبية الفرنسية : www.remacle.org

وقد حاولت جاهدة البحث عن أية معلومة يمكن أن تفيدني في دراسة تاريخ المجتمع اللوبي القديم ، فقمت بزيارات شخصية لبعض المتاحف الوطنية في مختلف مناطق

الجزائر وتونس ، وكذا زرت في الويب مواقع أهم المتاحف العالمية كموقع المتحف البريطاني ومتحف برلين وغيرهما .

* **صعوبات البحث**

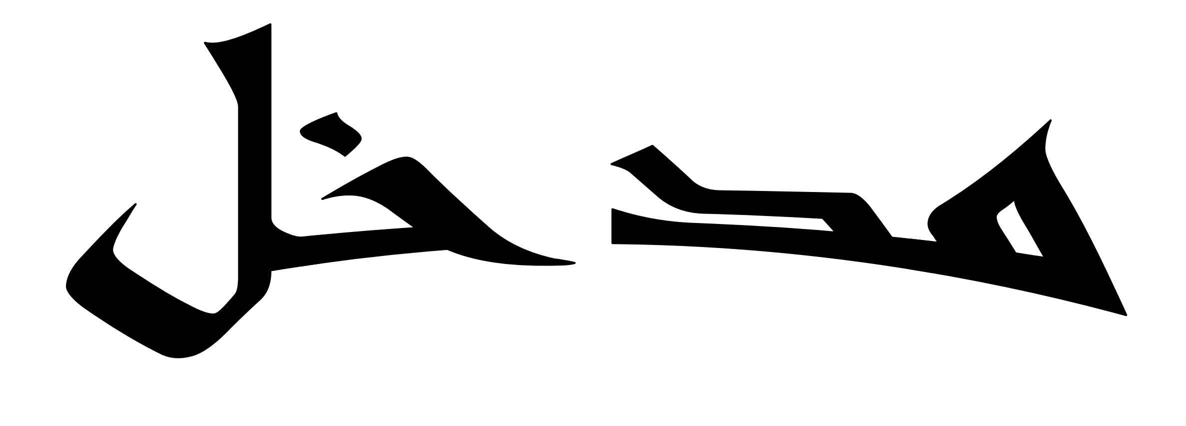
لا يخل بحث علمي من الصعوبات على المستوى المعرفي والمنهجي والاجتماعي أيضا ، لكن أعظم صعوباتي كانت تتمثل في قلة المصادر والمراجع ، وتناثر المعلومات لأن سكان بلاد المغرب القديم لم يتركوا إرثا مكتوبا من طرفهم يمكنني أن أستدل به على ثقافتهم الحقيقية باستثناء ما وجدته في النقوش الجنائزية .

ولذلك بحثت طويلا في هذا الموضوع ، وما زاد من عنائي ومكابدتي أنني ما كنت لأجد سوى إشارات تاريخية بسيطة ، كون تاريخ المنطقة مليء بالفجوات في المصادر وأنه كان قد كتب على هامش الأحداث الرئيسة في المصادر الكبرى وخاصة فيما يتعلق بالمصادر الرومانية .

* **الشكر والامتنان**

لا يسعني في هذا المقام الفاضل سوى أن أتوجه أولا إلى أعضاء لجنة المناقشة بخالص شكري لتفضلهم بمناقشة هذا البحث ، وثانيا إلى جميع أساتذتي الذين قاموا بتكويني في مرحلة الماجستير بجامعة قسنطينة ، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف – حفظه الله ورعاه – و الأستاذ الكريم الدكتور عبد العزيز بن الأحرش الذي علَّمني الكثير حول فترة ما قبل التاريخ ، وكذلك الأستاذ الفاضل الدكتور ابن السعدي سليمان الذي ما انفك يشرح لنا – أثناء المحاضرات – تاريخ اللوبيين وعلاقتهم بمصر القديمة، كما أشكر كل عمال المكتبات الذين قدموا لي أنفس الكتب وفي مقدمتهم عمال مكتبة كلية الآداب بجامعة صفاقس بتونس ، ومكتبة الأسد بدمشق ، ومكتبة الإسكندرية بمصر والمعهد الوطني للتراث بتونس .

* إنني لأرجو – في ختام هذه المقدمة– أن يكون بحثي المتواضع هذا قد ساهم في إبراز حقيقة واحدة ، ألا وهي أن سكان بلاد المغرب القديم كانت لهم ثقافتهم وحضارتهم المميزة لحضورهم في مصادر التاريخ ، لكن الاحتلال الأجنبي كان دائما لهم بالمرصاد يطمس ثقافتهم و يزدري حضارتهم . ***والله من وراء القصد.***


مدخل

# مدخل

# مفهوم المجتمع اللوبي القديم

**أولا – المفهوم الاصطلاحي للمجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم .**

**ثانياً – الإطـار الـمكانـي لـلمـجـتمع الـلـوبي الـقــديم .**

**ثالثاً – التطور الاصـطلاحي لكـلمة " مجتمع " ومدى تجسدها في مفهوم المجتمع اللوبي القديم .**

## أولا – المفهوم الاصطلاحي للمجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم

### 1 – أصل التسمية

عنت المصادر الكتابية التاريخية اليونانية – وفي مقدمتها مؤلَّف المؤرخ هيرودوتس – [1] بالمجتمع اللوبي [2] أولئك الذين قطنوا المنطقة المحصورة بين غرب النيل إلى سواحل المحيط الأطلسي ، وتعد أول تسمية لسكان منطقة المغرب القديم .

وتشمل تلك التسمية جميع التجمعات البشرية في شمال أفريقيا . وقد دون على هذه الصورة في المصادر المادية والكتابية القديمة .

فالمجتمع اللوبي يقصد به مجموع سكان بلاد المغرب القديم المتكون من قبائلَ لكل منها اسمها الخاص ، و لعلَّ أول تشكل اجتماعي له كان في صورة " المجتمع القبلي " .

وتعرِّف الموسوعة العربية الميسرة المجتمع القبلي اللوبي بأنه : " مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ، ويسكنون إقليماً واحداً مشتركاً يعتبرونه ملكاً خاصا بهم ، وتنتمي إلى جدٍّ مشتركٍ أعلى يميزها عن مجموعات أخرى مماثلة " .[3]

ومن هنا نجد أن المجتمع اللوبي كان يتكون من عدة أقوام تطورت مسمياتهم عبر التاريخ ، واختلفت بحسب ورودها في المصادر المادية وفي مقدمتها المصادر المصرية ، وكذلك الأمر في المصادر الكتابية وأهمها كتابات المؤرخين والجغرافيين من الرحالة اليونان والرومان – كما سيرد ذلك لاحقا – .

---

( 1 ) *- Hérodote , Histoires , Tome : IV , trad .par : Pierre Henri Larcher , Librairie Maspero Paris , 1980 , P. 251.*

– **هيرودوتس** : أشهر مؤرخي الإغريق ، ولد بهاليكارناس حوالي 484 ق.م ، طاف العالم القديم لمدة سبعة عشر عاما ، ثم استقر بأثينا ، حيث وضع مؤلفاته هناك ، مات حوالي 424 ق.م . عن : علي فهمي اخشيم ، نصوص ليبية ، ط.2 ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1975 ، ص . 6 .

(2 ) **المجتمع اللوبي** : تجدر الإشارة أننا نقصد هنا أصل التسمية من منظور تاريخي ، ولا نقصد فيها أصل الكلمة في التعريف اللغوي ، لأن أصل الكلمة كان قد ورد بصيغ عديدة فصلت فيها دراسات تاريخية كثيرة ، فمثلاً نجدها على النحو الآتي في كل من المصادر المصرية وسفر التكوين "لبو و ليباهيم" أما في المعاجم العربية فقد اشتقت من " لوب" أي أرض الجفاف ، وبذلك فالتعريف اللغوي للمجتمع اللوبي القديم مناف تماما لواقعه أو قد يصدق على جزء دون آخر ، كأن نقول " مجتمع بلاد الجفاف " ، وهذا غير منطقي من الناحية التاريخية .

( 3) محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج . 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1987 ، ص . 101 .

من جهتها تشير معظم تلك المصادر إلى أنهم كانوا منتظمين في شعوب وقبائل انتشرت في كامل شمال أفريقيا منذ الألف الأولى قبل الميلاد ، ولذلك فإن الصورة الأولية للمجتمع اللوبي هي الصورة التقليدية للشعوب القديمة في المغرب القديم وهي صورة المجتمع القبلي . [1]

و أول تسمية تاريخية وأوسعها انتشارا هي تسمية : اللوبيين .

## 2- <u>التعريف باللوبيين</u>

يطلق هذا الاسم على كامل القبائل التي عاشت في شمال أفريقيا منذ فترة فجر التاريخ ، وتمتد ربوعها من السرت الكبير ، بما في ذلك الصحراء الكبرى إلى سواحل المحيط الأطلسي .

ويتفرع اللوبيون إلى عدة قبائل وشعوب ، وكان القدماء يعتبرونهم وحدة عرقية بالرغم من تعدد العناصر والخصوصيات التي كانت لهم ، والمتمثلة في طرق العيش والعادات والتقاليد ، وتجد الإشارة إلى أنَّ أول مصدر كتابي وصف اللوبيين كتاب التواريخ لهيرودوتس . [2]

واشتق اسم اللوبيين من كلمة ( لوبه ) وهو الاسم العتيق الذي كان يطلق على شمال أفريقيا ، أما أصلها فقد استمد من النصوص الهيروغليفية[3] المدونة على اللوحات الحجرية [4] وجدران معابد أسر الدولتين الوسطى والحديثة بمصر القديمة . [5]

---

( 1 ) عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط . 5 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996 ، ص . 93 .

( 2 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ط . 1 ، منشورات أليف ، تونس ، 1999 ، ص .318 .

( 3 ) **<u>النصوص الهيروغليفية</u>** : هي نصوص مكتوبة بالخط المصري الأول ، و تعني كلمة " هيروغليفي " الكتابة المقدسة ، حيث كان المصريون يعتقدون ان الإله تحوت الذي صوروه بشكل طائر ابي منجل هو الذي اخترعها ، وهي كتابة تصويرية ، تقرأ من جميع الاتجاهات ، وتدون على الجدران في العمارة المصرية القديمة . ***لمزيد من المعلومات انظر*** : أنطوان زكري ، اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية أصولها وقواعدها ) ، د. ط . ، دار الوثائق المصرية ، القاهرة ، د. ت . ، ص .2 . و : محمد حماد ، تعلم الهيروغليفية ( لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية ) ، ط. 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1991 ، ص. 12 .

( 4 ) **<u>اللوحات الحجرية</u>** : و تعرف أيضا بالصلاَّيات ، وهي جمع مفردها صلاَّية و هي قطعة من حجارة الديوريت الأسود كمثرية الشكل ، تسمى صلاية لأنها ذات طابع ديني .

( 5 ) – *Guy Rachet , Dictionnaire de la civilisation égyptienne , éd. Larousse , Paris , 2001 , P.* 149 .

إلى جانب المصادر المادية المصرية ، فقد ذكرتهم المصادر الدينية وخاصة التوراة [1] بالتسمية نفسها ، فكلمة اللوبيين شائعة في سفر التكوين . [2]

وهكذا دلت كلمة لوبة في البداية على جميع الربوع التي سكنتها القبائل اللوبية ، ثم أطلق هذا العلَم الجغرافي على كامل شمال القارة الأفريقية . [3]

وتعتبر المصادر المصرية اللوبيين وحدة عرقية حضارية واحدة ، متفاعلة فيما بينها ، فبالنسبة إليهم إنَّ سكان الربوع التي تقع غرب بلادهم هي وحدة عرقية متشابهة ، مع تعدد عناصرها وتباين أوضاعها وتقاليدها ، ثم إنَّ الحضارة المصرية أثَّرت على تلك القبائل وتجلى ذلك بوضوح كامل في النحت والنقش والنصوص والرسوم والمعتقد .

لقد شاعت تلك التسمية منذ الألف الأولى ق.م ، وإلى غاية القرن الخامس ق.م ، أين بدأ الإغريق يدوِّنون ، معتبرين سكان المغرب القديم أيضا وحدة عرقية – على غرار النظرة المصرية – ، وتعتبر كتابات هيرودوتس خير مثال على ذلك .[4] أما خلال القرن الثالث ق.م وإلى غاية القرن الثاني فقد سادت تسمية النوميديين و الموريين – كما سيرد ذكر ذلك لاحقاً–.

---

( 1 ) <u>التوراة</u> : هو كتاب اليهود المقدس ، وهو جزء من العهد القديم الذي يتكون من تسع وثلاثين جزءاً ، وهو اختصار للأحرف الأولى لأسماء الأقسام المكونة له ، و هي تسمية يطلقها اليهود على الكتب الخمسة التي نزلت على موسى ، فيقولون كتب موسى ، وهي الأقدم وتتكون من سفر التكوين والخروج والعدد والتثنية واللاويين ، ويعتبر سفر التكوين مصدرا دينيا مهما للكثير من الأحداث التاريخية ، رغم أنه محرف منذ سنة 130 للميلاد بعد السبي البابلي لليهود ، حيث ضاعت النسخة الإغريقية ، وتكفل عزرا بإعادة نسخه . ***<u>للمزيد من المعلومات انظر</u>*** : زياد منى ، جغرافية التوراة ، ط. 1 ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، 1994 ، ص. 23 ، زياد منى ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم ، ط. 1 ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت ، 2000 ، ص . 14 ، عبد الرزاق السامرائي ، الماسونية واليهود والتوراة ، ط.1 ، دار الحكمة ، بيروت ، د.ت . ، ص. 95 .

( 2) الكتاب المقدس ( كتب العهد القديم والعهد الجديد ) ، السِّفر 13 – أخبار الأيام الثاني – ، الفقرة : 12 ، منشورات دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط . 6 ، القاهرة ، 2004 ، ص . 521 .

( 3) محمد حسين فنطر ، رسالة خطية أرسلها للطالبة بتاريخ ( 06/ 09/ 1999 ) أثناء إعدادي لرسالة الماجستير حول " النقائش اللوبية " ، وتعنى رسالة المؤرخ بالتقعيد الاصطلاحي لكلمة ( لوبة ) ، وأيضا حول كلمة (نقش ونقيشة ).

( 4 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة ؟ " ، مجلة : أفريقيه للدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية ، ع : 12 ، منشورات المعهد الوطني للتراث ، تونس ، 2002 ، ص . 47 .

.

...QUE TUNISIENNE
MINISTERE DE LA CULTURE
INSTITUT NATIONAL DU PATRIMOINE

الجمهورية التونسية
وزارة الثقافة
المعهد الوطني للتراث

99/7/6 DM/210

الآنسة مها عيساوي
ص.ب 31 بريد الزهور تبسة 12005
الجزائر

اتصلت برسالتك حيث تعرفت إليك وإلى موضوع رسالتك
وموضوع "النقائش اللوبية" هنا تعريف بسيط: يقال نقش
نقوش إذا كان الأمر يتعلق بزخارف مهما كان نوعها ويقال نقيشة
نقائش في خصوص الكتابات المسطورة على أنصاب أو غيرها
من الحاملات فإذا قلت "النقوش الليبية" فلا يدري القارئ هل
تعني الصور أو الكتابات. ونقول اللوبية لا الليبية حتى يبرز
الفرق بين اللوبيين وهم سكان مغربنا الكبير قديما والليبيين
وهم سكان ليبيا اليوم. ونقول اللوبيون لأن الاسم جاء مسطرا بحروف
اللام والواو والباء فلقد ورد الاسم في عدة نقائش بونية ففيها
يقال "لوبيم" وكان اللوبيون يسمون أطفالهم "لوبي" إن كان ذكرا
ولوبة إن كانت أنثى. فلذلك ينبغي أن تقول اللوبيون ونقول
"النقائش اللوبية" هذا تصحيحا لخطأ شائع في المشرق والمغرب
ولابد من تلافيه في دراسة جامعية وقد يكون بعض الأساتذة على غير
علم بهذه التفاصيل. ثم تجدر الإشارة إلى اسم شمال إفريقيا قديما
فأقترح "لوبة". لا لوبيا ولا ليبيا كما نجد في كتابات بعض
المؤرخين غير المختصين.

Place du château - Tunis - Tél. 561.622 - 561.259 - Fax : 562.452 : الفاكس – 561.622 – 561.259

## 3- تطور مصطلح المجتمع اللوبي القديم

### أ - النوميديون والموريون

وهي التسمية الغالبة على قبائل وشعوب المغرب القديم في تلك الفترة في المجال الجغرافي الذي تقطن فيه قبائل الماصيل و الماصيصيل [1] ، لكن هذا لم يمنع أن يُعتبر سكان المدن الساحلية كقرطاجه جزءا من المجتمع اللوبي القديم في شقِّه الوافد [2] . ولعل ذلك راجع إلى أصوله غير المحلية ، وأولئك- في مرحلة لاحقة – كانوا قد انضموا في التركيبة الاجتماعية إلى التراتب الطبقي الداخلي ، وشكلوا طبقة هجينة عرفت بالليبو – فينيقيين ثم بالبونيين [3].

أما خلال مرحلة الاحتلال الروماني والبيزنطي فقد شاعت كلمة ( مور ) ، وقد أطلق مصطلح ( المور – Maure ) ذي الجذور الفينيقية ، والذي يعني الغرب على جزء كبير من سكان المغرب القديم ، ثم عمم فيم بعد على كامل السكان ، حتى أن سكان الأوراس كانوا ( موريين ) في نظر الرومان على الرغم من أنهم نوميديين تاريخيا وإداريا [4].

إلا أن التسمية التي كانت في عموم معناها تفيد تسمية اللوبيين هي : الأفريقيين [5] .

---

( 1 ) **قبائل الماصيل والماصيصيل** : اتحادات قبلية نوميدية ، ظهرت التسمية منذ القرن الرابع قبل الميلاد . **عن** :
- *Stéphane Gsell , Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord , T : V , Librairie Hachette , Paris , 1927 , P.P. ( 95 – 96 ) .D'Après : www.algérie-ancienne.com , Le : 15/07/2007.*

( 2) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، ط . 2 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2006 ، ص . 38 .

( 3 ) **الليبو – فينيقيون والبونيون** : تسميتان اصطلاحيتان يقصد بهما السكان المختلطين من عرق محلي وهو العرق اللوبي ، والعرق الوافد وهو العرق الفينيقي ، أما كلمة البوني فهي أكثر استغراقا ، إذ تعني المتأثرين بالفينقة .

( 4 ) محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج . 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص.ص . ( 14 – 15 ) .

( 5 ) **الأفريقيون** : ج. مفرده أفريقي ، وله جمع تكسير آخر على وزن أفاعلة ، و تعني من ينتسبون جغرافيا إلى " أفريقيا " . **للمزيد من المعلومات انظر:** كولين ماكيفيدي ، أطلس التاريخ الأفريقي ، تر : مختار السويفي ، ط. 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص. 13 .

**ب – <u>الأفريقيون</u>**

نسبة إلى أفريقيا ، والأرجح أن اسم أفريقيه يعود إلى مادة لوبية هي : يفر مضاف إليها اللاَّحق اللاتيني( ***US*** ) ، وبالتالي فهي كلمة مركبة من عنصرين لوبي ولاتيني ، وليست مشتقة من مادة ( فرق ) في اللغة العربية وإنما من كلمة (إفري )، وإنما هي كلمة ذات أصل لغوي محلي ، وتعني سكان المغارات .

وأفريقيه هي عَلَم جغرافي يطلق عامة على شمال قارة أفريقيا ، واستعمال هذه الصيغة يقف عند العصور القديمة بعد أن شاع استخدامه في المرحلتين الرومانية والبيزنطية [1] ، إذ تغير المعنى عند مرحلة الفتح الإسلامي ، ليعرف سكان المغرب القديم بالبربر [2] .

**ج – <u>البربر</u>**

شاعت التسمية في بداية مرحلة الفتح الإسلامي ، إذ كان المسلمون ينظرون إلى بلاد المغرب القديم نظرة اعتراف بكونها وحدة عرقية حضارية ، وهو يدركون ما يوحد بين قبائلها وما ينفرهم ، وبناءً عليه أطلقوا على جموعهم تسمية واحدة .

وقد اتفق جلُّ المؤرخين الأوروبيين أن تسمية البربر قد جاءت من الكلمة اللاتينية ( بارباروس ) والتي تعني البعيدين عن أطر الحضارة اللاتينية . [3]

على كلٍّ ، فإنَّ هناك فرضيات عديدة حول أصل الكلمة ، من أشهرها ما أورده العلاَّمة عبد الرحمن بن خلدون ، الذي ذكر حول البربر ما يلي :

" البربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة " [1] ، ويعني ذلك صعوبة فهم اللهجات التي يتكلمون بها ، ولعل هذا التفسير هو الأقرب للصواب . ومنذ القرن السابع للميلاد شاعت تسمية البربر.

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون وحدة ... " ، ص . 44 .

– *Stéphane Gsell , H. A.A.N. , Tome : I , Librairie Hachette , Paris , 1913 , P. 336 .;*

( 2 ) **<u>البربر</u>**: ج. مفرده : بربري ، مشتقة من مادة ( بربر ) في اللغة العربية ، و تعني : أكثر الكلام جلَبَةً وصياحاً ، شاعت في المصادر العربية الإسلامية للدلالة على غرابة لكنة القوم ، ولحد الان لا يزال جميع سكان شمال افريقيا يعرفون بها . **<u>للمزيد من المعلومات انظر</u>**: مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط . 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 ، ص . 46 .

( 3 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون وحدة ... " ، ص . 59 .

أما تسمية " الأمازيغ " فقد كانت موجودة أيضاً نسبةً لاسم الجد المشترك مازيغ [2] ، وقد استمرت إلى وقتنا الحاضر .

ومهما يكن من أصل التسمية و تطور المصطلح ، فإن أبناء المجتمع اللوبي القديم هم الذين أطلق عليهم القدماء اللوبيون ، ثم الأفريقيين ثم البربر .

أما ما كانت من تسميات لمجتمعاتٍ انتشرت في المغرب القديم فهي لا تعدو كونها تسميات لمجتمعات فرعية لا تدل على المعنى نفسه الذي يدل عليه مصطلح " المجتمع اللوبي " الذي يفيد معنى " المجتمع المغاربي القديم " ، وأولئك هم الذين شكلوا وحدة جغرافية وحضارية متكاملة فيما بينها. [3]

## ثانياً – الإطار المكاني للمجتمع اللوبي القديم

تغيَّرت الخارطة السياسية للمغرب القديم عدَّة مرات في نصوص المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية ، فكانت تضيق أو تتسع وفقاً لتحركات القبائل المحلية التي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المغرب القديم ، لكن الثابت هو أَنَّ الحدود الطبيعية تمثل المنطقة الممتدة بين غرب النيل شرقاً إلى رأس سولويس[4] على أطراف المحيط الأطلسي غرباً ، ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً .

---

( 4 ) عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج .6 ، تح : سهيل زكار وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، ص . 117 .

( 1 ) **مازيغ** : ورد أقدم ذكر لكلمة مازيغ في مصدر عربي في كتاب " التيجان في ملوك حمير " ، فهو من الأسماء العربية. عن : عثمان سعدي ، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية ( البربرية ) ، ط. 1 ، منشورات مجمع اللغة العربية ، طرابلس ، 2007 ، ص. 3 . ، وقد ذكر ذلك ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج . 1 ، بيروت ، 1950 ، ص . 343 ، أما الرواية فقد وردت ناقصة عند ابن الأثير، **للمزيد من المعلومات أنظر** : عز الدين بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج. 7 ، ط. 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ، 1980 ، ص. 122 .

( 2 ) محمد مصطفى بازامة ، ليبيا – هذا الاسم في جذوره التاريخية – ، ط.2 ، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب ، بنغازي ، 1975 ، ص . 10 .

( 3 ) **رأس سولويس** : يقع جنوب طنجة على المحيط الأطلسي . **للمزيد من المعلومات انظر**: سيف الدين الكاتب وآخرون ، أطلس التاريخ القديم ، ط.4 ، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2008 ، ص . 102 .

وقد حددت أهم المصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية التي تناولت المغرب القديم – والذي عُرف ببلاد لوبه ( ليبيا ) – جغرافيته على النحو الآتي :

## 1 – الإطار المكاني حسب بعض المصادر الكتابية الإغريقية

### أ– جغرافية المغرب القديم حسب هيرودوتس ( Herodotus )

تعد ( لوبه ) القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وآسيا ، تمتد من غرب مصر إلى رأس سولويس ( Soloeis ) . [1]

وتتخللها المسطحات المائية القديمة المعروفة بخليج السرت الكبير وبحيرة التريتونيس وأعمدة هرقل . [2]

أما حدود ( لوبه) إذا اتجهنا جنوباً فهي أوسع حيث تنتشر فيها الحيوانات المفترسة ، ثم تشكِّل شريطاً يمثل منطقة صحراوية بمحاذاة أطلس . [3]

وبهذا الوصف كانت بلاد المغرب القديم تنقسم إلى ثلاثة أقاليم :

- الإقليم الساحلي : الذي تنتشر فيه معظم القبائل اللوبية .
- الإقليم الداخلي : الذي يعتبر امتداداً لمواطن القبائل اللوبية الساحلية .
- الإقليم الصحراوي : هو الإقليم ذي المناخ القاسي والذي تعتبره القبائل صعب المعيشة .

والجدير بالذكر أنه لا يمكن أن نحدد ( لوبه ) في منطقة الساحل بل في كامل شمال أفريقيا .

---

( 1 ) - *Hérodote , Op.-Cit.,P.261.*

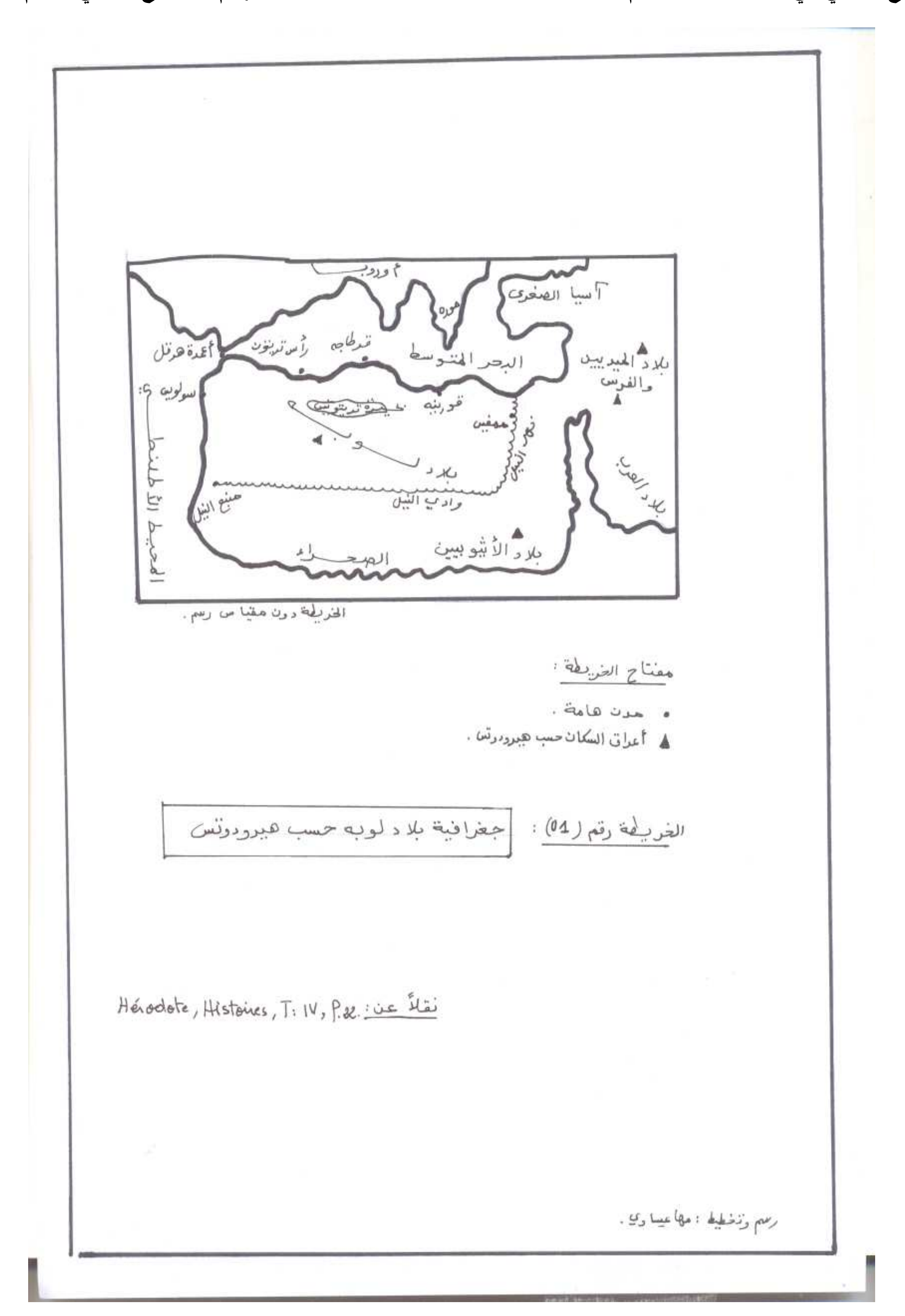
( 2 ) **خليج السرت الكبير** : يقع على سواحل ليبيا الحالية ، أما بحيرة تريتونيس : فتعرف حاليا بشط الجريد التونسي ، أما أعمدة هرقل : فهي مضيق جبل طارق حاليا . **لمزيد من المعلومات** : سيف الدين الكاتب وآخرون ، المرجع السابق ، ص. 102 .

(3) – *Stéphane Gsell , Textes relatifs à l ' histoire de l ' Afrique du Nord ( Hérodote ) , Alger , 1915 , P .241.*

وقد اتفق – إلى حد كبير – كبار مؤرخي الإغريق هيكاتوس الميليتي مع هيرودوتس على أن الإطار الجغرافي لانتشار بلاد لوبه هو كامل منطقة المغرب القديم . [1]

***( أنظر الخريطة رقم ( 1 ) ، ص.27 )***

(1) - *Hérodote ,Op.-Cit. , P. 251.*


أوروبا
آسيا الصغرى
هوره
أعمدة هرقل
رأس تريتون
قرطاجه
البحر المتوسط
بلاد الميديين والفرس
سولويس
قورينه
ممفيس
نهر النيل
بلاد لوبه
منبع النيل
وادي النيل
بلاد العرب
المحيط الأطلنطي
بلاد الأثيوبيين
الصحراء
الخريطة دون مقياس رسم .
مفتاح الخريطة :
• مدن هامة .
▲ أعراق السكان حسب هيرودوتس .
الخريطة رقم (01) : جغرافية بلاد لوبه حسب هيرودوتس
نقلاً عن : Hérodote, Histoires, T: IV, P.22.
رسم وتخطيط : مها عيساوي .

أما بوليبيوس و ديودوروس الصقلي [1] – وعلى الرغم من أنهما كانا قد كتبا عن تاريخ الحروب البونية – لا نجد في مصدريهما الحدود الجغرافية للمغرب القديم .

أما من الجغرافيين القدامى فيمكن القول إن استرابون [2] أفضل الذين حددوا الإطار المكاني لبلاد لوبه .

**ب– <u>جغرافية المغرب القديم حسب استرابون ( Strabon )</u>**

قدَّم استرابون وصفاً لجغرافية ( لوبه) في كتابه السابع عشر على النحو الآتي [3]: " ... الواقع أنّ مساحة لوبه أوسع بكثير مما ورد في المصادر السابقة إذ تمتد بين الإسكندرية شمالا وميروى عاصمة أثيوبيا جنوباً على امتداد 10.000 ستاد [4]. حيث تقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المُحْرِقَة ، وبين الأرض المأهولة ... ونستطيع حساب مسافة 3000 ستاد ، وبذلك نقدِّر أقصى امتداد جغرافي طوليا للوبه بحوالي 13.000 ستاد ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة ... " [5]. *( أنظر الخريطة رقم ( 2 ) ، ص . 29 )*

وقد واصل استرابون تحديد منطقة لوبة ولكن وفق طبيعة المناخ الذي عاينه – آنذاك – ، فذكر ما يلي :

" ... إنَّ لوبه تأتي بعد آسيا في مساحتها ، وتأخذ شكل مثلث قائم الزاوية ، وتنقسم إلى ثلاث مناطق هي :

– المنطقة الأولى : تمتد على طول بحرنا ، وهي خصبة ، وتتاخم الحدود القرطاجية إلى غاية موريتانيا وأعمدة هرقل .

---

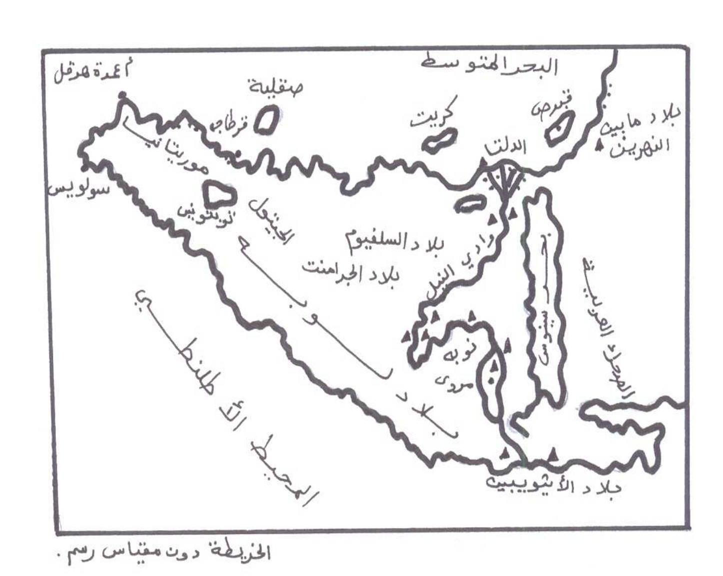
[1] - *Polybe , Histoire , trad. Par: A.Raussel , éd . Pleide , Paris , 1970 , P . 33 .* ؛ *Diodore de Sicile , Bibliothèque Historique de Diodore de Sicile , Trad . par : Ferdinand Hoefer , Tome : III , éd . Adolphe Delahays , Paris , 1851 , P. 2 .*

[2] **<u>استرابون</u>** : أو سترابو ، ولد في أماسيا على سواحل بحر مرمرة ، حوالي 63 ق.م ، وكان من أصول إغريقية ، ولذلك يعتبره بعض المؤرخين إغريقيا ، واصل تعليمه بروما حوالي 44 ق.م ، وكان على دراية كبيرة بتاريخ روما . **لمزيد من المعلومات أنظر** : علي فهمي أخشيم ، المرجع السابق ، ص . 58 .

[3] - *Strabon , Géographie de Strabon , Tome : I , - La Libye - , trad . par : Amédée Tardieu , Librairie Hachette , Paris , 1881 , P . 1 .*

[4] **<u>ستاد واحد</u>** : هي وحـــدة قــياس إغريقية ، و يقـــ در ستاد واحد بـــحوالي : 177.6 متر . **لمزيد من المعلومات أنظر** : *- Hérodote , Op . cit . , P. 263*

[5] - *Strabon , Op . – Cit . , P . 1 .*




الخريطة دون مقياس رسم.

مفتاح الخريطة

- ● مدن هامة.
- ▲ مراكز حضرانية قديمة.

الخريطة رقم (02): جغرافية المغرب القديم حسب استرابون

نقلاً عن: Louis figuier, la terre et la Mer (Description physique de Globe), éd. Hachette, Paris, 1884, P.320
D'Après : www.medditerannée.net.
Date de Visite : Le : 03/12/2006.

رسم وتنفيذ : مهاعبساوي.

– المنطقة الثانية : تمتد على طول المحيط ، وهي أقل خصوبة من الأولى .

– المنطقة الثالثة : هي منطقة مشتركة بين المنطقة الخصبة والمنطقة الصحراوية ، وهي لا تنبت سوى نبات السلفيوم ".[1]

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن جغرافية استرابون تعد المصدر الوحيد الذي تناول جغرافية المغرب القديم على هذا النحو من التفصيل .

## 2– **الإطار المكاني حسب بعض المصادر الكتابية اللاتينية**

### أ – **جغرافية المغرب القديم حسب بلينوس الكبير[2] ( Leptis Plinus )**

وصف المؤرخ بلينوس الأكبر بلاد ( لوبه ) قائلا : " هي المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي [3] ، و بها خليج السرت والتريتونيس وأعمدة هرقل " [4].

ولم يتناول بلينوس الأكبر من الموقع الجغرافي لبلاد لوبه أكثر مما ذكر ، لكنه كان دقيقا وواضح الوصف .

### ب – **جغرافية المغرب القديم حسب سالوستيوس[5] ( Sallustius )**

ذكر سالوستيوس بأنَّ تحديد جغرافية أفريقيا سيكون مختصرا جدا ، لندرة المعلومات التي وصلته ، ففي الفقرة السابعة عشر أورد ما يلي :

" تتميز أفريقيا بالحرارة الشديدة وبصحارى ... و تكوِّن أفريقيا الجزء الثالث من العالم ، إلا أن بعض الكتَّاب لا يعدّون سوى قسمين هم آسيا

---

( 1 ) *- Strabon , Op . – cit . , P . 2 .*

( 2 ) **بلينوس الأكبر** : يعرف كذلك ببلينوس الكبير أو القديم تمييزا له عن ابن اخيه بلينوس الصغير أو الشاب ، ولد في غاليا حوالي 23 للميلاد ، كان ضابطا من طبقة الفرسان بأفريقيا ، شغل مناصب في عهد الإمبراطور فسباسيان ، مات مختنقا بفيزوف سنة 79 للميلاد أثناء رصده ظاهرة انفجار البركان الشهيرة . **لمزيد من المعلومات أنظر :** علي فهمي أخشيم ، المرجع السابق ، ص. 76 .

( 3 ) *- Pline l ' ancien , Histoire Naturelle , Tome : V , - L' Afrique du Nord - , trad . par : jehan Desanges , Les belles lettres , Paris , 1980 , P . 77 .*

( 4 ) *- Ibid , P . 64 .*

( 5 ) **سالوستيوس** : من أشهر مؤرخي الإمبراطورية الرومانية ، و هو غايوس كريسبوس سالوستيوس ، ولد حوالي 86 ق.م ، كان مقربا لقيصر ، شغل منصب بريتور سنة 48 ق.م ، كتب مؤامرة كاتيلينا حوالي 42ق.م ، والحرب اليوغرطية سنة 38ق.م ، ثم التواريخ ، مات سنة 35 ق.م . **لمزيد من المعلومات أنظر :** العربي عقون ، المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة ، ط. 1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2006 ، ص.ص. ( 24 – 28 ) .

وأوروبا ويلحقون أفريقيا بأوروبا ... و يحدها من الغرب المضيق الذي يصل بحرنا بالمحيط ، وفي قسمها الشرقي تمتد هضبة كاتاباتموس ... " [1].

لقد قدم سالوستيوس وصفا عن المناخ أكثر من الحدود الجغرافية ، وذلك نظرا لما كانت توليه روما من أهمية لثروات المغرب القديم الاقتصادية ، إذ يذكر : " ... أرضها جيدة لزراعة الحبوب وتربية المواشي والسماء مدرارة " [2].

وهكذا فقد اتفقت معظم المصادر الكتابية اليونانية والرومانية في الحدود العامة للمغرب القديم الذي يشغل شمال قارة أفريقيا ، وينقسم إلى ثلاث أحزمة جغرافية كبرى ، وتقطنه شعوب وقبائل مختلفة كانت من أهم محددات رسم الحدود.

أما الجغرافية الحالية للمغرب القديم فلم تتغير كثيرا ، ويلاحظ ذلك من خلال تتبع المظاهر التضاريسية في المنطقة . *( أنظر الخريطة رقم (3) ، ص . 32 )*

**3 – <u>الإطار المكاني للمغرب القديم بناء على علم الجغرافيا الحديث</u>**

**أ– <u>تضاريس بلاد المغرب القديم</u>**

يظهر المغرب القديم في شكل رباعي الأضلاع غير المنتظم ، يتميز الحد الشمالي لهذا الرباعي بجبال الأطلس. [3]

– جبال الأطلس : هي جبال مرتفعة تتجاوز قممها 2000 متر ، وتنقسم إلى قسمين : القسم الساحلي والقسم الداخلي ، ويتميز الأطلس الساحلي بامتداده وتواصله ما عدا في المنطقة الوسطى بين الريف ومنطقة القبائل ، حيث تتميز بالهضاب والخلجان ، أما المنطقة الداخلية ، فتميزها جبال البيبان والونشريس ، و تمتد بينهما السهول منها سهلي الشلف والمتيجة . [4]

---

( 1 ) سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، تر : محمد الهادي حارش ، ط . 1 ، منشورات دحلب ، 1991 ، ص . 32 .

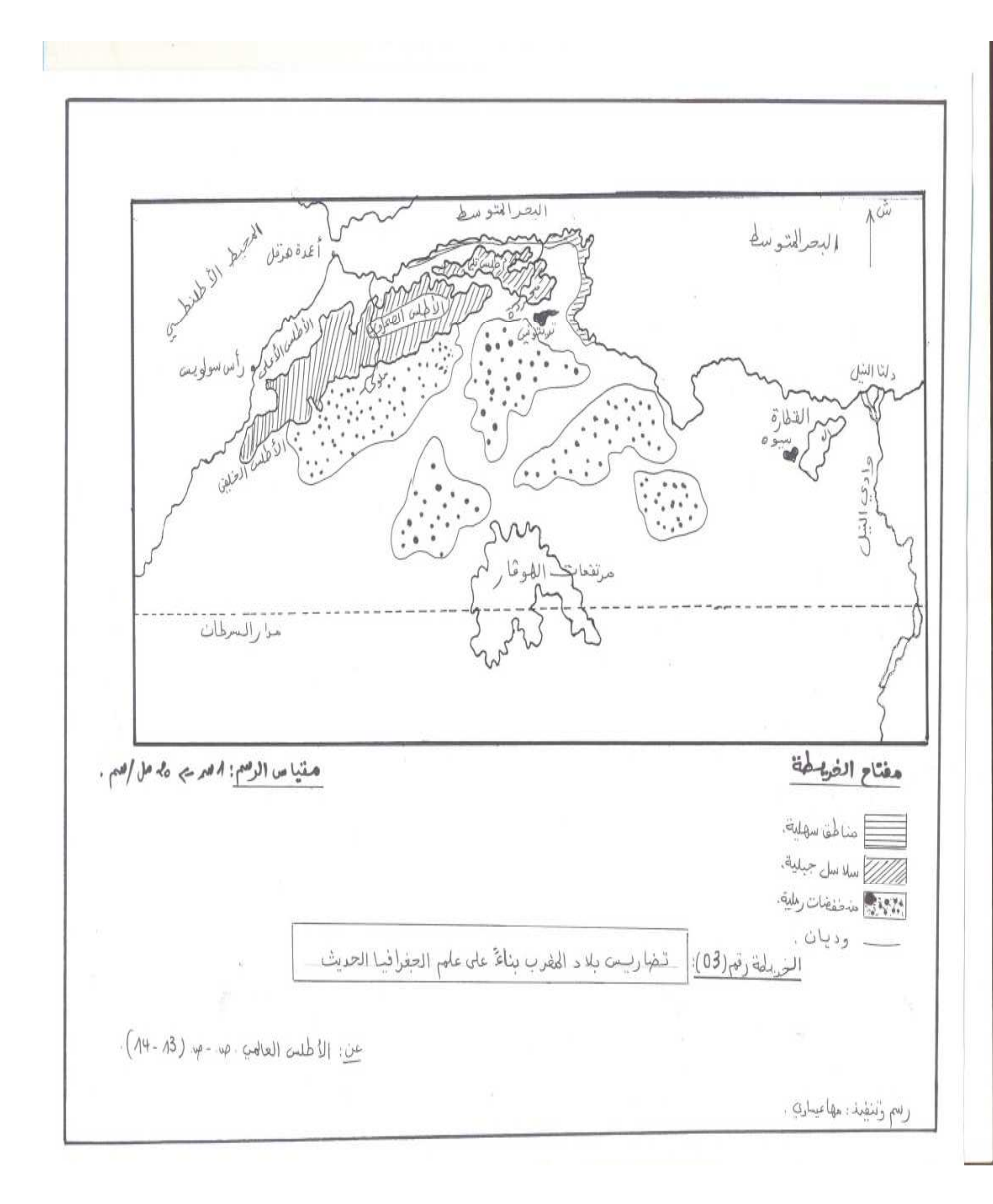
***<u>لمزيد من المعلومات انظر:</u>*** *- Salluste , Œuvres complètes ( Guerre de Jugurtha , Conjuration de Catilina , Histoire Romaine ) , trad. Par : Charles du Rozier et Yves Germain , éd . Paléo , Paris , 2003 , P . 22 .*

(2) *- Salluste , Op. – Cit. , P . 22 .*

( 3 ) شارل أندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج . 1 ، تر : محمد مزالي والبشير بن سلامة ، د. ط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1969 ، ص . 12 .

( 4 ) حسان حامد ، أطلس العالم الصحيح ، ط . 1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 2000 ، ص . ص. ( 129 – 131 )

. محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري – منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي – ، ط . 1 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1995 ، ص. ص. ( 14 – 16 ).




الخريطة رقم(03): تضاريس بلاد المغرب بناءً على علم الجغرافيا الحديث

عن: الأطلس العالمي. ص - ص (13-14).

أما الحـــد الـــجنوبي للـــرباعي ، فهـــو عبـــارة عـــن الأطلـــسين الأعلـــى والصحراوي ، ويعد الأطلس الأعلى حـــاجزا طبيعيـــا أمام المؤثـــرات الساحـــلية كون بعض مرتفعاته تتجاوز أحيانا 4000 متر، أما الأطلس الصحراوي فهو قليـــل الانـــحدار والارتـــفاع وكذا اتصاله شمالا بالبحر وجنوبا بالـــصحراء ، دون أن يكون عائقا للاتصال بين الشمال والجنوب بفضل المعابر التي تـــــتركها حلـــــقات هذه السلسلة .

وفي غرب المضلع تتوضع كتلة الأوسط التي تشكل حلـــقة وصل بـــين الأطـــلس الأعلى في الجنـــوب والغربي ، ثم الأطلس التلي .[1]

إن الجبال هي المظهـــر التضاريسي المميز لبـــلاد المغرب القديم ، يليها السهول بأنواعها ، وتجدر الإشارة إلى أن الـــصـــحراء لـــم تكـــن في المـــاضي جـــزءًا من بلاد المغرب القديم ، إذ هي تشكل كيانا حضاريا مختلفا له خصائصـــه الممـــيزة .

ونظرا للعوامل التكتونية التي طرأت على المنطقة ، فللمغرب القديم الـــشكل المورفولوجـــي الخـــاص بـــه ، نظـــراً لموقعـــه المتعـــرض لتأثـــيرات البحـــر والصـــحراء ، مما يؤكـــد قساوة المناخ القاري في معظم أراضيـــه .[2]

أما فيما يخص الثروة الغابية فهي ثروة متوسطية ، يكثر فيها الـــبلوط والعرعار و العناب والأرز والفلين والصنوبر النوميدي ، وتعد غابات بلاد المغرب القديم ثرية بأشجارها . [3]

أما التساقط ، فهو قليل عموما ويقدر متوسطه بحوالي 100 ملم مكعب .
والمجـــاري المائية عبارة عن وديان مثل الملوية والشلف ، ثم مجردة وأم الربيع ، وهي دائمة لكنها قليلة الجريان .[4]

---

( 1 ) محمد سيد نصر ونيكولا زيادة ، أطلس العالم ، د . ط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1996 ، ص. ص. ( 61 – 63 ).
( 2 ) المصدر نفسه ، ص . 62 .
( 3 ) المصدر نفسه ، ص . 63 .
( 4 ) مجموعة من الباحثين ، الأطلس العالمي ، ط . 1 ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر ، 1986 ، ص . 31 .

وهكذا : فتباين التضاريس والمناخ ثم الغطاء النباتي أعطى منطقة المغـرب القديم صعوبة في الاتصال بين مختلف أقاليمه ، وكان لوجود الصحراء أثر كبير في ازدواجية النمط المعيشي بين كلٍّ من البدو والحضر .

**مما سبق يمكن أن نستخلص ما يلي :**

إن مصطلح المجتمع اللوبي القديم شامل وعام في معناه تندرج تحته مختلف مسميات الشعوب والقبائل المصغرة ، التي تنتقل أو تقطـن عبـر ربوعـه ، فهـو مجموعة من المجتمعات المحلية والوافدة التي تنتمي بوحدة العـرق والمكـان إلـى المجتمع الانقسامي المتعدد ، الذي تطور عبر آلاف الـسنين وأثبـت خـصوصيته المحلية من خلال مكوناته الثقافية الأصيلة وبخاصة اللغة ، ورغم التباين الشديد في كل مقوماته ، إلا أنه أثبت أنه وحدة جغرافية حضارية عريقة ضاربة جذورها فـي الأعماق من غرب النيل إلى سواحل المحيط الأطلسي ، وأن هـذا المـصطلح قـد تداولته المصادر الكتابية منذ عهد كتابات الإغريق .

وهو مصطلح متخصص يعنى بدراسة السكان على طول المنطقة الممتدة بين غرب النيل إلى سواحل المحيط الأطلسي ، خلال مرحلة العصور القديمة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : إذا كانت بلاد المغرب القـديم وحـدة جغرافية ، فهل كان التركيب الاجتماعي لسكان المغرب القديم يمثل مجتمعات ؟

## ثالثاً – التطور الاصطلاحي لكلمة " مجتمع " ومدى تجسدها في مفهوم المجتمع اللوبي

ليس هناك تعريف محدد لمصطلح المجتمع ، ذلك أنَّ الاستخدامات الشائعة له تشير إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية ، ولكن هناك تعريفات عالمية للمجتمع وشروط إطلاق المصطلح على جماعة من الناس يجب أن يخضع لضوابط معينـة ، وفيما يلي نسوق أشهر التعريفات لمصطلح " المجتمع – La société " .

فما هي أطر ومحددات المجتمع اللوبي القديم من منظور علـم الاجتمـاع ؟ وهل هو مجتمع واحد أم مجموعة من المجتمعات ؟

**1 – التعريف التاريخي لكلمة مجتمع ومدلولاتها**

ورد تعريف عالمي في مـــوسوعة العـــلوم الإنسانية [1] عن المجتمع بما يلي " كيان جماعي من البشر بينهم شبكة من التفاعلات الدائمة والمستقرة نسبيا ، وتسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه وتجدده في الزمان .

إنَّ جماعية الكيان البشري تنطوي على حد أدنى من السكان الآدميين الذين يرتبطون ببعضهم ، وتربطهم شبكة من التفاعلات ألا وهي " اللغة " المشتركة بالمعنى الرمزي والواسع للكلمة ، والعلاقات متنوعة فيما بينهم فهي علاقات تعاون وتنافس وصراع أو خليطاً يجمعهم " [2].

والمجتمع عبارة عن : " جماعة بشرية تشمل عددا غير محدد من الناس يعيشون في أرض محددة فترة طويلة من الزمان ، فتنشأ بينهم روابط ثابتة تمثلها القرابة ، وتشير إلى تفاعلهم الاجتماعي بثلاث طرق :

– الأول : ينجم عن تناسل الأسرة وتكاثرها وهو التجمع المتسلسل .

– الثاني : ينتج عن اجتماع عدد من الأسر مع بعضها محافظة كل منها على عاداتها وتقاليدها وهو التجمع المختلط .

– الثالث : ينتج عن اختلاط الأسر وامتزاجها عن طريق الزواج ، وهو التجمع المزجي " . [3]

والملاحظ أنَّ المجتمع اللوبي القديم قد احتوى من التعريف العالمي صفة الكيان الجماعي وشبكة التفاعلات القائمة بين قبائله هي اللغة اللوبية ، وأنه مجتمع متسلسل ، إذ أن عناصر تكوينه تنتمي إلى جد مشترك .

---

( 1 ) تعد موسوعة العلوم الإنسانية من الموسوعات العالمية التي تضبط مفاهيم المصطلحات بصفة دورية ويشرف عليها عالم الاجتماع جيرارد لينشي ، طبعة نيويورك ، ماك – قرو ، 1970 ، **لمزيد من المعلومات انظر** : سعد الدين ابـــراهيم وآخرون ، المجتمع والدولة في الوطن ، ط . 3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2005 ، ص . 37 .

( 2) المرجع نفسه ، ص . 37 .

( 3) دنكن متشل ، معجم علم الاجتماع ، تر : إحسان محمد الحسن ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981 ، ص . ص . ( 226 – 227 ).

**2 – التعريف المعاصر للمجتمع ومجالاته**

يقصد بالمجتمع : " تجمع الكائنات الإنسانية من الجنسين ومن كل المستويات العمرية ، يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيانها الذاتي ونظامها و ثقافتها المتميزة " . [1]

فهو بذلك التجمع البشري الذي له طرقه وأساليبه الخاصة به في تحقيق الوحدة و التكافل بين أفراده .[2]

وبناءً على ما سبق ، نستطيع أن نقول أن المجتمع اللوبي القديم هو مجموعات الشعوب والقبائل التي سكنت بلاد المغرب القديم ، و قد شكّلت بدورها مجتمعات فرعية لكل منها خصائصها ومميزاتها .

و يدل مصطلح " المجتمع " هنا على طبيعة تكوين مجتمع كبير تتفرع منه مجتمعات بشرية صغيرة ، كما أن مصطلح " القديم " يدل على الفترة الزمنية التي عاشت خلالها .

كما أن تحديد الأطر العامة للمجتمع اللوبي القديم ، لا يكون إلا بضبط صورة هذا المجتمع تاريخيا من حيث التسمية والمكان ثم الزمان .

ومهما تعددت التسميات ، فإن المجتمع اللوبي يؤدي المعنى نفسه لمصطلح المجتمع المغاربي القديم من خلال محاولة التأصيل الاصطلاحي الآتي :

**3 – تعريف مصطلح " المغاربي " ومدى تطابقه مع مصطلح " اللوبي "**

**أ- التعريف اللغوي لكلمة " مغارب "**

ورد في معاجم اللغة العربية حول مادة " غَرَبَ " ما يلي :

– غَرَبَ : أي غاب [3] ، والغرْبُ : جمع غروب ، وهي نقطة مغيب الشمس ، وتقابل الشرق [4].

---

( 1) فاروق مداس ، قاموس علم الاجتماع ، ط . 1 ، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2003 ، ص . ص . ( 231 – 232 ) .

( 2) حليم بركات ، المجتمع العربي ، ط . 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000 ، ص . 17 .

( 3 ) مجمع اللغة العربية ، المصدر السابق ، ص . 647 .

( 4 ) كرم البستاني وآخرون ، المنجد في اللغة والأعلام ، ط . 27 ، دار المشرق ، بيروت ، 1984 ، ص . 676 .

– المَغْرِبُ : مكان غروب الشمس ، وهو اسم مكان مشتق من الفعل الثلاثي ( غَرَبَ ) ، والجمع على وزن ( مفاعل ) ، وهي : مغارب .

– مغربي : اسم النسبة من كلمة مغرب ، وتفيد الخصوص لمكانٍ واحدٍ ، وجمعها ( مغاربة ) ، وهي اللفظة المنسوبة إلى بلاد المغرب [1].

– مغارب : جمع اسم النسبة فيقال ( مغربٌ ومغربٌ و مغربٌ فجمعها : مغاربٌ )، و تدل على كل ما يخص بلاد المغرب ، وهي لفظة تفيد العموم لأماكن عديدة .

كما وردت كلمة " المغارب " في القرآن الكريم ، في قوله – عزَّ وجلَّ –:

" ***فلا أقسم برب المشارق والمغارب*** " ، ويقصد هنا الجمع ، وقد قال اللغويون بوجود مائة وثمانين مغربا ، فالجمع بهذه الكلمة صحيح عند النحويين العرب [2] .

وهكذا فاستخدام كلمة ( مغارب ) جمعٌ يدل على كل ما يخص أقطار بلاد المغرب ، وهو اسم أطلقه الجغرافيون على شمال أفريقيا الشامل للأقطار التالية : ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية .[3]

**ب– <u>التعريف الاصطلاحي لكلمة " مغارب "</u>**

لم يعرف تاريخيا جمع المغارب في المصادر حتى ينسب إليه المغاربي ، فكان يقال المغربي ، فلم يرد سوى في القرآن الكريم – كما تقدم ذكره – ليدل على جميع جهات الغروب [4] ، وهو بالتالي جائز في الاستخدام العلمي وأوسع وأشمل.

والمغارب مصطلح معاصر أطلقه اللغويون العرب في بادئ الأمر على اتحاد المغرب العربي ، فيقال " الاتحاد المغاربي " بصيغة الجمع ، بغرض التفريق بينه وبين مصطلح المغرب ، الذي يطلق على المملكة المغربية فقط ، ويفضل استخدامه من بعض المتخصصين في مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية ،

---

( 1 ) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج . 1 ، ط . 1 ، المكتبة الخيرية ودار مكتبة الحياة ، القاهرة ، 1306 هـ ، ص – ص . ( 404 – 411 ) .

( 2 ) كرم البستاني وآخرون ، المرجع السابق ، ص . 676 .

( 3 ) عبد الهادي بوطالب ، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي ، د . ط ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، د . ت . ، ص . 130 .

( 4 ) القرآن الكريم ، تخ : عثمان طه ، دار الفجر الإسلامي ، ط . 6 ، دمشق ، 1984 ، سورة : المعارج، الآية:40.

كونه مصطلح أشمل وأعم للمنتسبين إلى المكان – فيقال " المغاربة " – وليس إلـــى المكان نفسه ، إذ بالإمكان أن نقول " المغرب " فيتجاوز بمعناه المملكة المغربية إلى بقية الأقطار الواقعة غرب النيل .

على أنَّ بلاد المغرب قد تعني أيضا جميع أقطار شمال أفريقيا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وهو المصطلح الذي كان متداولا في المصادر التاريخية العربية .

ولذلك ما يبرره في المعاجم اللغوية وفي قواعد النحو والصرف العربية .[1]

**ج – تعريف المجتمع اللوبي القديم ومجالاته**

مما سبق إذا قلنا " المجتمع اللوبي القديم " فإن ذلك يعني دراسة تاريخ السكان السياسي والإداري والعسكري والاجتماعي والثقافي والديني واللغوي في المدن الساحلية والمناطق الداخلية والتخوم الصحراوية في المنطقة الجغرافية المعروفة في الأطالس بشمال أفريقيا ، والتي تمثلها حاليا ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، فهو تاريخ من ينتسبون إلى هذه البلدان في المجالات المشار إليها ، وبذلك فإنها تفيد المجال الجغرافي نفسه لبلاد لوبه .

فالمجتمع اللوبي القديم هو في فترة ما قبل التاريخ عبارة عن تجمعات بشرية ، وفي الفترة الفينيقية كان يبدو في شكل مجتمعات قبلية ، وفي المرحلة التاريخية المعروفة في المصادر الكلاسيكية حوالي القرن الخامس ق.م كان مجتمعاً قبلياً لوبياً.

أما حوالي في فترة القرن الثاني ق.م فهو مجتمع نوميدي وموري محلي ، وقرطاجي وإغريقي وافد .

أما في المرحلة الرومانية فقد بدا مجتمعاً محلياً أفريقياً ، ومجتمعاً رومانيا وافدا . وفي الفترة البيزنطية هو مجتمع موري .

أما في الفترة الإسلامية ، فقد كان معروفا في المصادر العربية بالمجتمع الإسلامي البربري .

---

( 1 ) **لمزيد من المعلومات أنظر** : – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، ج . 1 ، ط . 3 ، دار صادر ، بيروت ، 2004 . ، – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ط . 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 ، ص. 320.

# الباب الأول

# المــجــتــمع اللُّــوبي الــقــــديم

# (نشأته ومظاهره)

## الفصل الأول

**التجمعات السكانية الباكرة في عــصور ما قــبل الــتاريخ بالمغرب القديم .**

## الفصل الثاني

**الحــضور الـتاريخي للمجتمع اللُّوبي القـديـم في الـمصـادر الـمصـريــة.**

## الفصل الثالث

**المــلامح الحــضارية الــكبرى للأســرتين اللُّوبيتين ( 22–23) الحاكمتين في مــصرالقديمة خــلال الألف الأولى ق.م.**

## الفصل الرابع

**ظــهــور ونـــشــأة المــجتــمع اللوبي القديم خلال القرن الخامس ق.م .**

# الفصل الأول

# التجمعات السكانية الباكرة في عصور ما قبل التاريخ ببلاد المغرب القديم

***أولا*** **: التجمعات السكانية في مرحلة العصر الحجري القديم .**

***ثانيا*** **: المظاهر الأولى للتنظيم الاجتماعي عند الإنسان المغاربي القديم .**

***ثالثا*** **: المحطات الحضارية الكبرى لتجمعات إنسان ما قبل التاريخ المغاربي وخصائصها العامة خلال مرحلة ( ع.ح.ح ) .**

## أولا- التجمعات السكانية في مرحلة العصر الحجري القديم

### 1 – حدود دراسة تجمُّعات ما قبل التاريخ المغاربية

إنَّ دراسة التجمعات السكانية في العصور الحجرية ومرحلة العصر الحجـــري الحديث ، لا تقل أهمية عن دراسة مجتمعات الحضارات الإنسانية القديمة ، لما لها من خصائص مميَّزة ، فهي ليست حضارات الحجارة المشذبة والمصقولة فقط ، وإنما هي حضارات صامتة تتناول تاريخ تطور البشرية البدائية في مجال تطور قدراتها الإنتاجية [1] .

بذلك ، لا يتأتَّ فهم المجتمعات التاريخية القديمة إلا بالتعرض لتجمعات ما قبـــل التاريخ في المنطقة المراد دراستها لأنَّ إعادة رسم صورة لبعض مظاهر نمط الحيـــاة والعلاقات الاجتماعية وأشكال التنظيم الاجتماعي تعتبر إشكالية صعبة ومعقدة خاصـــة عند دراسة مرحلة ما قبل التاريخ .[2]

تفيدنا المصادر التاريخية ، بأن تلك التجمعات البشرية كانـــت هائلـــة الأعـــداد ومنظمة فيما بينها ولها أساليبها في التواصل *( انظر الخريطة رقم ( 4 ) . ص .42 )* ، بحيـــث أن بعض المؤرخين والأثريين اعتبروا أنه من الممكن أن يطلق عليها مجتمعات إنسانية – خاصة إذا ما قورنت بمجتمعات لاحقة ظهرت في المغب القديم– ، لما لمـــسه فيهـــا الباحثون من اكتمال عناصر الجماعة المنظمة ، ذلك أن تجمعات ما قبل التاريخ كانت منتشرة في كامل منطقة بلاد المغرب القديم .[3]

ولكون المعطيات المادية هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة مختلف المظاهر الحياتيـــة لتلك التَّجمعات ، فإنَّ كل ما تم العثور عليه من مخلفات أثرية هو إنتاج يعبِّر عن نشاط اجتماعي للإنسان اللوبي القديم في مرحلة ما قبل التدوين .[4]

ونظراً لشحِّ المعطيات الأثرية الصمَّاء ، فلا بد من العودة إلى بعـــض العلـــوم المساعدة في هذا المجال ومنها الأنثروبولوجيا و الإثنوغرافيا التي تهتم بالوصف

---

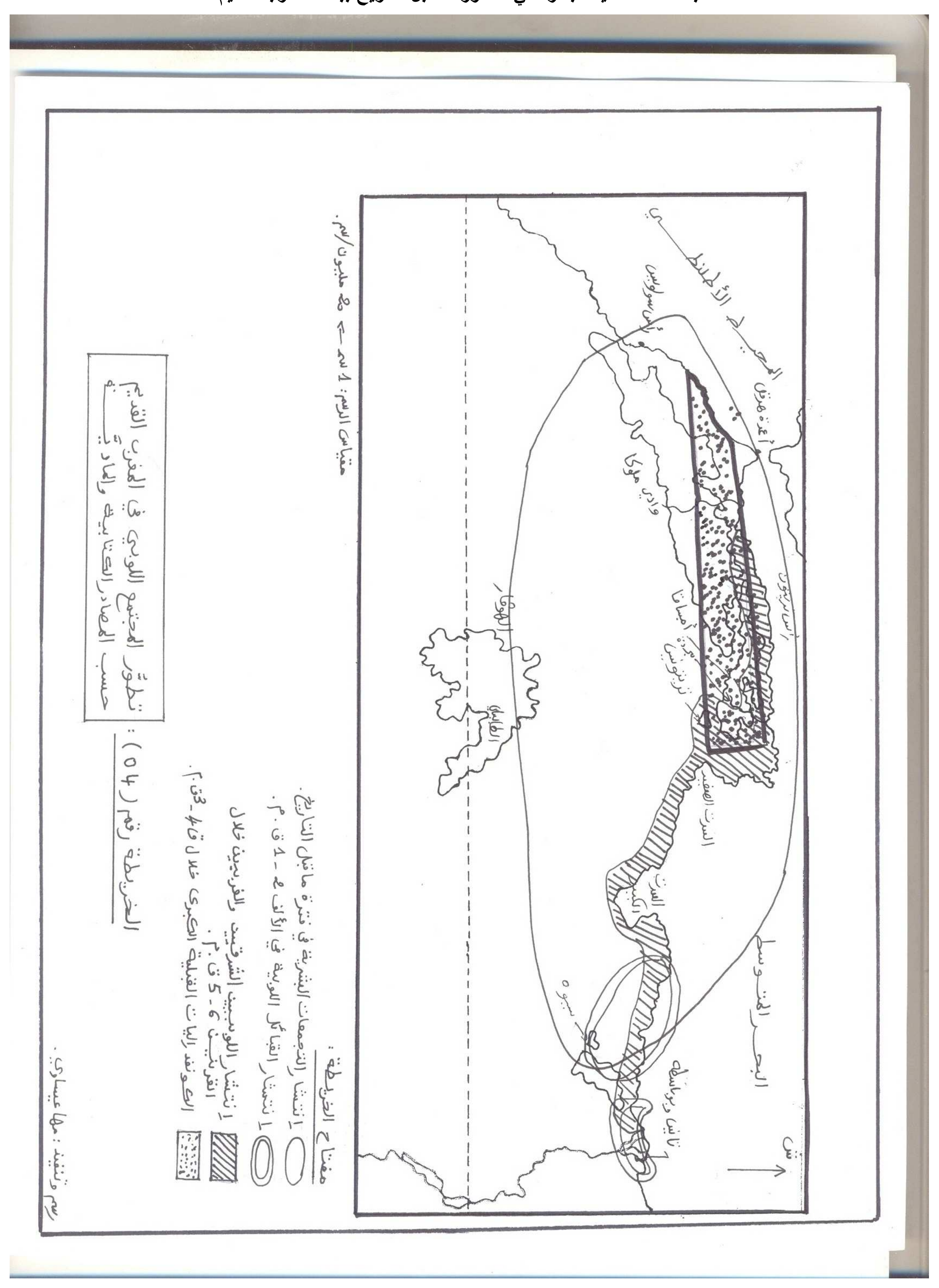
*- John Pierre Mohen et Yvette Taborin , Les sociétés de la préhistoire , 1ère éd . , Hachette, Paris , 2005 , P . 5 .* ( 1 )

*- Denis Vialou , La préhistoire ( Histoire et Dictionnaire ) , éd . Robert Laffont , Paris , 2004 , P . 29 .* ( 2 )

*– André Leroi – Gourhan , Dictionnaire de la préhistoire , P . U . F . , Paris , 1997 , P . 1022* ( 3 )

*- J . P . Mohen et Yvette Taborin , Op . – cit . , P . 6 .* ( 4 )

التجمعات السكانية الباكرة في عصور ما قبل التاريخ ببلاد المغرب القديم



العلمي للأساليب الاجتماعية عند الشعوب البدائية .[1]

على غرار التجمعات السكانية الكبرى في ما قبل التاريخ في العالم ، فإن مجتمع ما قبل التاريخ المغاربي قد تميّز بثلاث خصائص أساسية هي :

**1-** عدم معرفته الكتابة ، فكل معارفه تناقلها مشافهة إذ لم يرق فكره لأن يكتب خلال هذه المرحلة أبدا .

**2-** صناعته لأدواته الخاصة كانت من الحجارة ، حيث أنَّ درجة إتقانها هي التي تحدد نوع الثقافة الحجرية عن غيرها من مجتمعات تلك الفترة .[2]

**3-** صانع تلك الأدوات كان الإنسان العاقل. [3]

كما أن محاور دراسة تجمعات ما قبل التاريخ ، كانت هي الأخرى لا تختلف كثيرا عن تلك التي عاشها نظراؤها في أوروبا حيث ترتكز على نقطتين أساسيتين هما:

- تحديد الإطار الزماني والمكاني ثم المناخي ، ومدى دقة صناعة المخلفات المادية التي ظهرت في هذا الإطار ، والتي تشكل بدورها أيضاً محور الثقافة الحجرية
- تحديد نوع السلالة البشرية التي تركت تلك المخلفات . [4]

بما أن فترة حياة التجمعات ما قبل التاريخية المغاربية قد امتدت لأكثر من مليوني سنة ، فمن الواضح أنها قد مرت خلال تلك الفترة الطويلة جدا ، بعدة مراحل تطورية ليس على مستوى الإنسان الحفري فقط ، وإنما على مخلفاته الصناعية بالدرجة الأولى .

ويعني ذلك أنه كلما تطورت السلالة البشرية المسيطرة في مكان ما ، من حيث صفاتها التشريحية وخاصة حجم المخ الذي يعتبر الدليل القاطع على التطور في التفكير، فإن ذلك يصاحبه تطور في الثقافة المادية والروحية لمبتكرات تجمعات هذا الإنسان ، ولا يكون ذلك إلا في إطار ما يلي :

- رصد مراحل تطور العلاقات الاجتماعية و أشكال التنظيم الاجتماعي .

---

( 1 ) المكتب العالمي للبحوث ، علم التاريخ ، د . ط ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984 ، ص . 19 .

(2) *- Denis Vialou , Op . – cit . , P . 18 .*

(3) *– Ibid , P . 18 .*

(4) *– John Pierre Mohen et Autres , Histoire de l ' Humanité , Tome : II , - De 3000 à 700 av . J.C. , 2ème éd . , EDICEF , Paris , 2001 , P . 9.*

- رصد تطور أسلوب الإنتاج المشترك للإنسان الحفري المغاربي .[1]

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الملامح الكبرى لتجمعات ما قبل التاريخ المغاربية ؟

استناداً إلى معطيات مناخية وجيولوجية ، فقد تمَّ تقسيم فترات قبل التاريخ في المغرب القديم إلى حقبتين متميزتين ومختلفتي الطول هما: العصر الحجري القديم ( الباليوليتي - ***Paléolithique***) والعصر الحجري الحديث ( النيوليتي - ***Néolithique*** ) .

لقد كان المغرب القديم – آنذاك – يمثل وحدة جغرافية متكاملة ظهرت فيها حضارات قبل التاريخ مرتبطة ببعضها وتحمل خصائص مشتركة مع مثيلاتها في أوروبا ، فالمناخ كان رطباً ثم جافاً ، والإنتاج الحضاري كانت مادته الأساسية الحجارة .

أما السلالة البشرية ، فكانت قادرة على التفكير الصحيح في تأمين حاجياتها الضرورية ، ولذلك يمكن حصر المقومات الأساسية لحضارة الإنسان المغاربي القديم خلال هذه المرحلة – و بناءً على المعطيات الأثرية – ووفقاً لمراحل العصر الحجري القديم المصنفة بالأسفل والأوسط والأعلى – مع استثناء مرحلة العصر الحجري العتيق الممتدة بين 2.3 مل/ س إلى غاية 1.4 مل/ س لعدم

---

( [4]) لاحظت المدرسة الفرنسية أن الخصائص المورفولوجية للإنسان الحفري المغاربي جديرة بالبحث ، فانصب الاهتمام الأكاديمي على دراسة مجتمعات ما قبل التاريخ بهدف معرفة العناصر والأقوام البشرية التي عاشت في المنطقة ، ولأن = =الإنسان يختلف عن الحيوانات بقدرته على التفكير حيث تعد ظاهرة التفكير ميزة الإنسان ، فلا بد لها من جهاز عضوي شديد التعقيد في البناء والتنظيم ، ومن هنا يبدأ دور علم الباليونثروبولوجيا الذي برعت فيه المدرسة الفرنسية ، و يعتبر فرعاً متخصصا من فروع الأنثروبولوجيا ، ويتعلق باكتشاف وتحليل البقايا الحفرية والأثرية لما بين ( 10 – 15 ) مليون سنة الأخيرة ، فهو بذلك علم التاريخ التطوري للإنسان ويشمل أيضا الرئيسات ، إذ يعنى بالدراسة العلمية المصاحبة للتطور البيولوجي والثقافي فلإنسان الحفري ، ويعني كذلك انثروبولوجيا ما قبل التاريخ ، وتهتم بعنصرين : الأول يتعلق بمدى تطابق الآثار البشرية للإنسان الحفري لسلالة ما مع مختلف البقايا في مناطق العالم ، وكذا البحث في خصائصها المعيشية . والثاني يتعلق بضبط وتهيئة قوانين لتصنيف الإنسان الحفري ضمن بيئته الطبيعية القديمة ، أي دراسة كل ما يتعلق بالسلسلة الإنسانية وعلاقاتها الحضارية . ولذلك فالباليونثروبولجيا لا زالت اتجاه علمي حديث جدا وذات مفهوم قابل للتوسع ليس ليشمل الجانب البيولوجي فقط ، وإنما يتعداه إلى بقية الجوانب التاريخية والإثنولوجية معتمدة على المادة الأثرية التي تعكس سلوك الإنسان الحفري وتعبر عن احتياجاته بهدف رسم صورة لأساليب حياته اليومية وعملياته الثقافية عبر ملايين السنين .

**لمزيد من المعلومات أنظر :**

- *Olivier Dutour et Autres , Objets et Méthodes en Paléoanthropologie , 1ère éd . , C . T . H . S . , Paris , 2005 , P* . 15 .

وجود مخلفاتها في المغرب القديم – في المظاهر الآتية . [1]

## 2 – **خصائص التجمعات السكانية في المغرب القديم خلال مرحلة ( ع.ح.ق. أسفل )**

امتد هذا العصر في الفترة المتراوحة بين ظهور أولى السلالات البشرية التي ظهرت منذ نحو 1.3 مليون سنة إلى ما يقارب مائة ألف سنة قبل الميلاد ، وتعتبر من أطول وأهم مراحل تاريخ الإنسانية ، ولا تختلف وضعية الإنسان المغاربي القديم خلالها في مواجهته للظروف المناخية عن البشر المنتشرين في بقية أنحاء العالم القديم ، إذ تتميز البيئة الجغرافية للمغرب القديم بالجبال و الهضاب والسهول والصحراء ، وبالتالي فإن مواقع تواجد الإنسان كانت حول الأودية وفي السهول وبالقرب من المسطحات المائية العذبة أي المناطق التي يسهل العيش فيها .[2]

ولذلك كان هدف التجمعات السكنية الأولى – منذ البداية – حماية الإنسان من الظروف الجوية المحيطة به ، و لذلك نراه في العصر المطير يلجأ إلى الكهوف والمغارات . *( أنظر الخريطة رقم (5 ) ، ص . 46 )* .

وبانتهاء تلك المرحلة كان يتجه لسكن المناطق السهلية ، حيث يستطيع ممارسة عملية الصيد والالتقاط ، وتطلبت تلك الحياة صنع أدوات حجرية تساعده في قضاء شؤونه ، فكانت بذلك أولى مظاهر الصناعة الحجرية . [3]

وعُرف الإنسان المغاربي القديم المنتمي لهذه المرحلة بالإنسان الأطلسي الموريتاني ( ***Atlanthropus Mauritanicus*** ) من نوع الإنسان المنتصب القامة العاصر لإنساني جاوة بأندونيسيا و بكين بالصين .[4]

---

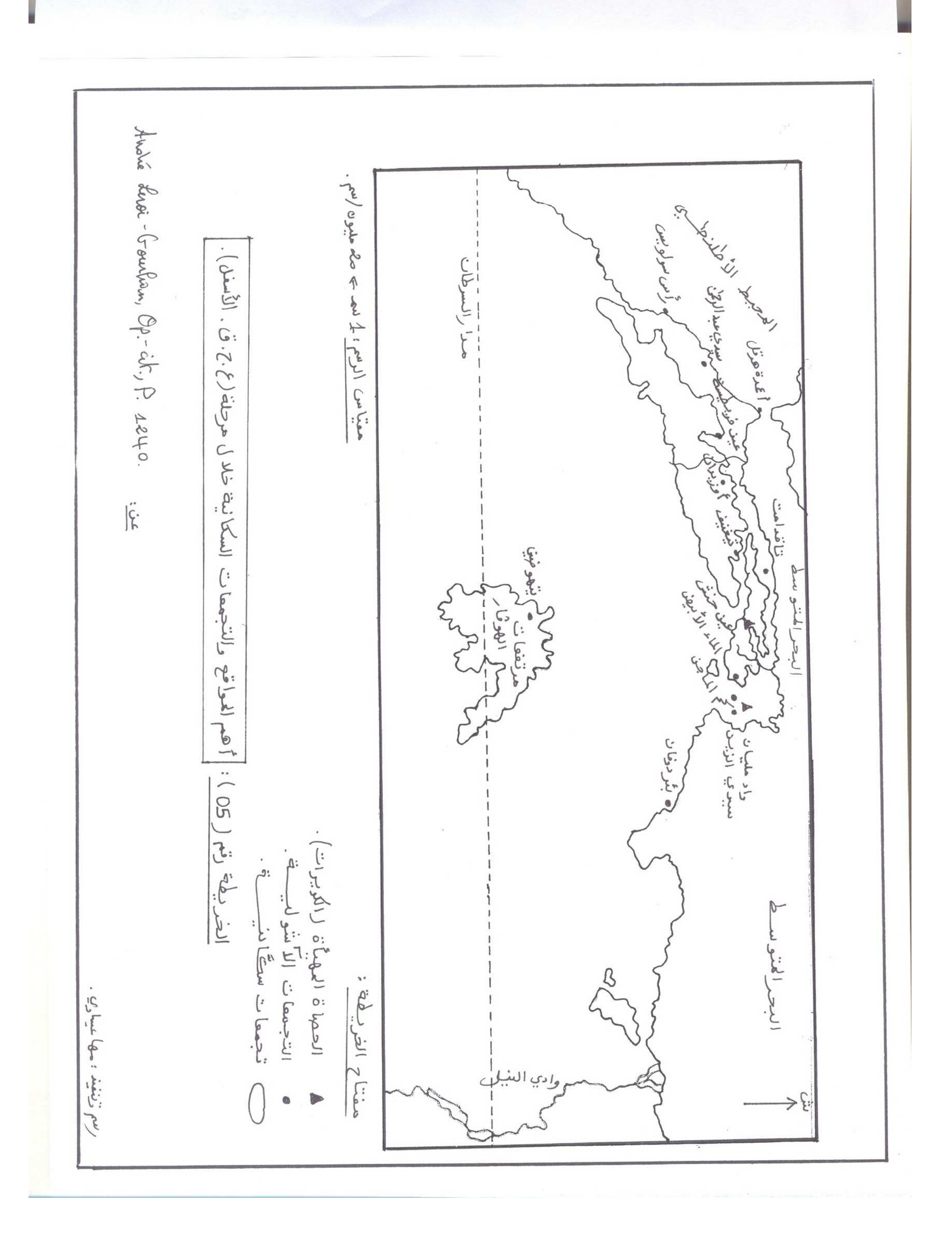
( 1 ) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، حضارات ما قبل التاريخ في تونس والبلدان المغاربية ، ط . 2 ، المطبعة العربية ، تونس ، 1993 ، ص . 31 .

( 2 ) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، ج . 1 ، – العصور القديمة – ، ط . 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص . 68 .

( 3 ) - *Alain Tuffreau , L'Acheuléen ( De l'Homo érectus à l' Homo de Néanderthal ) , La maison des Roches , Lille , 2004 , P . 79 .*

( 4 ) محمد الصغير غانم ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، ط . 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003 ، ص . 16 .

– **إنسانا جاوة وبكين** : تجدر الإشارة إلى أن أقدم اكتشاف لإنسان جاوة كان سنة 1891 على يد يوجين ديبوا وهو نوعان في طبقتين الأولى تعود إلى مرحلة الأوسترالوبيتيك وتعرف بطبقة دجيتيس بحوالي 2 مل /س ، والطبقة الثانية تعرف بطبقة




ترنيل التي تطور فيها من الإنسان الماهر إلى المنتصب القامة ، أما إنسان بكين فيعرف بإنسان تشوكوتين ، و المهم أنهما يعتبران الأنموذجين لبقية أحافير العالم البشرية . **لمزيد من المعلومات أنظر :** فيليب شتاين و بروس روي ، علم الإنسان الطبيعي ، تر : عبد القادر المحيشي ، ط. 1 ، منشورات جامعة التحدي ، سرت ، د.ت ، ص.400 .

استعمل الإنسان في البداية لصنع أدواته مواد قابلة للتلف كالعظام والأخشاب ، أما استعمال الحجارة فقد مثّل مرحلة تقنية متطورة ، منقسمة إلى نوعين رئيسيين من الأدوات هما:

- الأولى : تعرف بالحصاة المهيَّأة ( ***Galet aménagé*** ) .

أما الثانية فتعرف بالأدوات ذات الوجهين ( ***Biface*** ) ، وكلاهما ضمن الحضارة الآشولية .[1] <u>*( أنظر الشكل رقم ( 1، أ ) ، ص . 48 )*</u> .

و قد صنِّف بناءً على تقنية صناعة الأدوات النشاط الاقتصادي للإنسان المغاربي الذي ابتدأ صناعته بتقنية الحصاة المهيّأة ، والتي قوامها إعداد كويرة بحجم البرتقالة مشذبة بطريقة واضحة يعتقد أن تكديسها له هدف ديني .[2]

<u>*( انظر الشكل رقم ( 2، ب ) ، ص . 48 )*</u> .

إنَّ أقدم الأدوات كانت عبارة عن أدوات حجرية تنتمي إلى الحضارة الآشولية ، لكن أهمها تلك التي عثر إلى جانب صناعتها الحجرية على بقايا الإنسان ، وتتمثل في بقايا عظم الفك السفلي إلى جانب فؤوس يدوية ، وصانعها هو إنسان الأطلس في موقع سيدي عبد الرحمن ( حاليا قرب الدار البيضاء ) . وكذلك حضارة عين الحنش قرب سطيف ذات الشهرة العالمية و التي اكتسبتها من شكل الكويرات الفريدة من نوعها المكتشفة فيها ، والتي صاحبتها عظام حيوانات تنتمي إلى مناخ مداري منها : الفيلة الضخمة والفهود ذات الأنياب السيفية .[3]

والجدير بالذكر ، أنه لم يعثر على بقايا الإنسان في عين الحنش ، فنوعية الصناعة ودرجة تقنيتها هي التي تحكمت في تصنيفها ضمن المواقع الهامة في المغرب القديم .[4]

وكذلك موقع سيدي الزين الذي صنعت أدواته من الحجر الكلسي الصلب القابل للتكسير والنحت إلى جانب الأدوات الصوانية ، و يقع على ضفاف وادي

---

( 1) *- André Leroi – Gourhan , Op . – cit . , P . 835.*

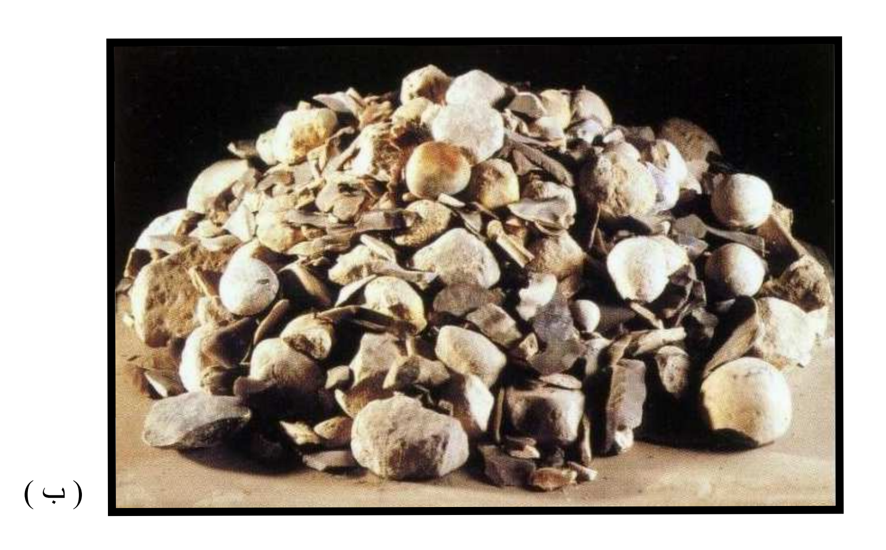
(2 ) *- Ibid , P . 428 .*

( 3 ) كلود ابراهيمي ، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر ، تر : م . ب . شنيتي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1984 ، ص . 23 .

( 4) محمد سحنوني ، ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص. ص. ( 86 – 87 ) .


( أ )

عن : www.cirtameusem.dz
تاريخ الزيارة : 2007/07/24.


( ب )

**الشكل رقم ( 01 ):**

| |
|---|
| **( أ ) : بيفاص آشولية من العصر الحجري القديم الأسفل** |
| **( ب ) : كومة من الأحجار و والأدوات الصوانية مكدسة لغايات عقائدية من العصر الحجري القديم الأسفل** |

نقلا عن : *- Aicha Ben Khader , Le musée du Bardo , éd.Cérès , Tunis , 2002 , P.11.*

مـــلاَّق ( قرب الكـــاف بـــتونس ) ، ولا يقـــف إنـــتاجه الحضاري عند تلك المنطقـــة بـــل يتعداها إلى الحوض السفلي لوادي ملاَّق .[1]

كما تجاوز الإنسان المغاربي القـــديم حدود انتشاره إلى الصحراء ، ومن أشهر مواقع تواجده تيهودادين جبال الهوقار والذي يعتبر موقعاً نموذجياً ، حيـــث تـــــوازي تقنية الأدوات تلك المكتشفة في عين الحنش . [2]

ويظل موقع تيغنيف شاهداً على أقدم مـــناطق التـــواجد الإنـــساني فـــي بـــلاد المغرب القديم ، إذ اعتبرت عظام الفك السفلي *( انظر الشكل رقم ( 2، أ ) . ص .50 )* وعظمة الجدار الأيمـــن للجمجمة شـــاهداً على ســـيطرة ســـلالة إنســـان الأطلس وانتشاره في كامل المغرب القديم ، حيث بلغت صناعة الفؤوس اليدوية ذروة إتـــقانها .[3]

وتجدر الإشارة إلى أن الاكتشافات لا تزال متواصلة للعثور على إنسان الأطلس . *( انظر الشكل رقم (2، ب،ج ) . ص . 50 )* .

**3- المحطات الحضارية وخصائصها في مرحلة ( ع.ح.ق.الأوسط )**

تمتد بين مائة ألف سنة إلى خمسة وثـــلاثين ألف سنة ، وهـــي فتـــرة زمنيـــة قصيرة إذا ما قورنت بالمرحلة الأولى ، إلا أنها ثرية حضاريا ، وخلالها بدا الإنـــسان أكثر دقـــة نظراً لسيطرته على تقنيات صنع أدواته من الحجارة ، والمعروفة بالطريقة اللوفالوازية ( ***Technique Levalloisienne*** ) في تشظية الأدوات . [4]

وعلى العموم فما سُجِّل حول تلك المرحلة كان يتمثل في تلاشي صناعة الفؤوس اليدوية ، لتظهر أدوات جديدة أصغر منها حجماً وأكثر تنوعاً وهي المكاشط والمثاقـــب والسكاكين.[5]

---

[1] ) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 54 – 56 ) .

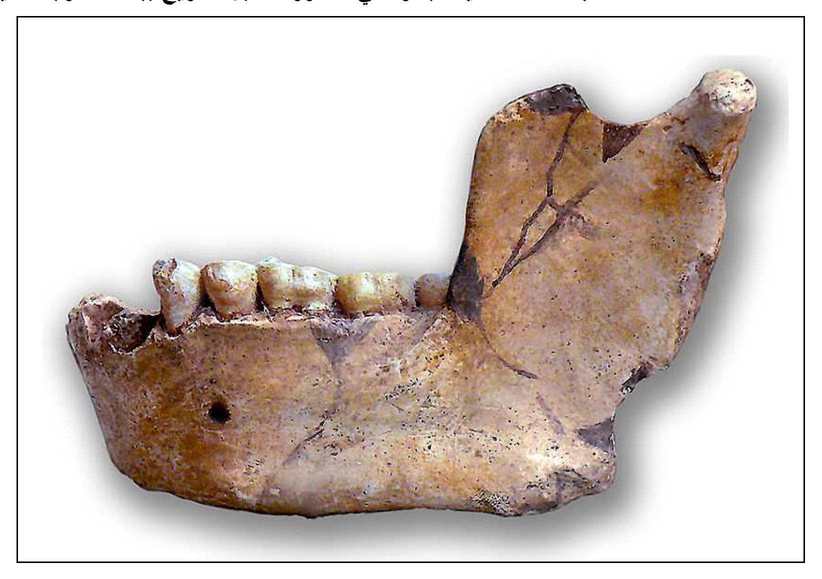
[2] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص . – ص . ( 44 – 56 ) .

[3] يعرف إنسان تيغنيف أيضا بإنسان باليكاو نسبة للقرية التي اكتشف فيها بمعسكر وهي تسمية استعمارية ، واستخرج من الموقع مخلَّفات مادية كثيرة تقدم لمحات عديدة عن مظاهر للحياة اليومية للإنسان المغاربي منذ أزيد من سبعمائة ألف سنة .

**لمزيد من المعلومات انظر :** *- Denis Vialou , Op . – cit . , P . 131.*

[4] هنري عبود ، معجم الحضارات السامية ، ط . 2 ، المطبعة الكبرى ، طرابلس ، 1999، ص.612 ، *- Ibid , P .979.*

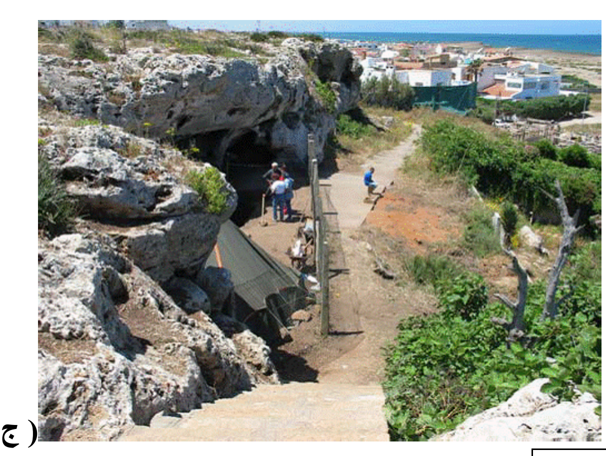
[5] محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص . 103 .



( أ ) : فك إنسان تيغنيفين من نوع إنسان الأطلس ( أطلانتروبوس )



( ب )



( ج )

***__الشكل رقم ( 02 )__*** :

( ب ): فك حفري جديد.

( ج ): موقع الاكتشاف في دار السلطان في 15 /ماي /2008 ، و ينتمي إلى فئة إنسان الأطلس

***__نقلا عن__***: -www.mondeberbere. fr بتاريخ : 2008/08/02.

أما السلالة البشرية ، فعرفت بإنسان النياندرتال [1] الذي طوَّر تقنيات الحجارة ، واستخدم النار ، واكتشف طقوس دفن الموتى ، وحفر القبور بعمق وغطَّاها بـــالتراب والصخور.

وهكذا، أصبح الإنسان المغاربي القديم دقيقــاً في صناعــته التــي تمـــيزت بالتعدد والتنوع في شكل وحجم وهدف الأداة المصنوعة ، فذات الــوجهين أصــبحت نادرة جدا ، بسبب اتجاهه إلى استخدام القطع الشظوية عوضاً عن الحجارة الأم التـــي شكَّلها من قبل في هيئة الفؤوس اليدوية ، والتي تــتميز بصـــغر حجمها وتنوع أشكالها وتنتمي أقدمها إلى الحضارة الموستيرية ، أما صانعها فهو إنسان النياندرتـــال الذي عثر على بقاياه في جبل أرحود بالمغرب الأقصى ، مع مجموعـــة مـــن الأدوات الصوانية .[2]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ المواقع الحضارية الأخرى لم يعـــثر فيهـــا إلا علـــى مجموعات هامة من الأدوات المصنوعة من حجارة الصوان والكوارتز ، وخاصـــة : السهام المذنَّبة بالإضافة إلى المكاشط والمحكات ، ثم المثاقــب والمِحَــزَّات ، وكــذا المسنَّنات . [3]

## أ – الإنسان العاتري أنموذجاً

من أشهر الحضارات المتأثرة بالموستيرية والمتطــورة عنهـــا : الحـــضـــارة العاتـــرية ، إذ يعد موقع واد الجبَّانة مركز العاترية *( انظر الشكل رقم ( 5 ) . ص . )*حيـــث جمع وحفظ منه آلاف الأدوات والعظام و رماد مطابخ الإنسان العاتـــري .[4]

---

[1] **إنسان النياندرتال** : تستخدم كلمة نياندرتال في معناها الدقيق لوصف سلسلة من الآثار المكتشفة في أوروبا الغربية تعود إلى الفترة المبكرة من العصر الجليدي الأخير ، وهو سلف الإنسان الحديث ، وهناك اختلافات كثيرة حول زمن ظهـــوره ، لكـــن المرجح أن ذلك كان ما بين (35–40 ألف سنة ) ، وهو على عدة أنواع : التقليدي والكلاســيكي والمتقــدم ، وقــد اختفـــى النياندرتاليون النموذجيون من السجل الأحفوري بسبب هجرات الإنسان العاقل العاقل لمواقعه ، وهناك من العلماء من يقوا أنه قد ظل يعيش في جماعات محتشمة حتى 26 ألف سنة ، وله آثار ثقافية كثيرة ، واستخدم الحجارة والعظام والخشب والجلود ، وكان يسكن مداخل الكهوف . **لمزيد من المعلومات انظر** : فيليب شتاين وبروس روي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 409–418 ) .

( 2 ) *- André Leroi – Gourhan . Op . – cit . , P . 818 .*

( 3 ) محمد سحنوني ، المرجع السابق ، 103 .

( 4) ليونال بالو ، الجزائر في ما قبل التاريخ ، تر : محمد الصغير غانم ، ط . 2 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2005 ، ص . 77 .

من أفضل مخلفاته الحضارية الأدوات ذات الأعنـــاق ( ***Les outils pédonculées*** ) التي أبدع في صناعتها ، وتعتبر عنوانا مميزا للحضارة العاترية عـــن غيرهـــا مـــن حضارات العصر الحجري القديم الأوسط .[1] *( انظر الشكل رقم ( 3 ) .ص.53 )*

ومن أهم المواقع الحضارية موقع القطَّار بالقرب من قفصة ، وكهف هـــوافتيح بوادي درنة بليبـــيا ، والذي عُثر فيه على فك إنسان واستخدم الكربون المشع في تقدير عمر البقايا المتواجدة فقدِّرت بنحـــو 43000 سنة .[2]

وكذلك موقع دار السلطان بتافوغالت ، ورتايمية بوهران وجحفة الطير ببنغازي ، و تجدر الإشارة إلى أنَّ العاترية مواقعها قليلة في بلاد المغـــرب القـــديم ، حيـــث لا تتـــجاوز إحدى عشر موقعاً .[3] *( انظر الخريطة رقم ( 6 ) . ص . 54 )* .

**4 – <u>الإنسان المغاربي القديم في مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى</u>**

عاش فيما بين 37 ألف سنة إلى غاية 12 ألف سنة ، في فـــترة حضارية مهمة في تاريخ بلاد المغرب القديم لكونها امتازت بالتطور في مختلف المجالات .

فمن حيث الأدوات تميزت بتطور في تقنيات الصناعة التي استـــخدمت فـــيها الحـــجارة و العظم حيث تلاشت تدريجيا الصناعة اللوفالوازيـــة والموســـتيرية ليحـــل محلها الصناعة القزمية ( الميكروليتيـــة ) ، فـــظهرت أنـــواع جديـــدة مـــن الأدوات كالنِّصال والسكاكين والمحكات والأزاميل .[4]

أما من حيث السلالة البشرية فهي الإنسان العاقل ، إذ تُعرف ســـلالة العـــصر الحجري القديم اللاحق في بلاد المغرب القديم بإنسان ( مشتى العربي ) نسبة إلى أول موقع اكتـــشف فيه قرب سطيف في الجزائر .[5]

---

(1) - *André Leroi – Gourhan . Op . – cit . , P . 818 .*

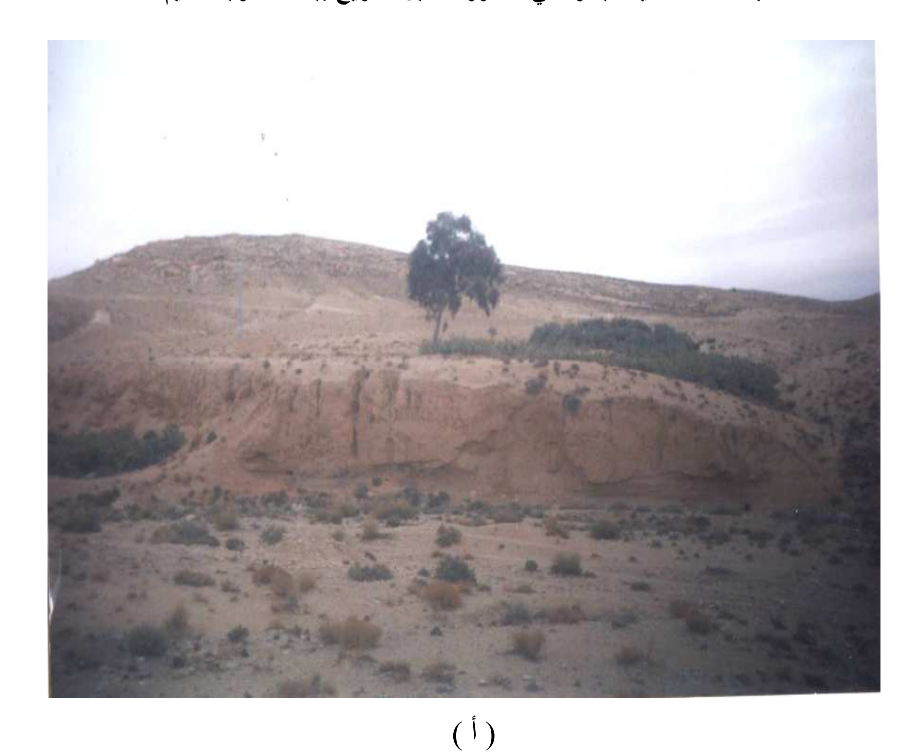
( 2 ) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص . 34 .

( 3) محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص . 109 .

( 4 ) المرجع نفسه ، ص . 117 .

(5 ) - *Olivier Dutourn , " L' homme de Mechta Afalou au Maghreb et au Sahara ( Aspect paléoanthropologiques et paléocologiques ) , éd . C.N.R.P.A.H. , Alger , 2001 P. –P. 131 – 142.; - André Leroi – Gourhan , Op . – cit . , P . 704 .* ;

- محمد الطاهر العدواني ، الجزائر في التاريخ ، ج.1 ، – الجزائر منذ نشأة الحضارة – ، م.و.ك. ، الجزائر ، 1984 ، ص . 112 .



( أ )

Outils de pierre du site Oued Djebbana, Bir El Ater, Algérie.

( ب )

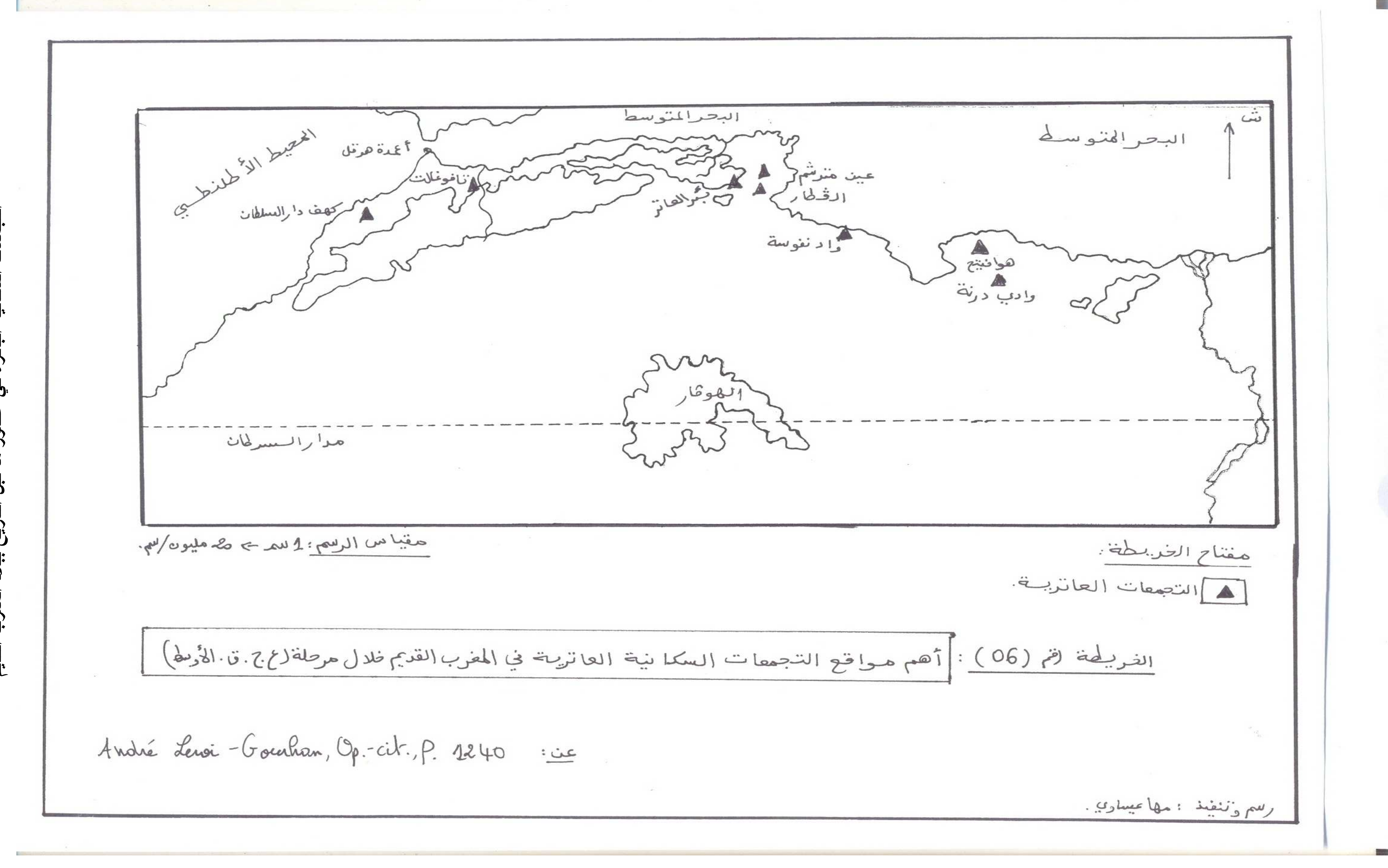
**الشكل رقم ( 3 ) :**

**( أ ) : موقع واد الجبانة ببئر العاتر يعود إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط.**

**( ب ) : رؤوس سهام ذات أعناق أذناب من الصوان**

**نقلا عن : مجموعات خاصة للباحث ب.جمال .**

التجمعات السكانية الباكرة في عصور ما قبل التاريخ ببلاد المغرب القديم




الخريطة رقم (06) : أهم مواقع التجمعات السكانية العاترية في المغرب القديم خلال مرحلة (ع.ح.ق.الأوسط)

عن: André Leroi-Gourhan, Op.-cit., P. 1240

## أ – الإنسان القفصي أنموذجاً

يعد الإنسان الثاني الذي ظهر في هذه المرحلة ، ويعرف بالإنسان القفصي الذي يرتبط بمجموعة البحـــر المتوســـط ، وتشير الدلالات الأثرية بأنه من ناحية الـــصفات التشريحية والسلوكية واللغة فإنه يشبه إلى حد كبير الإنسان الحالي ، إلا أنه لـــم يـــرق فقط إلى عملية تدوين مهاراته وثقافته . [1]

ومن أهم المواقع الحضارية حضارتين مهمتين همـــا : الحـــضارة الوهرانيـــة والحضـــارة القـــفصية ، حيث اتضحت خلالهما الملامح الكبرى للتنظيم الاجتمـــاعي في مرحلة قبل التاريخ للإنسان المغاربي القديم .

فأما الحضارة الوهرانية [2] فكانت حضارة ساحلية تركت بصماتها فـــي منـــاطق عديدة من ليبيا شرقًا إلى تافوغالت غرباً ، وامتدت فيما بـــين ( 18 ألـــف – 8 آلاف ســـنة ق . م ) ، وأدواتها مستـــخرجة من الصوان والعظم ، لذلك تعرف بحضارة " النِّصال الصغيرة " .[3]

كما تميزت مواقعها بانتشارهـــا في المـــناطق الغابية التي كانت مصادر غذاء الإنسان الوهراني ، حيث مارس الصيد والالتقاط .[4]

أما الحضارة القفصية فكانت حضارة قاريـــة بعـــيدة عن البحر ، وتعـــد مـــن أكثر حضارات قبل التاريخ تطورا حيث مهدت لمرحلة النيوليتيـــك ، وتـــشكِّل قفـــصة مركزها النمـــوذجي ، إذ امتـــدت على المنطقة الوسطى للجزائر والجهـــة الجنوبيـــة الغربية لتونس .

وتتقسم الحضارة القفصية إلى مرحلتين هما :

– <u>المرحلة الأولى</u> : و تعرف بالقفصية النموذجية ( ابتداء من الألـــف الـــسابعة ق.م إلى الألـــف السادس ق.م )، وامتازت باستخدام الصوان مادة أولية ، وأدواتهـــا المصنَّعة منوعة ودقيقة وجميلة أيضاً ، لما تحمله من فنيات دقيقة في الصنع .

---

1 ليونال بالو ، المرجع السابق ، ص . 90 . و***لمزيد من المعلومات انظر*** : كاتي كوب وهارولد جولد وايت ، إبداعات النار ، تر: فتح الله الشيخ ، مطابع الوطن ، الكويت ، 2001 ، ص . 14 .

[2] **الحضارة الوهرانية** : تعرف أيضا بالحضارة الإيبيروموروية.**لمزيد من المعلومات انظر**: محمد سحنوني، المرجع السابق، ص. 116.

- *André Leroi – Gourhan , Op . – cit . , P . 531.*

[4] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص . 90 .

– المرحلة الثانية : وتعرف هذه المرحلة بالقفصية العليا ، وتمتد علـــى فتـــرة أطـــول من القفـــصي النموذجي وقد تصل إلى ثلاثة آلاف سنة ( من الألـــف الثامنـــة ق.م إلى غاية الألف الخامسة ق.م ) ، وامتازت بتنوع نشاطات الإنسان القفصي[1] التي تبرزها الرماديات .[2]

## ثانيا – المظاهر الأولى للتنظيم الاجتماعي عند الإنسان المغاربي القديم

### 1 – مرحلة ( ع.ح.ق. الأسفل )

تمحورت الحياة الاجتماعية خلال هذه المرحلة في إقـــامة صـــناعة حـــــجرية تفيدها في معيشتها اليومية ، فمن الصعوبة أن نحدد المظاهر الاقتصادية وفقا للمعطيات الحالية لتجمع بشري عاش فيما بين مليون ومائة ألف سنة ، إلا أنه من المؤكـــد أنـــه مارس القنص والصيد والجمع والالتقاط .

ومن خلال استقراء نوعية الصناعات التي أتقنها ، نجد أنَّ تلـــك التـــــجمعات البشرية كانت على قدرٍ كبيرٍ من التنظيم والحيطة من خطر الحيوانات . [3]

وأهم ما هنالك أنها نظَّمـــت أفرادهـــا في مجموعات : الأولى تهتـــم بجـــمع حـــجارة الصـــوان والثانية بتهذيبها ، أما الثالثة فبحمل البقايا و إبعادها عـــن مـــواطن الاستقرار الجماعية.[4]

لقد أثبتت الدراســـات الجيولوجيـــة والجيـــوكيميـــائية الحديثـــة صـــحة هـــذه الاستقـــراءات ، حيث أنَّ الدراسات المقارنة بيَّنت أنَّ واد مـــلاق كانت عبـــارة عـــن بحيرة ترتادها الحيوانات المدارية .

بالإضافة إلى أنه ليس في الصفات التشريحية لإنسان المنطقة ، ما يـــدل علـــى اعتبـــاره إنســـاناً في مرحلة الخروج من أشباه الإنسان إلى الإنسان العاقل ، بل هـــو

---

[1] ليونال بالو ، المرجع السابق ، ص . 90 . ***لمزيد من المعلومات انظر*** :

- *J. Morel , " Pierres gravées , pierres incisées et palettes à ocre du Capsien Supérieur de la région de Tebessa " , L ybica , Tome : XX , 1972 , P . 169 .*

[2] **الرماديـــات** : تعرف أيضا بالحلزونيات (***Les Escargotières***) ، وهي تلال ضخمة بيضاوية الشكل ، تحتوي على كميات كبيرة من رماد المـــواقـــد والحجارة المحروقة و بقايا عظام الحيوانات والأدوات الصوانية وقواقع الحلزون .

(3) - *J. P . Mohen et Yvette Taborin , Op . – cit . , P. P . ( 121 – 122 ) .*

(4) - *Ibid , P . 123 .*

إنسان يشبه كثيراً الإنسان العاقل ، وعليه يمكن أن نعتبر أنَّ التجمعات البشرية في العصر الحجري القديم الأوسط ، كانت قد أخذت طريقها نحو التجمع القبلي الذي يجمعه وحدة النشاط الاقتصادي .[1]

**2 – في مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط**

**أ – طبقات المجتمع النياندرتالي**

توصل علماء قبل التاريخ إلى أول تقسيم طبقي لمجتمعات قبل التاريخ ، وذلك بعد دراسة شاملة لبقايا إنسان النياندرتال ، وتميزت هذه المرحلة من الناحية الاقتصادية بالإنتاج المتقن للأدوات [2]، والذي انعكس على الناحية الاجتماعية بأن انقسم المجتمع النياندرتالي إلى طبقتين :

– الطبقة الأولى :

هي طبقة قوية جسديا ، يحمل أفرادها أدوات دقيقة الصنع وحادة كالسكاكين ، وهم المضطلعين بعملية صيد الحيوانات الضخمة أو المفترسة .[3]

– الطبقة الثانية :

هي الفئة العاملة في الورشات والتي تجلب الصُّوان ، وتنظِّف بقايا الورشات ، وتلجأ أحياناً إلى صيد الحيوانات الكبيرة العشبية حيث تستفيد من عاجها و عظامها في صناعة الحلي والتمائم .

والواضح من هذا التصنيف أنَّ الأفراد لم يكونوا متساوين اجتماعيا – كما هو الحال في الصورة النمطية لمجتمعات ما قبل التاريخ النيوليتية – ، فليس بالضرورة أن يكون الصانع هو الذي ينتمي إلى الطبقة الأولى ، وإنما هناك من يصنعها له مقابل الدفاع عنه أو تأمين حاجياته الضرورية . [4]

---

( 1) **التجمع القبلي الناتج عن التجمع الاقتصادي** : تعد هذه الفرضية من الفرضيات الجديدة التي طرحت في " أطلس حضارات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ " للأَثَرِيَّيْنِ عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، وأشارا إليها إثر إعلان بعثة التنقيب التي أشرفا عليها سنة 1976 عن التقارير المتضمنة نتائج البحث والتحليل المخبري للبقايا المكتشفة والتي تعود إلى الآشولي المتطور ، وهي حاليا محفوظة في المعهد القومي للآثار والفنون بتونس . **لمزيد من المعلومات انظر** : عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص . 57 .

(2 ) - *J . P . Mohen et Yvette Taborin , Op . – cit . , P . 125 .*

( 3 ) - *Ibid , P . 126 .*

( 4 ) -*Ibid , P . 125 .*

يبيِّن التنوع في الصناعة الحجـــريَّة مدى اتساع دائرة تفكير الإنسان العاتري ، وتعـــدُّد احتياجاته التي تستوجب صناعة تلك الأدوات إذ اختفت التقنية الموستيرية و اللوفالوازية التي ما هي إلا طرق بدائية من طَرْق وتشذيب ليحل محلها التخـــصص والتفنن في صناعة الأدوات الشظوية .[1] وبلغ ذروة التفكير الذكي عندما فصل ورشة صناعته عن مركز نفاياته الصناعية .

أما التجمعـــات الســـكنيـــة في تلك المرحلة فكانت في المنـــاطق المفتوحـــة حيث اعتدل المناخ ، أما في المناطق المرتفعة فكان اللجوء إلى الكهوف حتميًّا .[2]

**ب- <u>العلاقات الحضارية الأولى للإنسان النياندرتالي العاتري</u>**

ظهر الإنســـان المغاربي القديم في أبكر مراحل تاريخ الإنسانية منظَّمًـــا فـــي معيشته منذ مرحلة الحضارة العاترية التي ظهرت ما بين ( 40 ألف سنة – 25 ألـــف سنة ) ، حتى عدَّ الإنســـان العاتـــري نموذجاً للتواصل الحضاري بين مختلف مناطق بلاد المغرب القديم ، ويستدل على ذلك من امتداد الصناعة العاتـــــرية فـــي مختلـــف مناطق المغرب القديم . ومن الدراسات المقارنة تتـــشابه أدوات الإنسان العاتري مـــع الإنسان الناطوفي[3] مما يؤكد على وجود صلات حضارية بين المنطقتين .[4]

وقد وجد الباحثون الأثريون أنَّه كانت هناك لقاءات قد تمَّت بين إنسان جنـــوب غـــربي آســـيا و بلاد المغرب القديم عن طريق جسر موقع الجبل الأخضر بليبيـــا و الواحات المصريـــة .[5]

استدل على ذلك أيضاً في الجوانب المعنوية ، فمثلاً إنَّ موقع القطَّـــار يحتـــوي على كـــومة من الكويرات الحجرية تمثل الجانب المعنوي الروحـــي لـــدى الإنـــسان المغربي القديم و ذلك من حيث خوفه من المظاهر الطبيعية ومحاولته محاكاتها بقـــوى خفية .

---

( 1) رشيد الناضوري ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في ( جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ) ، ج.1 ، – مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري من العصر الحجري الحديث إلى الألـــف 3 ق .م – ، دار الجامعـــة العربية ، بيروت ، 1968 ، ص . 105 .

( 2 ) *- J . P . Mohen ET Yvette Taborin , Op . – cit . , P. – P. ( 124 -125 ) .*

( 3 ) **<u>الإنسان الناطوفي</u>** : نسبة إلى موقع ناطوف بفلسطين ، ويعرف أيضا بالإنسان الفلسطيني النياندرتالي .

( 4 ) رشيد الناضوري ، تاريخ المغرب الكبير ، ص . 62 .

( 5 ) رمضان عبده علي ، تاريخ مصر القديم ، ج . 1 ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 2001 ، ص . 409 .

عند مقارنة كومة كويرات القطّار مع ما وجد في بعــض المــــواقع الأثريــة العراقية القديمة قرب المعابد المدرَّجة في الوركاء وتل العبيد ، وُجد أنَّ أثاثها به تشابه كبير .[1]

تطرح هنا مسألة العلاقات الحضارية الباكرة بين الشرق القديم والمغرب القــديم إشكالية دائمة الحضور نظرا للتشابه الأفقي والعمودي بين المنطقتــين ، مــن خـــلال التساؤل الآتي :

" هل يمكن أن نعتبر أن الإنسان النياندرتالي الموستيري العاتري الــذي ينتمـــي إلى شمال أفريقيا هو أول من حاول ربط تلك العلاقات ؟ وأن الاتـــجاه كان من الغرب إلى الشرق ؟ أم أن الإنسان الفلسطيني النياندرتالي هو أساس تلك الهجــرات ، فانتــقل عبر مصـــر إلى هوافتيح بليبيا ومن هذه الأخيرة انتشر غربا حتى المغرب الأقــصى وفقا للكرونولــوجيا الخاصة بالباليونتولوجيا الإنسانية [2] المنتمية إلى العصر الحجــري القديم ؟ " .[3]

إن الإجابة تحتاج إلى المزيد من البحث الأثري المعمق .

## ج – **<u>الأسرة النياندرتالية العاترية</u>**

على الرغم من الكم الهائل للآثار النياندرتالية العاترية التي عثر عليها فإنه لـــم تصلنا أي معلومات واضحة عن التنظــيم الــسياسي والاجتمـــاعي لحالـــة الإنـــسان النياندرتالي بشكل عام ، فكيف بالإنسان العاتري ؟

---

( 1 ) محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج . 9 –المغرب القديم – ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 ، ص.10 .

( 2 ) **<u>الباليونتولوجيا ( *Paléontologie* ) الإنسانية</u>** : الباليونتولوجيا هو علم الحياة القديمة أو علم الإحاثة ، ويبحث في أشكال الحياة عبر العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المستحاثات الحيوانية والنباتية ، أما الباليونتولوجيا الإنسانية فتبحــث فـــي العلاقة بين الإنسان القديم و العالم في عصره . **لمزيد من المعلومات انظر :**

( 3 ) محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 79 – 80 ) . **<u>لمزيد من المعلومات انظر</u>** : أحمد أمــين ســليم ، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإســكندرية ، 2000 ، ص . ص.( 50 –51 ) ، – فيليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج . 1 ، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ط . 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1958 ، ص . 15 .

إنَّ التخمين وارد هنا من أن النياندرتالي جنس عالمي كان أفراده يشبهون في تجمعاتهم الجماعات الحديثة التي ما زالت تعتمد على الصيد وتعيش في الأماكن المفتوحة .

لقد كان جميع البالغين في الأسرة النياندرتالية متزوجين ، وفي مثل هذا المستوى الحضاري حيث كان المصدر الرئيسي للغذاء هو صيد الحيوانات ، فقد أصبح عدد المترملات من النساء أكثر من عدد الرجال ، ومن المحتمل أن أحسن الصيادين كانوا يأخذون نصيبهم من الفائض من النساء ، فيصبح لهم عدد أكثر من الزوجات .[1]

أما عن نظام الحكم ، فإن أهمية السحر الواضحة في تلك الحضارة توحي بأن أعظم الأفراد أهمية في الجماعة كان قريبا من الرئيس ، وأنه كاهن يقوم بالرقى السحرية .[2]

**3 – مظاهر التنظيم الاجتماعي في مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى**

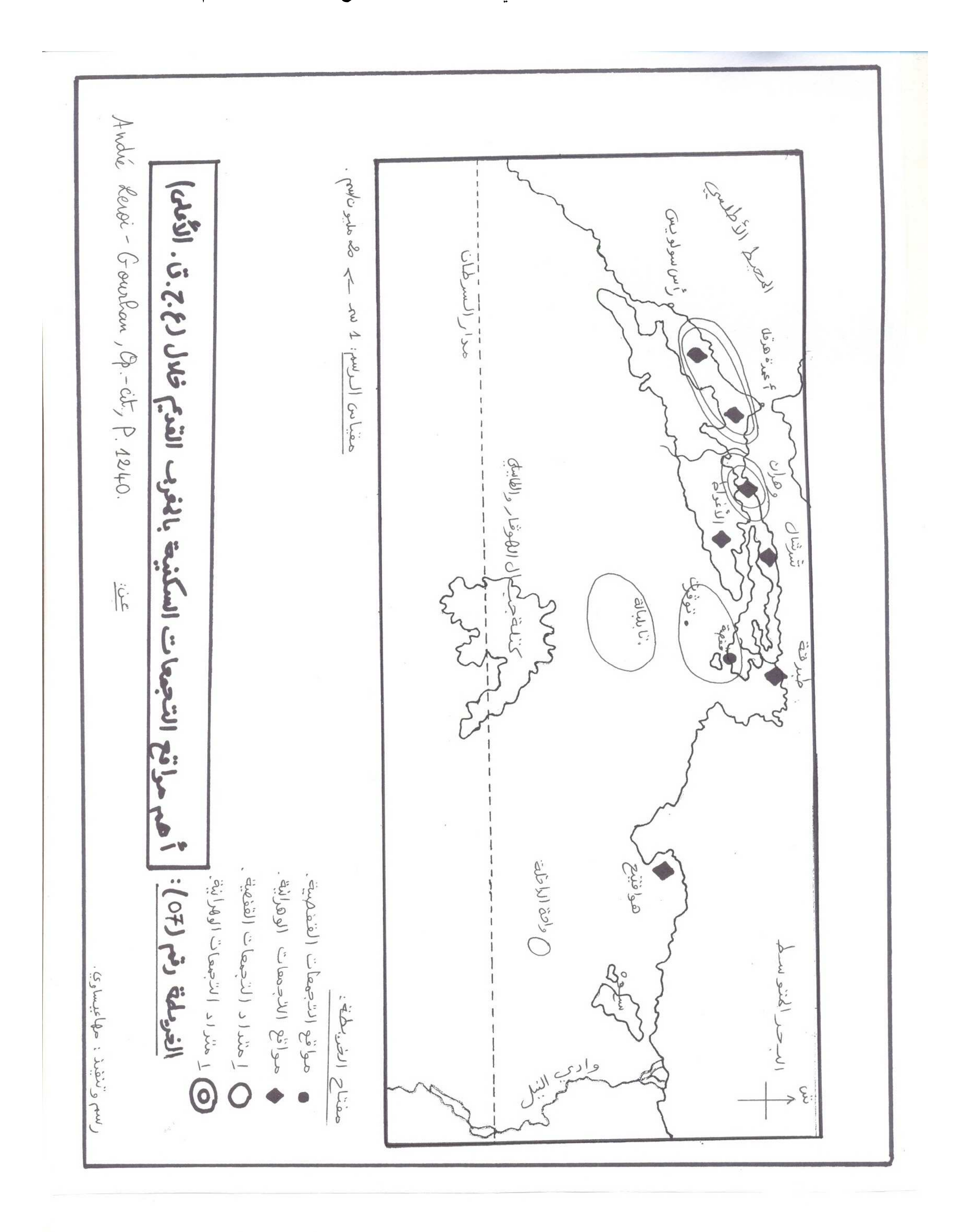
تعد هذه المرحلة ذروة التطور الحضاري في العصور الحجرية لأنها محصِّلة التجارب الإنسانية السابقة التي انتهت بوضوح الصورة التي كان عليها الإنسان المغربي القديم ، إذ كانت التجمعات السكانية في تلك المرحلة واسعة *( انظر الخريطة رقم (7) . ص. )* ، وتمثلت في المجتمع البدائي المشتوي ، والمجتمع البدائي القفصي ، إذ تميَّز كل منهما بتحديد ملامحه الحضارية من مخلَّفاته الحضارية .[3]

---

( 1 ) رالف لنتون ، شجرة الحضارة ، ج. 1 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1990 ، ص.ص. ( 279–280 ).

( 2 ) يشير العالم رالف لنتون إلى أن هذا الوصف للنياندرتاليين يشمل جميع المناطق التي انتشرت فيها هذه المجتمعات ففي شمال أفريقيا – حسب وصفه – سادت حضارة النصال البسيطة المصنوعة من العظم والعاج وأن العظام البشرية القادمة من شمال أفريقيا قليلة مقارنة بأوروبا . **لمزيد من المعلومات انظر** : رالف لنتون ، المرجع السابق ، ص. ص. (279 – 293 ).

( 3) رشيد الناضوري ، تاريخ المغرب ... ، ص . 106 .


البحر المتوسط
ش
المحيط الأطلسي
رأس سولويس
أعمدة هرقل
وهران
شرشال
طبرقة
الأغواط
قفصة
توقرت
تابلبالة
هوافتيح
سيوة
وادي النيل
واحة الداخلة
كتلة جبال الهوقار والطاسيلي
مدار السرطان
مقياس الرسم: 1 سم ← 50 مليون/سم.
مفتاح الخريطة:
مواقع التجمعات القفصية.
مواقع التجمعات الوهرانية.
إمتداد التجمعات القفصية.
إمتداد التجمعات الوهرانية.
الخريطة رقم (07):
أهم مواقع التجمعات السكنية بالمغرب القديم خلال (ع.ح.ق. الأعلى)
عن: André Leroi-Gourhan, Op.-cit, P. 1240.
رسم وتنفيذ: مهاعيساوي.

**أ- الإنسان المشتوي**

عاش الإنسان المشتوي في وسط نباتي لا يختلف كثيرا عن الوسط الحالي ، إذ كان يحتوي على أشجار الصنوبر الحلبي وأشجار الأُرْز ، ولذلك سكن في الهواء الطلق بالقرب من الشواطىء ، وفي المغارات والكهوف ، وتغذَّى على البقريات الصغيرة والقواضم بمختلف أنواعها .[1]

ومن مظاهر تطوُّر الإنسان المشتوي الاقتصادي توصلُه إلى استخدام النواة الحجرية كمطحنة للحبوب البرية التي يجمعها وفي الجانب الديني قام بطحن حجارة المغرة الحمراء لأغراضه الروحية .[2]

كما كانت له معتقدات أهمها : ظاهرة تشويه الأضراس وقلع قواطع الفك السفلي لأسباب غامضة .

**ب- حياة الإنسان القفصي**

**- الرماديات**

أنشأ الإنسان القفصي تجمعاته السكنية المنظمة على مساحات واسعة ، مراعيا بذلك قربها من منابع المياه ، وهكذا كان يعيش ضمن وسط طبيعي معتدل ساعده على ممارسة نشاطات حياته اليومية بسهولة ويسر.[3]

وللمزيد من الحيطة كانت تجمعات الإنسان القفصي فوق الهضاب بمحاذاة الممرات الطبيعية التي ترتادها الحيوانات فسهل عليه اقتناصها ، وعرفت هذه التجمعات السكنية بالمستوطنات القفصية أو الرماديات . *( انظر الشكل رقم (4 ) . ص .63 )*

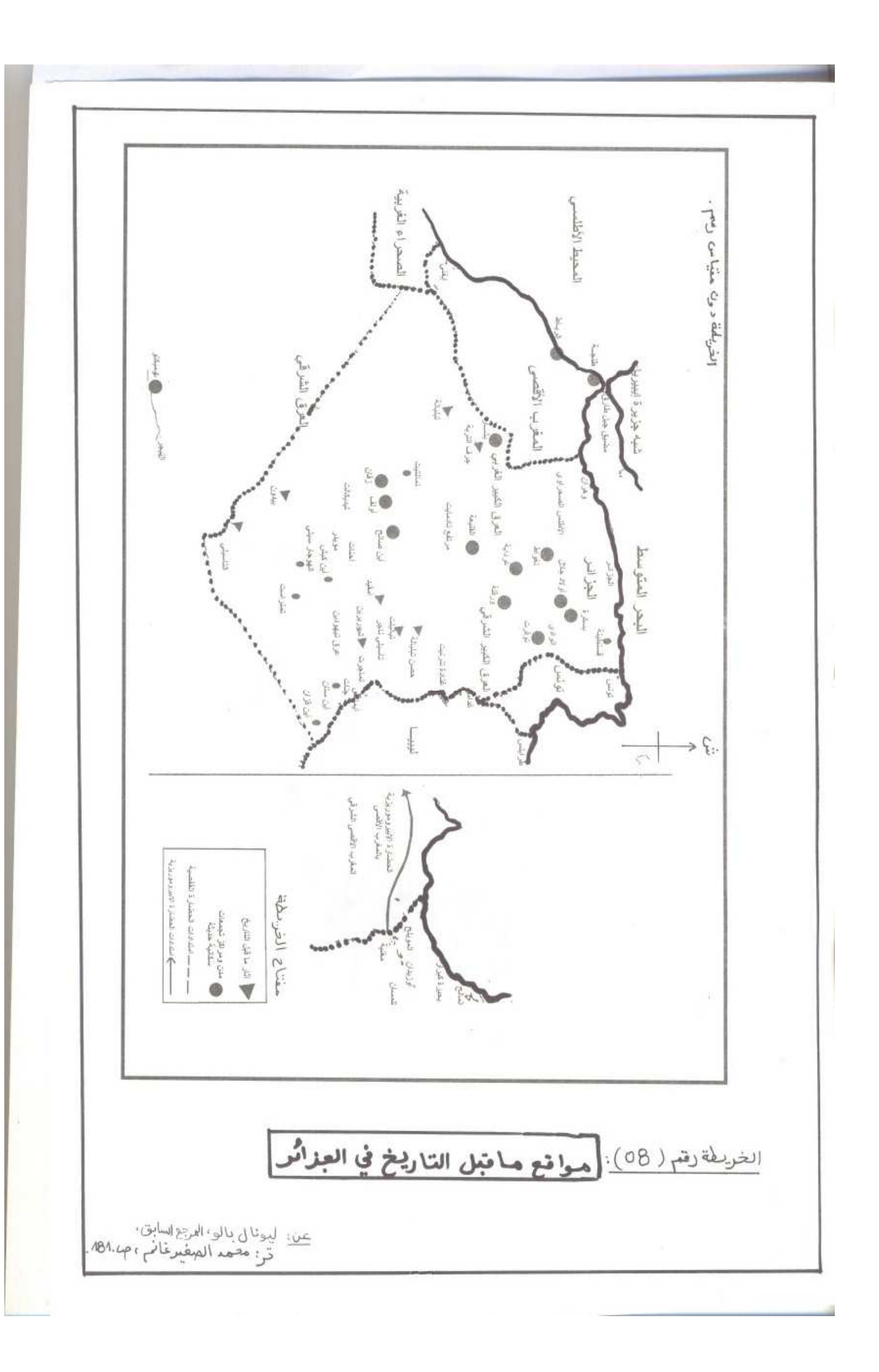
لذلك تعتبر الرماديات عنوان الحضارة القفصية نظراً لما تركته من مخلفات مكَّنت الباحثين اليوم من فهم نمط الحياة اليومية للمجتمع القفصي خاصة في الجزائر. *( انظر الخريطة رقم ( 8 ) . ص. 64 )* .

---

(1) - J. Morel , Op . – cit . , P . 169 .
(2) - Ibid , P . 170 .
( 3 ) أندريه لوروا جورهان ، أديان ما قبل التاريخ ، تر : سعاد حرب ، ط . 4 ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت . ، ص . 64 . ( بتصرف ) .



الشكل رقم ( 04) : رمادية قفصية




الخريطة رقم (08): مواقع ماقبل التاريخ في الجزائر

عن: ليونال بالو، المرجع السابق،
تر: محمد الصغير غانم، ص181.

أما في مجال النشاط الاقتصادي فقد برع القفصي في صناعة السكاكين والإبر ثم الخناجر والمخارز ، وحوّل بيض النعام إلى أوانٍ للسوائل وقشورها إلى عقود للزينة [1].

وهكذا ، كان للإنسان العاتري تأثيراً واضحاً على الإنسان المشتوي والقفصي ، فعلى سبيل المثال في موقع الأوبيرة بتبسة تمَّ العثور على طبقة تبين وجود صلات حضارية متطورة بين النوعين [2]، حيث تختلط فيها كومات من الرمال والرماد مشكِّلة هضبة تختلط فيها بقايا قواقع الحلزون بالحجارة المحترقة مع أدوات صوانية ، وهي بذلك تمثل أول تجمع سكني للإنسان القفصي خلال الألف السادسة ق.م .

فكان بذلك إنسان النياندرتال صاحب الفضل في تكوين الإرهاصات الأولى للهويَّة الثقافية المحلية للإنسان العاقل في بلاد المغرب القديم . [3]

ولم يقتصر نشاط الإنسان القفصي على الصناعة الحجرية والعظمية إنما بدأ يتجه إلى الاعتناء بالجانب الروحي والفكري .

- **الجانب الديني**

ازدادت القدرات الفكرية للإنسان القفصي الذي حاول التقرب إلى القوى الخفية المتحكمة في حياته فصورها في أشكال حيوانية ونباتية تمنحه الأمان .

كما عرف عادات الدفن بطلائه الجثة بالمُغرة الحمراء ، ودفنها في وضعية الجنين وتجهيزها ببعض الأثاث الجنائزي ، وعن طرق الدفن تم التعرف على عدة وضعيات للجثة ، إذ أنَّ القفصيين قد دفنوا الميت بالوضعية المنحنية ، وبوضعية الاستلقاء وتشابك اليدين على الصدر والوجه .[4]

- **الجانب الفكري**

بالإضافة إلى استخدام الإنسان القفصي القواقع وقشور بيض النعام للزينة ، عبَّر عن أفكاره في النُّقوش ومظاهر النحت الأولى ، حيث نحت تماثيل صغيرة على

---

( 1) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص . 39 .

( 2 ) **حول ثقافة إنسان النياندرتال : و لمزيد من المعلومات انظر** : فيليب شتاين وبروس روي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 414 – 418 ).

( 3) ليونال بالو ، المرجع السابق ، ص . 88 .

( 4 ) *- Henri Duday , " L ' Archéotanatologie ( L ' Archéologie de la mort ) " , éd . La comité des travaux historiques et scientifiques , Paris , 2005 , P . P . ( 153 – 215 ) .*

هيئة رؤوس الحيوانات ، وقد عثـــر على أهم قطعة في الفن القفــصي فـــي موقـــع " المقطع " قرب قفصة وهو تمثال لرأس امرأة قص شعرها عند الجبهة وأســدل إلـــى الوراء ، ووجهها بلا ملامح .

بذلك ، اعتبر الإنسان القفصي أول إنسان مغاربي قديم كان له حــــس فنـــي عبرَّ عنه بواسطة الخطوط الهندسية والتماثيل والرسومات البسيطة التي شكلت مظاهر انتقال الإنسان إلى النيوليتي .[1]

الواقع ، أن الإنسان القفصي لا يختلف كثيراً في صفاته التشريحية عن الإنسان العاقـــل العاقـــل [2] ، فـــمن خـــلال دراســـة الهياكل العظمية أمكن التعرف على أهـــم خصائصه المتمثلة في استقامة وجهه وارتفـــاع جـــبهته واعتدال طوله و الـــذي قـــدر بحوالي 1.74 متر . [3]

لقد تم الإنجاز الحضاري لإنسان (ع.ح.ق.)بفضل متانة البنية الاجتماعية التـــي لا مثيل لها في العالم الحيواني ، فقد تجمع الأفراد في وحدات عائلية صـــغيرة ، وجـــد فيها الصغار الأمن والحماية الضرورين للحياة والتعلم ولم يكونوا ليستمروا لولا ذلـــك السلوك التعاوني [4]، فاستقرار الإنسان واعتماده في حياته علـــى المـــصادر الطبيعيـــة المتوافـــرة لديه بذكاء ، جعلته يستعد للثورة النيوليتية [5] المتمثلة في ممارســـة الرعـــي واكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان .

---

( 1 ) *- J . Morel , Op . – cit . , P . 175 .*

( [2] ) من أحدث النظريات التي تقول بأن الإنسان المشتوي والقفصي ينتميان إلى سلالة الإنسان العاقل العاقل ظهـرت سـنة 1999 من طرف باحثين جزائريين على رأسهم الباحثة السيدة سعدون شايد التي قامت بتطبيق تقنيات " تيلي راديوغرافي " ، و" واربين " المستخدمة في الصور الفضائية ، و" رتوشات الصورة " الذي يراعي سمك البشرة ، وعلى ضوء هذه التقنيـات الحديثة تمكن الفريق من تحديد تقاسيم الوجه ثلاثي الأبعاد ، وهو إنسان كانت له لغة تواصل لكن لم يصلنا منها شيء ، ولـه عاداته ومعتقداته . وملامحه طبيعية وغير متوحشة كما كان يظن سابقاً . <u>أنظر</u> : صبيات نصيرة ، " التوصـل إلـى تـشكيلة صورة إنسان مشتوي " ، صدر بتاريخ : ( 30 / 12 / 1999 ) ، ص . 19 .

( 3 ) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص. ص . ( 14 –17 ) .

( 4 ) فرانسيس أور ، حضارات العصر الحجري القديم ، تر : سلطان محيسن ، ط. 2 ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، 1995 ، ص . 156 ، محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص . 82 .

( 5 ) **<u>الثورة النيوليتية</u>** : تكمن صعوبة مسألة تحديد المظاهر العامة للثورة النيوليتية في المغرب القديم كون صناعة الإنسان في هذه المنطقة تتشابه مع صناعة إنسان الشرق الأدنى القديم ، مما يعزز من فرضية الالتقاء والتواصـل الحـضاري فـي المرحلة العاترية و ذلك من حيث صقل الأدوات الحجرية وتشذيبها وإعداد رؤوس السهام والأواني الفخارية وممارسة الزراعة وتربية الحيوان حيث عرفها المجتمع النيوليتي مجتمعة ، ومارسها دفعة واحدة مما أهل هذه المرحلة لأن تكون ثورة في تاريخ

## ثالثا – المحطات الحضارية الكبرى لتجمعات إنسان ما قبل التاريخ المغاربي وخصائصها العامة خلال مرحلة ( ع.ح.ح )

تعد المظاهر الحضارية لمرحلة العصر الحجري الوسيط شبه منعدمة في بلاد المغرب القديم ، ذلك أنها كانت مرحلة انتقالية معالمها غير واضحة ببلاد المغرب القديم ، كما أنها دامت مئات السنين ، ولذلك تعتبر مرحلة قصيرة بمقياس العصور الحجرية ، تطوَّرت خلالها الصناعة الحجرية إلى صناعة شظويَّة دقيقة ومتعدِّدة الأشكال والاستعمالات .[1]

### 1 – الخصائص الحضارية العامة للعصر الحجري الحديث

استفاد الإنسان المغاربي القديم من إرث العصور الحجرية ، ولذلك فإنَّ تحديد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمرحلة النيوليتية مسألة صعبة ، لأنَّ الأدوات والمظاهر الحضارية متداخلة بين نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية العصر الحجري الحديث .

و لذلك ، فإن الانتقال كان من مرحلة (ع.ح.ق) بالتدريج إلى (ع.ح.ح ) الذي يعد آخر مراحل العصور الحجرية ، حيث امتد في بلاد المغرب القديم بين الألف السادسة ق.م إلى نهاية الألف الثانية ق.م ، وذلك في المنطقة المتوسطية .

أما في الصحراء فامتد ( ع.ح.ح ) منذ الألف السادسة ق.م وإلى غاية الألف الرابع ق.م ، حيث ازداد خلال تلك الفترة عدد السكان كثيراً ، وبناء عليه اعتبر الأثريون مجتمع (ع.ح.ح ) لا يزال فتيا .

---

الإنسانية ، لكن بعض المجتمعات في المغرب القديم لم تمارس صناعة الفخار لأسباب مناخية ، فهل نزيل عنها صفة الاندراج ضمن فترة النيوليتي ؟ خاصة وأنها اكتفت بممارسة الرعي وصناعة الأدوات والزراعة المحدودة فاختلفت بذلك عن مجتمعات الشرق الأدنى القديم التي أصبحت مجتمعات القرية الزراعية المستقرة مما أهلها للدخول في المرحلة التاريخية .

**لمزيد من المعلومات انظر :** محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص.ص. (34 –36 ) ، محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. ص . ( 107 ، 113 ) .

( 1 ) *- J . P. Bouquet – Appel , " La paléodémographie " , éd . La comité des travaux historiques et scientifiques , Paris , 2005 , P . P . ( 271 – 313 ) .*

كما تميَّز بخصائص عديدة عن المراحل السابقة ، حيث حدثت فيه تغييرات جذرية في الحياة الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم بسبب التطور الاقتصادي الذي أحرزه ، مما حذا بالباحثين إلى أن يطلقوا على هذه المرحلة الثورة النيوليتية .[1]

تعد صناعة الأواني الفخارية لتخزين الحبوب والسوائل ، واستئناس الحيوانات ورعيها من مظاهر التطور الذي حدث في الثورة النيوليتية في المغرب القديم ، أما صناعة الأدوات الحجرية فقد أصبحت على قدر كبير من الإتقان . [2] ويرجع ذلك إلى استقرار المناخ ، حيث ساد المناطق الساحلية المناخ المتوسطي ، وفي المناطق الداخلية المناخ المعتدل ، أما في المناطق الصحراوية المناخ الجاف .

**أ – <u>جغرافية المغرب القديم في مرحلة ( ع.ح.ح )</u>**

نظراً للتأثيرات المناخية على البيئة ، فقد اختلفت مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في كل منطقة جغرافية في المغرب القديم الذي قسمه علماء الأنثروبولوجيا إلى ثلاث أقسام أساسية هي :

– <u>منطقة النيوليتي المتوسطي</u>

شملت منطقة النيوليتي المتوسطي كامل الشريط الساحلي ، و كانت منطقة متأثرة بحضارات أوروبا ، وتميزت بقلَّة الأدوات الحجرية وكثرة المحزَّات والمسنَّنات وشُقَف الفخار والحلي العظمية والصدفية .

– <u>منطقة النيوليتي القفصي</u>

توزعت هذه المنطقة على كامل المناطق الداخلية إلى شمال الصحراء ، وهي منطقة متأثرة ببعض خصائص الحضارة القفصية ، وازدهرت خلال الألف الخامسة ق م .[3]

---

( 1 ) غابرييل كامبس ، العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط ( التقنيات وأنماط العيش ) ، تر : علي التومي والطيب العشاش ، ط . 1 ، دار أليف للنشر ، تونس ، 2000 ، ص. ص. ( 23 –26 ) .

( 2 ) *– J . P. Mohen et Yvette Taborin , Op . – Cit . , P . 230 .*

( 3 ) *– J . Leclant et P. Huard , La culture des chasseurs du Nil et du Sahara , T: II , éd. C.R.A.P.E. , Alger , 1979 , P . 481 .*

– منطقة النيوليتي الصحراوي

احتلت منطقة النيوليتي الصحراوي كامل الصحراء ، وامتدت في ما بين الألف السابعة إلى الألف الخامسة ق.م ، ومن أهم مظاهرها الحضارية فن الرسوم الصخرية الذي ازدهر خلال الألف السادسة ق.م .[1] *( انظر الخريطة رقم (9 ) .ص. 70 )*

أما أهم المواقع الحضارية للعصر الحجري الحديث فنذكر ما يلي : الداموس الأحمر بتبسة ، وخنقة سيدي محمد الطاهر بالأوراس ثم كلومناطة بتيارت ، وعين القطارة والرديّف بتونس ، والصخرة الكبيرة ، ودار السلطان قرب طنجة ، أما في الصحراء فمواقعه كثيرة جدا وأشهرها موقع أمكني و التاسيلي و فزّان بليبيا .[2]

## 2 – مظاهر الحياة اليومية في مرحلة ( ع.ح.ح )

ساهمت البيئة الجغرافية مساهمة أساسية في تغيّر الظروف الاجتماعية للإنسان المغاربي القديم ، فعلى سبيل المثال كان يعيش في المنطقة الساحلية خلال الألف السادس ق . م صانعاً لأدواته بتقنياتٍ متطورة ، ثم ما لبث أن اكتشف الفخار فصنع منه الأواني الفخارية وزوّدها بمقابض وفتحات وزخارف هندسية مما يسَّر له مجالات كثيرة في معيشته اليومية .[3]

### أ – مظاهر الحياة اليومية عند التجمعات النيوليتية المتوسطية

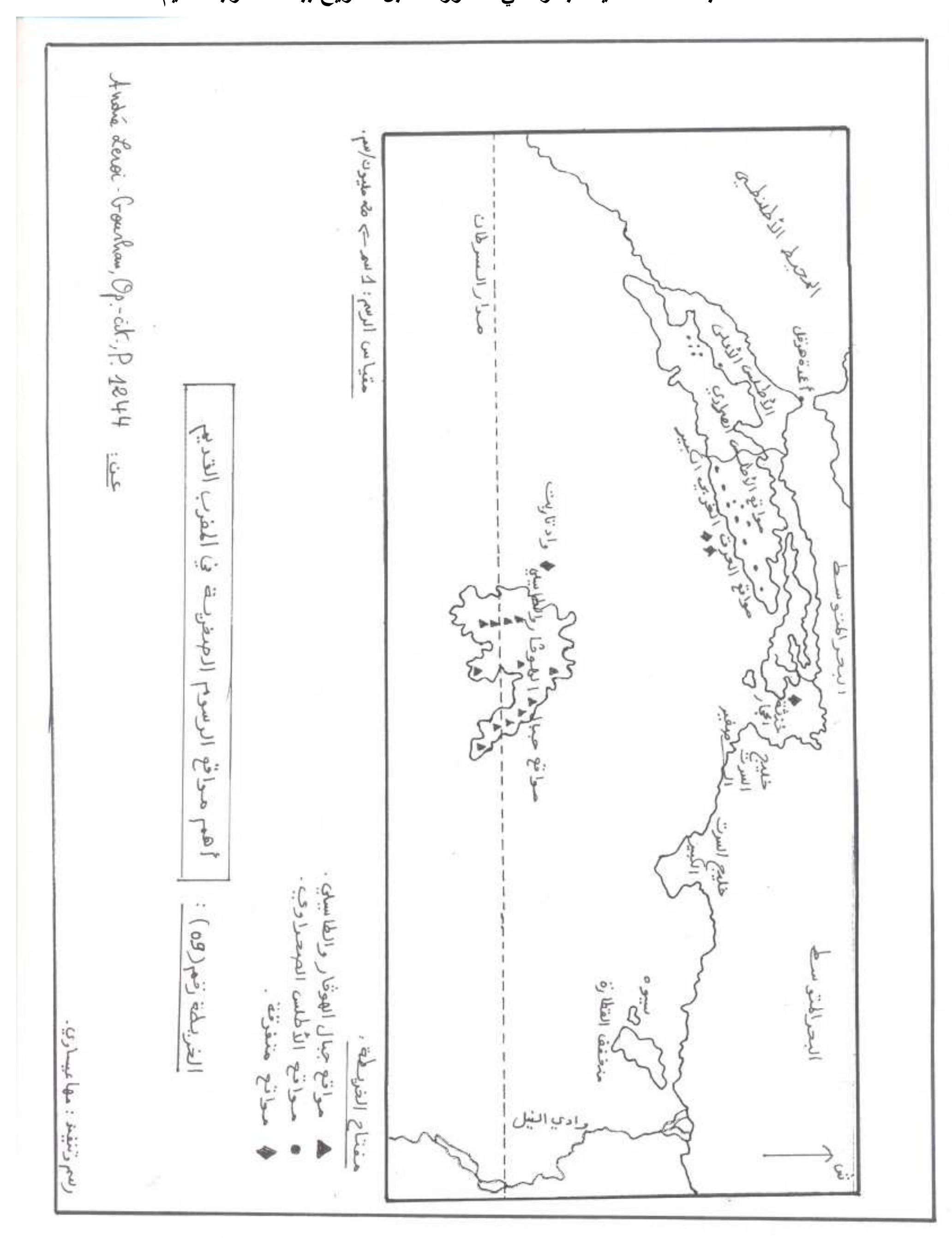
قدمت المعطيات الآثارية الحديثة الملامح الكبرى لمجتمعات النيوليتي ، فمن خلالها تم التعرف على نمط حياة سكان مغارات الجبال الكلسية في جبال المتوسط الساحلية ، مما يدل على أن المجموعات البشرية التي تنتمي إلى تلك الفترة قد تعاطت الزراعة والصناعة اللذان يمثلان مقومات المجتمع الحضري .[4]

---

( 1 ) *– J . Leclant et P. Huard , Op. – Cit. , P. 481 .*
( 2 ) محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 133 –138 ).

(3 ) *– J. P . Mohen et Yvette Taborin . Op – cit . , P . 230 .*
( 4 ) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص. 34 .
( 5 ) أندريه لوروا جورهان ، المرجع السابق ، ص . 114 .
( 6 ) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 77 –78 ) .

**التجمعات السكانية الباكرة في عصور ما قبل التاريخ ببلاد المغرب القديم**



- **في الجانب الزراعي**

تم العثور على قطع حجرية مصقولة تستعمل لطحن الحبوب ، ومن المواقع التي عثر فيها على هذه الآلات سبخة المالح غربي جرجيس الذي يعود إلى حوالي 3970 ق . م ، وموقع أم العرايس بالرديِّف الذي يعود إلى نحو 3050 ق.م .

كما مارس الإنسان المتوسطي صيد الحيوانات البرية المختلفة ، ومن عظام الحيوانات المكتشفة فإن الوسط الغابي كان يعج بالظباء و الجواميس و الأروي والغزلان والخنازير البرية ، بالإضافة إلى بنات آوى والثعالب وعنّاق الأرض ، والسلاحف ، وأسماك الأودية . [1]

أما أهم حيوان مستأنس في تلك الفترة فكان الضأن أو ما يعرف بالخروف القديم ، وقد عثر على بقاياه كاملة في أحد أهم المواقع والمعروف بكاف العقاب وهي مغارة طبيعية في جبل لحيرش غربي جندوبة ، استخرج منها عدد هام من الوثائق التي ترجع إلى زمن النيوليتي . [2]

حيث عاش الإنسان المتوسطي هناك من الصيد البري والنهري ، ومارس الزراعة في أشكالها البدائية ، إن استئناس الحيوان في هذه الفترة يعد من أهم الإنجازات في تاريخ الإنسان المغاربي القديم وإحدى ركائز تقدمه الاقتصادي باعتبار الاستئناس عملية بيئية بين الطرفين نتج عنها تأثير مباشر في المجتمع ما قبل تاريخي المغاربي ، وقد أحدث الاستئناس نظاما جديدا يقوم على إنتاج الطعام بواسطة ابتكار الأدوات فكان بذلك التطور الصناعي .[3]

- **في الجانب الصناعي**

سادت الصناعة العظمية والفخارية مقارنة بالصناعة الحجرية التي بدأت تقل بشكل ملحوظ ، فازدهرت على وجه الخصوص صناعة الإبر و المخارز أما في

---

( 1 ) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 77 –78 ) .

( 2) علي التجاني الماحي ، " استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئية والاقتصادية والثقافية " ، مجلة أدوماتو ، ع : 4 ، الرياض ، جويلية 2001 ، ص. 54 .

( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 55 .

الصناعة الحجرية فازدهرت النصال ورؤوس السهام والمحكات والمحزات والحجارة القزمية .[1]

- **في الجانب الحضاري**

كان للإنسان النيوليتي المتوسطي علاقات مع إنسان جزر البحر المتوسط ، وقد استدل على ذلك من حجارة الأوبسيديان ، إذ لا يوجد هذا النوع من الصخور السوداء الداكنة البركانية إلا في جزر ليباري قرب إيطاليا ، وهذه الاكتشافات تعتبر الدليل القاطع على امتلاك الإنسان المغاربي القديم معدات مكّنته من السيطرة على البحر وممارسة الملاحة خلال الألف الثانية ق . م . [2]

ب- **الحياة اليومية للإنسان النيوليتي القفصي**

تمكّن الباحثون والأثريون من تحديد مختلف المظاهر الحضارية للمجتمع النيوليتي القفصي ، حيث كانت التجمعات السكنية النيوليتية القفصية مجاورة للمواقع التي سادت فيها الرماديات القفصية التي تعود إلى (ع.ح.ق) الأعلى .

أما السلالة البشرية ، فكانت سلالة الإنسان العاقل القفصي الذي عرف التطوُّر في مختلف مجالات حياته ، وذلك على غرار الإنسان المتوسطي ، بدءاً من التجمعات السكنية التي تحوّلت من الرماديات إلى الكهوف ووصولاً بالصناعة الكمالية المتمثلة في العقود والحلي .[3] وفيما يلي مظاهر حياته اليومية .

- **في الجانب الزراعي**

انتقل من القطف وصيد الحيوانات المسالمة والترحال إلى حياة تعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات ثم الاستقرار، الأمر الذي مهَّد له سبل الاستقرار ، وكان ذلك منذ مرحلة العاترية ثم القفصية ، ودليل ذلك أنه تم العثور في أرضيات الكهوف

---

( 1 ) غابريال كامبس ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 20 – 23 ) .

( 2) عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط ، المرجع السابق ، ص . 78 .

( 3 ) غابريال كامبس ، العصر الحجري الحديث ... ، ص . 24 .

الساحلية والداخلية على تراتب طبقي لهذه الحضارات [1] ، مما ساعد على نشوء القرى الأولى التي توسعت في فترة الحضارات القديمة إلى مدن صغيرة .

- **في الجانب الصناعي**

صنع الإنسان القفصي أدواته الحجرية عن طريق الضغط وليس الطرق كما كان يفعل في السابق وخاصة بالنسبة للنصال ورؤوس السهام والفؤوس المصقولة ، كما عمل على تطعيم الأدوات بالحجارة البلورية والعظام الدقيقة .[2]

- **في الجانب الاجتماعي**

كانت التجمعات السكنية القفصية النيوليتية تعتمد في حماية أفرادها على الأكواخ المستديرة البسيطة ، التي شكَّلت قرى حيث كانت أرضية بعضها معطاة بحصى صغير وقطرها بين ستة إلى عشرة أمتار ، ويتوسطها وتد تشد إليه هياكل الكوخ ، إلا أن مادة هيكل الكوخ غير معروفة ، لأنها كانت من مواد قابلة للتلف بمرور الزمن . [3]

لقد اعتبرت ظاهرة الاستقرار في تلك المرحلة ظاهرة ثقافية واجتماعية أكثر منها اقتصادية ، لأن الاستقرار سبق الزراعة ، حيث ساعد ذلك على التمكن من وسائل الزراعة وأساليبها ، بدليل وجود آثار التجمعات السكنية في المغرب القديم .

- **في الجانب الفكري**

ظهرت البوادر الأولى للإنسان المغاربي القديم الفنان في مجال الرسوم الصخرية ، حيث قدمت صورة عن الحياة اليومية التي عاشها ، ومن أهم المواقع التي عثر فيها على فن الرسوم والنقوش الصخرية الأطلس الصحراوي في البيض والجلفة ، أما أكثر المواقع التي انتشرت فيها الرسوم فكان الطاسيلي بالهوقار .[4]

***( انظر الشكل رقم ( 5 ) . ص . 74 )***

---

( 1) رشيد الناضوري ، المدخل في لتحليل الموضوعي المقارن للتاريخ السياسي والحضاري في جنوب غربي آسيا و شمال أفريقيا ، ص . 152 .

( 2 ) غابريال كامبس ، البربر ، ص . 13 ، – كلود ابراهيمي ، المرجع السابق ، ص . 74 .

( 3 ) غابرييل كامبس ، العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط ( التقنيات وأنماط العيش ) ، ص . 10 .

( 4 ) عبد الرزاق قرقب وعلي مطسيمط ، المرجع السابق ، ص . 43 .

( 5 ) *– Ginette Aumassip , La recherche préhistorique en Algérie , Al – Insan , N : I , C.R.A.P.E. , P . 31 .*



الشكل رقم ( 05 ) :
المواقع الطبيعية للفن الصخري في مرتفعات الطاسيلي حيث تنتشر الرسوم الصخرية

نقلا عن : *- Serge Lancel , L' Algérie Antique , P. 23 .*

### 3 – خصائص التجمعات السكانية النيوليتية الصحراوية

اختلفت بيئة وسكان هذه المرحلة عن المرحلتين السابقتين لأن الأساس الجغرافي لبلاد المغرب القديم هي منطقة شمال أفريقيا وبالتالي فإن السلالة الأولى للإنسان المغاربي القديم هي سلالة الإنسان المتوسطي النيوليتي والإنسان القفصي النيوليتي ، أما الإنسان الصحراوي فهو ينتمي في مرحلة العصر الحجري الحديث فقط إلى الإنسان المغاربي القديم ليس بحكم السلالة العرقية إذ هو من السلالة الزنجية وإنما بحكم الرقعة الجغرافية ذات المناخ المعتدل و التي كانت تسهل عملية التواصل الحضاري وإمكانية انتقال الإنسان المتوسطي إلى أعماق الصحراء في منطقة الاقتصاد المفتوح . [1]

والتي يشير الباحثون الجيولوجيون إليها أنها كانت منطقة عالية الرطوبة و تتخللها شطوط وسبخات وبحيرات مغلقة موزعة في بعض المناطق الصحراوية التي تغذيها الوديان المنحدرة من مرتفعات الهوقار والتاسيلي والتبستي ، وقد احتلت مكانها العروق والأحواض الرملية اليوم ، لتصبح منطقة جافة وقاحلة . [2]

لقد اتجه الإنسان الصحراوي إلى التركيز على الرعي بسبب طبيعة التضاريس ، وهو أيضا نوع من الاستقرار ، وعلى الرغم من أنه لم يترك آثار قرى كثيرة مقارنة بالمشرق ومصر إلا أنَّ الكهوف والمغارات الطبيعية في المرتفعات الجبلية اعتبرت مقرات لتجمعاته السكنية ، كما أن تجمعات مخلفاته في دائرة قريبة تعزز من فرضية اعتبار المنطقة المنقب فيها آثار قرية . [3]

---

( 1 ) محمد الصغير غانم : " المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية ( المعطيات الجغرافية والمناخية ) " ، مجلة الأصالة ، عدد : 72 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1979 ، ص . 70 .

( 2) محمد الصغير غانم ، المحتوى التاريخي .... ، ص . 71 .

( 3 ) رشيد الناضوري ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ السياسي والحضاري في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ، ص . 153 .

**أ – الأسرة النيوليتية الصحراوية**

**– نشاط أفراد الأسرة**

عرفت نظام تعدد الزوجات ، وعلى الرغم من أن الدراسات الأثرية لم ترصد مواد مستخرجة من المواقع الأثرية عن أنماط السلوك الإنساني الذي لا يترك أبدا آثارا عن الممارسات الاجتماعية ، إلا أن المجتمع الرعوي أمكن تفسير بعض الجوانب التي لا مستمسكات مادية لها في إطار التنقيبات الأثرية ، فالقطيع المستأنس هو رأس مال الأسرة الذي تستثمر فيه وتحميه من الأخطار وتنتقل به ، الأمر يجعل للأبناء دورا جوهريا في حماية رأس المال وحراسته ، فالرعي كان مسؤولية تضامنية يشترك فيها الجميع ، ولذلك كان لزاماً على الأسرة أن يكون لديها أيد عاملة كثيرة وهكذا كان مجتمع العصر الحجري الحديث ، متفاعلا اقتصاديا وبيئيا .[1]

لقد شملت القطعان التي رعاها الإنسان في بلاد المغرب القديم ، الضأن الأفريقي و الماعز القديم ، والثور الإيبيري بغرض استهلاكها ، بالإضافة إلى قطعان الأرخص . *( انظر الشكل رقم ( 6 ) . ص. 77 )*

كما صنع الإنسان الصحراوي أدواته الفخارية بطريقة مختلفة ، عن طريق تقنية الحز الغائر، وليس بواسطة بتقنية الخطوط الهندسية ، و السلال الكبيرة والقدور الفخارية والمزهريات ، وأدوات تعين في الصيد النهري كالخطاف و الصنارة هذا فضلاً عن الأدوات الحجرية القزمية المتقنة .[2]

فالمظاهر الحضارية كلما اتجهنا إلى الجنوب حيث الجبال الصحراوية الوسطى والسهول المحاذية أبرزت أنماطاً مختلفة من حضارة العصر الحجري الحديث الذي شهد تبلور ملامح مجتمعه الفكرية والدينية .

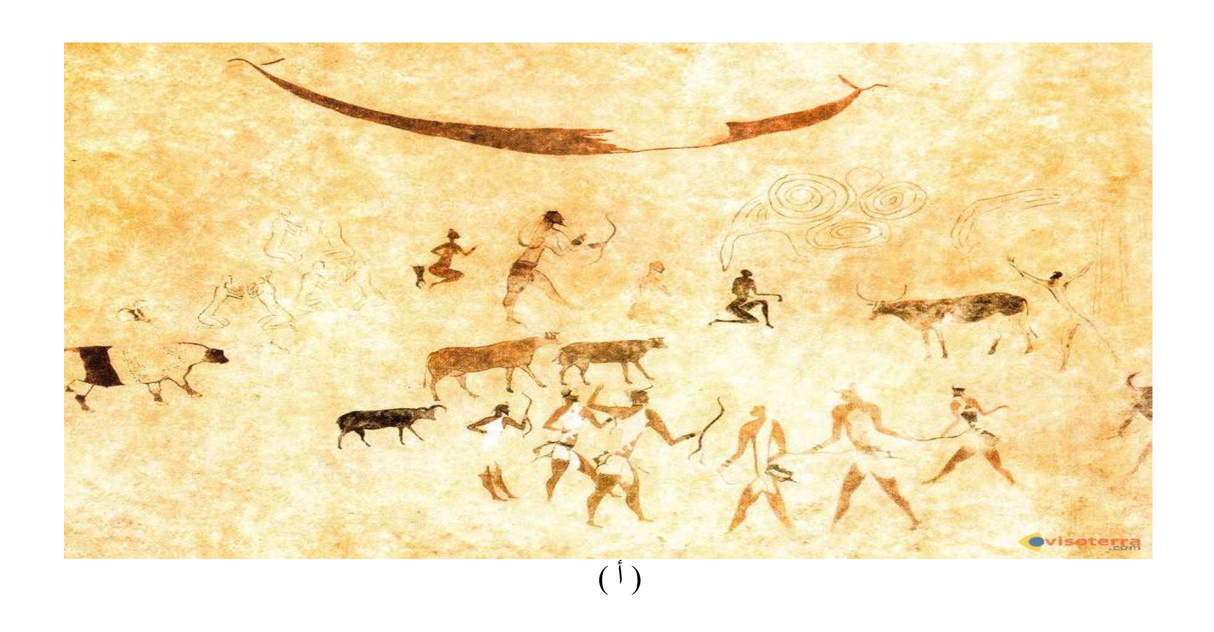
**– مظاهر الحياة الاجتماعية في الأسرة الصحراوية**

لقد رصد الباحثون الأثريون مظاهر عديدة عن الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع المغاربي القديم الصحراوي ، حيث شهدت هذه المرحلة من العصر الحجري

---

( 1) علي التجاني الماحي ، المرجع السابق ، ص . 49 .

( 2 ) محمد الصغير غانم ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم ، ص. ص. ( 149 ، 181 ) .




( أ )




( ب )

الشكل رقم ( 6 ) :

( أ ) : رسم صخري يبين صيد الأبقار بالسهام من منطقة فزان .

( ب ) : رسم صخري في الطاسيلي يبين الأعداد الهائلة للقطيع وعدد الرعاة المضطلعين بحمايته

الحديث أهم مظهر للإنتاج الفكري للإنسان المغاربي القديم ممثلا في الرسوم الصخرية ذات الأسلوب الطبيعي في التنفيذ والمضمون المتكون من صور كبيرة الحجم للإنسان القديم والحيوانات القديمة التي عكست بعض الجوانب الدينية والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها الإنسان خلال هذه المرحلة .[1]

**ب- الرسوم الصخرية ومدلولاتها التعبيرية في الجانب الاجتماعي**

تعد الرسوم الصخرية بمثابة كتابة تصويرية سابقة للفترة السابقة للتاريخ ، وقد تطوَّرت تطورا هاما خاصة في الهوقار وفزان ، إذ تمثل ذروة التعبير الفكري للإنسان الذي نفذها بتقنيَّة التنقيط والصقل على الجدران الصخرية ، حيث توصل الإنسان في مرحلة النيوليتي بعد إشباعه حاجاته المادية إلى التفكير في الجوانب المعنوية ، حيث اعتبرت الرسوم الصخرية مرآة عاكسة للطقوس التعبدية كعبادة الثور و الحيرم التي جسدت في رسومات كثيرة ، وكذلك الأمر بالنسبة للرسومات التي تمثل أقنعة المسوخ الطاردة للأرواح .[2]

حيث أشارت الرسوم الصخرية إلى جوانب عن الحياة الدينية كالطقوس التعبدية التي كان يمارسها الإنسان واللباس الذي يُرتدى أثناء الطقوس .

لقد تميز المعتقد النيوليتي عن المعتقد الباليوليتي باستيعابه لأفكار جديدة تدور حول خصوبة الأرض الزراعية وتربية القطعان فكانت أساسا للبنية النفسية للإنسان المغاربي القديم .[3]

ومن خلال مواضيع الرسوم تمكَّن الباحثون الأنثروبولوجيون من تحديد بعض الصفات الجسمانية التي كان عليها الإنسان النيوليتي الصحراوي ، فجداريات وادي أمزار أبرزت الرجل قوي البنية ذو بشرة سمراء أو زنجية ، أما المرأة فتتميز بشعرها المصفوف بدقة .[4] *( انظر الشكل رقم ( 7 ) . ص. 79 )*

---

( 1 ) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، ج . 1 ، ص . 139 .

(2 ) *– Ginette Aumassip , Trésors de l' Atlas , éd . E.N.L. , Alger , P.P. ( 15 -17 ) .*

( 3 ) فراس السواح ، دين الإنسان ، ط . 4 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2002 ، ص. ص. ( 172 – 175 ) .

( 4 ) محمد الصغير غانم ، " المحتوى التاريخي ... " ، ص . 77 .



( أ )

نقلا عن : *Serge Lancel , Op.-Cit. , P. 27.*




( ب )

**الشكل رقم ( 7 ) :**

| |
|---|
| **( أ ) : نساء من الطاسيلي من ذوات الرؤوس المستطيلة يتحلين بقلائد وأساور .** |
| **( ب ) : امرأة في رسم صخري في جبل عكاكوس بليبيا** |

**نقلا عن : www.libsc.org**

**تاريخ الزيارة :2007/07/23.**

أما عن مواضيع الرسوم الصخرية ذات العلاقة بالمجتمع الصحراوي ، فقد عنيت الرسوم الصخرية بتصوير الحيوانات المهمة في النقل والغذاء كالحصان والماعز *( انظر الشكل رقم ( 8 ) . ص . 81* ) ، وكذلك أبرزت الرسوم الصخرية بوضوح شكل المرأة الحامل ، و بعض الأعضاء من الجسم كالأيدي والأرجل ، وما يعلَّق بهم من حلي (*راجع الشكل رقم ( 7) . ص . 79 )* ، ولذلك شكلت المرأة محورا هاما في الرسوم الصخرية .

ويبدو أن الهدف غير المباشر من إبراز الأيدي في الرسوم الصخرية كان التعبير عن قدرة الأيدي على طرد الأرواح الشريرة و دفعها بعيداً .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التغيرات المناخية أثرت على واقع مجتمعات الرعي التقليدية هذه التي كانت مرتبطة وملتزمة بمجال جغرافي بيئي محدد المعالم يخدم أغراض هجرتها الموسمية . [1]

أما في الجانب الفكري ، فقد عرف الإنسان مبدأ الرمزية في التعبير ، فبعد أن كان ينقل المشاهد الطبيعية ، أصبح يدمج بين تصوير مشهد طبيعي وأعضاء من الجسد يرمز بها إلى طقوس تعبدية . [2]

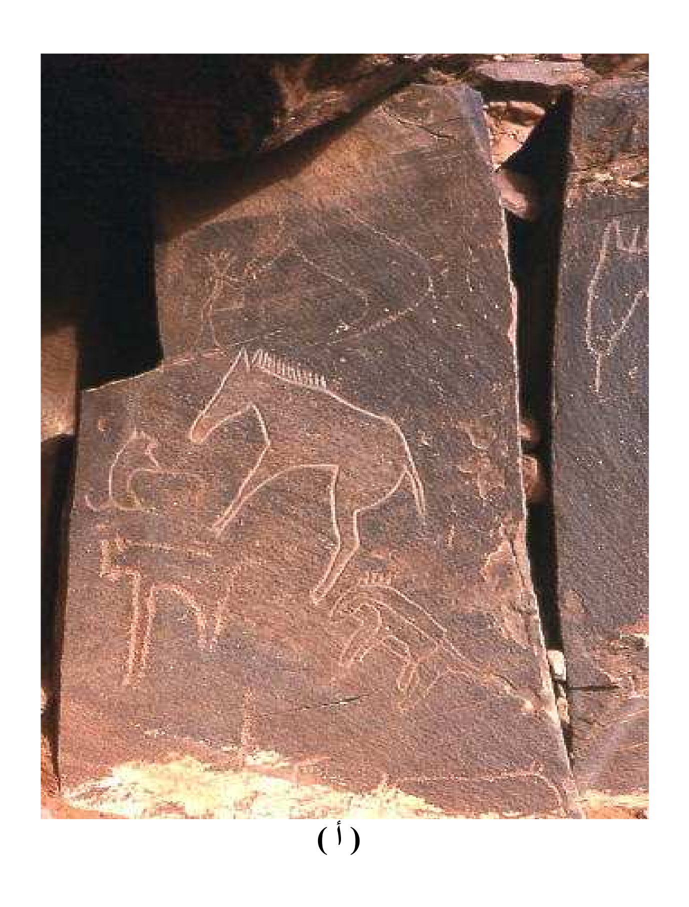
وهكذا نجحت الثورة النيوليتية تقنيا واجتماعيا واقتصاديا ، إذ استمر الإنسان في الصناعة الحجرية وإنما على درجة عالية من التطور، كما عرف الفخار، وتنوَّع إنتاجه الزراعي ، واستأنس الحيوانات ، واستقر في القرى [3] .

---

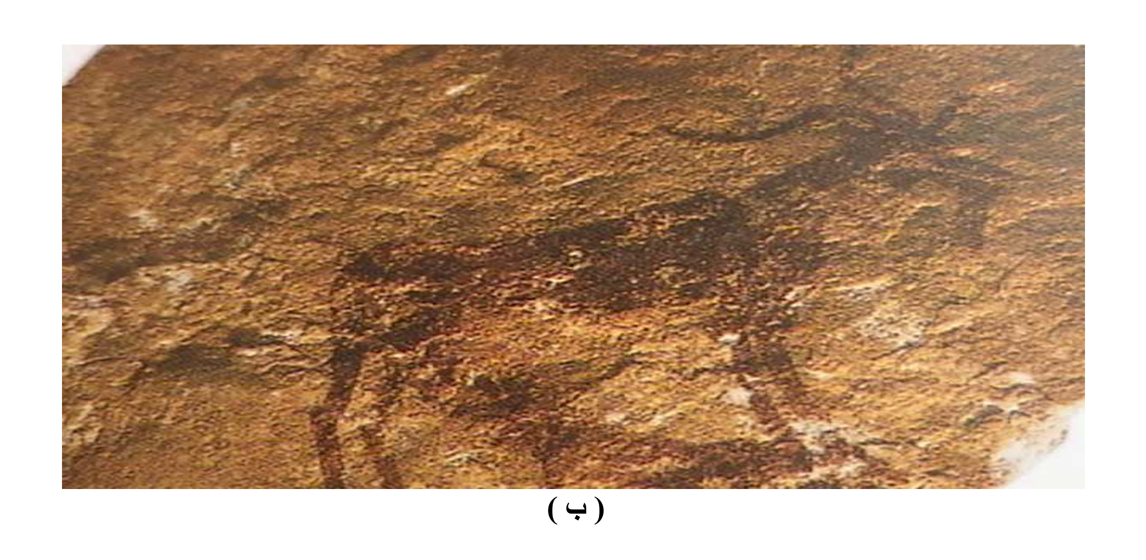
( 1) علي التجاني الماحي ، المرجع السابق ، ص . 45 .

( 2 ) محمد الصغير غانم ، مواقع وحضارات ...... ، ص . 127 .

( 3 ) محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص . 127 .



( أ )



( ب )

<u>الشكل رقم ( 8 ) :</u>

**( أ ) : رسم صخري لحصان من منطقة تيوت بعين الصفراء .**

**( ب ) : رسم صخري لعنزة واد أمقيد بمنطقة تابلبالة ترضع جديها.**

**خلاصة لما سبق** يمكن القول إنه على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي ، وإن لم يشهد المغرب القديم في مرحلة النيوليتي الممارسة الدورية للزراعة على غرار مصر والشرق الأدنى ، إلا أنه عرف انتشارها مما دعم عملية الاستقرار البشري فكان ذلك في كهوف جبال الأوراس أين مورست زراعة عشوائية أكثر منها زراعة دورية للحبوب ، وهذا ما أدى إلى تطور اجتماعي جذري وهو ظهور المجتمعات المنتجة في الفترة التاريخية .[1]

( 1 ) ديفيد فيليبسون ، علم الآثار الأفريقي ، تر : أسامة عبد الرحمن نور ، منشورات ELGA ، مالطا ، 2002 ، ص. 246 .

# الفصل الثانى

# الحضور التاريخي للمجتمع اللوبي القديم في المصادر المصرية

**أولا - اللُّوبيون في المصادر المصرية القديمة.**

**ثانياً - بنية المجتمع اللوبي القديم من خلال المصادر المصرية.**

**ثالثاً - العلاقات العسكرية للمجتمع اللوبي القديم بمصر القديمة.**

ترجع البدايات التاريخية لنشأة المجتمع اللوبي القــديم إلى صـــــورة المجتمـــع القبلي الذي يتشكل من مجموعات قبلية صغيرة تنتشر في المنطقـــة المحـــصورة بـــين غرب النيل و المحــيط الأطلسي .

تلك الصورة أوردتها المصادر المصرية القديمة حينما ذكرت المــظاهر العامة لهاته القبائل المختلفة عرقيا ولغويا عن السلالة المصرية ، فأطلقت على كل مجموعـــة منها تســمية ، وحددت طبــيعة العـــلاقة التي تربطها ببعضها وبمصر القديمة وتميز معظمها بالعدائية ، كما وصفت أفرادها من حيث أنظمة حكمهم ووضـــعية محـــاربيهم وأنشطتهم الاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية .[1]

وسنحاول هنا التعرض للقبائل اللوبية وحضورها في أهم المصادر المصرية.

## أولا – اللوبيون في المصادر المصرية القديمة

تعد النصوص المصرية أول وأهم الوثائق التاريخية التي تـــشكِّل مـــــصدراً أساسيا، يخبرنا عن الملامح العامة لقبائل بلاد المغرب القديم ، التي عرفت بتـــسميات شـــهيرة في النصوص الهيروغليفية ، ألا وهي قبائل التحنو والتمحو ثم اللّبو والمشوش [2] ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكبر المجموعات القبلية هي تلك المعروفة بقبائل اللبـــو تعد من أكبر القبائل التي امتد نفوذها حتى شمل كامل منطقة شمال أفريقيا ، و كان أول ما ورد هذا الاسم في النقوش الهيروغليفية ، و لذلك فإن اللوبيين القدماء الذين أشارت إليهم المصادر الأثرية والتاريخية المصرية لا ينحصرون فقط في منطقـــــة غـــــربي النيل وإنما يعنى بهم سكان بلاد المغرب القديم منذ الألف الثانية ق.م .[3]

---

( 1 ) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم – من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي – ،ج . 1 ، دار صادر ، بيروت ،1971 ، ص. ص. ( 49 – 50 ) .

( 2 ) لم تفصل المصادر في الأصل اللغوي ومعانيه ، كما لا نعرف سبب إطلاق المصريين هذه التسميات فهي لا تشير إلى الغرب ، وكل ما ذكر حول أصل التحنو والتمحو هي أرض الغرب ، أما اللبو أو الربو والمشوش فيبدو أنه تسمية محليـــة .

**لمزيد من المعلومات انظر :** - *Oric Bates , The Eastern Lybians ( An Essay ) , éd . Macmilan and com. Limited , London , 1914 , P .46 .D'Après le site web : www.gallica.bnf.fr , Le : 12/12/2007.*

( 3 ) فوزي فهيم جاد الله ، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت ( ليبيا في التاريخ ) ، منشورات الجامعة الليبيـــة ، بنغازي ، 1968 ، ص. ص. ( 53 – 54 ) .

## 1- اللوبيون في مصادر العهد الثيني [1] ( 3100ق.م – 2686ق.م )

إنَّ أقدم الوثائق التي تذكر اللوبيين تعود إلى مرحلة ما قبل الأسرات وبداية الأسرات هي صور منقوشة على الصلايات ، وتبرز المظاهر الجسمانية التي تميزهم عن السلالة المصرية . ومن تلك الوثائق :

### أ – صلاَّية الأسود

تحتوي صلاَّية الأسود على صور عدد من الرجال يحملون الأقواس والحراب وعصي الرماية ويزينون شعورهم بالريش ويرتدون قراب العورة ، وهذه الصفات اتخذها الباحثون الأثريون علامات مميزة للوبيين القدماء . [2]

### ب – صلاية التحنو

تعد صلاَّية التحنو من أهم الشواهد الأثرية التي عثر عليها في أبيدوس وتعرف أيضا بلوحة اللوبيين ، وتعد مصدرا ماديا قيما عن تاريخ اللوبيين ، إذ تبرز في أحد وجهيها أشجار الزيتون والثيران والحمير والأغنام التي لا تتواجد إلا في أرض التحنو غربي النيل .[3] *( انظر الشكل رقم ( 9 ) . ص . 86 )*

### ج – صلاية نعرمر

تبرز الملك نعرمر موحد القطرين منتصرا على اللوبيين ، حيث يمسك بضفيرة أسير لوبي ، كما يزينها من الأعلى الإله حورس . [4] *( انظر الشكل رقم (10) .ص. 87 )*

---

( 1) **العهد الثيني** : نسبة إلى مدينة ( ثنى ) ، ويعرف ذلك العهد أيضا بالمملكة الطينية، ولا يزال الجدال قويا بين علماء المصريات حول رسم الكلمة وإطارها الزماني ، كانت حكومتها ملكية مطلقة ، وإلهها الرسمي حورس **لمزيد من المعلومات انظر**.: سليم حسن ، مصر القديمة ، ج. 2 – في مدنيَّة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الإهناسي – ، د.ط. ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992 ، ص. 2 .

( 2 ) فوزي فهيم جاد الله ، المرجع السابق ، ص . 54 .

(3) -*Kazimir Mikalowsky , L'Art et les grandes civilisations , T : II , - L'Art de l' Ancienne Egypte - , éd . Lucien Maznod , Paris , 1977 , P . 122 .*

( 4 ) سيريل ألدريد ، الحضارة المصرية ( من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية الدولة القديمة ) ، تر : مختار السويفي ، ط . 3 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1996 ، ص.ص. ( 87 –88 ) ، - **حورس** : من آلهة السماء ، رمزه الصقر وراجت عبادته منذ عصور ما قبل التاريخ ، وقد عبد في مصر القديمة في مقاطعات شتى ثم أصبح الرمز المقدس لملك مصر العليا . **لمزيد من المعلومات انظر** : ياروسلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، ط.1 ، تر : أحمد قدري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1996 ، ص. ص. ( 18– 19 ) .

الحضور التاريخي للمجتمع اللوبي القديم في المصادر المصرية



**الشكل رقم ( 09 ) : الوجه الأمامي والخلفي لصلاَّية التِّحنو**

<u>نقلا عن</u> : -www.eternalegypy.org

<u>تاريخ الزيارة</u> : 2008/01/18.



( أ )



( ب )

الشكل رقم (10) :

( أ ) :الواجهة الأمامية والخلفية لصلاية نعرمر

( ب ) : صلاية نعرمر كما هي محفوظة في المتحف المصري.

عن الموقع الإلكتروني : -www.cairomeusem.org

**تاريخ الزيارة** : 2008/01/23.

والجدير بالذكر أنَّ تلك الوثـائق لم يكن يـصاحبها نـصوص كتابيـة هيروغليفيـة ، ولذلك تعتبر مصادر شبه صامتة تعود لمرحلة العهـد الثـيني ، فعلى سبيل المثال

نجد إشارات لهجومات قبائل التحنو التي احتلت الدلتا على مصر في عهد ملوك العهد الثيني كالملك بريب سن[1] ، ثم طردهم من طرف الملك خع سخموي [2] لكن دون أن نجد نصا يشرح ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإنَّ العلاقات بين اللوبيين والمصريين لم تكن علاقـات عسكري فقط ، إذ تذكر المصادر الأثرية أنَّ بلاد التحنو كانـت مـصدراً اقتـصاديا للمصريين منذ عهد الملك " دن " [3]حيث كان التحنو يزوِّدون المصريين بزيت الزيتون الذي لا ينمو إلا في منطقة الأطلس [4] ، لتتضح ملامح هذه القبائل لاحقا في عهد الدولة القديمة .

## 2- <u>اللوبيون في مصادر الدولة القديمة (2686ق. م – 2181ق.م)</u>

أصبحت الوثائق التاريخية أكثر تفصيلاً عن طريق مـا تـضمنته النـصوص الهيروغليفية المصاحبة للنقوش ، والتي تـشير إلـى اللـوبيين فـي كلمـة " لبـو " بالهيروغليفية ، على أنَّ أقـدم الأسماء التي عـرفوا بها ليـس فقط فـي النـصوص المصرية وإنما عبر كافة سجلات التاريخ المصرية القديمة هي كلمة " تحنو " ثم كلمة " تمحو " [5] ، و أهم تلك النصوص ما يلي :

أ – <u>نص الملك سنفرو[6] (2613 ق.م – 2589 ق.م )</u>

---

( 1 ) **<u>بريب سن</u>** : رابع ملوك الأسرة الثانية الثينية ، اسمه الإغريقي تلاس ، وفترة حكمه مجهولة في المصادر . **لمزيد من المعلومات انظر** : *-Gyu Rachet, Op.-Cit., P.XI.*

( 2 ) **<u>خعسخموي</u>** : خامس ملوك الأسرة الثانية الثينية ، اسمه الإغريقي كيريس ، حكم لمدة 21 سنة . **لمزيد من المعلومات انظر** : *-Ibid, P.XI.*

( 3 ) **<u>دن</u>** : خامس ملوك الأسرة الثينية الأولى ، يعرف كذلك باسم أوديمو ، وبالإغريقية أوزافايس ، حكم لمدة 55 سنة . **لمزيد من المعلومات انظر** : *-Ibid, P. XI.*

( 4 ) أحمد أمين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، د . ط. ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 ، ص . 39 . ؛ محمد مصطفى بازامة ، ليبيا ( هذا الاسم في جذوره التاريخية ) ، منشورات اللجنة العليـا لرعايـة الفنـون والآداب ، بنغازي ، 1963 ، ص . 22 .

( 5 ) أحمد فخري ، الأهرامات المصرية ، د.ط. ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1963 ، ص . 149 .

( 6 ) **<u>سنفرو</u>** : مؤسس الأسرة الرابعة ، عرف بهرمه الشهير في دهشور ، خاض حروبا عديدة مع التحنو . **لمزيـد مـن المعلومات انظر** : *- Guy Rachet , Op.-Cit. , P. 246 .*

ذكر في النص الهيروغليفي أن الملك سنفرو كان قد قاد حملة ضد قبائل التحنو وأسر منهم أكثر من ألف أسير.[1]

ب- نص الملك ساحورع[2] ( 2498 ق.م – 2479 ق.م )

يعد من أهم الوثائق في الدولة القديمة ، إذ أنَّ ساحورع ثاني ملوك الأسرة الخامسة كان قد دوَّن أخبار انتصاراته على جدران القاعة الكبرى في معبده الجنائزي والتي تصور بدقة أعداد الماشية التي غنمها الملك من القبائل اللوبية ، كما خلف في وادي مغارة سيناء نقوشا عن بعثة أرسلها لضرب اللوبيين الذين يهدِّدون أمن مصر[3]. *( انظر الشكل رقم ( 11 ) . ص . 92 )* .

أما قبائل التمحو ، فقد وردت الإشارة إليها في ما يأتي :

ج – نصوص حرخوف

كان حرخوف قائد القوافل المكتشِفة للجنوب والتي عثر على بقاياها في جزيرة الفيلة بأسوان جنوب مصر ، وقد ورد في نصوصه كلمتي التحنو و التمحو .

وهكذا تفيد علاقة تسمية اللوبيين بالتحنو و التمحو في مرحلة الدولة القديمة معنيين هما :

– *الأول* : صفة يقصد بها بيض البشرة أو خفيفي السمرة ، للتمييز بينهم وبين المصريين الذين تصورهم النقوش سمر البشرة .

– *الثاني* : أنهم قبائل بيض البشرة زرق العيون شقر الشعر.[4]

لقد انتشرت قبائل التمحو في منطقة غرب الصحراء الكبرى واضطرتهم عوامل الجفاف أن يرحلوا نحو الوادي ويحتكوا بالمصريين القدماء ، وقد عثر على رسومات تصويرية لهم في مقبرة الملكة " حتب حرس الثانية "[5] . وظلت تسمية " تحنو "

---

( 1 ) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 51 .

[2] **ساحورع** : ثاني ملوك الأسرة الخامسة ، يعرف في المصادر الإغريقية بسيفريس، حكم لمدة 14 سنة . **لمزيد من المعلومات انظر** : *Guy Rachet , Op.-Cit. ,P. XII.* -

( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 52 .

(3) *– Fréderic Colin , " Les Lybiens en Egypte ( Xve siècle A.C – II siècle A.C – Onomastique et Histoire", V. I , Thèse de Doctorat publiée par le site web de la Faculté de Philosophie et lettres de l'Université de Bruxelles , 1996 , P. 11 .D'après: www.tel.archives-ouvertes.fr. Le: 18/07/2007.*

( 4 ) **الملكة حتب حرس** : ابنة الملك خوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة وباني الهرم الكبير .

و" تمحو " مستخدمة في النصوص الأثرية إلى غاية قيام الدولة الحديثة .[1]

وعلى الرغم من طول فترة الدولة القديمة ، إلا أن ذكر اللوبيين كان هامشيا في المصادر لعدة اعتبارات ، لعلَّ أهمها أنَّ مصادر التاريخ اللوبي لتلك الفترة هي مصادر معادية ، كما هو الحال بالنسبة لبقية المصادر اللاحقة تاريخيا ، فالمخطوطات والنقوش المصرية تعد سجلا مهما جدا لعلاقة جزء كبير من سكان المغرب القديم ولكنه ليس سجلا كاملا يمكنه إعطاء صورة حقيقية لطبيعة تلك العلاقات لأن المصريين عندما دونوا تاريخهم حرصوا على أن يكونوا دائما هم المنتصرون في سجلات تلك الأحداث .[2]

أما الدولة الوسطى فنظرا للاضطراب السياسي والاجتماعي الذي ساد مصر ، فإنَّ الوثائق التي تتحدث عن اللوبيين خلالها قليلة ، ولعل أهمها على الإطلاق قصة سنوحي .[3]

## 3 – اللوبيون في مصادر الدولة الوسطى ( 2133 ق.م – 1786ق.م )

تعتبر قصة " سنوحي " التي تعود إلى فترة حكم الملك أمنمحات الأول ( 1991ق.م– 1962ق.م ) من الأسرة الحادية عشر قصة شعبية شهيرة من أقدم قصص المغامرات والملاحم في الأدب المصري القديم ، وتعد نصوصها أول المصادر المكتوبة التي كان للوبيين فيها دور كبير في بداية أحداثها ، إذ تذكر القصة أن ذلك الملك أرسل ابنه سنوسرت الأول [4]( 1971ق.م– 1928ق.م ) *( انظر الشكل رقم*

---

( 1 ) سمير أديب ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط . 1 ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 ، ص . 698 .

( 2) أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص . 120.

( 3) **قصة سنوحي** : هي أقدم القصص التاريخية المبنية من واقع معيش وأكثرها شعبية كما يشهد بذلك العدد الهائل من الأوستراكا ( البردية المخطوطة ) التي وصلتنا وتبدأ بسرد مفصل عن غزوات سنوسرت لبلاد لوبه ، ثم فرار سنوحي خوفا من مبعوثي البلاط الملكي مخترقا الدلتا وإنقاذ البدو له ، ثم استقراره عند الآسيويين ولما طعن في السن عاد إلى وطنه وشيد هرمه الذي سيبدأ منه حياته الثانية . **لمزيد من المعلومات انظر:** كلير لالويت ، الأدب المصري القديم ، تر: ماهر جويجاتي ، ط . 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992 ، ص.ص. ( 108– 110 ) .

( 4) **سنوسرت الأول** : من ملوك الأسرة 12 في الدولة الوسطى ، ابن أمنمحات الأول ، واسمه الإغريقي سيزوتريس ، وتذكر المصادر الهيروغليفية أنه من نسل الإله أسرت ولذلك يطلقون عليه أيضا اسم أوسرتسين أو وسرتسن ، وبذلك فله أكثر من اسم علم . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Guy Rachet ,Op.-Cit. , P. 242.*

*(11) . ص . 92 )* للإغارة على قبائل " الربو " التي أرهقت حدود مصر في عهده بغرض تأديبها وإبعادها عن نطاق النيل ، كما تذكر القصة أيضاً خبر تلك الانتصارات على قبائل التمحو على النحو الآتي :

" ... لقد بعث جلالته تحت إمرة نجله الأكبر أسرتسين جيشاً كبيراً ضد اللوبيين ، وعاد من الغزو وهو يجر وراءه أعداداً من الأسرى اللوبيين أحياء وأعداداً لا تحصى من المواشي " .[1]

ولقد أكَّدت فيما بعد المصادر الإغريقية صدق الكثير ، مما جاء في قصة سنوحي إذ يذكر المؤرخ دروزة أن ًّالمؤرخ الإغريقي ديودوروس الصقلي في مؤلفاته أن الأمير المصري الشاب المعروف باسم سيزوتريس أُرسِل إلى بلاد لوبه وأخضع من سكانها قسماً واسعاً .[2]

وباستثناء ما كتبه سنوحي وما بقي من آثار سنوسرت الأول العمرانية التي تروي بعض نصوصها أخبار الحملة ، لا نجد ذكراً للّوبين ، ولعل هذا مردُّه ما يلي :

- تحول سياسة مصر القديمة الخارجية من الدفاع إلى الهجوم .
-توجيه أبناء ملوك الدولة الوسطى لحماية مصر خارجيا وتأمينها للموارد الاقتصادية .
- الجنوح نحو الواقعية بالاكتفاء بتسجيل أحداث الانتصارات بشكل مختصر

وعلى العموم ، فهذا ما يفسر لنا ضآلة المعلومات التاريخية التي وصلتنا عن الحضور اللوبي في مصادر الدولة الوسطى ، لقد كان الملوك الذين تلوا سنوسرت قد استفادوا أيما استفادة من النفسية التي خلفتها حملته الكبرى على اللوبيين بدليل أن لا وجود لذكرهم طيلة الثلاثة قرون اللاحقة .[3]

أما أخصب مراحل الحضور اللوبي في مصادر مصر القديمة ، فكان خلال مرحلة الدولة الحديثة .

---

( 1) أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 53 – 54 ) .

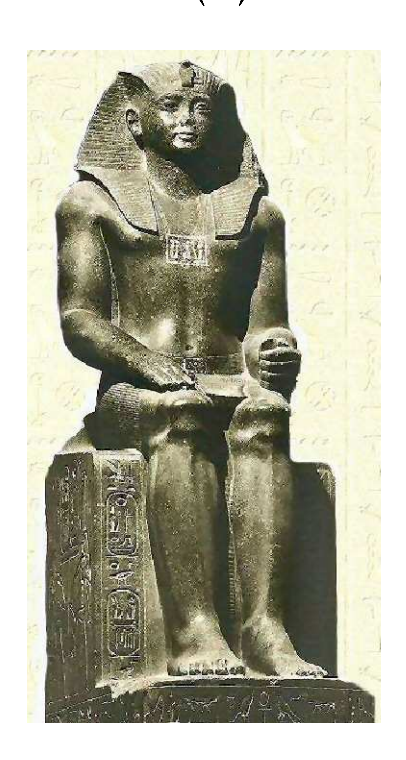
( 2 ) - *Diodore de Sicile , La bibliothèque historique , V : III , tra.par : Ferdinand Hoefer , éd. Librairie Adolphe Delahays , Paris , 1851 , P . 1 .*

( 3) محمد عزة دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ج . 2 ، د . ط. ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا- بيروت ، 1959 ، ص . 96 .

( 4 ) محمد عزة دروزة ، المرجع السابق ، ص . 97 .



( أ )



( ب )

**الشكل رقم ( 11 ) :**

( أ ) : الملك ساحورع من الدولة القديمة .

( ب ) : الملك سنوسرت الأول من الدولة الوسطى .

نقلا عن : .www.eternalegypt.org-

تاريخ الزيارة : 2008/12/03.

## 4- اللوبيون في مصادر الدولة الحديثة (1567ق.م – 1085ق.م )

من الواضح أن أكثر الوثائق التي تذكر اللوبيين تعود إلى فترة الدولة الحديثة بفضل كثرة التنقيبات التي تعود إلى تلك الفترة ، ففي عهد الملكة حتشبسوت [1] ( 1503ق.م – 1482 ق.م ) والملك تحوتمس الثالث [2] ( 1504 ق.م – 1450 ق.م ) حصلت مصر على جزية كبيرة من التحنو تتمثل في كمية من العاج ومن سبعمائة سن فيل وعدد كبير من جلود الفهود الجنوبية .

كما قام الملك سيتي الأول [3]( 1318ق.م– 1304ق.م ) بحملتين كبيرتين قادهما بنفسه ضد اللوبيين بعد الهجمات الخطيرة التي قامت بها قبائل التحنو مخترقة حدود مصر الغربية ، وتقول النقوش :

" ... وركعت بلاد التحنو على ركبتيها أمام الفرعون " ، *( انظر الشكل رقم ( 12 ) ، ص . 94 )* كما سجلت نقوش معبد الكرنك [4] ومقابر طيبة[5] أخبار هذه الانتصارات . [6] *( انظر الشكل قم (13 ) ،ص. 95)*

كذلك فإن الحروب بين الطرفين تواصلت ولكن بوجه جديد خلال عهد رعمسيس الثاني [7] (1304ق.م – 1237 ق.م ) وتتناول صد رعمسيس الثاني هجمات

---

( 1 ) **حتشبسوت** : ابنة تحوتمس الأول ، كانت وصية على تحوتمس الثالث ، كانت تلقب بالملكة الفرعون ، ولها معبد بالدير البحري . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Guy Rachet , Op.-Cit. , P. 118.*

( 2 ) **تحوتمس الثالث** : خامس ملوك الأسرة الثامنة عشر ، اهتم بالتوسعات العسكرية . **لمزيد من المعلومات انظر** : *-Ibid , P . 255.*

( 3 ) **سيتي الأول** : ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشر ، اهتم بالتوسعات في الشرق الأدنى ، وبالعمران . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Ibid , P. 244.*

( 4 ) **معبد الكرنك** : يعد من أكبر المعابد في مصر القديمة و يقع شمال الأقصر ، به معبد لآمون ويشتهر بصالة الأعمدة . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Ibid , P . 142.*

( 5 ) **طيبة** : عاصمة مصر العليا ، وأكبر مدينة في إقليم الصعيد ، بها معبد الكرنك ، ومن أسمائها حت آمون و خضعت لسلطتها المدن المجاورة . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Ibid , P. 252.*

( 6 ) عبد اللطيف أحمد البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 56 .

( 7 ) **رعمسيس الثاني** : أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر ، اشترك مع والده سيتي الأول في الحكم ، تعتبر فترة حكمه الأطول في تاريخ مصر القديمة ، إذ قدرت بنحو 67 عاماً ، خلف آثارا هائلة في جميع أنحاء مصر ومدينة أطلق عليها اسمه . **لمزيد من المعلومات انظر** : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج. 6 – عصر رعمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية– ، د. ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992 ، ص. ص. ( 198– 220 ) .



( أ )



( ب )

**الشكل رقم ( 12 ):**

( أ ) : معبد الملك سيتي الأول .

( ب ) : النقوش التي تزين إحدى الواجهات الداخلية للمعبد .

عن : .www.wikipedia.google-images.com

الحضور التاريخي للمجتمع اللوبي القديم في المصادر المصرية



( أ )




( ب )

الشكل رقم ( 13 ) : **آثار مدينة الأقصر**

( أ ) : منظر عام لمدينة طيبة .

( ب ) : مدخل مدينة الكرنك حيث يظهر طريق الكباش .

نقلا عن : -www.google-images.com

تاريخ الزيارة : 2008/12/03.

التحنو، و تعد مقدمة للغزوات الكبرى التي تلتها ، فهي أكبر أحداث التاريخ اللوبي في عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين ، والتي فصلت وقائعها جدران معبد أبي سمبل ،[1] إذ تعد نقوش ذلك المعبد [2]من أهم المصادر المادية التي تروي أخبار الانتصارات و جني الغنائم ووضعية الأسرى .*(انظر الشكلان رقم ( 14، 15 ). ص.99،98 )*

أما نقوش مسلات رعمسيس الثاني التي اكتشفت في مدينة تانيس حيث تشير إلى تطويع رعمسيس قبائل التحنو ، وتأمينه لحدود مصر الغربية بإقامة سلسلة من الحصون التي تمتد على مسافة 341 كلم من شمال مصر إلى جنوبها .

كما تعد بردية هاريس [3] *( انظر الشكل رقم ( 16 ) ، ص.100 )* من المصادر المهمة التي تروي تفاصيل هجومات قبائل اللبو على منطقة الدلتا ، وكذلك لوحات مدينة حابو بطيبة الغربية لرعمسيس الثالث ( 1198ق.م – 1166 ق.م ) والتي ذكرت هجوم قبيلة المشوش آخر الوثائق الهامة التي تتحدث عن الحضور اللوبي في مصادر الدولة الحديثة ، لكنها في الوقت نفسه ساعدت على تقديم صورة عامة عن المظاهر الحضارية للمجتمع المغاربي القديم . [4]

## ثانياً – بنية المجتمع اللوبي القديم من خلال المصادر المصرية

تُبيِّن المصادر المصرية عند تناولها للوبيين أنهم مجتمع ذي خصائص متشابهة ، فتُظهره مجتمعاً يسوده النظام القبلي كمنظومة أساسية شاملة في المكان والزمان ، حيث ينقسم إلى أربعة مجموعات قبلية كبرى هي – على الترتيب – : التِّحنو و التِّمحو و اللِّبو وكذا المشوش ، وعدَّة مجموعات قبلية صغرى أشهرها ثلاث قبائل هي : الأسبت و الهس و البقن .[5] *( انظر الخريطة رقم ( 10 ) . ص . 97 )*

---

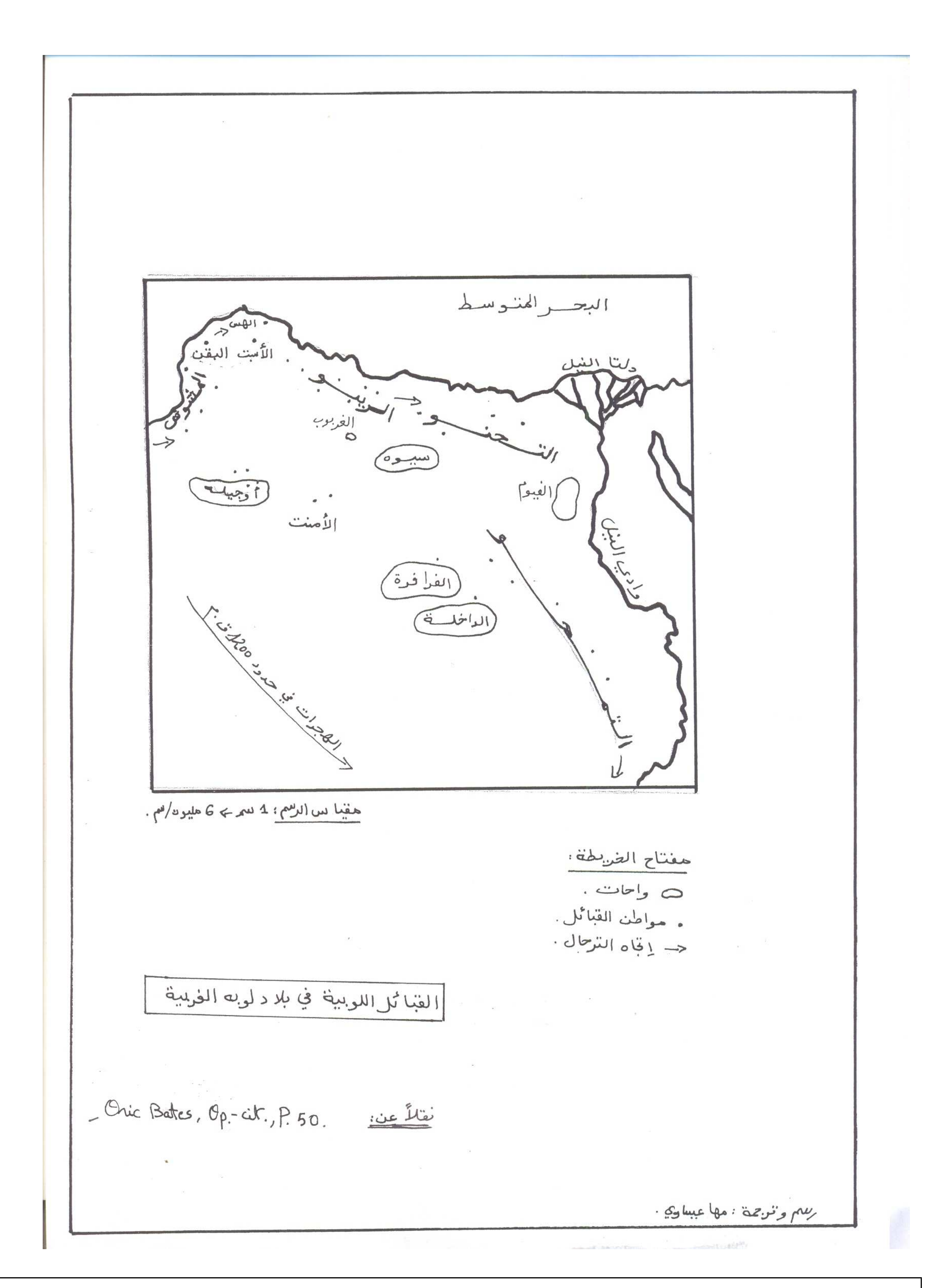
( 1 ) - *Gaballa Ali Gaballa , Le grand Temple d ' Abou Simbel , éd : Conseil Suprème des Antiquités , Le Caire , 2001 , P . 9.*

( 2 ) **معبد أبي سمبل** : يقع على بعد 280 كلم جنوب أسوان ، ويعرف بالمعبد الكبير ، كاد أن يغرق في مياه النيل فتكفلت اليونسكو بنقله عند بناء السد العالي ، وتعد أكبر عملية نقل لآثار مادية في التاريخ قدر وزنها بحوالي 15 ألف طن . **لمزيد من المعلومات انظر** : *-Ibid , P. 142.*

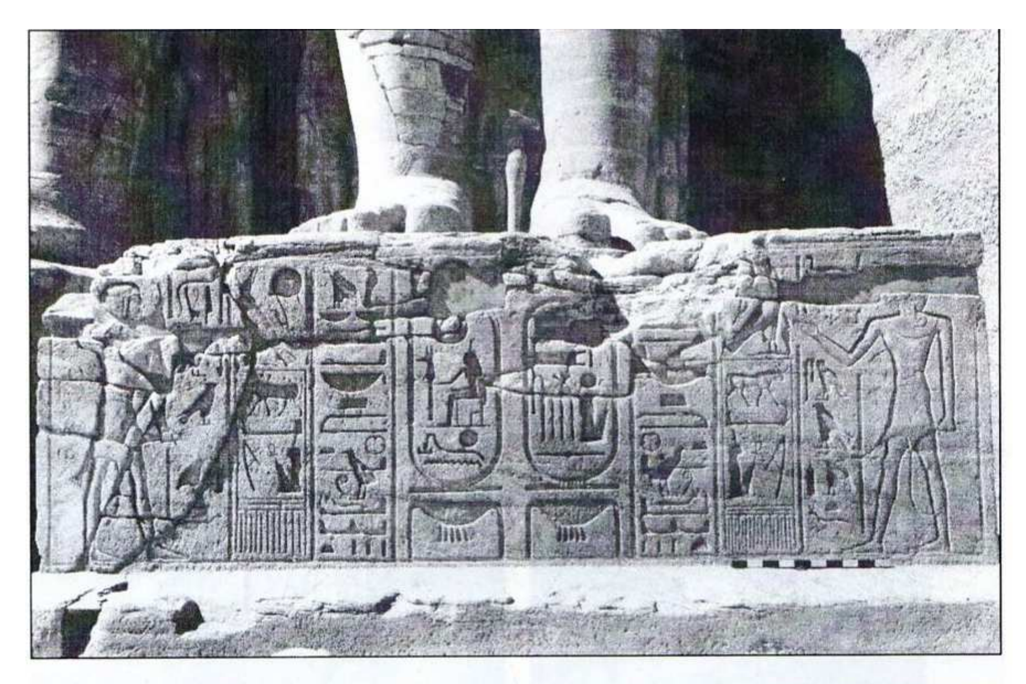
( 3 ) **بردية هاريس** : سمية كذلك نسبة لتشارلز هاريس ( 1790–1869 ) كان تاجر مصريات ، عثر على بردية رعمسيس الثالث وابتاعها منه المتحف البريطاني . **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Ibid , P. 117.*

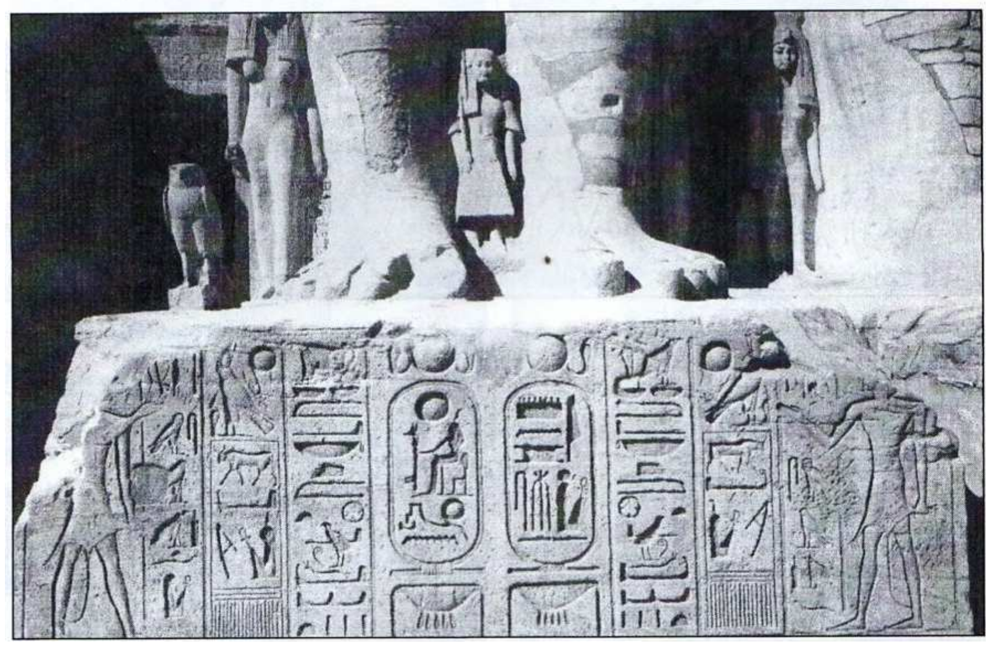
( 4 ) محمد علي عيسى ، " اللوبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة " ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، بنغازي ، 2006 ، ص . 3 ، متاح على الرابط : www.libsc.org، تاريخ الزيارة : 2006/12/12.

( 5 ) مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، ط . 1 ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1966 ، ص . 34 .



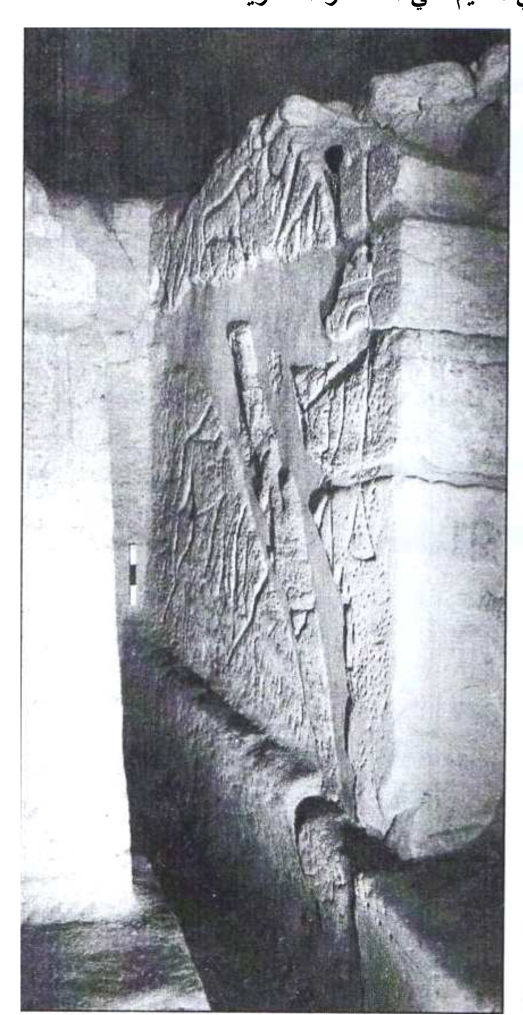

الخريطة رقم ( 10) : توزيع القبائل اللوبية في لوبه الغربية

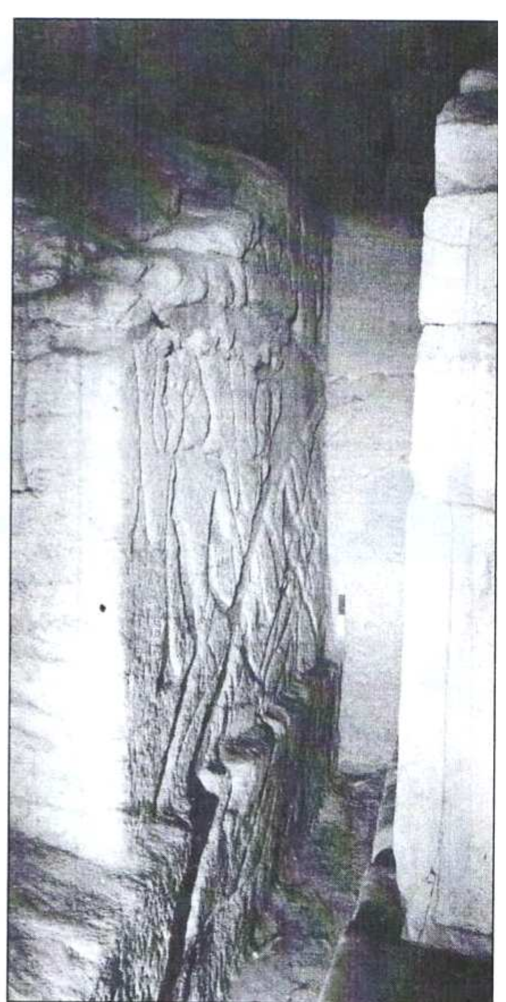




الشكل رقم ( 14) : قاعدتا تمثالي رعمسيس الثاني في واجهة معبد أبي سمبل وقد دونت فيهل فيها أخبار الانتصارات على اللوبيين

**نقلا عن** : *- G. A. Gaballah , Op.-Cit. , P. 104.*





الشكل رقم ( 15 ) :
صورة نادرة من أرشيف المجلس الأعلى للآثار المصري ، يتناول نصوص الواجهة الشمالية الداخلية في معبد أبي سمبل التي تروي أخبار اللوبيين وانتصارات رعمسيس الثاني ومرنبتاح .

نقلا عن : ***- G. A. Gaballah , Op.-Cit. , P. 105.***



**الشكل رقم ( 16 ) : الصفحة الأولى من بردية هاريس تمثل آمون وموت وخنسو آلهة طيبة ، ومعهم رعمسيس الثالث يخبرهم بما فعل من بطولات ويقدم لهم القرابين.**

نقلا عن : -www.britishmeusem.uk

تاريخ الزيارة : 2008/01/28.

كانت تلك القبائل تنتشر على الحدود الغربية لوادي النيل والتي لم يكن يفصلها عن جيرانها حدود واضحة ، اعتبرت تاريخيا النسيج الاجتماعي الباكر لسكان المغرب القديم الذي ورد في النقوش والنصوص المصرية القديمة ، وبناءً على التسلسل الزمني فإنَّ كل مجموعة قبلية قد شاع ذكرها في فترة من فترات التاريخ المصري القديم .

هكذا كان التمحو هم أول مجموعة قبلية يعود ذكرها إلى العصر الثيني ، والتمحو إلى نصوص الدولة الوسطى ، أما الليبو فإلى عهد الدولة الحديثة ، والمشوش إلى العهد الانتقالي الثالث ( 1085 ق.م – 332 ق.م ) ، حيث تتجاهل المصادر المصرية – فيما بعد – ذكر سكان بلاد المغرب القديم وتفصيل بنيتهم الاجتماعية منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد الذي يمثل نهاية حكم الملك إيويوت الثاني ( 715 ق.م) آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين اللوبية التي حكمت مصر. [1]

1- **المجموعات القبلية الكبرى الباكرة**

تركب المجتمع اللوبي القديم عبر تاريخه الطويل من القبائل التالية :

أ - **التِّحْنُو**

- **تعريف التحنو و مواطنهم**

تقع بلاد التحنو على الحدود الغربية المتاخمة للدلتا ما بين وادي النطرون والفيوم والواحات وصولاً لبرقة وينتقلون أحياناً إلى الأقاليم الجنوبية ، لمجرى النيل ، واسم التحنو لفظ عرقي وليس على أساس جغرافي ، وتتشابه الصفات الجسمانية للتحنو والمصريين ، من حيث لون البشرة الضاربة إلى السمرة والقامة الطويلة ، والشعر الأسود الغزير المسترسل ، والوجوه النحيفة . [2]

إنَّ التحنو قبائل كثيرة العدد حيث أن لوح بالرمو الذي يعود للملك سنفرو( 2613 ق.م – 2589 ق.م ) ، يذكر أن غنيمة واحدة من الحملة على التحنو أثمرت

( 1 ) محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج . 9 – المغرب القديم – ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 ، ص . 75 .

( 2 ) محمد علي سعد الله ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ( مصر وسورية القديمة ) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2005 ، ص . 90 .

11.000 أسير و13.000 رأس من الماشية ، مما يدل على الأعداد الهائلة للقطعان في المنطقة . [1]

- **الحياة اليومية عند التحنو**

ارتدى رجال ونساء التحنو لباساً واحداً مزودا بشريطين جلديين عريضين متقاطعين ، وتمنطقوا بحزامٍ مزدان بخطوط ملونة ، واتخذوا قراباً للعورة ، وزينوا شعورهم بريشةٍ أو ريشتين .

وعن موطنهم الأصلي فقد أتت جموع قبائل التحنو من بلاد تنمو فيها أشجار الزيتون بكثرة ، حيث عثر على كلمة " حاتت تحنو " أي الزيت الممتاز المجلوب من الشمال الغربي من قارة أفريقيا .[2]

وكان التحنو متدينين ، إذ صورتهم النقوش بأن رجل يزين رأسه بتميمة تشبه الصلّ المصري ، والتي ليست سوى الإلهة نيت [3].

أما الدراسات الأثرية فتشير إلى وجود أوجه تشابه عرقية عديدة بين التحنو والمصريين إلى درجة أن علماء المصريات – ومنهم سليم حسن – يعتقدون أن التحنو من أصول مصرية وإلا لما أسسوا فيها الأسرة الثانية والعشرين [4] ، حيث وفدوا بادىء الأمر خلال ( ع.ح.ح) في صورة رعاة ماشية وصيادين ، ثم ما لبثوا أن أصبحوا مزارعين – فيما بعد – .

لذلك ، يعتبر الكثير من المؤرخين أن قبائل التحنو هم الأسلاف الأُوَل للوبيين القدماء الذين سكنوا الصحراء الكبرى خلال الألف الثالثة ق.م . إلا أنه طرأ تغيير عميق في سكان بلاد المغرب القديم خلال تلك العهود القديمة وذلك بظهور مجموعة

---

( 1) محرم كمال ، تاريخ الفن المصري القديم ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1998 ، ص . 92 .

( 2 ) محمد علي عيسى ، المرجع السابق ، ص . 3 .

( 3 ) **الإلهة نيت** : أصلها من مدينة سايس ، رمزها الصل المصري ، كانت المعبود الرسمي في صان الحجر عاصمة اللوبيين . **لمزيد من المعلومات انظر :** *Ibid , P. 182.* -

( 4 ) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج. 9 – نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي – ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1952 ، ص. 82.

جديدة من بين حموع قبائل التحنو كانت مختلفة عرقيا ، أطلق عليه المصريون القدماء اسم التمحو تمييزاً لها عن التحنو . [1]

**ب – التِّـمْـحُـو**

– **تعريف التمحو ومواطنهم**

حدث تغيير في مدلول اسم التحنو بظهور سلالة جديدة من سكان المغرب القديم يطلق عليهم اسم التمحو ، وهؤلاء الأخيرين يختلفون كثيرا عن التحنو من حيث المنشأ والسلالة .

وقد كانت بلاد التمحو تمتد على طول الحدود الغربية لمصر القديمة ، كانوا قد بدؤوا تحركاتهم تجاه مصر في مرحلة العصر الوسيط الأول ( 2181ق.م – 2060 ق.م ) ، حيث صوَّرتهم النقوش بوضوح في مقبرة الملك سيتي الأول على أنهم جنس من أجناس العالم القديم المجاور للعالم المصري .[2] *( انظر الشكل رقم ( 17 ) .ص.104 )*

– الصفات المورفولوجية للتمحو

لقد كثر الحديث وتوفرت الوثائق في فترة الدولة الحديثة التي تناولت الصفات الجسمانية للتمحو، إذ كانوا أصحاب بشرة بيضاء و عيون زرقاء وشعر أشقر طويل ، ونستنتج من ذلك أن أفراد قبيلة التمحو حاملي تلك الصفات هم الذين تتمثل فيهم الثقافة اللوبية الأصلية ، وقد أتوا من شمال أفريقيا عن طريق الساحل عابرين صحراء لوبه ، وباستثناء مقبرة الملكة حتب حرس الثانية ابنة خوف التي أبرزت نقوشها بوضوح انها كانت بيضاء شقراء بارعة الجمال ، فإننا لا نجد ما يشير إلى أن علاقة مصر كانت قوية ببلاد التمحو . [3]

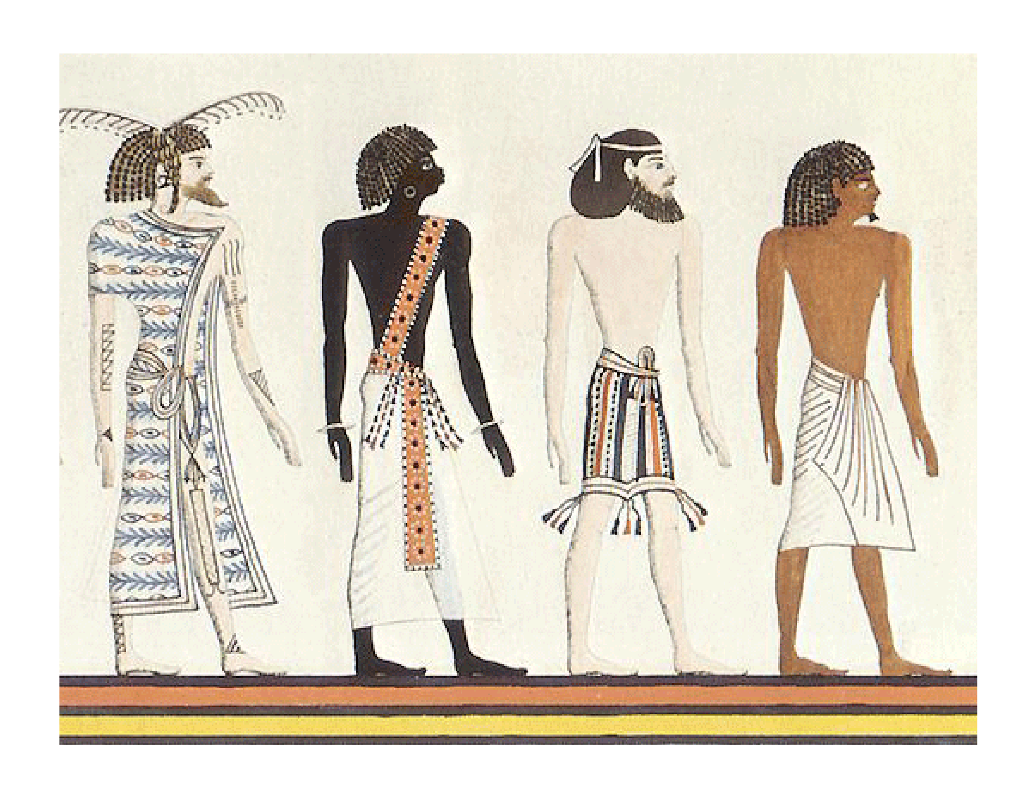
كان التمحو يهاجرون هجرات جماعية للاستقرار والتجارة في مصر كما صوَّرتهم نقوش بيبي الأول هاجروا بسبب الجفاف الذي حلَّ بالصحراء الكبرى .

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 22 – 23 ) ؛ محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص . 92 .

( 2) رمضان عبده علي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، ط . 1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2000 ، ص. 212.

( 3 ) أندريه إيمار وجانين أوبوابيه ، تاريخ الحضارات العام ، ج . 1 – الشرق واليونان القديمة – ، تر : يوسف أسعد داغر وفؤاد أبو ريحان ، ط . 2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1981 ، ص . 18 .



**الشكل رقم ( 17 ) :**

إحدى اللوحات التي تزين قبر الملك سيتي الأول ، تمثل مجموعة مختلفة عرقيا من الأسرى ، أولهم إلى اليسار قائد لوبي ، تظهر مكانته من خلال تحلِّيه بريشتي نعام .

نقلا عن: www.eternalegypt.org-
تاريخ الزيارة : 2008/02/02.

أما لباسهم فكان عباءةً واسعةً جلديةً تغطي الكتف اليمنى وجـزءاً مـن أعلـى الذراع وتزدان بالألوان ، وقد عرف التمحو الوشم على شكل صليب مستطيل وتـدل أيضا على معبودهم الرسمي الآلهة نيت التي عبدت في مدينة سايس بالدلتا .[1]

ويتحلى الرجال بمحارة بيضاوية الشكل يتخذونها تعويذة ، أما النساء فيلبسن أثوابا مزركشة ومعقودة في الوسط ويحملن أطفالهن في سلال على ظهورهن .[2]

لقد استخدم التمحو سلاح السهم والقوس وهي من الأسلحة التي عرفت في الصحراء الكبرى قبل أن تُعرف عند أهل النوبة ، كما كانت لهم الطريقة الجانبية في الدفن واتخاذ المقابر الجماعية ، وقد تعايش التمحو مع التحنو لأنهم لم يستقروا فقط في الجنوب وإنما شغلوا كل إقليم التحنو إلى حدود الشاطىء شمالاً .[3]

## 2- **المجموعات القبلية اللوبية خلال الألف الأولى ق.م**

### أ - **الليبو**

كانوا يعرفون أيضا باسم الرِّيبو ، حيث اطلق هذا الاسم على قبيلة كبيرة كانت تعيش في شمال غرب بلاد المغرب القديم ، وكانت مواطنها تقع على مسافة بعيدة عن مصر ، وأصلها من جبال الأطلس التلي ما بين غرب بلاد التمحو إلى برقة والجبل الأخضر فالواحات جنوباً ، وتنتشر إحدى عشائرها في واحة سيوة إلى جانب مجموعات قبلية صغرى كانت تعرف بالكهك و الأكبت .[4]

يظن المؤرخون أن الليبو أو الريبو هم الأجداد المباشرين للنوميديين ، وبمرور الزمن أصبح اسم الليبو علَماً يدل على كل المنطقة التي تقع غرب النيل كما أكدت ذلك المصادر الكتابية الإغريقية .[5]

---

( 1 ) سلسلة كتاب تاريخنا ، الكتاب الأول ، مطبعة دار التراث ، طرابلس ، 1977 ، ص. ص. ( 96-101) .

( 2 ) هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، تر : ميخائيل خوري ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت –نيويورك ، د.ت ، ص . 36 .

( 3 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 24 .

( 4 ) المرجع نفسه ، ص. ص. ( 24 - 25 ) .

( 5 ) شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص . 71 .

( 6 ) فوزي فهيم جاد الله ، المرجع السابق ، ص . 55 .

تجدر الإشارة إلى أن طريقة انتقال التسمية في مفهومها الواسع لتشمل كامل المغرب القديم لا تزال غامضة ، والمرجح أن الإغريق قد نقلوها عن أفراد من قبيلة الليبو ولذلك شاعت التسمية دون سواها من أسماء القبائل الأخرى منذ العصر الانتقالي الثالث بمصر القديمة . [1]

وقد قدمت مصادر مصرية كثيرة وصفا دقيقا عن حياة الليبو اليومية ، فهم لا يختلفون كثيرا في لباسهم عن التمحو، إلا بالقميص الذي يُلبس تحت العباءة الواسعة ويعلو الركبة ، كما يضعون ريشتين بدل ريشة واحدة ، كما وشموا أذرعهم وسيقانهم أيضا بصورة الإلهة نيت .

**ب – <u>المشوش</u>**

يبدو أن قبيلة المشوش هي القبيلة الأكثر ورودا في المصادر المصرية ، حيث كانوا ينتشرون بين المناطق الشمالية للصحراء الكبرى حتى قرطاجه ، ومع بداية عهد الأسرة الثامنة عشر تجمعوا حول حدود مصر الغربية طلباً للإقامة الدائمة حول الدلتا ، وقد اشتركوا مع شعوب البحر في الهجوم على مصر .

وقد أظهرت النقوش صفاتهم الإثنية وهو من ذوي البشرة البيضاء كالتمحو والليبو ، ارتدوا الأشرطة المتقاطعة الجلدية على الصدر وقراب العورة . وتحلوا بذيل الحيوان ، كما انفردوا بالمعطف الطويل لباسا رئيسيا لهم مما يعزز أنهم أتوا من مناطق باردة على غرار السومريين في وادي الرافدين ، وكانوا غير مختتين ، وقد تأثروا بثقافة شعوب البحر ، حيث حاربوا إلى جانبهم ، واستخدموا من الأسلحة السيوف الطويلة . [2]

وقد اتفق معظم الأثريين والمؤرخين ومنهم أوريك بيتس [3] على فرضية مفادها أنَّ المشوش هم من قبائل شمال أفريقيا ، وقد وصلوا إلى مصر سالكين طريقاً ساحليةً من الغرب إلى الشرق ، وحينما لم يستطع المشوش الدخول إلى مصر باستخدام القوة

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 26 . – **<u>العصر الانتقالي الثالث</u>** : يعرف أيضا بالعصر الوسيط الثالث ( 1085ق.م – 730ق.م ) ، اشتمل على حكم ملوك الأسرة الواحدة والعشرين إلى غاية الأسرة الثالثة والعشرين ، و يطلق عليه بعض المؤرخين بعصر الانحطاط أو عصر الحكم الأجنبي . **لمزيدٍ من المعلومات انظر** : *Guy Rachet , Op.-Cit., P .XVI..* -

( 2) عبد اللطيف أحمد البرغوثي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 69 – 72 ).

( 3 ) *Oric Bates , Op.-Cit. , P. 44.*–

لجأوا إلى طريقة التسلل السلمي ، حيث انضم الكثير منهم إلى الجيش المصري جنــداً مأجورين ، إلا أن قلة الحروب بعد عهد رعمسيس الثالث ، وقلة الأموال في خــزائن مصر ، جعلت المرتزقة لا يتقاضون أجورهم ، فاضطرت بذلك مــصر إلــى مــنحهم إقطاعات أرضية دائمة لهم نظير خدماتهم العسكرية ، ونتيجة ازدياد عــدد المــشوش منحت هذه الأراضي للمجموعات المتواجدة في أقاليم مــصر الوســطى والــسفلى ، كأهناسيا التي التي لا تبعد كثيرا عن الفيوم ، والتي ظهر منهــا " شيــشنق " مؤســس الأسرة الثانية والعشرين اللوبية في مصر القديمة– كما سيرد ذكره لاحقاً – .[1] فكيف صوَّرت المصادر المصرية العلاقات بين اللوبيين والمصريين ؟

## ثالثاً – العلاقات العسكرية للمجتمع اللوبي القديم بمصر القديمة

كان المجتمع اللوبي القديم ممثلا خلال الدولة الحديثة في مصر بالقبائل اللوبية التي كانت على جوار جغرافي دائم مع مصر ، ولذلك فقد اكتست العلاقة بين المجتمع اللوبي ومصر القديمة أرضاً وشعباً وملكاً طابع العدائية المبني على خلفيــة الغــزوات المتكررة التي شنتها المجموعات القبلية على أرض مصر .

إن الدارس لسير هذه الغزوات التي لم ييأس أصحابها طوال آلاف السنين مــن شنها باستمرار يجد أن سببها مردُّه اعتبار مصر الملاذ المناسب للاستقرار، فباســتثناء التحنو الذين كانوا يعتبرون جزءا من السلالة المصرية التي انشقت وهاجرت وعنــدما أرادت العودة إلى أراضيها قوبلت بالرفض والمتابعة [2].

لقد قدم التمحو والليبو والمشوش من عمق المغرب القديم بحثــاً عــن منــاطق خصبة للاستيطان بعد الجفاف الذي لحق بالصحراء الكبرى ، ولم تنجح أي مــن هــذه القبائل في تحقيق هدفها بالاعتماد على قوتها العسكرية وإنما نجحت بفــضل الــسياسة السلمية التي انتهجها شيشنق .

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 42 – 46 ) ؛ سليم حسن ، مصر القديمة ، ج. 9 ، ص. 180 ؛ –*Oric Bates , Op.-Cit. , P .46*.

( 2 ) مصطفى كمال عبد العليم ، ص . ص. ( 25 – 28 ) .

لعل تلك الفرضيات هي ضرب من المقاربات التاريخية التي حيكت بناء على الصورة التي أرادتها النقوش الأثرية لإخفاء الإخفاق العسكري المصري وقتذاك.

ومهما يكن ، فإن مسألة الحروب اللوبية المصرية كان سببها الصراع على الأرض بغرض الاستقرار الدائم طمعا في تحقيق الاستقرار على المدى البعيد ، وليس بغرض النهب الاقتصادي المرحلي الذي تحققه عملية الاحتلال .

ولإبراز تلك العلاقة العدائية الحربية ، من المفيد التعرض إلى أخطر الحملات والغزوات التي قادها زعماء قبائل المجتمع اللوبي على مصر القديمة ، والتي اكتملت ملامحها في عهد الدولة الحديثة وخاصة خلال عهد أسرة الرعامسة *( انظر الشكل رقم ( 18 ) . ص . 109 )*، وإبراز الملامح الحضارية للمجتمع اللوبي القديم من خلال المصادر المصرية التي تتناول الحروب اللوبية .

## 1- الغزوة اللوبية على مصر ( غزوة مريي بن دد 1727 ق.م )

وقعت أحداثها خلال السنة الخامسة لحكم مرنبتاح [1] ( 1236 ق.م –1223 ق.م ) ، وقد وردت تفاصيلها متشابهة في أربعة مصادر هي نقوش الكرنك وعمود القاهرة ولوحة إسرائيل *( انظر الشكل رقم ( 19 ) . ص. 110 )* وأنشودة النصر .

لقد اعتبرت غزوة مريي بن دد أخطر اجتياح تعرضت له مصر في تاريخها القديم ، وسببها اكتساح اللوبيين بقيادة مريي بن دد للأراضي المصرية وصولا إلى إقليم التحنو .

إن تلك الغزوة قد حملت إشارات كثيرة حول المجتمع اللوبي القديم ، فهو ذلك المجتمع الذي يؤمن بالهجرة الجماعية بدليل أن زعيم الليبو اصطحب معه أفراد شعبه ، واعدا إياهم بالإقامة الدائمة معه في الدلتا ، والذي قُدِّرَ عدده بحوالي خمس وعشرين ألف لوبي ، أقام أولئك القوم قرب وادي النطرون شمال غربي منف ، حيث دار رحى

---

( 1 ) **مرنبتاح** : ابن رعمسيس الثاني ، وآخر ملوك الرعامسة الأقوياء في الأسرة التاسعة عشر ، اشتهر بصراعه مع اللوبيين . **لمزيد من المعلومات انظر :** - *Guy Rachet , Op.-Cit. , P. 166.*



( أ ) ( ب )

( ج ) ( د )

الشكل رقم ( 18 ) : أسرة الرعامسة من الدولة الحديثة

( أ ) : المـــلك ســـيتـــي الأول .

( ب ) : الملك رعمسيس الثاني .

( ج ) : الملـــك مـــرنـــبـــتاح .

( د ) : الملك رعمسيس الثالث .

نقلا عن : www.google_images.com-تاريخ الرفع : 2008/12/12.



الشكل رقم ( 19 ) :
لوحة انتصارات الملك مرنبتاح المعروفة بلوحة إسرائيل أو لوحة اثريب.

نقلا عن : www.eternalegypt.org-

تاريخ الزيارة : 2008/12/02.

المعركة بين رئيس القبيلة مريي بن دد و الملك مرنبتاح .[1]

كانت قبيلة الليبو تعتبر الحرب وسيلتها الدفاعية في الحيـــاة ، وخـــسارتها فـــي المعركة حدَّدت السلطة الحاكمة الجديدة ، فمريي بن دد كغيره من زعماء القبائل فـــي بلاد المغرب القديم كانت سلطته متوقفة على نجاحه العسكري وفشله ، أدى إلى انقلاب رجاله وتعيينهم لأخيه بدلا منه وذلك لإدارة شؤون القبيلة ، وقد رويت نهاية حكمه في النص الآتي الذي دوَّنه قائد قلعة الحدود الغربية :

" ... مريي المنهزم مرَّ من هنا ، تحت جنح الظلام ... ولكنـــه إن عـــاش لـــن يتمكن من تولي القيادة من جديد ، لأنه أصبح عدواً لجنده فقد ولّوا أحد إخوتـــه وهـــذا الأمير سيحارب مريي حينما تقع عليه عيناه ..." . [2]

## 2- الحرب اللوبية الأولى سنة 1194 ق.م

عرفت الحرب اللوبية الأولى بغزوة الليبو ، وقد وقعت خلال الـــسنة الخامـــسة لحكم رعمسيس الثالث ( 1198 ق.م – 1166 ق.م ) ، وقـــد وردت تفاصـــيلها فـــي جدران المعبد الكبير لمدينة حابو بطيبة الغربية . *( انظر الشكل رقم (20 ) . ص. 112 )*

لقد غلب عليها الطابع البطولي في ما يتعلق بالانتـــصار المـــصري و الطـــابع الأسطوري فيما يتعلق بحجم الغنائم ، ولذلك عمد الملوك إلى تدوين انتصاراتهم علـــى جدران المعابد . *( انظر الشكل رقم ( 21 ) .ص . 113).*

ويمكن أن يستنتج من تلك الحرب أنَّ قبائل الليبو والمشوش والسبد قد توصلت إلى عقد اتحاد كونفدرالي فيما بينها لغزو مصر بهدف الاستيطان في إقليم دلتا النيـــل ، وكان ذلك بسبب محاولة رعمسيس الثالث فرض انتصاره على الليبو ، ودارت رحـــى المعركة قرب منطقة أبي قير ، وكانت الغلبة للمصريين ، وأسفرت عن اثنتـــي عـــشر ألف قتيل في صفوف المتحالفين .[3]

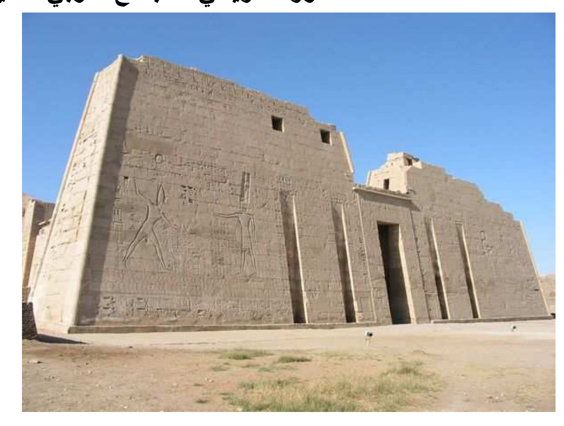
---

( 1 ) آلن شورتو ، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب،القـــاهرة ، 1997،ص.22.

( 2 ) - *Alexandre Moret , Histoire de la civilisation Egyptienne , Tome : II – l ' Egypte Pharaonoque - , Librairie Plon , Paris , 1908 , P . 361 .*

( 3 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص. 30 .

الحضور التاريخي للمجتمع اللوبي القديم في المصادر المصرية



(أ ) : واجهة معبد رعمسيس الثالث بمدينة حابو.



( ب ): نقوش على معبد مدينة حابو لرعمسيس الثالث



( ج ) : واجهة المعبد الجنزي لرعمسيس الثالث



( د) : الواجهة الشرقية لمدينة حابو بطيبة الغربية

الشكل رقم ( 20 ) : آثار مدينة حابو



**( جــ ) : واجهة معبد حورس في أدفو**



**(د): واجهة معبد أبي سمبل**

الشكل رقم( 21 ) : واجهات بعض المعابد المصرية التي ذكر اللوبيون على جدرانها

**نقلا عن** : **-www.google-images.com**

**تاريخ الزيارة** : **2008/11/29.**

لقد وصل الليبو والمشوش إلى درجة كبيرة من التنظيم في استعداداتهم العسكرية لمواجهة القوة المصرية ، و قد عكستها النقوش في الإحصاءات الهائلة لمقدار الغنائم والضحايا التي أشارت بصورة غير مباشرة إلى تنظيم عسكري واجتماعي محكم ، يرمي إلى القضاء على أكبر قوة حضارية في تلك الفترة ، كما أن اصطحاب النساء والأطفال كان بحد ذاته مسألة مخيفة للبيت المصري الحاكم وبالتالي ضرورة إبعاد تلك القبائل جيشاً وشعباً ، ولأن الهدف الأساسي لم يتحقق للمصريين وهو إبعاد الشعب اللوبي فقد تجددت الحرب مرة أخرى بعد ست سنوات .[1]

**3 – <u>الحرب اللوبية الثانية سنة 1188 ق.م</u>**

عرفت الحرب اللوبية الثانية بغزوة المشوش ، حيث وقعت خلال السنة الحادية عشر لحكم رعمسيس الثالث .

لقد وردت تفاصيلها في الجدار الشرقي للردهة الثانية لمعبد حابو الكبير ، وهي استمرار للحرب اللوبية الأولى ، ولكن لم تكن هناك استفادة من الأخطاء المرتكبة في المرة الأولى من طرف الاتحاد القبلي الذي تدعم في هذه المرة بمؤازرة قبائل صغيرة أخرى هي الأكبت والشاي والهس والككش والبقن ، وانتصر فيها المصريون أيضا ، وذكر أحد النصوص :

" ... أبيدت أرض المشوش دفعة واحدة ، أما الليبو والسبد فقد أهلكوا ... وقد أتى كبر والد مششر زعيم المشوش يرجو الصلح ، إلا أنه سيق حيث ذبح وأسر رجال جيشه ... " . وقد غنموا 1494 شاباً وولداً ، و2052 امرأة وفتاة أسرى ، وقتل من الرجال 2175 .[2]

لقد أثبتت هذه الهزيمة بوضوح طبيعة العلاقات العدائية بين الطرفين اللوبي والمصري، وكذا الضعف العسكري لقبائل المغرب القديم أمام القوة العسكرية والحضارية لمصر، ولاستحالة النصر على المصريين .

---

( 1 ) رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص . 224 .

( 2 ) محمد عزة دروزة ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 193 – 195 ) .

ونظرا للاندماج القسري الذي فُرِضَ على الأسرى اللوبيين إثر انتهاء المعركة، حدث تغيير جذري في تقبل اللوبيين لفكرة الاستيطان عن طريق المهادنة واللين ، إلى أن تمكنوا من ذلك بعد ثلاثة أجيال فبسطوا نفوذهم السياسي على مصر مؤسسين الأسرة الثانية والعشرين اللوبية على يد شيشنق .

والجدير بالذكر، أنه لم يفرد المصريون في نقوشهم للشعوب المجاورة أي نصيب من تاريخهم كما فعلوا بالنسبة للوبيين .

## رابعاً- المظاهر الحضارية للمجتمع اللوبي القديم من خلال المصادر المصرية

ساعدت النصوص المصرية على دراسة المظاهر الحضارية للوبيين ، إذ قدمت صورة بسيطة وواضحة عن حياتهم الاقتصادية والاجتماعية في إطار الحديث عن الانتصارات الحربية للملوك الفراعنة .

### 1 - الحياة الاقتصادية

#### أ - في المجال الزراعي

أمدتنا المصادر المادية المصرية لمرحلة ما قبل الأسرات التي تعود إلى فترة فجر التاريخ بلوحة أطلق عليها اسم لوحة " الحصون والغنائم " وهي لوحة تمثل سبعة قلاع ، يظن أنها ترمز لمدن لوبية تابعة للتحنو ، وعلى الوجه الثاني للوحة تبدو أشجار الزيتون ، وهكذا عرف اللوبيون أصول الزراعة وقواعدها منذ تلك الفترة منذ مرحلة الدولة القديمة ، حيث عثر الأثريون على جرّات بها بقايا من زيت مستخرج من أشجار الزيتون التي تنمو بأرض التحنو ، ويعرف بحاتت تحنو .[1]

ومن أقدم الإشارات الأثرية لذلك أيضا ما ورد في أنشودة النصر التي أشادت بانتصارات مرنبتاح على النحو الآتي :

---

( 1 ) أم الخير عقون ، " مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة " ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، ع : 7 ، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي ، يناير 2006 ، ص . 7 .

" ... لقد أصبح أهل لوبة لا يعيشون بحالتهم الطبيعية ، يمرحون في الحقول ، ولم يعد فوق أرض الليبو أي حقل صالح ليكفي إعالة السكان ... لأن كل مؤن رئيس الليبو من القمح كانت قد نفدت ... " . [1]

كما مارس اللوبيون أيضا رعي المواشي الضخمة كالبقر والثيران والخيل والحمير ، والماشية الصغيرة كالأغنام والماعز ، ويستدل على استئناسهم للماشية بأعداد هائلة قدرتهم على قيادة القطعان الضخمة والتي صوِّرت منذ مرحلة فجر التاريخ في الرسوم الصخرية بالطاسيلي .

كان الملك المصري يغنم في كل غزوة من اللوبيين آلاف الرؤوس من الماشية ، إلا أن هذا لم يمنعه من ممارسة صيد الحيوانات المتوحشة كالنمور والفيلة والنعام التي كانت تزخر بها أرض الليبو ، حيث ازداد الطلب على استخدام العاج و قشر وريش بيض النعام في عهد الدولة الحديثة زيادة كبيرة . [2]

وقد بالغ الكاتب المصري القديم في تسجيل نتائج الغنائم التي يجنيها الملك سواء في الدولة القديمة أو الوسطى أو الحديثة في مجال الاقتصاد الزراعي والرعوي ، فعلى سبيل المثال قدرت غنائم الملك سحورع من الأسرة الخامسة من التحنو 12344 بقرة و 22340 حمارا و 232413 رأسا من الماعز و 243688 رأسا من الأغنام .

إن الملاحظة المبدئية تبدي مبالغةً في تعداد قطعان الماشية التي غنمها المصريون من التحنو ، ومن الممكن الأخذ بذلك الرأي إذا ما عدنا إلى الرسوم الصخرية التي بينت الأعداد الهائلة للقطعان ، إلا أن تعداد الغنائم أخذ يجنح نحو الواقعية بعد أكثر من ألف سنة ، فخلال الدولة الحديثة سجل أن رعمسيس الثالث قد استولى على 107 ثور و 9452 رأسا من الماعز و 184 حمارا و 92 زوجا من الخيول التي تجر 92 عربة . [3]

وهذا يدل على أن بلاد المغرب القديم كان ذا ثروة كبيرة لم تكن لتنضب بسهولة مما جعله مطمعاً للمصريين آنذاك .

---

( 1 ) محرم كمال ، تاريخ الفن المصري القديم ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1998 ، ص . 174 .
( 2 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 37 .
( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 38.
( 4 ) أم الخير عقون ، المرجع السابق ، ص . 6 .

**ب – <u>في المجالين الصناعي و التجاري</u>**

في الجانب الصناعي كانت صناعات القبائل اللوبية خفيفة وبسيطة تتمثل في دباغة الجلود التي كانت تستخدم في الحياة اليومية ، وكذا صناعة الأدوات الفخارية البسيطة .[1]

أما في الجانب التجاري ، فتبرز المصادر المصرية بوضوح طبيعة الواردات المصرية، حيث أوضحت أن المسؤول الوحيد عن جلبها إنما تلك القبائل اللوبية التي كانت على دراية كافية بطرق القوافل التجارية .

وهكذا ، تحكمت بعض القبائل اللوبية بمصير تلك القوافل التي كانت تمر بالصحراء ، فامتهنت التجارة عن طريق القيام بدور الوسيط الذي يتكفل بنقل الخيرات بين كل من شمال أفريقيا ووسطها .

وعلى سبيل المثال ، كانت التبادلات تتم بين قبائل أفريقيا السوداء القادمة إلى الدلتا محملة بالبضائع النفيسة كالذهب ، فيتلقفها المصريون ، تماما كما ذكرت نصوص الدير البحري أن الملكة حتشبسوت كانت قد استقبلت حمولات من أكياس التبر و العاج والأبنوس وجلد النمور والبخور.[2]

و هكذا تصوِّر النقوش المصرية القبائل اللوبية في أحد الجوانب الاقتصادية الهامة ، فهي قوافل يحرسها أصحابها من اللوبيين قادمة من الجنوب باتجاه الشمال ، وهذا ما يدل على أن اللوبيين عملوا في نقل بعض المواد التجارية كحجر التِّمْحَى وهو من الأحجار الكريمة ، وتبادل السلع مع غيرهم من الشعوب القديمة . [3]

---

( 1) عبد اللطيف أحمد البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 61 .

( 2 ) أم الخير عقون ، المرجع السابق ، ص . 8 .

( 3 ) محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص . 92 .

## 2- المنظومة الاجتماعية

### أ- مجتمع القبيلة ومجتمع الأسرة

كان هناك مجتمع قبلي لوبي منذ الألف الثانية ق.م ، عرف النظام الأسري نواة أساسية له ، فنقوش الكرنك في عهد مرنبتاح ذكرت أن مريي بن دد أمير الليبو صحب زوجته وستة من أولاده إلى الدلتا .

في نصوص رعمسيس الثالث أن كبر بن دد أحضر معه زوجته وأسرته وابنه . ولذلك ، فإن الزواج كان الصورة الرسمية للعلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع القبيلة ، وأن الزوجة الأولى هي زعيمة نساء القبيلة وهي السيدة ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة بينهن .[1]

### ب – وراثة الحكم و خصائصه

كان لكل قبيلة زعيم من أفراد الأسرة ممن يتمتع بالقوة والرجاحة ، وهكذا كانت تحتفظ أسرة واحدة زعامة القبيلة بين أبنائها ، ولم يكن يعني ذلك انفراد أحد الأبناء لمجرد أنه من نسل الأسرة المحتكرة للزعامة ، فقد كان كان بالإمكان أن ينحَّى من الزعامة إذا ثبتت عدم كفاءته ، والدليل على ذلك أنَّ مريي بن دد ولِّيَ أخوه مكانه ، وكان له عرش خاص به يجلس عليه ، ومجلس استشاري يتكون من عشرة أعضاء من علية القوم يديرون شؤونها ، وأنه قد عزل عندما خسر المعركة مع المصريين .

وتتباين المراكز الاجتماعية عند الرجال اللوبيين بعدد الرِيَش التي يضعونها على رؤوسهم ، فأكبرهم يضع ريشة واحدة ، والآخرون يضعون ريشتين حيث تعتبر من علامات الرئاسة والنبالة وسقوطها علامة للعار والفشل ، وقد استدل على ذلك من خلال نصوص الملك رعمسيس الثالث .[2]

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 38 .

( 2) المرجع نفسه ، ص . ص . ( 40 – 41 ) .

## 3 – الخصائص الاجتماعية

### أ– المرأة اللوبية

كان للمرأة اللوبية دور بارز في المجتمع القبلي اللوبي ، حيث كانت زوجة وأما ، وقد ساعدت الرجل خلال الحرب من خلال إسعاف الجرحى ، وقد ارتدت زي الرجال عندما تقلدت منصبا قياديا ، حيث أنها لم تتورع أن ترتدي قراب العورة وهو ما تصوره نقوش سحو رع . وكذلك نقوش معبد حابو .[1]

### ب – تعدد الزوجات

تشير بردية هاريس إلى نسب الملك وشجرة عائلة رعمسيس الثالث ، والتي دوَّن فيها بدقة عدد نسائه . أما في لوحة بعنخي مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين ( 176 ق.م – 701 ق.م ) النوبية يرد نص يقطع بتعدد زوجات الملوك اللوبيين وهو كالآتي :

" لما دخل بعنخي قصر نمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته ".[2]

كان اسم الزوجة الأولى نس تنت . ولا تعني ظاهرة تعدد الزوجات انحطاط مكانة المرأة ، فعلى العكس تصورها النقوش المصرية امرأة جميلة تلبس الحلي النفيسة، وهذا دليل على رفعة مكانتها بين أفراد قبيلتها .

كما اتخذ زعيم القبيلة زوجات ثانويات ومحظيات ، فنصوص الكرنك تذكر أن الرجال الستة الذين اصطحبهم مريي بن دد كانوا في سن الرجولة .

ومن غير المعقول أن يكونوا كلهم أبناء الزوجة التي اصطحبها معه ، ويؤكد ذلك ما ورد في فقرة أخرى من قائمة أسرى الحرب على جدران الكرنك ، جاء فيها :

---

( 1 ) - *Oric Bates Op.-Cit., P . 122 .D'Après le site web : www.gallica.bnf.fr , Le : 17/12/2007 .*

( 2 ) أم الخير عقون ، المرجع السابق ، ص . 4 .

" أسرت نساء الزعيم اللوبي المهزوم اللواتي جلبن معه ، وكن اثنا عشر امرأة لوبية " .

وفي الحرب اللوبية الثانية أسر رعمسيس الثالث 342 من زوجات زعماء القبائل المتحالفة .

ولئن دلت النصوص الأثرية ذات المواضيع العسكرية على ظاهرة تعدد الزوجات فهي إشارة غير مباشرة على الاعتراف بالارتباط الشرعي بين أفراد القبيلة عكس ما يصوره المؤرخ الإغريقي هيرودوتس لاحقا من عادات وطبائع المجتمع اللوبي .[1]

## ج – الملابس والحلي

لقد تشابهت ملابس وحلي المجتمع اللوبي عبر الزمن مع بعض الاختلافات البسيطة ، فهم يرتدون العباءة الواسعة والشريطين الجلديين المتقاطعين و قراب العورة للرجال والنساء على حد سواء ، وكانوا ينتعلون النعال الخفيفة ، ولا يرتدون قلنسوة وإنما يضعون مناديل في شكل عصابة على الرأس ، وكانوا يتحلون بريش النعام والأقراط والأساور والقلائد ، ويضع الرجال ذيل ذئب أو ابن آوى ، وكانوا يصففون شعورهم في ضفائر ، ويطلقون لحاهم مدببة وقصيرة .[2]

## د – الحياة اليومية

اتخذ اللوبيون الخيام المصنوعة من الجلد مساكناً لهم ، وقد ظلوا يستعملونها إلى فترة متأخرة ، إذ لم يعثر على أي أثر للبيوت أو الأكواخ اللوبية التي تعود لتلك الفترة، لأنهم كانوا يستخدمون أدوات قابلة للفناء في تشييدها .

---

(1) - *Oric Bates , Op.-Cit. ,P. 113.*

( 2) أم الخير عقون ، المرجع السابق ، ص . 42 .

وتكون أثاثه من أدوات بسيطة كالكراسي والمقاعد، والأواني الفخارية وبعض الأواني المعدنية المجلوبة من عند شعوب البحر ، واستخدموا القراب والإبر ثم المخارز بهدف حفظ اللحوم والمياه . [1]

**هـ – العادات والتقاليد**

عرف اللوبيون الموسيقى إذ عثر على صاجات وطبلة ذات جانبين تعلق في العنق بواسطة شريطين وبوق ، وكانت لهم رقصات يؤديها جنود لوبيون مأجورين في الجيش المصري القديم.

كما كانت ظاهرة الوشم شائعة إما على هيئة صليب وتمثل قرص الشمس ، أو علامة أخرى تمثل الإلهة نيت التي كانت رمز الخصوبة وصفة العذرية مما يرجح أن النساء كن محافظات على بكارتهن بعكس ما أشيع عليهن في المصادر الكتابية الإغريقية لاحقاً . [2]

**و – الأسلحة ومكانتها الاجتماعية**

كانت عنوان شرف الرجل وكفاءته ، و معظم أسلحة اللوبيين هجومية ، إذ استخدموا السيوف ، وهي عبارة عن نصل من المعدن مثبت في مقبض من الخشب ، وكان السلاح الرئيسي هو القوس والسهام المثبتة في الجعاب .

وذكر في نص الملك مرنبتاح أنه غنم ما لا يقل عن ألفي سهم ، ومن المرجح أن رؤوس السهام كانت مصنوعة من الصوان ، وكانوا يستخدمون الخنجر وعصا الرماية ، ولهم عربات حربية يقاتلون فيها .

وذكرت النصوص أيضا أن رعمسيس الثالث قد غنم منهم 92 عربة ، وهي تشبه العربات المصرية وتجرها غالباً الثيران ، واستخدموا الخيول التي كانوا يركبونها دون سروج ، وقد أحسنوا كثيراً تدريبها . [1]

---

( 1) المرجع نفسه ، ص . 43 .

( 2) تجدر الإشارة هنا إلى أن دراسات كثيرة قد تناولت إثنوغرافية القبائل اللوبية ، حيث فصل فيها أوريك بيتس ، واقتبس منه مصطفى كمال عبد العليم وعبد اللطيف البرغوثي ، إلا أنني حاولت قدر الإمكان رصد الخصائص الاجتماعية القديمة عند اللوبيين .

**يمكن أن نستنتج مما سبق** ، أنه لولا الآثار المصرية وما احتوته نقوش جدران المعابد والمقابر عن أخبار القبائل اللوبية وسماتهم الشخصية وعاداتهم وتقاليدهم وأزيائهم وصِلاتهم الحضارية بالمصريين ، لفقدت حلقة من حلقات التاريخ المغاربي القديم ، إلا أن ذروة تلك الصلات كانت من خلال حكم الأسرتين الثانية والثالثة والعشرين في مصر .[2]

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 45 .

( 2) أم الخير عقون ، المرجع السابق ، ص . 17 .

# الفصل الثالث

## الملامح الحضارية الكبرى للأسرتين اللوبيتين ( 22-23)الحاكمتين في مـــصر القديمة خـــلال الألف الأولى ق.م.

أولا – طــبيعــة نظــام حــكــم الأســرتــين اللـــوبــيتين في مصر .
ثـــانياً – صــــورة المــجــتــمــع اللُّــوبي القــديــم الــمــتمصِّــر .
ثالــثاً – لغة المجتــمع اللُّـــــوبي و نـــهــاية وجـــوده في مـــصـــر .

## أولا – طبيعة نظام حكم الأسرتين اللوبيتين في مصر

### 1– ظروف اعتلاء الأسرة اللوبية عرش مصر

تضاربت آراء المؤرخين وخاصة علماء المصريات حول دراسة تاريخ الأسرتين اللوبيتين ، حيث أنهم قد طرحوا إشكالية مفادها : أين يمكن دراسة تاريخ هاتين الأسرتين هل في تاريخ المغرب القديم أم تاريخ مصر القديمة ؟ خاصة إذا كانت جميع المصادر [1] أثناء تقسيمها لفترات التاريخ المصري لا تعترف سوى بملوك الدولة القديمة والوسطى والحديثة ؟ وتعتبر بقية الأسر في العصور الانتقالية غير معترف بها في التاريخ المصري .

على العموم ، فقد قام معظم علماء المصريات بدراسة حكم أسرة شيشنق ضمن مراحل التاريخ المصري ، ولكنهم ابتعدوا عن التعمق فيه .[2]

#### أ – شيشنق مؤسس الأسرة اللوبية الثانية والعشرين

يعتبر شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ( 950 ق.م – 929 ق.م ) ، أهم ملك في نظام السلطة اللوبية التي سيطرت على مصر القديمة خلال الألف الأولى قبل الميلاد ، في مرحلة العصر الانتقالي الثالث .(*انظر الشكلين رقم(22، 23).ص.125، 126)*

على مدى قرنين استطاع سكان بلاد المغرب القديم أن ينعموا بتحقيق هدفهم في الاستيطان في الربوع المصرية ، وباتت مصر مفتوحةً أمام مختلف القبائل اللوبية ودون اعتراض من المصريين ، لسبب واحد يتمثل في التمصر الذي اعترى اللوبيين نتيجة احتكاكهم الطويل بالثقافة المصرية منذ غزوة مريي بن دد والحربين اللوبيتين

---

( 1 ) تم تقسيم فترات التاريخ المصري القديم بناءً على ما ذكر في كل من حجر بالرمو وبردية تورين وثبت الكرنك وأبيدوس وسقارة ،وهي مصادر تفيد في دراسة تتابع الملوك على العرش ، ولم يثبت فيها اسم شيشنق ما عدا تاريخ مانيتون . ***لمزيد من المعلومات أنظر*** : أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط . 2 ، القاهرة ، 1960 ، ص. ص. ( 63 – 70 ) .

( 2 ) يعد كلا من مونتي ( *Montet* ) و كتشن ( *Kitchen* ) من أفضل علماء المصريات الذين تخصصوا في تاريخ الأسرتين ، ومن سواهم فقد عالجوا تاريخ الأسرتين بنظرة مجانبة للمنهج التاريخي . ***لمزيد من المعلومات أنظر*** :

*- Pierre Montet, La nécropole Royale de Tanis , Paris , 1942 ;- Montet , Douze année de fouilles ,éd. Payot Paris , 1942;- K.A. Kitchen , The arrival of the Libyans in Late New-Kingdom , London , , s.d.*



الشكل رقم ( 22 ) : شيشنق ممسكاً برأس أحد أعدائه في معبد إدفو

نقلاً عن: *- Encyclopédie Grand Atlas , P .1255.*





( ج )

الشكل رقم ( 23 ) : مقاليد الحكم الرسمية لشيشنق الأول

( أ ) : الصَّــولــجان .

( ب ) : السوار الملكي .

( ج ): ناووس الملك شيشنق الأوَّل الذي عثر عليه الأثري بيار مونتيي في تانيس .

نقلا عن : -www.insecula.fr
تاريخ الزيارة: 2008/07/24.

الأولى والثانية ، وقد ذاب المجتمع اللوبي القديم الذي استقر في الدلتا سياسةً وديانةً وأرضاً في المجتمع المصري القديم .[1]

لم يقم شيشنق بثورة للاستيلاء على الحكم بل انتظر وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين بسوسنس الثاني وأحكم قبضته على العرش دون أدنى مقاومة تذكر في تانيس ، ودانت له منطقة الدلتا والصعيد . [2]

كما حمل الألقاب الملكية المصرية مثل " محبوب آمون والفحل القوي و حور الذهبي " ، واعتنق ديانة آمون ، وارتدى ملابس الملوك الفراعنة متزينا بأزيائهم- وحذا أبناؤه من بعده بتقاليده وخاصة الملك شيشنق الثاني – ( *انظر الشكل رقم (24). ص.* 128 ) ، كما عيَّن شيشنق الأول نفسه في منصب كبير كهنة آمون رع في الكرنك لضمان ارتباط الكهانة بالملكية ، واهتم بالجانب العمراني فشيد مبان عديدة في تل بوباسطة ومنف ومدخل الكرنك .[3]

إن أهم منجزات شيشنق الخارجية أنه دخل إلى بيت المقدس سنة 931 قبل الميلاد ، حتى أن التوراة ذكرت الكثير عنه بالكثير من التفصيل [4] ، ففي سفر الملوك نجد النص الآتي :

" في السنة الخامسة من حكم رحبعام حنق شيشنق ملك مصر على أورشليم واستولى على كنوز بيت الرب وكنوز الملك وأخذ كل شيء " .

وتقول رواية العهد القديم :

" أخذ كل التروس الذهب وعددها 200 و300 منًّا من الذهب " . [5]

---

( 1 ) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج. 1 – مصر والعراق – ، ط.2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1973 ، ص . 236 .

( 2 ) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج . 9 – نهاية الأسرة 21 وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الإثيوبي ولمحة عن تاريخ العبرانيين – ، ط . 1 ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1952 ، ص . 75 . متاح على الرابط : www.bibalex.org ، تاريخ الزيارة : 2008/08/27 .

( 3 ) أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص . 182 .

( 4 ) هارفي بورتر ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991 ، ص . 36 .

( 5 ) الكتاب المقدس ( كتب العهد القديم والعهد الجديد ) ، سفر الملوك الأول ، الإصحاح 14 ، الآية 25 ، ص . 420 . والمن : ميزان يقدر بـ500 غرام (50شاقل) . ***لمزيد من المعلومات انظر:*** الكتاب المقدس ، ص . 513 .




( أ )



( ب )

الشكل رقم ( 24 ) : أدوات شيشنق الثاني

**( أ ) : : قناع الملك شيشنق الثاني ( 847 ق . م ) عثر عليه في تانيس ( صان الحجر حاليا ) .**

**( ب) : النعل والكفين الخاصين بشيشنق الثاني عثر عليهما في تابوته ، من ضمن مجموعة أدوات حياته اليومية.**

نقلا عن : www.cairomueseum.eg

تاريخ الزيارة : 2008/07/23.

هكذا ، يتبين لنا أنَّ تاريخ الأسرتين هو تاريخ متعلق بمصر القديمة أكثر منه بالتاريخ المغاربي القديم ، فمؤرخي بلاد المغرب القديم لم يستطيعوا تلمس سوى بعض الإشارات البسيطة للروح المحلية للمجتمع اللوبي الذي ذاب في المجتمع المصري ، كما أن علماء المصريات ركَّزوا على عملية التمصر بدافع التأكيد على التفوق الثقافي المصري على بقية الشعوب المجاورة حتى الغازية منها .

وعلى الرغم من الدراسات والأبحاث تظل أخبار من خلفوا شيشنق في المصادر المصرية قليلة جدا .[1]

ب – **مظاهر الاندماج الثقافي اللوبي والمصري**

يمكن استخلاصها في قضايا قليلة هي :

**1**– احتفاظ أسر صغيرة كثيرة بلقب " ما أو مي " في ألقابها المصرية والتي ما هي إلا اختصار للقب " مشوش " ، حيث كان الاعتزاز بالأصل أمر وارد عند أسلاف المجتمع اللوبي القبلي ، وتجدر الإشارة إلى أن غالبية هذه الأسر تمتعت بالنبالة والثراء .[2]

**2** – احتفاظ المرأة اللوبية بمكانة رفيعة بين ذويها وخاصة في عهد الملك أوسركون الثاني ( 870 ق.م – 847 ق.م ) *( انظر الشكل رقم (25) . ص .130 )* الذي أعفاها من جميع أنواع الخدمة والضريبة الفردية التي يدفعها الأفراد للمعبد ، ويعكس هذا القرار الملكي التقليل من نشاطات المرأة خارج حيزها الأسري ، وهو ما ينافي أيضا ما ذكرته المصادر الإغريقية عن تحررها الاجتماعي .[3]

**3** – احتفاظ المجتمع اللوبي المتمصر بالنمط المعيشي المتوارث من بيئتهم الأولى ، إذ برعوا في الزراعة والتجارة ، ولم يهتموا كثيراً بالجانب العمراني.

---

( 1 ) محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ( من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص . 211.

( 2 ) جيمس هنري بريستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، تر : حسن كمال ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 ، ص . 357 .

( 3 ) *André Burguière et autres , Histoire de la famille , éd . Arnaud Colin , Paris , 1986 , P . 175.*



( أ )

عن : www.muséelouvre.fr

تاريخ الزيارة : 2008/08/02



( ب )

**الشكل رقم ( 25 ) :**

**( أ ) : الفرعون اللوبي وسركون الأول من الأسرة 22 محفوظ في متحف اللوفر.**

**( ب ) :الملك وسركون الثاني بين حورس و حتحور محفوظ في متحف القاهرة .**

عن : -**www.cairomeusem.eg**

**تاريخ الزيارة : 2008/08/03**

لقد اقتصرت منجزات اللوبيين في المجال العمراني على تقليد النمط المصري ، وكان الشائع المساكن الخيامية وبيوت اللبن ثم القصب .[1]

وهكذا ، فيما عدا الآثار التي خلفها شيشنق عن نفسه في معبد الكرنك ، فإن تاريخ الحكم اللوبي بالنسبة للتاريخ المصري هو تاريخ هامشي دوِّن على جدران المعابد في إطار تناول الكاتب المصري القديم للأحداث الكبرى التي تخص الملك الفرعون.

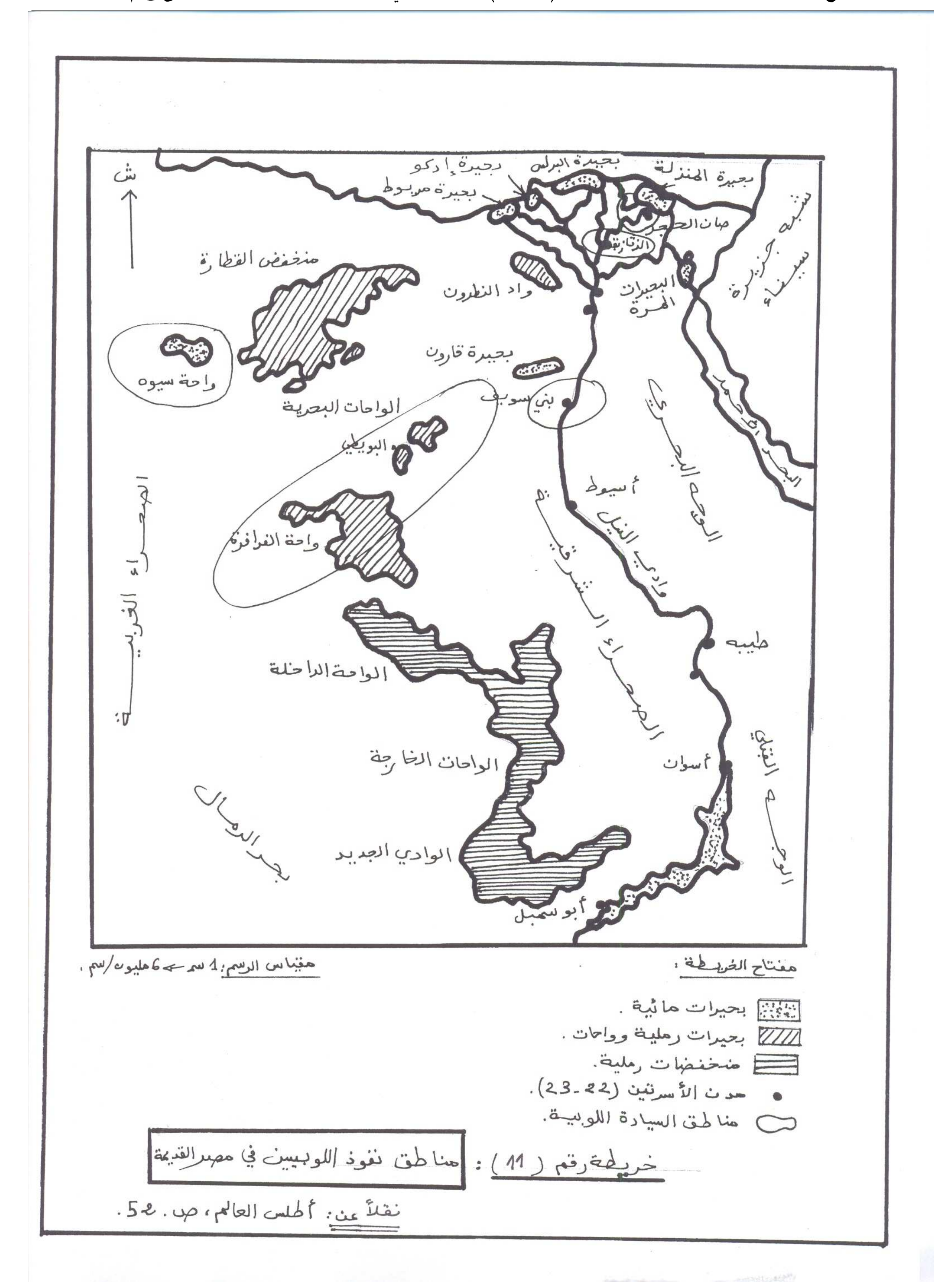
## 2- مراحل حكم الأسرتين اللُّوبيتين في مصر

### أ – سبب اعتلاء اللوبيين عرش مصر

لم تستطع القبائل اللوبية الدخول إلى مصر باستخدام القوة ولذلك لجأت إلى طريقة التسلل السلمي[2] ، فانضم الكثيرون كمرتزقة في الجيش المصري إلا أنه ونظرا لأسباب عديدة أهمها كان ضعف التنظيم السياسي المصري ، حيث أصبح المشوش – بشكل خاص – مصدر قلق للعمال المصريين في الجنوب الذين باتوا يخشون هجماتهم و كان أصل الأسرة الثانية والعشرين الحاكمة من نسل الجد الأكبر " بويووواوا " ، واعتبرت مثالاً جيداً للأسر النبيلة اللوبية التي بقيت في مصر بعد الحرب اللوبية الثانية بعد أن استوطن أفرادها في مقاطعة أهناسيا في هيراكليوبوليس ( بني سويف حاليا ) ، وهذه الأخيرة هي التي ظهر فيها حفيد بويواوا المعروف بشيشنق وأسس الأسرة الثانية والعشرين .[3] *( انظر الخريطة رقم ( 11) . ص . 132)*

لقد عرف شيشنق الأول عبر تاريخ حكمه الطويل بلقب " رئيس المشوش العظيم " أسوة بجده ، إذ تروي النصوص المصرية كيف أن شيشنق الأكبر استغل ضعف الحكام المصريين عندما نُهب قبر أبيه نمرود في أبيدوس ، فاتخذها ذريعة لتعويضه بملكية واسعة من الأرض الخصبة في هيراكليوبوليس ، ومنها بدأ التوسع

( 1 ) أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص . 185 .
( 2 ) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص . ص . ( 89 – 91 ) .
( 3 ) سامي ريحانا ، شعوب الشرق الأدنى القديم ، ط . 1 ، منشورات نوبليس ، بيروت ، د ت . ، ص . 272 .




خريطة رقم (11): مناطق نفوذ اللوبيين في مصر القديمة

نقلاً عن: أطلس العالم، ص. 52.

إلى بوباسطة بعد انتقاله إليها بتأييد من ملك تانيس ، حيث بدأ تاريخ الحكم اللوبي الرسمي لمدة قرنين من الزمن وامتد نفوذه في كامل مصر القديمة.[1]

لقد تميز تاريخ حكم الأسرتين اللوبيتين في مصر بمرحلة ممهدة ومرحلتين كبريين هما :

**ب - <u>مرحلة ما قبل الأسرتين</u>**

هي المرحلة التي سبقت إعلان الحكم الرسمي من طرف شيشنق ، و تشمل البدايات الجدية المنظمة لاحتلال مصر من طرف اللوبيين ، وتعود إلى فترة حكم رعمسيس الثالث ( 1192 ق.م – 1160 ق.م ) الذي أضعفته كثيرا هجومات اللوبيين المتكررة وحلفائهم في السنة الخامسة و الثامنة والحادية عشر على التوالي من حكمه .

وكان من أهم نتائجها استفادة القبائل اللوبية عسكريا حيث اكتسب الزعماء آليات جديدة في مواجهة الملوك المصريين ، ولذلك تعد فترة حكم رعمسيس الثالث الفترة الممهدة لدخول مصر في مرحلة من الاضطرابات والضعف العسكري .[2]

كما شملت الفترة السابقة أيضا بداية العصر المتأخر بحكم الأسرة الواحدة والعشرين ( 1085 ق.م – 950 ق.م ) وما صاحبها من تفكك سياسي داخلي .[3]

أما المرحلة المباشرة للحكم اللوبي ، فبدأت بطريقتين :

- <u>الأولى</u> : عرفت بمرحلة التنفذ العسكري لأسرة بويوواوا من نسل أسرة دد من قبيلة المشوش في الحكم عن طريق بث أبنائها في الجيش المصري كمرتزقة .

- <u>الثانية</u> : وهي مرحلة التنفذ الديني لشخصية موسن الذي كان كاهناً لمعبد الإله حري شف[4] ورئيس القوات المرتزقة في الوقت نفسه ، ثم زيادة نفوذ الكهنة من أصل لوبي وهم : نبنيشي و بيثوت و شيشنق و كذا نملوت ، وصولا بشيشنق الأول حيث يبدأ التأريخ لحكم الأسرتين اللوبيتين في مصر .

---

( 1 ) *- Fréderic Colin , Op. – cit. , P . 2 .*

( 2 ) *-Ibid, P. 96 .*

( 3 ) *- Ibid , P . 100 .*

( 4 ) ***<u>الإله حري شف ( Héry Shef)</u>*** : يعني اسمه " ذاك الذي في بحيرته " ورمزه الكبش ، له سمات شمسية ، كان رمزا للخصوبة ، واستقر في عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة في هيراكليوبوليس ، وشاعت عبادته في العصر المتأخر . **<u>لمزيد من المعلومات انظر</u>** : إيزابيل فرانكو ، معجم الأساطير المصرية ، تر : ماهر جويجاتي ، ط. 1 ، دار المستقبل العربي ، بيروت ، 2001 ، ص . 125.

## ج - مرحلة حكم الأسرة 22

إطارها الزماني ( 950 ق.م – 730 ق.م ) ، عاصمتها بوباسطة [1] ، وقد كان أشهر ملوكها : شيشنق الأول وشيشنق الثاني . و قد حفظت لوحة حـور باسـن فـي السرابيوم[2] والتي تعد من أهم المصادر لدراسة تاريخ اللوبيين أخبارا كثيرة عن ملـوك تلك الأسرة . [3] ويعود الفضل في تأسيسها إلى كاهن من أهناسيا ، حيث استقرفي إقليم الواحات الغربية وخاصة بالقرب من واحة البحرية وواحة الفرافرة.[4]

## د - مرحلة حكم الأسرة 23

إطارها الزماني ( 817 ق.م – 730 ق.م ) ، عاصـمتها تـانيس [5] ، بـدأت حكمها بعد تولي بدوباست الحكم خلفا لشيشنق الثالث ، واعتبرت هـذه الأسـرة أكثـر تمصرا وتحضرا من الأسرة السابقة ، وأشهر ملوكها أوسركون الثالث و تاكلوت .

وقد حاكت الأسرة الثالثة والعشرين ملوك مصر في وضع القوائم الملكية ( *انظـر الشكل رقـم( 26) . ص . 135* ) ، وما وصلنا من ترتيب ملوك الأسرتين كان بفـضلها ، إذ وضع الملك بدوباست تاريخاً لأحداث أسرته حيث اختار أن يكتب عن شجرة عائلتـه ، وتضمنت القائمة ملحمة تسرد وقائع الخلافات التي نشبت بينه وبين الكهنـة ، وذكـر الصراع الآشوري و الفارسي ، وأحداث بعض المعارك التي تروي بالتفصيل طريقة

---

( 1 ) **بوباسطة** : أطلق عليها الإغريق تسمية بوباستيس ( Boubastis ) ، نسبة إلى الإلهة باستت التي كانت المعبود الرسمي لسكان المدينة ، و مجسدها الهرة ، وتقع في جنوب الدلتا ، حاليا هي تل بسطة بجوار الزقازيق . *عن* : Guy - *Rachet , Op. – cit. , P. 46.*

( 2) ***السرابيوم ( Sérapéum )*** : كلمة ذات أصل يوناني ، وتعني مجموعة الأنفاق المستخدمة كمقابر منذ عهد أمنحوتب الثالث في البناءات . **للمزيد من المعلومات انظر** : *Guy Rachet , Op.-Cit., P. 241.* -

( 3) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص . 84 .

( 4 ) أحمد فخري، الصحراوات المصرية ، ج.2 ، تر: جاب الله علي جاب الله، مطابع المجلس الأعلى للآثـار ، القـاهرة ،1999، ص.81.

( 5 ) ***تانيس*** : حاليا هي منطقة صان الحجر قريباً من بحيرة المنزلة بالدلتا ، كانت عاصمة الملـوك اللـوبيين بـدءاً مـن : بسوسنيس ، آمينمابيت ، أوسركون الثاني وشيشنق الثالث ، اكتشف آثارها العالم الفرنسي مونتيي ( Montet ) ، وبهـا مـن الأثاث الجنائزي ما يضاهي في إتقانه أثاث مقبرة توت عنخ آمون من الأسرة الثامنة عشر . ***لمزيد من المعلومات انظر*** : - Ibid , P . 249.

( أ )

| اسم الملك | فترة حكمه |
|---|---|
| شيشنق I | ( 950 ق.م -929 ق.م ) |
| أوسركون I | ( 929 ق.م – 893 ق.م ) |
| تاكلوت I | ( 893 ق.م – 870 ق.م ) |
| أوسركون II | ( 870 ق.م – 847 ق.م ) |
| شيشنق II | ( 847 ق.م – ؟ ) |
| تاكلوت II | ( 847 ق.م – 823 ق.م ) |
| شيشنق III | ( 823 ق.م – 772 ق.م ) |
| بامي | ( 772 ق.م – 767 ق.م ) |
| شيشنق IV | ( 767 ق.م – 730 ق.م ) |

( ب )

| اسم الملك | فترة حكمه |
|---|---|
| بدوباست | ( 817 ق.م – 763 ق.م ) |
| شيشنق V | ( 763 ق.م – 757 ق.م ) |
| واسركون III | ( 757 ق.م – 748 ق.م ) |
| تاكلوت III | ( 748 ق.م – ؟ ) |
| آمنرود | ؟ |
| واسركون IV | ( ؟ – 730 ق.م ) |

**الشكل رقم (26 ) : قائمة ملوك الأسرتين اللوبيتين ( 22-23)**

**( أ ) : قائمة ملوك الأسرة 22 وفترات حكمهم في بوباسطة ( 950 ق.م – 730 ق.م ).**

**( ب ) : قائمة ملوك الأسرة 23 وفترات حكمهم في تانيس و المعاصرة لأسرة بوباسطة ( 817 – 730 ق.م ) .**

***نقلا عن:*** ***- Guy Rachet , Op. – cit. , P . XVI***

القتال والمبارزة واللباس العسكري وشارات المكانة العسكرية المعروفة بالسعفة الفضية ، وكان ذلك في لغة أدبية تقترب في تركيبها من لغة إلياذة هوميروس .[1]

## ثانيا – صورة المجتمع اللوبي القديم المتمصر

### 1 – شيشنق الأول ودوره في تمدين مجتمعه

اعتبر شيشنق الأول أهم ملك لوبي حكم مصر خلال الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين ليس لأنه استطاع تحقيق ما عجز عنه أسلافه منذ ألفي سنة ، ولكن للأسلوب الذي حقق به بسط نفوذ اللوبيين على مصر – مع العلم أنها كانت في أوج ضعفها وتفككها السياسي و يعني ذلك أن عملية غزوها العسكري كانت سهلة المنال – وهو الأسلوب السلمي الذي انتهجه في إرساء دعائم حكمه لفترة تربو على القرن .

لقد أدى الإعجاب الكبير لشيشنق الأول بمظاهر الحضارة المصرية إلى أن تبنى الكثير من ملامحها ، وتمكن الأثريون من الوقوف على ذلك من خلال حذقه للكتابة المصرية القديمة و استفادته من أسلوب و نمط التنظيم الاجتماعي للأسر المصرية من حفظ حقوق الأفراد وتبيان واجباتهم ، فقام بتطبيق بعض القوانين المصرية لتنظيم أبناء جلدته الذين أخذوا بالتحول تدريجيا من حياة التنقل و الترحال إلى حياة الاستقرار والتمدن .

كما ذكر ديودوروس الصقلي أن شيشنق الأوّل كان واحدا من ستة ملوك حكموا في مصر سنوا قوانين تهدف إلى تنظيم المجتمع المدني [2]– آنذاك – والذي سادت فيه النظم الإقطاعية في المجال الاقتصادي ، وقد حرص الكتبة وبأمر ملكي من شيشنق على تدوين مختلف المعاملات القانونية المنظمة للأسرة بهدف إثبات الحقوق التي يجب توريثها للأولاد وحفظها بدقة في سجلات الأسرة .[3]

---

( 1 ) كلير لالويت ، المرجع السابق ، ص. ص. (113 – 114 ) ؛ أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، ص. ص.( 422 – 426 ) .

( 2 ) *Diodore de Sicile , Op. – cit. , Tome : I , P . 94 .* -

( 3) تحفة أحمد حندوسة ، الزواج والطلاق في مصر القديمة ، ط . 2 ، مطابع المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ، 2003 ، ص . 14 .

في خضم ذلك ، فإن المجتمع اللوبي رغم تمصره لم يتخل عن أهم الأعـراف والعادات والتقاليد التي كانت تشكّل أساس العلاقات الاجتماعية بين أفراده ، بـل ازداد تمسكا بها لما تحمله من إشارات تدل على خصوصيته ، كما أثبتـت ذلـك المـصادر الكتابية المصرية .

**2- ظاهرتا الزواج والطلاق في الأسرة اللوبية من خلال المصادر الكتابية المصرية**

اكتشف علماء المصريات خلال القرن العشرين الكثير من قـراطيس البـردي التي تناولت تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع المصري ، إلا أن البرديات التي تعود إلى فترة حكم الأسرتين اللوبيتين ( 22-23) نادرة ، كونها تعرضت للفناء والتحلل بسبب وجودها في منطقة الدلتا التي تتميز برطوبتها ، ورغم ذلك فإنها قد حفظت لنا بعـض الملامح المهمة فيما يلي .[1]

**أ - الزواج وأركانه**

حظي الزواج من الناحية الاجتماعية خلال فترة حكم الأسرتين اللوبيتين باهتمام غير مسبوق ، لما كان من فائدة المصاهرة في استقرار المجتمع اللوبي واستيطانه فـي مصر القديمة ، واعتبر الزواج علاقة لها آثار قانونية بالإضافة إلى العلاقة الروحيـة والتمازج النفسي والتعاطف بين الرجل والمرأة ، وقد ظهرت هذه الصورة بشكل جلي في النصوص الأدبية المصرية القديمة ، كما أن كل علاقة غير شرعية فهي بغيضة و منفّرة في المجتمع ولا يحظى أفرادها بالتقدير و الاحترام .

وكان السائد هو أن ينعقد الزواج في عرف المجتمع اللوبي – آنـذاك – ويـتم شفهيا ، وبمجرد التراضي و دون الحاجة إلى الكتابة على يد الكـاهن .[2] وعنـدما تمصّر المجتمع بفعل المصاهرة وتعاقب الأجيال حاكى المجتمـع اللـوبي المجتمـع المصري في عملية توثيق عقود الزواج و وعقود الطلاق أيضا .

( 1 ) فلاندرز بتري ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، تر: حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975 ، ص . 184 .

( 2 ) تحفة أحمد حندوسة ، المرجع السابق ، ص. 44 . و نلاحظ لحد الآن أن عقد الزواج الشفهي أسبق وأوثق مـن عقـد الزواج الإداري وخاصة في المجتمع المغاربي الريفي ـ فلاندرز بتري ، المرجع السابق ، ص . 199.

تؤكد بعض عقود الزواج الهيراطيقية التي وصلت من الأسرة الثانية والعشرين ظاهرة تعدد الزوجات ، وتدحض فرية زواج الإخوة .

أما البرديات الديموطيقية [1] المحفوظة في المتحف البريطاني ، والتي تعود إلى مرحلة العصر المتأخر، فقد أشارت إلى وسائل تنظيم العلاقات الزوجية وحفظ الأنساب والحقوق المترتبة للزوجة والأبناء . وعلى كل فإن هذه البرديات هي الدليل المادي القاطع على أن مجتمعاً يحترم أهم علاقة يقوم عليها المجتمع هو مجتمع صالح ومتماسك بعيدة تماما عن الصورة التي نقلتها المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية فيما بعد .

**ب – تعدد الزوجات**

كان نظام تعدد الزوجات معروفا ومعمولا به ، ولم يكن حكرا على طبقة الأشراف ، إذ كان العمال والعامة من الشعب ، يتخذون أكثر من زوجة وغرضهم في ذلك زيادة اليد العاملة والمعيلة في الأسرة . [2]

**ج – زواج الإخوة**

يعد زواج الإخوة من القضايا التي كثرت فيها الآراء ، ولكن الغالب هو أن بعض علماء المصريات ، كانوا على غير دراية كافية بالتاريخ الاجتماعي للمجتمع المصري القديم ، ولذلك أساؤوا فهم النصوص التي تذكر كلمة " أختي " عند ذكر الزوجة .

المؤكد هنا هو أنها وصف وصفت به الزوجة منذ عهد الدولة القديمة ، حيث ذكر في النصوص الهيروغليفية أنها "محبوبة زوجها لأنها أخته " ، وكانت أغنيات الحب تستعمل كلمة أختي للدلالة على الإعزاز والحب بين الزوجين ، مما جعلها صفة من صفات الزوجات المخلصات تشبها بالإلهة إيزيس [3]، ولذلك شاع استعمال كلمة

---

( 1 ) ***البرديات الديموطيقية*** : تعد من الوثائق غير المنشورة والهامة جدا ، وهي محفوظة في مقتنيات المتحف البريطاني، وتعود لعالمي المصريات جريفيث وتشارني ، وتعد مصدرا مهما في دراسة التاريخ الاجتماعي لمصر الفرعونية في العصر المتأخر . **لمزيد من المعلومات انظر:** المرجع نفسه ، ص . 123 .

( 2 ) تحفة أحمد حندوسة ، المرجع السابق ، ص . 35 .

( 3 ) ***إيزيس*** : تجسد إيزيس مثلا اجتماعيا أعلى بالإضافة إلى كونها إلهة ، فهي الزوجة الصالحة والأم المخلصة المتفانية والأرملة القوية ، وقد تبوأت مكانة كبيرة في العصر المتأخر ، وكانت تعبد في مختلف ربوع مصر . ***لمزيد من المعلومات*** **انظر** : إيزابيل فرانكو ، المرجع السابق ، ص . 58.

أختي بالنسبة للزوجة في عقود زواج العصر المتأخر ، مع العلم أن الزوجين كانا من أسرتين مختلفتين . [1]

**د- نموذج صيغة عقد زواج في أسرة لوبية متمصرة**

تم العثور على بعض البرديات في متحف اللوفر التي تعود إلى عهد تاكلوت الثالث ( حوالي 748 ق.م ) مكتوبة بالخط الهيراطيقي المختصر وهي تتشابه في شكلها ومضمونها وعباراتها مما يوحي بأنه كانت هناك صيغة ثابتة للعقد بنص القانون القديم الذي أصدره شيشنق الأول وهي كالآتي :

" **في هذا اليوم دخل الكاهن فلان بن فلان إلى المنزل لكي يحرر عقد زواج فلان بن فلان من المرأة فلانة بنت فلانة ، وقرر أن قائمة الأشياء التي سيعطيها إياها مهراً هي دبنان من الفضة وخمسون مكيالاً [2] من الحنطة ، وقال : أقسم بآمون وفرعون أنني إذا طلقت أختي وأكون أنا السبب في الإضرار بها لأني طلقتها أو تزوجت بامرأة أخرى إلا في حالة الخطيئة الكبرى من جانبها فإني أعطيها مهرها ، وكل ما سأحصل عليه من ريع ويصبح ما سيؤول إليَّ من أملاك أبي وأمي لأولادي منها** " . [3]

ونستنتج أن صيغة العقد السابقة قد تضمنت الإطار الزماني لحكم الملك الجالس على العرش ، وأطراف العقد وأسماؤهم وقيمة المهر والتسوية المالية أثناء الزواج وفي حالة الانفصال والشهود وموثق عقد الزواج ، وهي لا تختلف من حيث البنية عن عقود الزواج الإدارية الحالية .

**هـ - الطلاق**

كان وارداً فما بين الأسرة الثانية والعشرين والسادسة والعشرين ، حيث كان الزوج عندما يبادر بالطلاق يتنازل عن نصف أملاكه لزوجته أو ثلثها ، ومتاعها حق لها ، وتأخذ الزوجة قيمته نقداً إذا استهلك . [4]

---

( 1 ) إيزابيل فرانكو ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 26 – 27 ) .

( 2 ) *دبنان* : مثنى مفردها دُبُن ، وهو من الأوزان و يقدر بتسعين غراما من الفضة ، **المكيال** : من الأوزان القديمة أيضا ، و يقدر بحوالي 8.5 كيلوغرام أو 8.5 لتر . **لمزيد من المعلومات انظر** : الكتاب المقدس ، ص. 11 .

( 3 ) تحفة أحمد حندوسة ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 47 – 48 ) .

( 4 ) المرجع نفسه ، ص . 92 .

**و– الميراث**

تضمنت بردية مصرية غير منشورة توجد في متحف اللوفر بباريس ، الإشارة إلى تسويات مالية بالنسبة لحقوق الأولاد وحقهم بالتساوي في أملاك والدهم ، ولا فرق بينهم . [1]

**ز– مكانة الابن الأكبر في الأسرة اللوبية**

كان من أهم علامات تمصُّر اللوبيين هو غياب ظاهرة تفضيل الابـــن الأكبـــر التي كان معمولا بها في السابق عند توريث منصب الزعامة ووراثة العرش ، فتحديـــد الإبن الأكبر وحيداً له حقوق وامتيازات عن سائر إخوته من سمات الحكم القبلي ، ولم يعمل بها أثناء التواجد المغاربي في مصر القديمة ، ولا يعرف سبب واضح لزوال هذا التفضيل ، لكن المؤكد ان هذه الظاهرة ستسجل عودة قوية في المراحل اللاحقـــة فـــي بلاد المغرب القديم . [2]

مما سبق ، فإنَّ طبيعة تأسيس الأسرة واتخاذ زوجة تعيش باستقرار دائم وفـــق وثائق قانونية تضمن حياتها المشتركة مع زوجها ، وأن تكون الزوجـــة مـــن الطبقـــة الاجتماعية ذاتها التي ينتمي إليها الزوج ، هي أهم مقومـــات قيـــام المجتمـــع اللـــوبي المتمصر، فالوثائق الديموطيقية التي تعود إلى الأسرتين الثانيـــة والعـــشرين والثالثـــة والعشرين على ندرتها ، قد أزالت الغموض عن جوانب كثيرة كانت خفيـــة فـــي مـــا يتعلق بالملامح الاجتماعية والحضارية لهذه الفترة التي يصنفها علماء المصريات على أنها فترات ضعف واضمحلال للحضارة المصرية بسبب همجية الشعوب الغازيـــة ، إذ تحدثت عن الاتفاقات المالية والتسويات بين الزوجين وفقاً لـــسندات قانونيـــة لانعقـــاد الزواج .[3]

كما بيَّنت أنَّ القانون المصري القديم الذي أصدره شيشنق كان قانوناً واسع الأفق ومتطوراً يقوم على أسس ترسخ الاحترام الشديد للمرأة والمكانة الكبيرة التي تمتعت بها

( 1 ) تحفة أحمد حندوسة ، المرجع السابق ، ص . 108 .

( 2 ) المرجع نفسه ، ص. 114.

( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 115.

في المجتمع ، وأنَّ الزواج والأحوال الشخصية والمسائل المالية الأسرية لم تكن لتختلف كثيراً عن تلك التي عاشها المغاربة المتمصِّرون منذ آلاف السنين .[1]

## 3- الصورة العامة لديانة اللوبيين في مصر القديمة

### أ – عبادة مظاهر الطبيعة عند اللوبيين

إن الصورة العامة لمعبودات اللوبيين هي تلك الآلهة التي تأخذ هيئتها من بعض مظاهر الطبيعة الكبرى كالسحب والأشجار والحيوانات الأليفة والمفترسة التي تعيش بالجوار، بالإضافة إلى القمر والنجوم .

لقد تأثر اللوبيون كثيرا بعد استقرارهم في مصر بالديانة المصرية القديمة ، فعبدوا من الآلهة المصرية الإله آمون معبود واحة سيوه بغرب مصر ، وانتشرت عبادته بين القبائل اللوبية إلى واحة أوجلة وبقية واحات الصحراء الكبرى ، وكان الكبش هو رمزه وحيوانه المقدس ، والملاحظ أن اللوبيين قد عبدوا آلهة انتشرت في إقليم الواحات وخاصة واحة سيوة .[2] *( انظر الشكل رقم ( 27) . ص .142 )*

إلى جانبه عبدوا الإلهة نيت وهي إلهة قدست في غرب الدلتا وأصلها من مدينة سايس ، وتصوَّر على هيئة امرأة ترتدي التاج الأحمر ، وتمسك بقوس وسهم ،الذي يعتبر السلاح الأساسي للوبيين ، وهي راعية الوجه القبلي ، وتجسد أحيانا في شكل البقرة .[3]

قدَّسوا الصلَّ ليس باعتباره كياناً إلهيا ولكن كرمز للقوى الشمسية ، وفي ليتوبوليس أحد أهم المدن المصرية التي ضمت جالية لوبية كبيرة في عهد الأسرة الثانية والعشرين ، كان الإله حورس هو الإله المقدس حيث جسد الشمس ، وقد دون

---

( 1 ) تحفة أحمد حندوسة ، المرجع السابق ، ص. 117 .

( 2 ) محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقيا ، ط. 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2005 ، ص . 78 .

( 3 ) إيزابيل فرانكو ، المرجع السابق ، ص . 300 .

( 4 ) رندل كلارك ، الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، تر: أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999 ، ص . 22.



( أ )



( ب )

**الشكل رقم (27 ) : واحة سيوة في مصر**

( أ ) : منظر عام لواحة سيوة .

( ب ) : مدخل معبد آمون في واحة سيوة مركز عبادة الكبش المتوَّج أبرز آلهة اللوبيين .

نقلا عن : www.google.image.com

تاريخ الزيارة : 2008/12/13.

الكثير عن الألهة في معبد إدفو ، والذي احتوت جدرانه الشرقية وأسواره على الكثير من أخبار اللوبيين .[1] *( انظر الشكل رقم ( 28 ) . ص .144 )*

كما عبدوا أيضا الإله حريشف الذي يمثل الإله الكبش ، واكتسب في العصر المتأخر أبعاداً كونية حيث كانت عيناه تمثلان الشمس والقمر .[2]

أيضا ، عبد اللوبيون الإله ست آلهة الحرب واتخذت عد أشكال أبرزها شكل الهرة ، في نهاية العصر المتأخر ، وهي راعية الأرض الجدباء ، وقد ارتبطت باللون الأحمر ،وتجسِّد مع الإله حورس وجهين متكاملين وارتبط عند اللوبيين بالصحراء ، وتقدم لها الأضاحي .[3]

الملاحظ هنا ، أن المجتمع اللوبي آمن بتعدد الآلهة ، ولكنها كانت آلهة قليلة العدد مقارنة بعدد الآلهة المصرية القديمة، ذلك أنَّ احتياجات الفرد اللوبي عامة كانت بسيطة لا تتطلب آلهة لكل تفاصيل حياته ، إلا أن الثابت هو الإيمان بمبدأ الثنائية الإيجابية والسلبية ، أي أن هناك آلهة للخير وأخرى للشر .

**ب – الآلهة المصرية الرسمية عند اللوبيين**

في الإقليم الرابع عشر بالوجه البحري فإن الآلهة الرئيسية التي عبدها وقدسها المجتمع اللوبي في تانيس هي : حورس ، حابي و ست .وفي الإقليم الثامن عشر في بوباستيس عبد اللوبيون الإلهة " باستت " [4] ، تلك الأخيرة كانت الشكل الرحيم للآلهة الخطرة ، أحياناً تصوَّر في هيئة القطة أو اللبؤة ، وهي الإلهة الأولى في بوباستيس ، وتعد راعية البيت والأسرة *.( انظر الشكل رقم (29 ) . ص . 145 )*

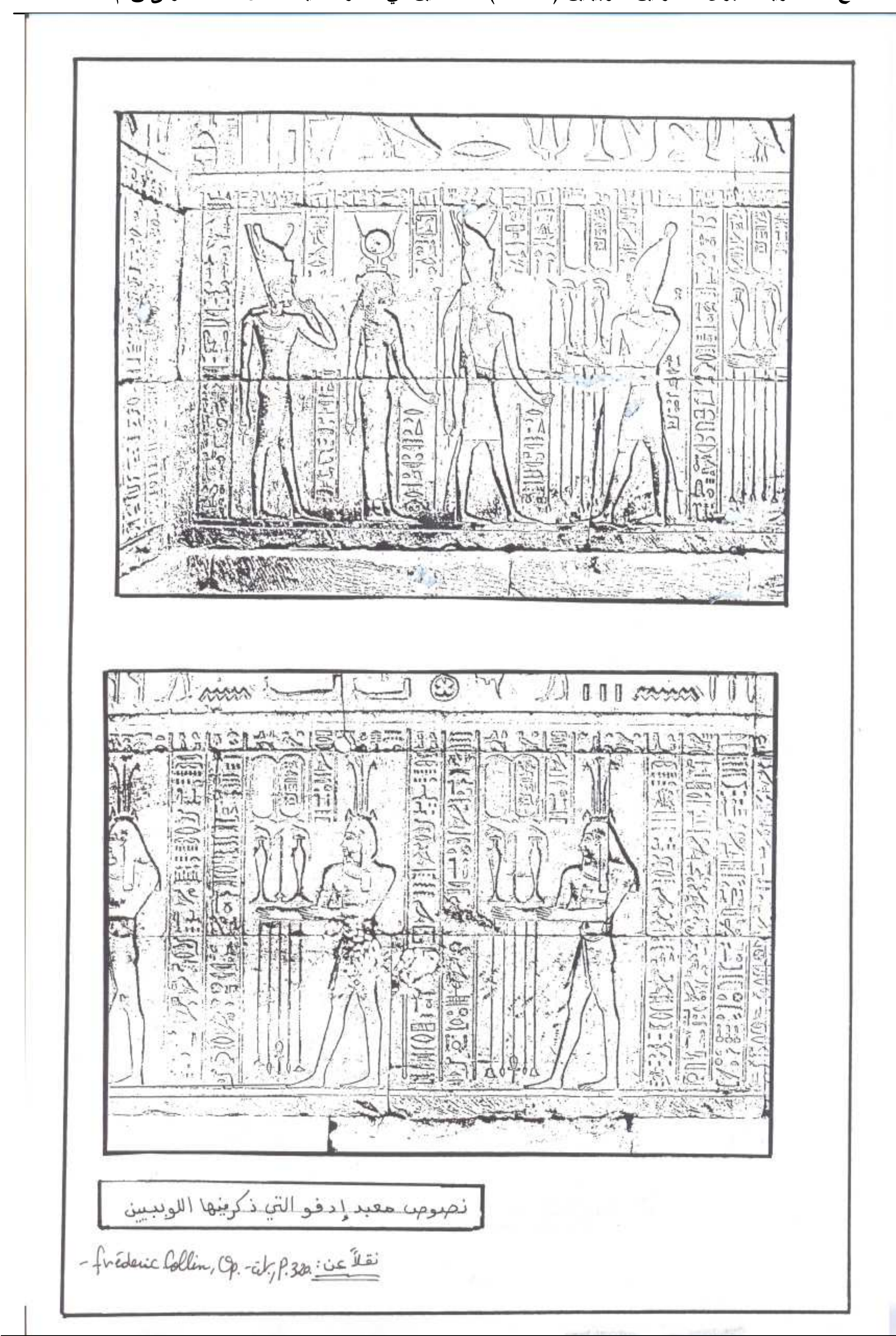
---

( 1 ) **آلهة معبد إدفو** : ازدانت جدران المعبد برسومات لإيزيس ، ولكونها رمز الخصوبة كما سبق وأشرنا عنها ، فلعل ذلك ما جعل اللوبيين يقدسونها كونها رمزا للعطاء والتوالد .

( 2 ) إيزابيل فرانكو ، المرجع السابق ، ص . 125 .

( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 174 .

( 4 ) والس بيدج ، كتاب الموتى الفرعوني ( برت إم هرو ) ، تر: فيليب عطية ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000 ، ص. 263 ، أدولف إيرمان ، ديانة مصر القديمة ، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحمد انور شكري ، ط . 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 ، ص . 62 .




الشكل رقم ( 28 ) : نصوص معبد إدفو التي ذكر فيها اللوبيين



**<u>الشكل رقم ( 29 )</u> :**

**الإلهة باستت في صورة تمثال لقطة ، كانت تعد نموذجاً للتماثيل البرونزية ، عثر عليها في معبد بوباستيس كقرابين نذرية ، والعينان الجاحظتان دليل اليقظة.**

نقلا عن : www.cairomeusem.eg
تاريخ الزيارة : 2008/12/23.

أما في عهد الأسرة الثانية والعشرين فقد صورت باستت بهيئة امرأة برأس قطة تحمل صولجان وسلة صغيرة ، وكانت تقام لها الاحتفالات تيمنا بعودة الفيضان ، فيملأ لها الأهالي القوارير مع مطلع كل سنة نيلية جديدة لمحاكاة ظاهرة الفيضان الذي يعيد الحياة للبلاد .

عموماً ، فباستت كانت إلهة المرح وقوام احتفالاتها الرقص والموسيقى ، واسمها كان يدل على معنى خاص بالمدينة باست (بوباستيس ) ، ولم يكن ليدل على مظهر من مظاهر الطبيعة . [1]

- **ست**

يعرف كذلك باسم سوتخ أو ساتي ، فإذا كانت باستت رمز الخير ، فست هو رمز يجسد الشر بسبب ملامحه المرعبة ، وكان تحسم المنازعات بين البشر ، وقد شاعت عبادته كثيرا في إقليم الواحات ، وكان من أهم آلهة الهكسوس أيضا .[2]

- **حورس**

له مساحة واسعة في اللاهوت المصري القديم ، ولذلك فلا غرو أن يعبده سكان الوجه البحري ، وهو حورس الإله الشمسي ، بالغ القدم في التاريخ المصري ، وصورته صورة الصقر، وقد عبده اللوبيون لأنهم ألفوا الشمس القوة العظمى في الصحراء . [3] ***( انظر الشكل رقم ( 30، د ) . ص . 148 )***

- **حابي**

كان أحد أبناء حورس المضطلع بالمشاركة في عملية الحساب بعد الموت ، ويصوَّر برأس قرد الميمون ، ويسهر على الآنية التي تضم رئتي المتوفي .[4]

( 1 ) والس بيدج ، المصدر السابق ، ص .254 ، أدولف إيرمان ، المرجع السابق ، ص . 67.

( 2) والس بيدج ، المصدر السابق ، ص . 253 .

( 3 ) إيزابيل فرانكو ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 120 – 121 ).

**- آمون رع**

كان سيِّد الآلهة ، و كذلك سيد كهنة آمون من المستلمين لمقاليد السلطة الملكية ، وهو معبود سكان إقليم الواحات الغربية، وقد اهتم ملوك بوباسطة بعبادة آمون ودليل ذلك أنهم شيدوا مباني ضخمة للتقرب منه في معبد الكرنك . [1] ***( انظر الشكل رقم ( 30 ، ب ) ، ص . 148)***.

تجدر الإشارة إلى أن مظاهر التمصر في الجانب الديني كانت جلية ، فوظيفة الكاهن الأكبر جديرة بأن يسيطر عليها الملك ، وقد قام واسركون الثاني سنة (870 ق.م) ، عندما كان قائداً للجيش في طهنا بتسيير جيش إلى إدارة معبد آمون في طيبة لفض النزاع بين الكهنة

ما كان هو أن نُصِّب في وظيفة الكاهن الأعلى ، وقضى على المعارضين ، وعيَّن موظفين جددا في المعبد من أبناء الأشراف اللوبيين .

وبذلك ، جمع بين السلطات السياسية والعسكرية والدينية لتدعيم الوجود اللوبي في مصر، كما كانت هناك وظيفة المرأة الكاهنة وتعرف بالزوجة المقدسة أو العابدة لآمون .[2]

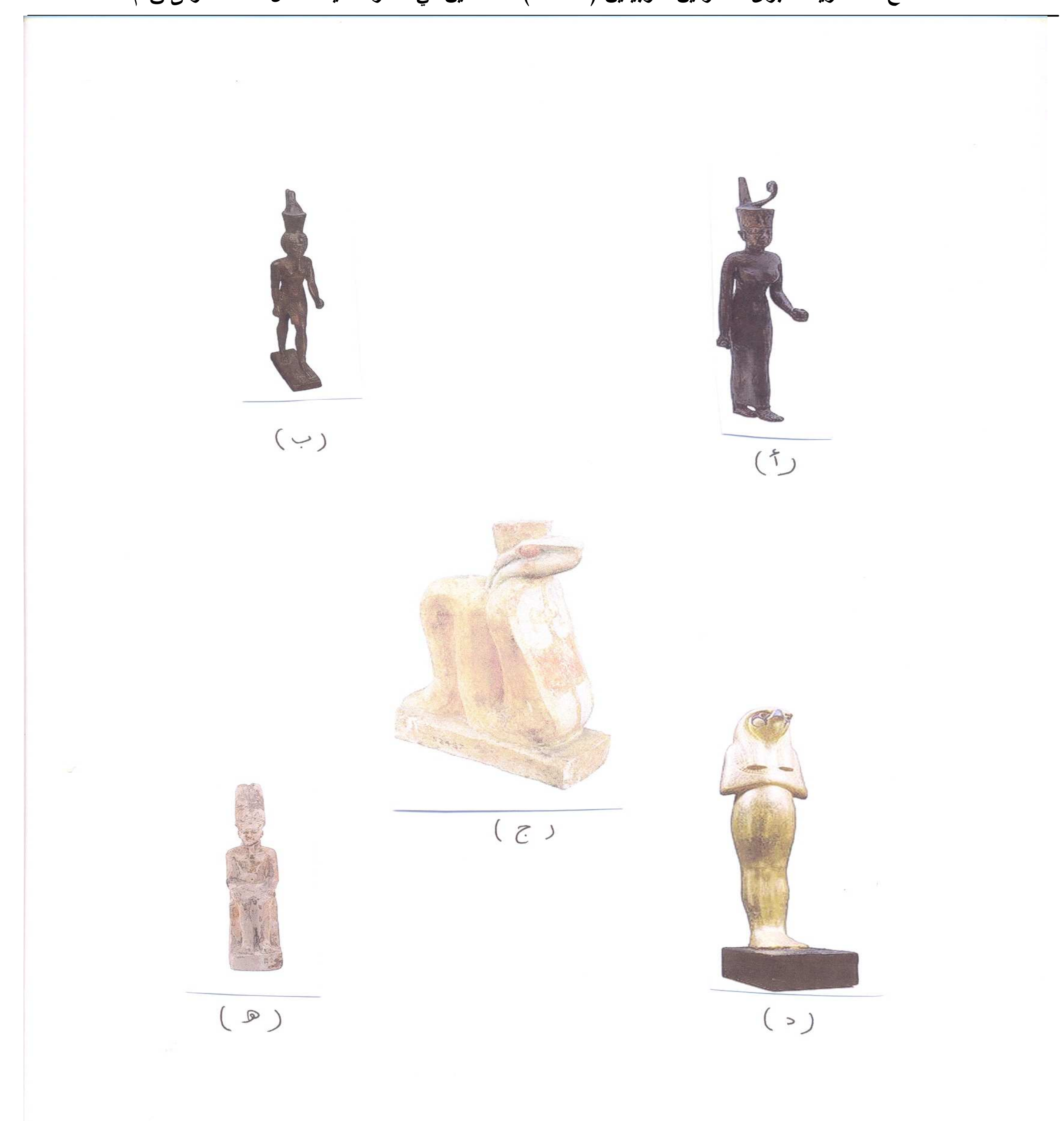
**خلاصة لما سبق** ، نجد أن اللوبيين في مصر القديمة لم يدخروا جهدا في عبادة كبار الآلهة المصرية القديمة فقط ، فالملاحظ عليهم هو أنهم عبدوا الآلهة التي تواصلت عبادتها منذ عهد الدولة القديمة ، وهي في عمومها قليلة العدد ، فإذا ما قورن الفرد اللوبي المتمصر بالمصري القديم وجد أن اللوبي كان يقتصر في عبادته على كبار الآلهة المصرية .

---

( 1 ) أدولف إيرمان ، المرجع السابق ، ص .424 .

( 2) المرجع نفسه ، ص .424 .

( 3 ) عبد العزيز صالح ، الأسرة في المجتمع المصري ، دار القلم ، القاهرة ، 1961 ، ص . 353 .




**<u>الشكل رقم ( 30 )</u> : أهم الآلهة المصرية التي عبدها اللوبيون .**

( أ ) : تمثال الإلهة نيت ، ربة الحرب والصيد تمثل بتاج مصر السفلى والحلي المصرية العريقة .

( ب ) : تمثال آمون رع الذي كان يرتبط ارتباطا وثيقا بالكبش .

( ج ) : تمثال حجري لأفعى الصلّ ، مصوّر برأس متأهــبة وارتــبط تقديســـها بالإله آمون رع .

( د ) : تمثال لحورس ورمزه الصقر ، من الذهب على هيئة مومياء ، وأخذ حورس أشكالا عديدة .

( هـــ ) : تمثال آخر لآمون رع جالساً .

**<u>نقلا عن :</u> -www.cairomeusem.eg**

**<u>تاريخ الزيارة</u> : 2008/12/22.**

## ثالثاً– لغة المجتمع ونهاية الوجود اللوبي في مصر

كان للتحنو والتمحو و الليبو والمشوش والأسبت والكهك والشاي والهس والبكن وغيرهم من قبائل بلاد المغرب القديم ، لغةً مشتركةً تكلموا بها وتواصلوا بواسطتها ، إلا أن الدليل الأثري لذلك غير موجود – لحدِّ الآن – .

أما الدليل الأنثروبولوجي، فإن بعض علماء اللغة واللِّسَانيات المتخصصين ، ومنهم على سبيل المثال اللغوي فريديرك كولان ومن قبله أوريك بيتس ، قد عمدوا إلى المنهج التعليلي الاستنباطي للموروث اللهجي من النقوش الهيروغليفية المدونة في آثار الأسرتين اللوبيتين ، فوجد الكثير من الكلمات اللوبية ، ولذلك حاولوا أن يرجعوا تسمية اللوبيين التاريخية إلى أولى القبائل في التاريخ التي تكلمت بها وهي قبائل اللبو ، مستندين في ذلك على تمكن اللبو من تشكيل مجتمع واضح المعالم، قوي البنية عندما توفرت له الشروط اللازمة في مصر ، ولكن حري بنا أن نتساءل : هل يكفي أن نعتمد على اللهجات لإطلاق ذلك الحكم ؟ وهل إن دراسة نقوش أسماء الأعلام اللوبية خلال الألف الأولى ق.م كافية لمعرفة ما إذا كانت هناك لغة لوبية عتيقة موحدة تكلمها اللوبيون ليس فقط في كامل المنطقة الممتدة بين غرب النيل ورأس سولويس ، بل أيضا في إقليم الدلتا خلال العصر المتأخر ؟

### 1– طبيعة اللغة اللوبية العتيقة

لقد عقدت دراسات لغوية حول كلمات في الهيروغليفية مشابهة في النطق والمعنى لما تكلمته القبائل اللوبية ، بدليل أن بقاء اللغة البربرية في بعض الواحات المصرية وخاصة واحة سيوه لا تزال متداولة لحد الآن .

فعلى سبيل المثال : كلمة " بت " في المصرية تعني الملك ، وأول ملك إغريقي في قورينة أطلق عليه اسم " باتوس " كاسم علم ، وهي كلمة متداولة إلى جانب الكلمة الشهيرة " مس " وتعني الملك ، وهناك الكثير من الكلمات المتداولة والتي تؤدي نفس المعنى والنطق في المصرية واللوبية والإغريقية . [1]

---

( 1 ) سارجيو دونادوني ، مصر في الألفية الأولى قبل الميلاد ، تر: أحمد الصمعي ومحمد بن مراد ، منشورات أليف ، تونس ، ص . 9 .

كما عثر في جدران المعابد بتانيس على أسماء أعلام مدونة بالهيروغليفية مثل : مس و يزار وهو أمير لوبي ويبشي و مزدر ، بالإضافة إلى أفعال مثل : يباد أي ذهب و سوْر بمعنى شرب ، وهذا في ظاهرة لم تعهد إلا في النصوص المصرية القديمة . [1]

هذا ما يدعم أن للُّغة اللوبية العتيقة قواعد ومفردات خاصة ، وقد تكلمها اللوبيون منذ فترة فجر التاريخ ، لكنها غير معروفة تماماً كما هو الحال بالنسبة للغة النوميدية التي تكلمها السكان خلال القرن الثاني ق.م .[2]

هكذا ، تظل اللغة والكتابة أحد أهم القضايا التي تطرح في تاريخ المجتمع اللوبي القديم عبر حقب التاريخ .

بعد سقوط الأسرة الثالثة والعشرين على يد الأسرة الصاوية ، تصمت المصادر عن مصير اللوبيين اجتماعيا وثقافيا، لكن الغالب أنهم اندمجوا حتى الانصهار بل ولعلهم قد أخفوا أصولهم ، وابتعدوا كثيراً عن مناطق الاضطراب والتحول السياسي المستمر مفضلين مناطق أكثر عزلة مثل الواحات الداخلية .

كما لم تذكر المصادر سوى أنَّ القبائل اللوبية قد استقرت بعيدة عن الحدود الغربية لمصر كثيراً وإلى ما وراء برقة والجبل الأخضر ، لسببين رئيسيين أولهما : ضعفها عسكريا بعد استحالة استيطانها في مصر، وثانيهما ظهور قوى جديدة في عالم البحر المتوسط القديم ، ليتركز دورها الحضاري في مناطق أخرى ، ولكن ليس باتجاه الشرق و إنما باتجاه الشمال الغربي من قارة أفريقيا حيث ازدهرت الحضارة الفينيقية ممثلة في الدولة القرطاجية . [3]

## 2- القبائل اللوبية ومكانتها في المنظومة الاجتماعية المصرية

إن التساؤل الذي يطرح نفسه في المجال الاجتماعي المشترك بين اللوبيين والمصريين هو : هل شكَّلت القبائل اللوبية مجتمعاً خاصاً في مصر بالمفهوم السوسيولوجي العام مستفيدة من إرثها التاريخي الطويل وعلاقاتها بمصر القديمة التي كانت – آنذاك – أكبر قوة حضارية ؟

(1) - *Oric Bates , Op. – Cit. , P. P.( 82 – 83 ) .*

(2) –*Fréderic Colin , Op. – cit , P. 88 .*

(3) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 73 .

لقد كانت تلك القبائل كياناً جماعياً ، يتطور عبر الزمن ويتألف من شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة والمستقرة نسبيا ، وقد تجدَّد هذا الكيان في الزمان والمكان ، وربطت أفراده لغة مشتركة ، واستمر التفاعل فيما بينهم مبلوِراً لهم أسلوباً مشتركاً للحياة ضمن بيئة جغرافية محددة ، فكانت لهم بفضلها ثقافتهم التي شملت : أدوات الإنتاج الخاصة بهم ، ومساكنهم وملابسهم وطعامهم وأزيائهم *( انظر الشكل رقم (31) . ص 152. )* ، فضلاً عن بعض المظاهر المحسوسة كالأساطير والقيم و المعايير و وقواعد السلوك وطرق الإدراك والتفكير والعادات والتقاليد .

بمرور الزمن حصل تراكم للثقافة المغاربية القديمة ممثلة في صورتها الأولى بالثقافة اللوبية ، فشكَّلت مجتمعاً متغيراً بأجزائه وعلى الرغم من أنه يبدوثبوتيا جامداً ، لكنه يتغيَّر ببطء شديد منذ الألف الثالثة ق.م وإلى غاية القرن الثامن للميلاد ، كانت مصادر التغيّر فيه داخلية وخارجية بحسب ما تقتضيه ضرورة التكيّف مع البيئة والحضارة المصرية العريقة .

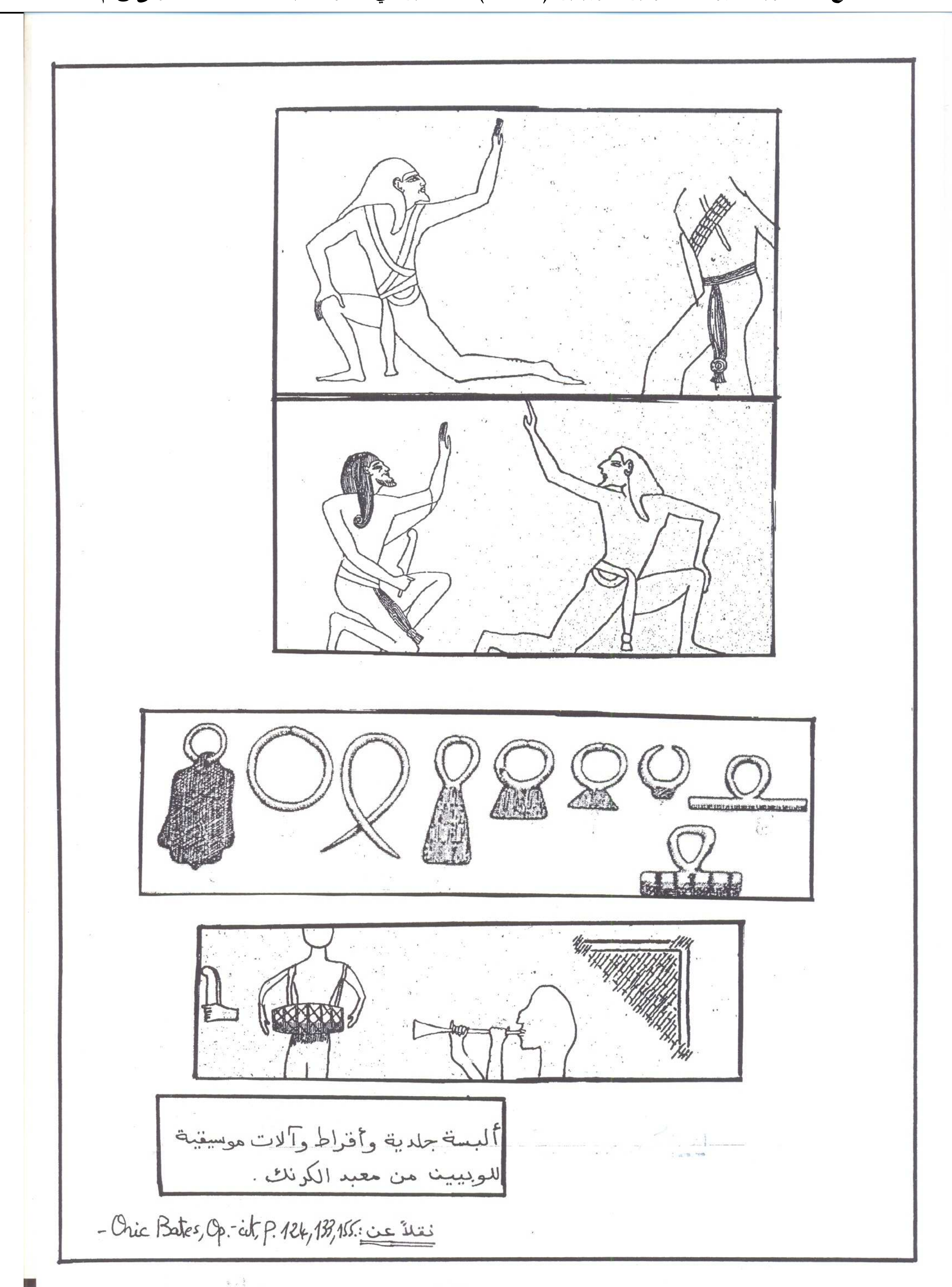
كما أن هناك تشابه بين أفراد الجماعات القبلية اللوبية من الوجهتين السلوكية والطبيعية ، إذ خضعوا لنظام الجماعة ، واستعبدوا لتقاليدها ومحرماتها الكثيرة خاصة في الجانب الديني ، وتشبعوا بالخوف من قوى الطبيعة والأشباح ، فكان قانونهم الخُلُقي والاجتماعي واحدا .[1]

كما اضطلع المجتمع اللوبي القديم الذي ذكرته المصادر المصرية بنظام تقسيم العمل الاجتماعي في أشكاله البسيطة ، إذ كان للمرأة دورها في رعاية الأطفال وللرجل دوره في الزراعة والصيد والحرب ، فقد حصل المصريون على القصدير النقي والأنتيمون وهو شبه كريم كالفيروز من خلال تنقيب اللوبيين عنه ، وكانت صناعة الذهب قد بلغت شانا كبيرا إذ كان يلحم ببعضه ويخلط ببعض المواد كالمنجنيز والقصدير.[2]

---

( 1 ) دنكن متشل ، المرجع السابق ، ص . 227 .

( 2 ) فلاندرز بتري ، المرجع السابق ، ص . 256 .




**الشكل رقم ( 31 ) :**

**نماذج نسخية وضعها المؤرخ أوريك بيتس عن آثار اللوبيين التي خلفت منذ زمن شيشنق الأول على جدران معبد الكرنك**

هذا ، و تشير معظم الشواهد التاريخية المصرية إلى أنَّ قبائل التحنو و التمحو ثم الليبو والمشوش كانت قد عانت من الصراع المستمر مع مصر القديمة ذات الكيان السياسي المنظم الدقيق السيادي في أرض مصر .

**خلاصة لما سبق** ، فإنَّ دراستنا للمجتمع اللوبي القديم من الوثـائق المـصرية تبرز لنا إلى أي مدى كان هذا المجتمع القبلي متشابهاً ومتآلفاً غبر تاريخه الطويل .

إنه منذ القرن الثامن ق.م وإلى غاية القرن الخـامس ق.م ، ونظـرا لـصمت المصادر الكتابية عن تناول هذه الفترة في تاريخ المجتمع المغاربي القـديم ، لا توجـد أدنى إشارات تاريخية تتناول المظاهر الكبرى لهذه المرحلة ، حيث تتغير موازين قوى العالم القديم لصالح حضارات البحر المتوسط وفي مقدمتها الحضارة الإغريقية ، ليبـدأ معها اهتمام الرحالة بمنطقة المغرب القديم ، وذلك من خلال ما خلفوه من كتابات وفي مقدمة هؤلاء أبي التاريخ هيرودوتوس .

# الفصل الرابع

## ظهور ونشأة المجتمع اللوبي القديم خلال القرن الخامس ق.م

أولا : السِّمات العامـــة للـــمجتـــمع الــلوبي الـــــــقـــديـــم.
ثانياً : البـــنـــية و العـــلاقات الاجتماعــية في المجتمع اللوبي القديم.
ثالثاً : السِّـــمـــات الـــحـــضـــاريَّـــة للـــمـجتمع اللوبي القديم.

اتجهت المصادر الكتابية الإغريقية إلى تقديم اللوبيين في صورة مغـــايرة عمـــا كانت عليه في المصادر المصرية ، بحيث أصبح مصطلح " لوبه واللوبيين " شائعاً عند الإغريق ، وقصدوا به جموع القبائل التي ما انفكت تعيش في شمال أفريقيا منذ فجـــر التاريخ ، وتمتد ربوعها من السرت الكبير إلى المحيط الأطلسي بما في ذلك الصحراء الكبرى .

تفرَّع اللوبيون وفقاً لذلك المفهوم إلى قبائل كبرى وصغرى كثيـــرة – ســـيرد ذكرها لاحقاً – ، وقد أشار إليهم القدماء في كتاباتهم ، إلا أن الملاحظة الأولى حـــول حياتهم الاجتماعية أنه على الرغم من تعدد عناصرهم وخصوصياتهم المتمثلـــة فـــي طرق العيش وفي بعض العادات والتقاليد ، والتي وصفها هيرودوتس – فـــي الكتـــاب الرابع من مؤلَّفه الشهير المعروف بالتواريخ – فإنهم متشابهون في ملامحهم الحضارية العامة ، فكيف كان ذلك وما هي مظاهره ؟ [1]

## أولا – السمات العامة للمجتمع اللوبي القديم

### 1 – البيئة والسكان في المصادر الإغريقية

لقد كان النطاق الجغرافي لبلاد لوبه عند الإغريق ممتدا وواسعاً ، يبـــدأ عنـــد هيرودوتوس وبوليبيوس ثم ديودوروس [2] شرقاً من غربي النيل ، وينتهي غربـــاً عنـــد المحيط الأطلسي ، ويبدأ شمالاً من البحر المتوسط ، وينتهي جنوباً عند بلاد الأثيوبيين السود ، ولذلك اعتبر الإغريق اللوبيين وحدةً عرقيةً حضاريةً على الرغم مـــن تعـــدد قبائلهم وتباين أوضاعهم وتقاليدهم . [3]

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ص . 318 .

( 2 ) *- Hérodote , Op.- Cit. , T : IV , P. 211 . Et : Stéphane Gsell , Textes relatifs à l'Afrique du Nord (Hérodote ) , Imprimerie Nationale , Alger , 1915 , P . 71 ; l'Histoire de Polybe , Histoire Générale , T : I , Liv : I , trad. Fr. Pierre Watz , Autres trad. : Thuillot et Bochot , par Num. 77 . Sur le lien: www. Remacle .org/bloodwolf/historiens/Polybe/un.htm. ; Diodore De Sicile , Op.- Cit. , Par. 49 , P.1 . Sur le lien : www.mediterranées.net.*

( 3 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون وحدةٌ أم شتاتُ ... " ، ص . 49 .

إذا ما طبقنا المفهوم الاجتماعي للقبيلة على مفهوم القبيلة اللوبية فإننا نجده متشابها ، فالقبيلة اللوبية كانت عبارة عن : " تجمّع صغير من الناس ، يستغلون إقليماً معيَّناً ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية متجانسة ثقافيا " .[1]

لذلك ، فقد كانت نظرة الإغريق أكثر تفصيلاً ووضــوحا منهــا عــن نظــرة المصريين وخاصة في مجال رصد السلوكات الاجتماعية ، فالمصريون مــثلا كــانوا ينظرون إلى اللوبيين على أنهم مجموعات كبيرة، ودليل ذلك أن المــصادر المــصرية ذكرت أربعة مجموعات كبرى ، عرضت لأحوالهم الاجتماعية في نقــوش المعابــد ، فصوَّرتهم تصويراً واضحاً عكس ملامحهم الخَلْقيَّــة وأزيــاءهم وأســلحتهم وأذواقهــم ومعتقداتهم ، فمثلا : إنَّه في عهد الملك سيتي الأول أبــرزت النقــوش دقــة الملامــح والثياب و الأوشام التي ظهر بها لوبيي الألف الأولى ق.م ، والذين ما كــانوا ســوى أجداد اللوبيين الذين ذكرتهم المصادر الإغريقية خلال القرن الخامس ق.م . [2]

**أ – لوبه عند هيرودوتس**

كانت المصادر الإغريقية واضحةً في تقديم رصدٍ شــاملٍ للُّــوبيين ، وخاصــة مصنَّفات هيرودوتس ، كونها تعتبر أقدم وأوضح مصادر كتابية تعود إلــى منتــصف القرن الخامس ق.م ، فيها قدَّم هيرودوتس معلوماتٍ قيِّمةٍ عن الــسمات العامــة لــبلاد المغرب القديم من امتداده الجغرافي إلى التعريف بالقبائل التي تقطــن عبــر ربوعــه ونسيجها الاجتماعي، ومن ملامح جغرافيته الطبيعية والبشرية إلــى التطــرق لــبعض عناصر العقليَّة التي تميِّز المجتمع القبلي باعتبار الأسفار والرحلات الاستكشافية كانت محكاً لإظهار البطولة .[3]

*( انظر الخريطة رقم ( 12 ) . ص . 157 )*

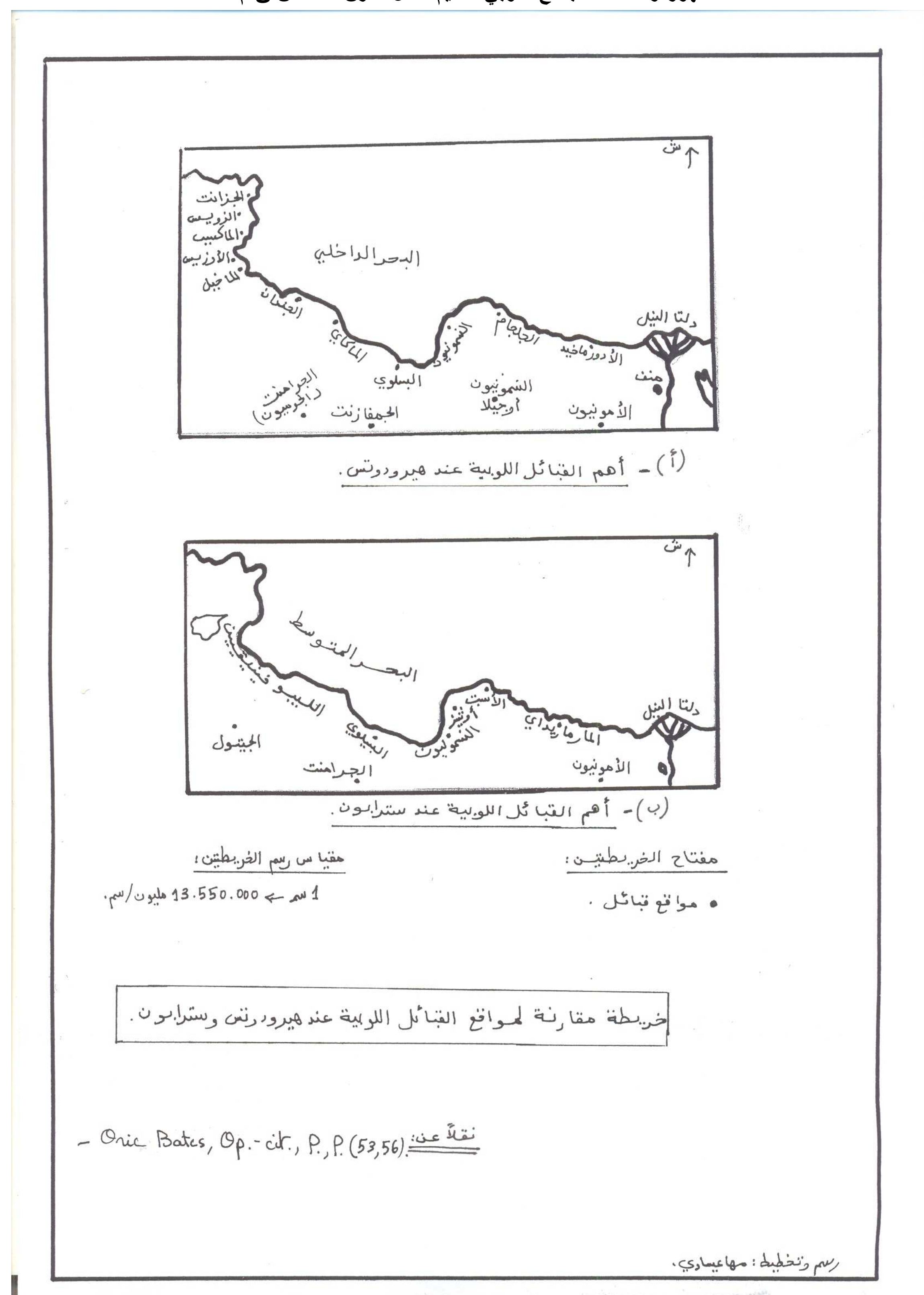
أما عن جغرافية بلاد لوبه ، ففصَّلها المؤرخ ستيفان جزال بناء علــى روايــة هيرودوتس ، إذ ذكر أنها كانت بلاد آهلة بالسكان وفيها مستوطنات فينيقية وأخرى

---

[1] محمد نجيب بوطالب ، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط. 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2002 ، ص . 55 .

[2] محمد حسين فنطر ، " اللوبيون..." ، ص . 49 .

[3] المرجع نفسه ، ص. ص. ( 45 – 49 ) .




**الخريطة رقم ( 12 ) :**

**خريطة مقارنة لمواقع القبائل اللوبية عند هيرودوتس واسترابون**

إغريقية ، وأقاليم زاخرة بالحيوانات البرية ، وصحارى رملية مليئة بالكثبـــان ، ومن وراء المنطقة التي يسكنها اللوبيون وهم سكان يختلفون اختلافاً كلياً فيما بينهم من حيث لون بشرتهم وطول قامتهم وثقافتهم ، وهم أقوام من أهل الحضر يسكنون المدن ويتعاطون الزراعة .[1]

أما عن النسيج الاجتماعي ، فإنَّ سكان لوبه ينتسبون إلى عرقٍ واحدٍ ، وقد أثبت هيرودوتس ذلك بحكم الصورة الأنثروبولوجية التي قدَّمها عنهم ، فباستثناء الفينيقيـــين والإغريق الدخلاء فإنَّه لا يستبعد أن يكون سكان بلاد لوبه قد تكلموا لهجات متـــشابهة فيما بينها بالرغم أحياناً من اختلاف أنماط حياتهم اليومية ، ولذلك فإن التشابه اللغـــوي هو صورة ثانية من صور تعزيزِ الوحدة الإثنوغرافية بين القبائل اللوبية إلـــى جانـــب وحدة الزمان والمكان والتاريخ المشترك .[2]

## 2 – <u>التعريف بالقبائل اللوبية ومعايير تصنيفها</u>

يمكن القول إنه وبالنظر لتعريف المجتمع من الوجهة الاجتماعية ، فـــإن تجمُّـــع القبائل اللوبية كان قد شكَّل في مفهومه الواسع المجتمع اللوبي القديم الكبيـــر ، الـــذي ينضوي بداخله عدد من المجتمعات القبلية المونوغرافية المتعددة الخصائص والعناصر الثقافية المميزة لكلٍّ واحدٍ منها .[3]

إن المجتمع اللوبي كان من المجتمعات القديمة غير المعروفة جيداً في المصادر الكلاسيكية ، ذلك أن أخباره وردت على هامش الأحداث التاريخية الرئيسية فـــي تلـــك الكتابات ، حيث صنف المؤرخون القبائل اللوبية في المغـــرب القـــديم إلـــى صـــنفين معتمدين في ذلك على مقياس الحدود الجغرافية الكبرى ، على النحو الآتي :

– <u>التصنيف الأول</u>

اعتمد على التقسيم الجغرافي من الشمال إلى الجنوب كالآتي :

---

[1] - *Stéphane Gsell , " Textes relatifs... " , P. 88 .*

[2] - *Hérodote , Op. – Cit . , P . P . ( 251 – 255 )* .

[3] *<u>لمزيد من المعلومات انظر</u>* : صلاح مصطفى الفوَّال ، علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ، ص. ص . ( 115 – 121 ).

– **قبائل حوض المتوسط**

كانت قبائل قليلة العدد ، من خصائصها أن حدودها متلاصقة ، و تنتمي في نشاطها الاقتصادي إلى القبائل الرعوية .

– **قبائل المناطق الداخلية**

هي قبائل لم تفصّل في ذكرها المصادر ، وإنما اهتمت بأكثرها تعدادا من حيث النشاط الاقتصادي ، وتميزت بكونها متجاورة ، و سكانها مزارعون ، وفي مرحلة لاحقة سيطر الرومان على أراضيهم ، فطمسوا بذلك تاريخهم .

– **القبائل الصحراوية**

هي قبائل كثيرة العدد ، متباعدة المسكن تعاطت التجارة وتربية الحيوانات.

– **التصنيف الثاني**

كان قوامه حاجز طبيعي مائي هو بحيرة التريتونيس ، وعليه انقسم اللوبيين إلى شرقيين وغربيين كما سيرد ذكرهم لاحقا .

أ – **التعريف باللوبيين الشرقيين**

اللوبيون الشرقيون هم الذين امتدت ربوعهم من السرت الكبير إلى بحيرة التريتونيس ، وتوزعوا على طول الشريط الساحلي وصولاً بالمنطقة الداخلية المتاخمة له ، وكانت تلك القبائل قد تشابهت في التركيبة الاجتماعية من حيث عاداتها وتقاليدها وذلك بحكم الجوار الجغرافي ، والملاحظ عليها أنها لم تستطع خلال تاريخها الطويل أن تشكّل كياناً سياسيا متماسكا ، وذلك لعدة أسباب لعل أهمها :

– السيطرة الإغريقية على المدن الحيوية مثل مدينة قورينه بليبيا حالياً.

– صعوبة وتنوُّع مناخ المنطقة – حيث أنها منطقة صحراوية منخفضة الارتفاع ورملية السطح في الشرق ، وبالغة الخصوبة في أقصى الغرب – مما أثَّر بصورةٍ واضحةٍ على طبيعة نظام الحكم الذي ظلَّ محصوراً في النظام القبلي والاستفادة قدر الإمكان من المجال الحيوي الذي كان أفراد الجماعة يعيشون ضمنه . [1]

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 54 ـ محمد علي عيسى ، المرجع السابق ، ص. ص. (4–6).

لقد ذكرت المصادر اللوبيين بأسماء أعلام اختلف اللغويون في مصدرها اللغوي سواء من الأصل الإغريقي أو اللوبي – وإن كنَّا نرجِّح الأوَّل – وكـان ذلـك علـى الترتيب من الشرق إلى الغرب :

الأدورمكيديون ، الجيلجاميون ، الأسبوتيون ، المرمريديون ، الأوسكيـسيون ، النسمونيون ، الفـسليون ، المـاقيون ، الجمفاسـيون ، الجنـدانيون ، اللوتفـاجيون ، الماخلويون ، الأوسيون .[1]

**ب – <u>التعريف باللوبيين الغربيين</u>**

هم الذين أقاموا في المنطقة المحصورة بين بحيرة التريتونيس إلى غاية أعمدة هرقل ، وذكرتهم المصادر الإغريقية بإسهابٍ .

أما المصادر الرومانية فإنها قد فصلت في تاريخهم وعاداتهم ، كما أطلقت على بعضهم تسميات لم تكن موجودة من قبل كقبائل النوميد – باعتباره اسما علمـا ولـيس صفة كما كان في المصادر الإغريقية – ولم يسبق للإغريق أن تناولوها بالذكر، هـذا بالإضافة إلى أن هيرودوتس قد ذكر قبائل ما وراء بحيرة تريتونيس ، والتـي بعـض مناطقها تقطنها القبائل النوميدية .

يمكن القول أن ذلك راجع إلى أنَّ الرومان قد ثقِفُوا المنطقة الغربية أكثر مـن المنطقة الشرقية والوسطى فاهتموا بقبائلها أكثر من غيرها مثل بلينوس الكبير. ***<u>( انظـر الخريطة رقم ( 13 ) . ص . 161 )</u>***

وتلك القبائل – على الترتيب– في معظم المصادر الإغريقية هي :

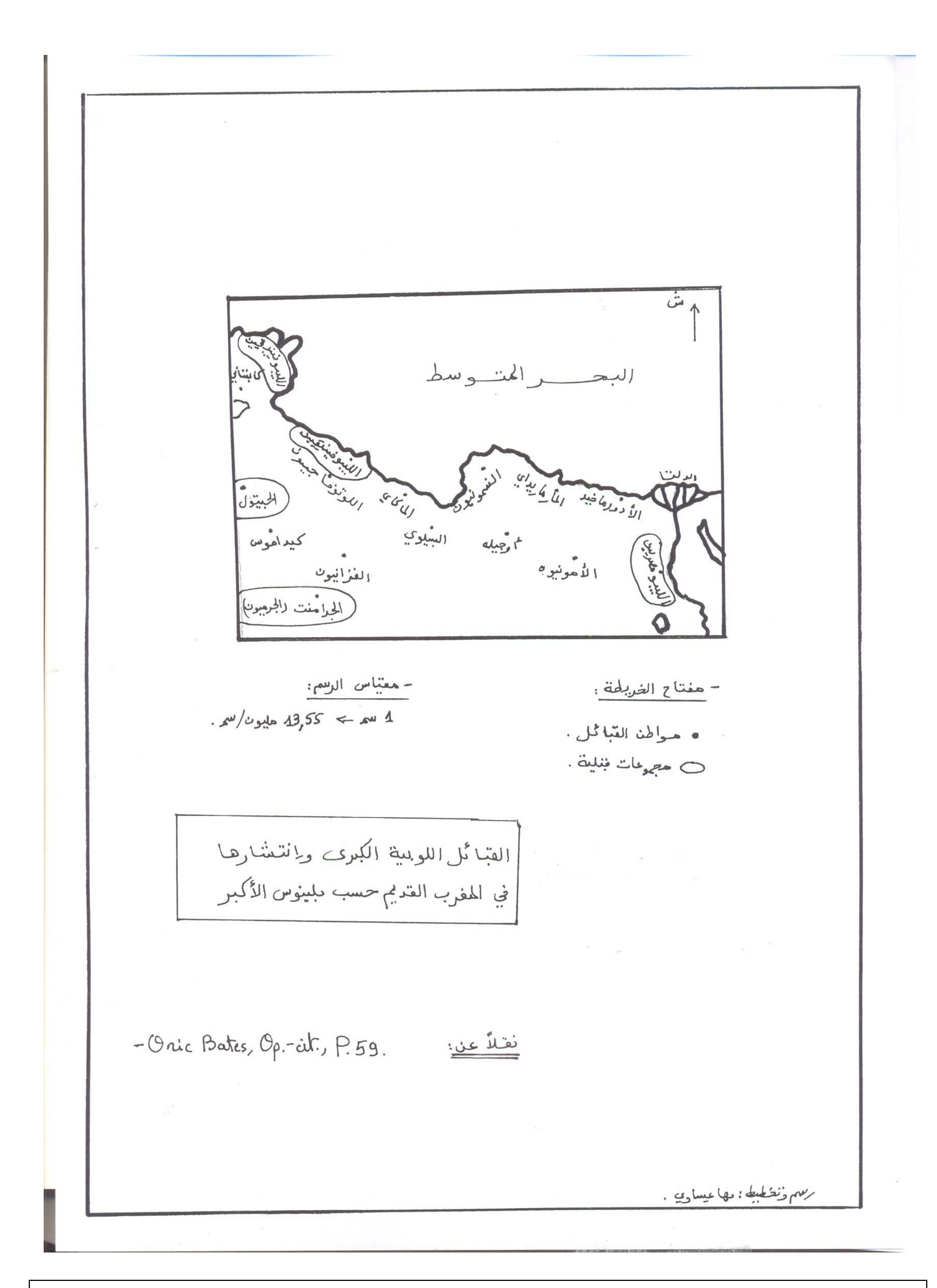
الأوسيون ، الماكسويون ، الزويون ، الجيزيـون ، الأمونيـون ، الجرميـون ، الأتريون و الأطليون .[2]

---

( 4 – 6 ) - علي فهمي خشيم، نصوص ليبية ، ط.2 ، دار تامغناست ، القاهرة ، 1975 ، ص .ص .( 33 – 45 ) .

( 1 ) وردت أسماء القبائل في المصادر الإغريقية بالصيغة اليونانية مثلا : الأدورماخيداي ، و قد قام المؤرخـون العـرب بترجمتها وفقا لقواعد اللغة العربية ، ومنهم المؤرخ محمد حسين فنطر في المعهد القومي للتـراث بتـونس . **لمزيـد مـن المعلومات انظر :** محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص.ص. ( 293– 362) .

( 2 ) هذه هي كل القبائل اللوبية المذكورة حسب المؤرخ الكبير أوريك بيتس الذي استقاها ورتبها بعد مقارنات بين جميع المصادر القديمة التي ذكرت اللوبيين . ***<u>لمزيد من المعلومات انظر :</u>*** *- Oric Bates , Op. – Cit. , P . P. ( 52 – 54 ) .*




**الخريطة رقم ( 13) :**

**القبائل اللوبية الكبرى وانتشارها في المغرب القديم حسب بلينوس الأكبر**

لقد كانت تلك القبائل كثيرة العدد ، ولعل ذلك مردُّه انتهاج سياسة الاتحادات القبلية الداخلية فيما بينها . وتقطن بعيدة عن بعضها بعضاً بمسيرة عشرة أيام ، إذ لم يجمعها الجوار الجغرافي كما هو الحال بين اللوبيين الشرقيين . [1]

تجدر الإشارة إلى أنَّ هيرودوتس لم يغفل أيا من القبائل ، فذكر قبائل صــــغيرة لكنها غاية في الأهمية بالنسبة لتاريخ المغرب القديم ، كالماكسويين الــذين اعتبــروا أحفاد المشوش المذكورين في المصادر المصرية ، بالإضافة إلى الزويين والجيزيين .

**3 – <u>القبائل اللوبية ومواطنها</u>**

تعد عملية ضبط المجال الجغرافي للقبائل اللوبية مــن أهــم محطــات دراســة المجتمع اللوبي القديم خلال مرحلة العصر الكلاسيكي مابين القرنين السادس والخامس ق.م ، ذلك أنها تبين لنا المواقع القديمة المأهولة من جهة ، وتوضح مدى ارتباط تلــك القبائل لاحقا بمواطنها من جهة أخرى ، ودأبها على تــشكيل اتحــادات قبليــة لحفــظ مكتسباتها الأرضية ، ولا تتجاوز القبائل اللوبية عشرين قبيلة هي [2] :

**أ – <u>الأدورمكيديون ( *Adyrmachidae* )</u>**

شغلت قبيلة الأدورمكيديين المنطقة المحصورة بين دلتا النيل إلى ميناء بلينوس ( سيدي براني حاليا ) ، وتعد أقرب القبائل إلى مصر وأكثرها تأثرا بالحياة المصرية ، باستثناء الملابس التي كانت تشبه ملابس بقية اللوبيين .

كانت ترتدي المرأة الأدورمكيدية خلاخل برونزية وتطيل شعرها ، وعن وضع المرأة المتزوجة لا نجد سوى إشارةٍ واحدةٍ تتمثل في أنَّ ملك القبيلة كان يفضُّ بكــارة كل فتاة تروق له . [3]

ولعل من الأسباب التي دفعت بالأدورمكيديين إلى الاعتراف بذلك العرف قربهم واحتكاكهم بالمصريين الذين كانوا يقومون بذلك عندما ينزلون إلى الأرياف .

---

( 1 ) *–Oric Bates,Op.-Cit., P . 52 .*

( 2 ) ***<u>القبائل اللوبية</u>*** : تناول هيرودوتس جل تلك القبائل وقد قام كلا من علي فهمي خشيم ومصطفى كمــال عبــد العلــيم بترجمة دقيقة لما كتبه هيرودوتس ، ولكن ذلك لم يمنعني من الاطلاع على المصادر الأساسية بلغة وسيطة هي اللغة الفرنسية بغرض المقارنة والتأكد من دقة الترجمة ، فوجدت ما تفضل به المؤرخان سابقا الــذكر شــاملا كــاملا ، ولــذلك اعتمــدت ترجمتيهما بالدرجة الأولى وكذا ترجمة عبد الإله الملاح التي تعد أحدث ترجمة صدرت سنة 2002 .

( 3 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 47 . ؛ عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 76 .

**ب – الجلجاميون ( *Giligamae* )**

شغل الجلجاميون المنطقة المحصورة بين ميناء بلينوس إلى جزيرة أفروديسياس ( جزيرة كرسة غرب درنة حاليا ) ، وبها أرض نبات السلفيوم[1] الشهير ذي الخصائص العلاجية العجيبة ، وعاداتها تشبه عادات الأدورمكيديين .[2]

**ج– الأسبوتيون ( *Assbostae* )**

توزعت مضارب الأسبوتيين إلى الداخل من مدينة قورينة ، وأرضهم لا تتصل بالشاطىء ويستخدمون العربات التي يجرها الجياد ، وقد تأثروا بعادات القورينيين . [3]

**د – المرمريديون ( *Marmaridae* )**

المرمريديون قبيلة كبيرة العدد وتمتد أراضيها من برقة إلى خليج السرت الكبير ، وانسع نطاقها الجغرافي – آنذاك – لاحقاً حتى وصل بارايتوم ( مرسى مطروح حالياً ) .

**هـ – الأوسخيون ( *Auschisae* )**

قطنوا إلى الداخل وراء برقة ويصلون إلى يوسبيريس ( بنغازي حاليا ) ، وفي أرضهم تقيم قبيلة البقالس الصغيرة في توخيرا ( توكرة حاليا ) ، ولها العادات نفسها التي للأوسخيين .[4]

**و – النسمونيون ( *Nasamonis* )**

كانت قبيلة كبيرة ، انتشرت إلى الجنوب الغربي من قبيلة الأوسخيين ، على طول المنطقة الساحلية الممتدة بين خليج السرت الكبير شمالاً ومنطقة أوجلة جنوباً . [5]

---

( 1 ) ***نبات السلفيوم ( Sélvium )*** : اسم إغريقي لنبات اشتهر في سواحل لوبه الغربية ، كان يباع بوزنه فضة في الأسواق الإغريقية ، كان يستخدم في المعالجة الطبية للأورام والكدمات ، ويصنع منه نوع أبيض من الخمر . ***لمزيد من المعلومات*** **انظر**:
- *Pline l'Ancien , Histoire Naturelle , T : XXII , Trad.Emile Littré , éd.Dubochet , Paris , 1850 , Par. N. XLVIII, P.28.*

(2 ) *– Hérodote , " Textes relatifs … " , P . 9 .*

( 3) علي فهمي أخشيم ، نصوص ليبية ، ص . 33 .

( 4 ) المرجع نفسه ، ص . 34 .

( 5) محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان : الجرميون والنسمونيون " ، مجلة أدوماتو ، ع : 5 ، الرياض ، جانفي 2003 ، ص. 47 .

**ز – الفسليون ( *Psylloi* )**

أقام الفسليون حول خليج السِّرت الكبير، وقد خضعت منطقتهم للنسمونيين ، وقد انقرضت هذه القبيلة بسبب الجفاف الذي اجتاح المنطقة بفعل الرياح الجنوبية التي جفَّفت صهاريجهم ، وعندما زحفوا في الصحراء الرملية هبت عليهم رياح فطمرتهم في الرمال ، ولذلك استولى على أرضهم النسمونيين .[1]

**ح– الماقيون ( *Macai* )**

اعتبر الماقيون قبيلة صغيرة قطنت غابة كثيفة الأشجار يقطعها واد كينوس (واد كعام حاليا ) .

**ط – الجندانيون ( *Gindanes* )**

قطن الجندانيون غرب قبيلة الماقيين وكانت قبيلة صغيرة .[2]

**ي – اللوتفاجيون ( *Lotphagis* )**

عرف اللُّوتفاجيون في المصادر بأكلة اللوتس ( ثمرة النبق ) حيث يعد غذاؤهم الوحيد ، وإليه ينتسبون .

**ك – الماكلويون ( *Machlyis* )**

أقام أولئك غرب الجندانيين وكانوا يتغذون على اللوتس ، وتمتد ربوعهم إلى نهر تريتونيس الذي يصب في بحيرة التريتونيس الكبرى ، حيث توجد جزيرة فلا .[3]

**ل – الأوسيون ( *Ausis* )**

أقام الأوسيون في عمق السرت الصغير ، وكانوا يعبدون الإلهة أثينا وكانوا يقيمون لها الاحتفالات ، وكانت لهم عاداتهم المختلفة تماماً عن عادات الماكلويين .[4]

**م – الماكسيون ( *Maxis* )**

قطن الماكسويون غرب بحيرة التريتونيس ، حيث كانت من هناك تبدأ بلاد اللوبيين المزارعين الذين سكنوا البيوت ، وبلادهم وبقية الجزء الغربي من لوبه أكثر

---

( 1 ) علي فهمي أخشيم ، المرجع السابق ، ص . 36 .

( 2 ) مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 50 ؛ *Oric Bates , Op. – cit . , P .52 .*–

( 3 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون ... " ، ص . 50 .

( 4 ) *– Jehan Desanges , Catalogue des Tribus Africaines de l'Antiquité classique à l' ouest du Nil , éd. Pub. De la section d'histoire , Dakkar , 1962 , P . 81 .*

كثافة في غطائها النباتي وثراءً في حيواناتها ، ذلك أن الجزء الشرقي رملي ، وهذه المنطقة حيث يعيش اللوبيون الزراع جبلية الطابع ، وأشهر حيواناتها الأفاعي الضخمة والأسود والفيلة والدببة والحُمُرّ ذات القرون .

**ن – الأمونيون ( *Ammonianis* )**

قطن الأمونيون الإقليم الصحراوي في بلاد لوبه الذي يمتد بين طيبة بمصر إلى أعمدة هرقل ، بعد مسيرة عشرة أيام حيث تتوزع خلالها تلال الملح وينابيع المياه ، وإلههم آمون ، وتميزت أرضهم بينبوع الشمس وهو نبع بارد في النهار ودافئ في الليل . [1]

**س – الجرميون ( *Garamantis* )**

عرف الجرميون في المصادر المادية والكتابية بالجرامنت ، وهي قبيلة كبيرة العدد تنقسم إلى عدة قبائل صغيرة ، قطن أفرادها تخوم المنطقة الصحراوية من إقليم وجلة إلى موطن الإثيوبيين الذي كانوا يصطادونهم للاتجار بهم ، وتعاطوا التجارة والزراعة . [2] ***( انظر الخريطة رقم ( 14 ). ص . 166 )***

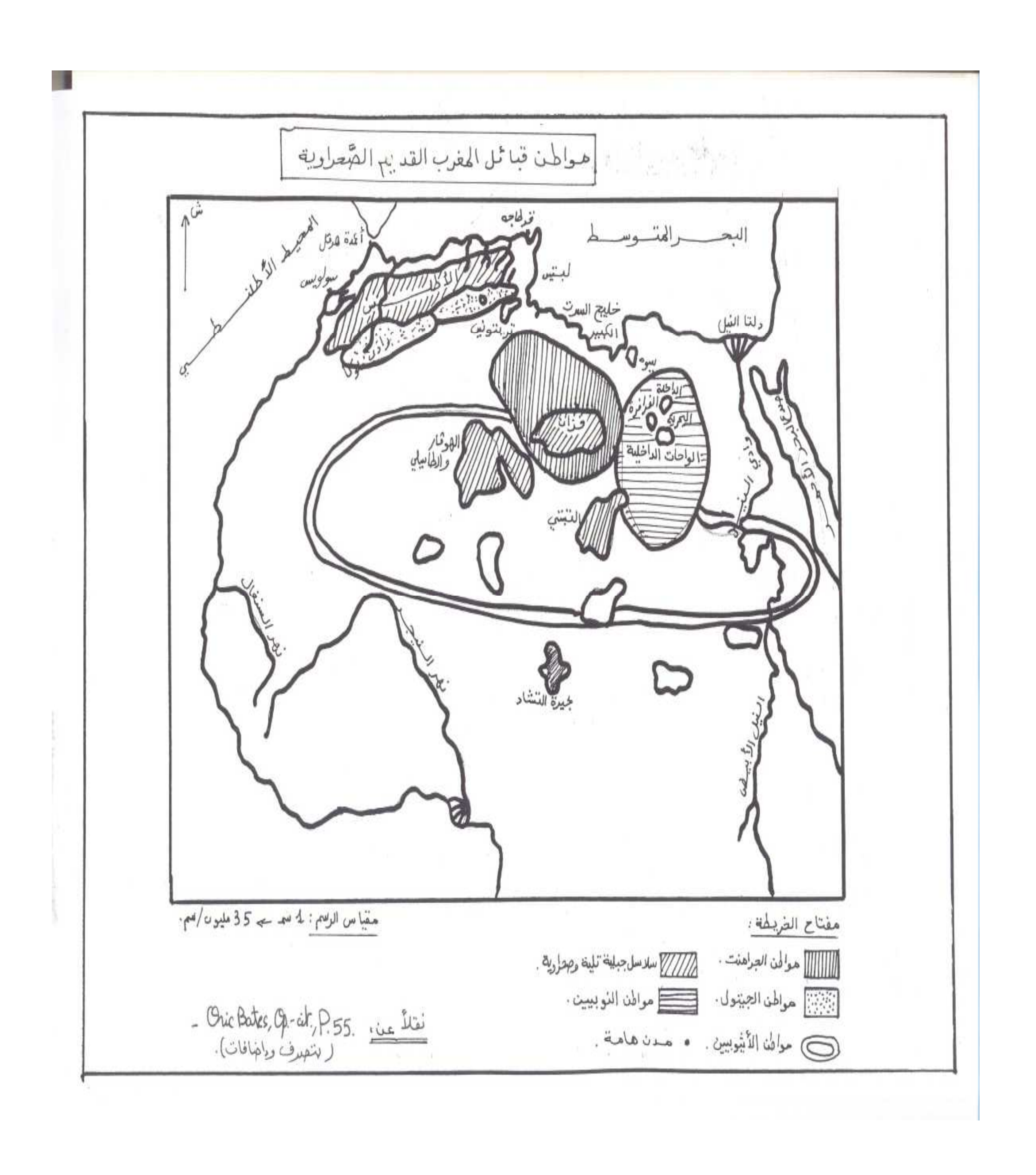
لقد زرع الجرميون الأرض عن طريق حفر القنوات في واحة مرزق قرب وادي أوباري (جنوب غرب ليبيا الحالية) ، مما سمح لهم بري مناطق شاسعة ، مما حذا بالأثريين إلى التساؤل عن التنظيم الاجتماعي الذي كان مطلوباً لإنشاء زراعة مستقرة .

كما توصلوا إلى أن ضخامة إنتاج الجرميين كان نابعاً من الأعداد الهائلة لهم وضرورة تحقيق كفاية غذائية لهم ، واستدلوا على كثرة عددهم من خلال مشروع حفر القنوات ، فلحفر قناة واحدة طولها أربعة كيلومترات بعمق 12 مترا ، كانت تتطلب 48 ألف رجل أو فريق عمل مكون من ألف رجل يعملون لمدة 72 عاما .

---

( 1 ) *Hérodote , " Textes relatifs … " , P . 19 .* –

( 2 ) محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان الجرميون والنسمونيون " ، أدوماتو ، ع : 5 ، الرياض ، جانفي 2005 ، ص . 46 .




**الخريطة رقم ( 14 )**

هكذا ، اعتبر الجرميون من أهم قبائل بلاد المغـــرب القــديم الــصحراوية ذات الخصائص الثقافية المميزة لها في المجال الاقتصادي ، حتى أنهم توصلوا إلى وضـــع رموز كتابية خاصة بهم في أوباري .[1] ***( انظر الشكل رقم ( 32 ) . ص . 168 )*** .

**ع – الأتريون ( *Atarantis* )**

سكن الأتريون على بعد مسيرة عشرة أيام مـــن مـــوطن الجـــرميين ، وكـــانوا يكرهون الشمس لأن بلادهم قاحلة جدا .[2]

**ف – الأطليون ( *Atlantis* )**

سكنوا على بعد عشرة أيام من الأتريين ، واتخذوا تسميتهم من جبـــل أطلـــس الذي كان يعرف بعمود السماء .[3]

**ص – الزويقيون ( *Zeugitaniae* )**

قطن الزويقيون غرب موطن الماكسويين ، وقد ذكرهم الإغريقـــي هيكـــاتوس الميليتي ( ***Hécatée De Milet*** )[4]موضحاً بدقة مضاربهم في ما بـــين أوتيكـــا وجنـــوب قرطاجة وجزر قرقنة .[5]

**ق – الجوزيون ( *Gyzantis* )**

سكن الجوزيون غرب الزويقيين وجنوب مضاربهم ، وهذه المنطقـــة جبالهـــا مليئة بالقردة ، وأرضها تنتج عسلاً كثيراً .[6]

---

( 1 ) دافيد ماتنجلي وأندرو ويلسون ، " زراعة الصحراء ، إسهام الجرميين في جنوب ليبيا " ، تر : أسامة عبد الرحمن نور ، أركامـــاني ، مجلـــة الآثـــار والأنثروبولوجيـــا الـــسودانية ، أكتـــوبر 2006 ، ص . 13 . متـــاح علـــى الـــرابط : www.arkamani.org ، تاريخ الزيارة : 14 / 01 / 2007 .

( 2 ) علي فهمي أخشيم ، المرجع السابق ، ص . 42 .

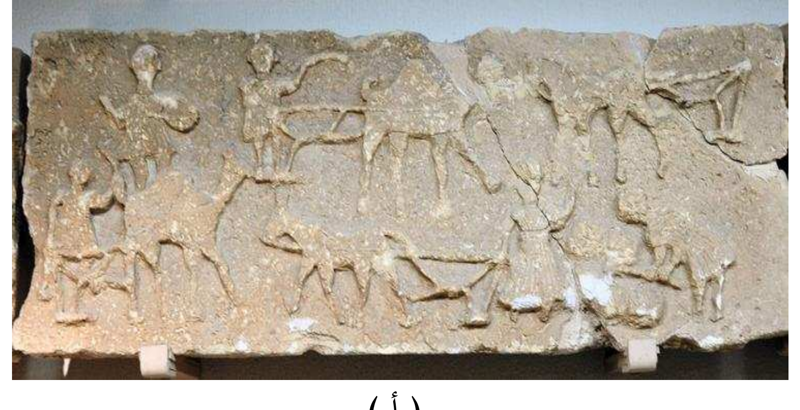
( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 43 .

( 4 ) ***هيكاتوس الميليتي*** : مؤرخ جغرافي إغريقي ولد في مدينة ميلايتوس على ساحل آسيا الصغرى حوالي 540 ق.م ، وكان له الفضل في فتح الطريق أمام هيرودوتس للبحوث التاريخية والأنثروبولوجية ، وكانت كتابته تتسم بالحرص على المعاينة والتثبت ، وكان يرفض أساطير الإغريق ويشكك فيها . **لمزيد من المعلومات انظر** : محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 324.

( 5 ) *– Oric Bates , Op . – cit . , P . 53 .*

( 6 ) *– Ibid , P . 53 .*

ظهور و نشأة المجتمع اللوبي القديم خلال القرن الخامس ق.م



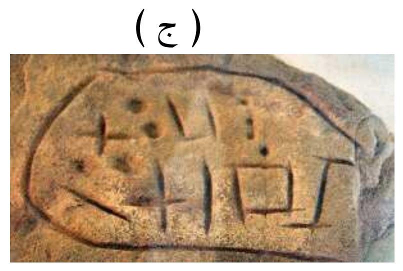
( أ )



( ب )



( ج )



( د )

**<u>الشكل رقم ( 32 )</u> : من آثار الجرميين**

**( أ ) : نقش بارز يصوِّر الجــرميين في جــرزة بــفزان .**

**( ب ) : العربة التي كان يستخدمها الجرميين أثناء تنقلاتهم .**

**( ج ) : رسم صخري يبين جرميا ممتطيا العربة في فزان .**

**( د ) : الرموز الكتابية للجرميين في أوباري بليبيا .**

***نقلا عن : متحف الجماهيرية***

أما إلى أقصى الغرب ، فإنَّ المصادر الإغريقية لا تفيدنا بشيءٍ ، ذلك أنهـا أراضـي مجموعات قبلية لا تتضح ملامحها إلا خلال القرن الثاني ق.م .

هكذا نجد أن امتداد اللوبيين وصل إلى ما بين وادي ملوكا ( الملويـة حاليـا ) شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، وعرفت تجمعات القبائل لاحقا في تلك المنطقة باسم المور، ومنها اشتق اسم مملكة موريتانيا لاحقاً ، وقد امتازت كل قبيلة لوبية بجملة مـن الملامح الاجتماعية التي تميزها عن غيرها من القبائل المجاورة .

## ثانياً – البنية و العلاقات الاجتماعية في المجتمع اللوبي القديم

### 1 – الأسرة اللوبية

تكاد تُجمع المصادر الإغريقية على صورةٍ واحدةٍ لنمط الحياة الاجتماعية لتلك القبائل وهي صورة المجتمع القبلي البسيط ، و لكن رغم ذلك فإنها لم تصمت عن ذكر تفصيلات العادات المميزة لكل قبيلة ، مركزة على انها قد اقتبست من بعضها بعضا .

إن الملاحظ على مؤرخي العصور القديمة أنهم كانوا رحالة ، وبالتالي فإنه من المؤكد أن بعضهم قد عاين عن كثب حياة القبائل ليقدم ذلك الوصف ، مما يجعلنا نأخذ تلك الصورة مأخذاً جديا في دراستنا ، حيث أنَّ سلامة بنية المجتمع اللوبي تعتمد على موضوع الأسرة ومكانة هذه الوحدة الاجتماعية ، ولأنها أهم المؤسـسات الاجتماعيـة التي أقامها الإنسان منذ مرحلة ما قبل التاريخ ، فمن الواجب رصد كل ما يتعلق بها ، وبخاصة أنماط المصاهرة .

أيضاً الملاحظ في كتابات كل من هيرودوتس وبوليبيوس [1] أن الأسرة اللوبية قد انبثقت من مرحلة الفوضى والإباحية الجنسية إلى مرحلة الزواج الجماعي ، وبعد هـذه المرحلة التف الأبناء حول الأم ، مما أدى إلى ظهور النظام الأموي ، ثم تطور الحكـم الداخلي للأسرة إلى النظام الأبوي متخذاً شكل تعدد الزوجات .

لقد فنَّدت الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة هذا الافتراض القائل بأنَّ الأسـرة اللوبية قد تطورت عبر هذه المراحل ، فما هي إلا صورة وهميـة عكـسها أصـحاب النظرية التطورية لأنه ليس ثمة ما يثبت هذه الحالة في مراحل تطور الجنس البشري ،

---

( 1 ) *– Hérodote , Op. – Cit . , P.212 . ; Polybe , Op . – cit . Par. 49.*

فحقيقة نطاق الأسرة في المجتمع اللوبي لا يزال غامضاً كونه كان تاريخاً هامشياً وليس رسميا في المصادر الكلاسيكية . [1]

أ – **مكانة المرأة اللوبية**

كانت المرأة ذات مكانة رفيعة فهي الزوجة و الأم و الطرف الفاعل في تقوية اواصر المصاهرة والقرابة بين الأسر والعائلات ، ومع التحفظ لظاهرة الحرية في علاقاتها الجنسية ، و كانت المرأة المتزوجة تعنى بأطفالها عناية بالغةً .

و تذكر الأدلة التاريخية أعمالها التي كانت تمارسها ، فلم تكن لتتحصر في الطعام وحلب المواشي وغزل الصوف ، وإنما كانت لها وظائف طقوسية وعلاجية تنفرد بها ، حيث كانت المرأة تقوم بكيٍّ عروق الصدغ عندما يبلغ الطفل الرابعة كي لا يمرض طيلة حياته ويتقيَّ شرَّ الأرواح الخفية .

إنَّ هذه الممارسة تعكس أن مجتمعاً تسلطت عليه فكرة تقديس السلف والتدين لا بد وأن تكون قد تولَّدت له هذه العادات من نظم زواج وروابط اجتماعية محافظة و سامية ، و يمكن تتبعها بين أفراد المجتمع – لاحقاً– من خلال ما ذكرته المصادر اللاتينية . [2]

## 2 – المصاهرة و القرابة في المجتمع اللوبي

### أ – السلطة في الأسرة وظاهرة تعدد الزوجات

كانت السلطة الغالبة هي سلطة الأب الناتجة من تفوُّق الذُّكوريَّة ، إلا أن هذا لم يمنع أن تكون الأسرة أموسية كما هو الحال عند الأوسيين ، بحيث تربي المرأة الأوسية أولادها ، وعندما يكبرون تلحقهم بالرجل الأكثر شبها في القبيلة . [3]

كما لم يقتصر تعدّد الزوجات على ملوك القبائل الذين كانوا يقتنون أكبر عدد ممكن من الزوجات ، فالرجال من النسمونيين مثلاً كان لهم أكثر من زوجة .

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 69 .

(2 ) *- Hérodote , " Textes relatifs … " , P . 27 .*

(3 ) *– Jehan Desanges , Op . – cit . , P . 81 .*

**ب – الزواج وقواعده**

لم يصلنا الكثير عن تفاصيل الزواج الثنـــائي فـــي المجتمـــع اللـــوبي ، إلاَّ أن الاحتفالات الدينية كانت فرصة للخطبة والتآلف بين شبان وفتيات القبيلة ووسيلة للكشف عن الفتاة العذراء .

على سبيل المثال ، خلال الاحتفال السنوي بالإلهة أثينا عند قبيلة الأوسيين على ضفاف بحيرة التريتونيس تعتبر كل فتاة تموت في طقوس التراشق أنها مذنبة لأنها لـــم تحافظ على بكارتها فعاقبتها الآلهة بالموت ، وهذا ما يدل على أن البكارة كانت شرطاً أساسيا من شروط الزواج .[1]

**ج – نسب الأطفال**

نسبت معظم القبائل اللوبية الأطفال إلى آبائهم ، إلا في بعض الحالات عنـــدما يولد طفل جراء المعاشرات الحرة فإنه عندما يكبر يُنسَبُ إلى الأكثر شبهاً من رجـــال القبيلة ، إلا أن مسألة الاعتراف بنسب الطفل لرجلٍ معيَّنٍ لا يقتصر على الشبه فقـــط ، حيث أن اللوبيين قد عرفوا وجود تنظيم معيَّن في الأسرة وفي ظلِّه يرتبط الابن بـــالأب فيعرف الابن من والده عندما يكبر ، إلا أن المؤرخين الإغريق لم يستطيعوا تفسير هذه الظواهر ، ولذلك اكتفوا بوصفها حسب فهمهم لها .[2]

**د – ظاهرة الإباحية الجنسية**

عرفت عند بعض القبائل بطريقتين مختلفتين :

– **الطريقة الأولى**

كانت مؤقتة ومرتبطة بطقوس دينية ، كقبيلة النسامونيين التي وعلى الرغم من اعتراف رجالها بتعدد الزوجات ، لكنهم مارسوا الاتصال المشاع بالنساء ، وذلك بدفع الرجل عروسه بموجب العرف إلى منح شرف الليلة الأولى لرفقائه الذين يقدمون لهما الهدايا القيِّمة .

---

( 1 ) عبد اللطيف أحمد البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 81 .

( 2 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 69 .

- **الطريقة الثانية**

كانت دائمة و مقنَّنة ، كما هو الحال في قبيلة الجندانيين حيث تتحلى نساؤهن بخلاخل جلدية لها دلالتها الموحية بارتباطها بعدد الرجال الذين عاشرتهم ، وكثرة الخلاخل في رجليها دليل على محبتها في قلوب رجال القبيلة .

والواقع أن ما ذكره هيرودوتس وغيره عن شيوعية النساء تدحضه الدراسات الأنثروبولوجية ،لأن هذه العادة لم تكن حتى بين أشد الشعوب بدائية ، ولا يمكن أن يقبل بهذا الوضع سوى مجتمع منحرف ، كما أنَّ منح الليلة الأولى كان مرتبطاً بطقوس دينية لعل مردُّها الخوف والمسؤولية الناجمة عن إزالة البكارة ، ولذلك توكل المهمة للملك . [1]

**هـ – المسكن الاجتماعي**

إنَّ المخلَّفات الأثرية لهذه الفترة تكاد تنعدم لأن السكنات الاجتماعية قد شيِّدت من مواد قابلة للفناء ، فمثلاُ : إن هيرودوتس عندما وصف مساكن النسمونيين ذكر بأنها تصنع من سيقان النباتات ومن البوص ليسهل نقلها من منطقة إلى أخرى .

أما استخدامهم للأحجار فلم يكن سوى في المناطق الجبلية الباردة حيث يسهل تكويم الأحجار واستخدامها في الدفن أيضاً ، لأن حياة الاستقرار جعلت اللوبيين يهتمون بإنشاء المساكن والمخازن للغلال وحفر الآبار ، كما أن قبيلة الفسليين كان لديها صهاريج لحفظ المياه ، وتوجد بجانب مساكنها . [2]

**مما سبق يمكن أن نستنتج** ، أنَّ الأسرة اللوبية كانت أسرةً زيجيّةً ، استطاعت أن تحقق منذ تلك الفترة الوظائف الاجتماعية للأسرة البسيطة ، حيث كانت أسرة

---

( 1 ) احتوى وصف المؤرخيْن للوبيين على تفاصيل مخزية ومبالغ فيها ، كظاهرة البغاء المقدس في بحيرة التريتونيس و ظاهرة تعليق الخلاخل كناية عن الاتصالات الجنسية المتعددة للمرأة الواحدة ، وغيرها من السلوكيات التي تشير أن البداية كانت قائمة على الحرية السلوكية الجنسية ، مما سمح باختلاط الأنساب وأن الأم هي الوحيدة العارفة بنسب الطفل ، ولكن لعل ذلك كان حال المجتمع الإغريقي الذي نشا فيه كلا من هيرودوتس و بوليبيوس. ***لمزيد من المعلومات انظر:***
*– Hérodote , " Textes relatifs … " , P . 16.*

( 2) محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان … " ، ص . 48 .

متكونة من مجموعة من الأشخاص الذين اتحدوا بروابط الزواج والدم أو التبني ، وتفاعلوا وتواصلوا في الوظائف التناسلية كتزويد المجتمع بالصغار وممارسة الوظيفة الجنسية والاقتصادية بتقديم الدعم الاقتصادي لأفرادها ، وكذلك الوظيفة التعليمية بنقل الموروث الثقافي من الآباء للأبناء ، وقد استطاع اللوبيون إظهار هذه الصورة رغم محدوديتها في المصادر الإغريقية لبقية شعوب العالم القديم .

## ثالثاً- السِّمات الحضاريَّة للمجتمع اللوبي القديم

تتبني الصورة الحضارية للمجتمع اللوبي على الإنتاج المادي والفكري لتلك القبائل مجتمعةً في مقوِّمات مشتركة ، تبدأ بتركيبة المجتمع ونظام الحكم ولغة التواصل واقتصاديات المعيشة من صيد ورعي وزراعة وصناعة وتجارة ومجموع العادات والتقاليد والألبسة والمساكن والعمران والأدوات والفنون والدين ، فكيف كانت تلك الصورة ؟

### 1 – نظام الحكم و الثروة

إنَّ النماذج المختلفة لتنظيم السلطة والصفات المشتركة للتنظيم السياسي التقليدي ، وما ينجر عنه من صراعات وحروب في المجتمع اللوبي كان بسيطاً ، فإلى أي مدى يمكن اعتبار المجتمع اللوبي مجتمعاً بدون دولة ؟ وما هي خصائص النظام القبلي اللوبي ؟

#### أ – جهاز السلطة في القبيلة اللوبية

تكوَّن جهاز السلطة في القبيلة اللوبية من العناصر الآتية :

#### – رئيس القبيلة اللوبية

عرف أيضاً بالملك في المصادر القديمة ، وكان مسيِّر القبيلة وصاحب الكلمة العليا ، كان يورِّث المنصب لأبنائه ، وكان يُختار من الرجال الأكثر التزاماً بجانب العدل في حياته وتصرفاته ، و قد جمع في يديه السلطتين الزمنية والدينية .[1]

( 1 ) عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص . 88 .

**- مجلس القبيلة**

كان يتكوَّن من كل الرجال الكبار في السن ، وكان يجتمع أربع مرات في السنة ، وقد استشفت هذه الاجتماعات مما ذكره هيرودوتس ، بأن الرجال الأوسيين كانوا يجتمعون في بداية كل فصل من فصول السنة الأربعة ، وللمجلس صلاحية تنحية الرئيس إذا ما ثبت تهاونه في مهامه المنوطة به .

**ب - النشاط الاقتصادي**

**- الزراعة والرعي**

اعتنى اللوبيون في المناطق الداخلية بتربية المواشي و ركزوا جهودهم على العناية بالقطعان باعتبارها أساس معيشتهم .

أما اللوبيون القاطنين في المناطق الساحلية فكانوا أقل عناية بالمواشي لأنهم انشغلوا بزراعة الأرض بالقمح ، حيث حذق الماكسويون والزويقيون والجوزيون والأسبوتيون فنون الزراعة التي ورثوها عن أجدادهم منذ مرحلة النيوليتي .

كما عرف عن الأسبوتيين تربيتهم نوعا من الخيول صغيرة الحجم وسريعة العدو وكانوا يمتطونها دون سروج .

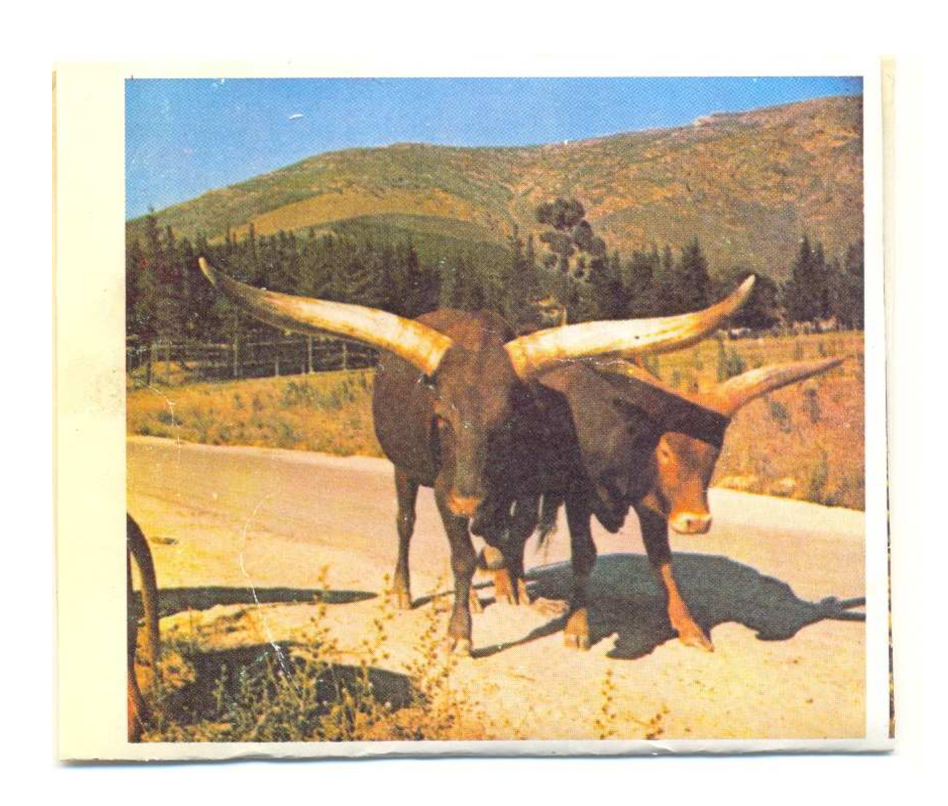
أما عن تربية النحل فكانت قبيلة الجوزيين معتنية بذلك كثيرا ، كما عني اللوتفاجيون بتربية نوع خاص من الثيران ترعى مدبرة وسبب ذلك في قرونها المنحدرة نحو الأمام حتى إنها لا تستطيع الرعي قدما فإن فعلت غاصت قرونها أمامه في الأرض فلا فرق بينها وبين غيرها من البقر إلا في هذه الظاهرة كما كانت جلودها تتميز بالسمك والمتانة . [1] *( راجع الشكل رقم (33) ، ص . 175 )*

أما الجرميين فرغم قساوة الظروف الطبيعية إلا أنهم زرعوا القمح والشعير في أرضهم التي أصيبت بداء الملوحة وذلك بوضع التراب عليها و تسويتها لجعلها خصبة ، وزرعوا النخيل واستفادوا من ظله في زراعة بعض الأشجار المثمرة ، ويبدو أن الجرميين كانوا يعيشون في مناخ تغلب عليه ملامح الواحة فاقتصادهم زراعي ورعوي في آن واحد .[2]

---

( 1 ) عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 93 –95 ) ؛ محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان ... " ، ص . 46 .

( 2 ) *– Jehan Desanges , Op . – cit . , P. P. ( 93 – 96 ) .*



**<u>الشكل رقم ( 33 ) :</u>**

**بقر الإتكول المهدد بالانقراض في بوتسوانا في أفريقيا الوسطى ، له أطول قرنين لحيوان في العالم ، يبلغان مترين ونصف ، ويبلغ طول دائرة القرن 46 سم ، وهذا النوع من البقر يتحرك ببطء شديد إلى الأمام ويتقهقر عند المشي ، يقال أنه كان منتشرا منذ مرحلة العصر الحجري الحديث في شمال أفريقيا ، ولعله ذلك البقر الذي تحدث عنه هيرودوتس عند اللوتفاجيين .**

**<u>نقلا عن</u>** : ميشال مراد ، غرائب العالم ، ط . 5 ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1982 ، ص . 81.

كما وصف البكري الجرميين بأنهم أهل فزان العظمى [1]، و ذلك دليل على تواصل نشاط الجرميين وسيطرتهم على الصحراء .

هذا وقد استفاد اللوبيون من الأشجار المثمرة طبيعية المنشأ في بلادهم وخاصة أشجار العنب والنبق ، أما النسمونيين فكانوا يهاجرون إلى واحة وجلة لجني البلح .

( راجع الشكل رقم ( 34 ) ، ص . 177 )

## ج – التجارة ( النسمونيون أنموذجاً )

أثر عن اللوبيين أنهم كانوا يتاجرون بالسلع الآتية : العاج والخشب وريش النعام وجلود الحيوانات المفترسة والملح ، وكانوا يستوردون الأسلحة والأدوات المعدنية والأقمشة والخزف والزجاج .

لقد كان للتجارة دورها الهام في احتكاك اللوبيين الرعاة باللوبيين الزراع بالفينيقيين ثم القرطاجيين وكذلك بالزنوج ، ولذلك اعتبر هيرودوتس النسمونيين والجرميين قبيلتان لوبيتان متأصلتان في المغرب القديم .

أما عن النسمونيين ، فكانوا يفهمون لغة الصحراء ويعرفون مسالكها وأسرارها وهذا ما يسر لهم القيام بدور الوسيط التجاري بين الأقطار المطلة على البحر المتوسط والربوع الممتدة وراء الصحراء .[2]

كان النسمونيون يستقبلون القوافل المتنقلة في بلاد المغرب القديم ومناطق ما وراء الصحراء ويجهِّزونها بما تحتاج له ويتعاونون مع قبائل داخلية أخرى .

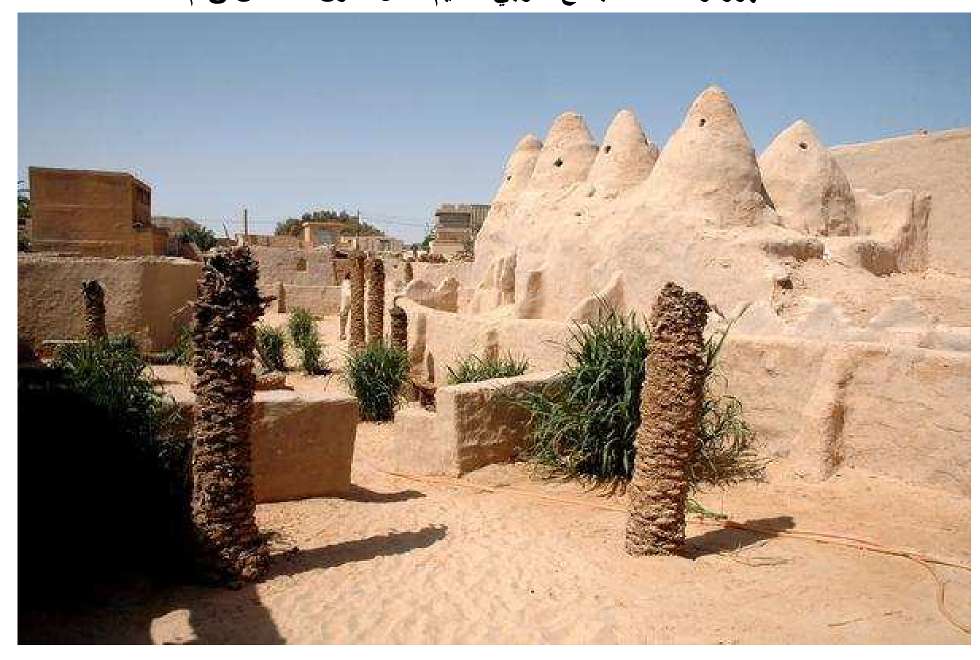
في الواقع ، لم يحتفظ لنا التاريخ بأسماء تلك القبائل التي ما انكت تنقل البضائع الثمينة من ذهب السودان والحجارة الكريمة ثم الأخشاب النفيسة ، وتعاطى النسمونيون أيضا تجارة العبيد .

لقد ظلوا على نشاطهم التجاري إلى غاية الفترة البونية أين ازداد حضورهم التاريخي في المصادر بسبب نشاطهم الاقتصادي ، مما أدى إلى زيادة الأطماع

---

( 1 ) أبو عبيد البكري ، المُغْرِب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت ، ص. 13.

( 2 ) محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان ... " ، ص . 48 . و ***لمزيد من المعلومات انظر*** : محمد شفيق ، لمحة عن 33 قرن من تاريخ الأمازيغيين ، منشورات تامغناست ، الرباط ، 1988 ، ص.ص. ( 25– 27 ) .



( أ )



( ب )

**الشكل رقم ( 34 ) :**

( أ ) : صحراء وجلة بليبيا حاليا .

( ب ) : بلح وجلة الذي كان يجنيه النسمونيين .

نقلا عن : - www.libsc.org
تاريخ الزيارة : 2008/12/13.

الرومانية في احتلال المنطقة . [1]

## 2- المعتقدات والآلهة اللوبية

تشابهت معظم القبائل اللوبية في معتقداتها البسيطة ، فمثلا كـــان النـــسمونيون يدفنون موتاهم في مقابر جماعية منظمة ، حيث قدسوا أرواح أسلافهم وأقسموا بهـــا ، ومن تقاليدهم الدينية الاستخارة واحترام ذوي الصدق والعدل والاســـتقامة مـــن كبـــار الرجال بينهم ، وكان إذا ألمَّ ضيم بأحدهم لجأ إلى النوم على قبر جده فإن كان له حلـــم عمل بمقتضاه .[2]

باستثناء ما أثر عن تلك القبيلة ، فإنَّ عموم اللوبيين قد عبدوا بعـــض المظـــاهر الطبيعية الكبرى التي عاشوا في كنفها وخاصة الشمس والقمر ، حيث قدموا الأضاحي لهما دون غيرهما من المظاهر الأخرى ، واعتبروهما القوتين الإلهيتين العُظْمَيَيْن فـــي كامل بلاد لوبه .[3]

كانت عبادة الشمس هي الأوسع انتشارا ، وقد أقام اللوبيون معابد للإله آمـــون والتي جسدتها صورة الثور أحيانا وأحيانا أخرى صورة كبش أقـــرن وخـــدمت فيهـــا الكاهنات والعرافات ولكن لم يبق أي أثر منها .[4]

أما على ضفاف بحيرة التريتونيس فقد عبدت الإلهة المصرية إيزيس ، وعبدت قبيلة الفسليين الرياح ، وأعرضت النساء اللوبيات عن تناول لحم البقر إجلالا للمعبودة إيزيس ، فكنَّ يقمن لها الاحتفالات الدينية ، كما امتنعن أيضا عن تناول لحم الخنزيـــر لأن تربيته أساسا لم يكن معتنى بها من قبل عموم اللوبيين .[5]

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، " قبيلتان لوبيتان ... " ، ص . 49 .

( 2 ) – *Hérodote , Histoires , P . 252 .*

( 3 ) محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة للفكر الديني ... ، ص . 19 .

( 4 ) محمد صقر خفاجة ، هيرودوت يتحدث عن مصر ، ط . 1 ، دار القلم ، القاهرة ، 1966 ، ص . 157 .

( 5 ) هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، تر : عبد الإله الملاح ، ط.1 ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ،2001 ، ص .365 .

**خلاصة لما سبق** ، نجد أن اللوبين كانوا قد عرفوا في حياتهم اليومية نشاطات اجتماعية كثيرة توحي بمختلف عاداتهم وتقاليدهم ثم أزيائهم واحتفالاتهم الموسمية ، حيث يمكن اعتبارها أدلة غير مباشرة على أنماط تفكيرهم وفنونهم وكذا العهود والمواثيق التي أبرموها فيما بينهم .

تلك الملامح اليومية التي أثبتتها المصادر الكلاسيكية القديمة إنما كانت تعتبر جميع القبائل اللوبية وحدة عرقية بالرغم من تعدد العناصر والخصوصيات المتمثلة في طرق عيش القبائل اللوبية مما يعزز من فرضية اعتبارها مجتمعاً قبليا ثريا في صورته الإثنية [1] ، ذلك أن الدراسات الاجتماعية تكون عنايتها قليلة بالطبائع والعادات والسلوكيات والقضايا الخُلُقيَّة مقارنة بنظام الحكم وتركز الثروة .

**تجدر الإشارة** أيضا إلى أن المصادر المادية التي تعود إلى تلك الفترة نادرة جدا ، إن لم نقل شبه منعدمة وذلك لكون المستلزمات الحضارية للمجتمع اللوبي القبلي كانت مكونة من مواد قابلة للفناء ، وباستثناء المخلفات الحضارية القرطاجية في وقت لاحق فإن الملامح العامة للتنظيم الاجتماعي للوبيين فيما بين الألف الأولى ق.م وإلى غاية القرن الرابع ق.م تظل نادرة الوجود . [2]

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة .... ، ص . 319 .

( 2 ) لمزيد من المعلومات حول طبيعة مخلفات العصر الكلاسيكي انظر : جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج . 2 ، تر : جورج حداد وآخرون ، ط . 2 ، دار المعارف ، 1970 ، القاهرة ، ص . 169 .

# الباب الثاني

# الملامح الكبرى للمجتمع اللُّوبي فيما بين( القرن 6 ق.م –2 ق.م )

## الفصل الأول

المجـتمـع اللـــّـُوبي في عـــهـد ازدهـــار الـدولـــة القــرطاجية.

## الفصل الثاني

المجــتــمــع اللّــُوبي النُّومــــيدي ( خـــــصائصــه ومــظــاهره ).

## الفصل الثالث

الســــياســــة والــمـجـتمـع ( حــالــة المــجتمــع النوميدي).

# الفصل الأول

# المجتمع اللُّوبي في عهد ازدهار الدولة القرطاجية

أولا - المجتمع اللوبي خ؛لال نشأة الدولة القرطاجية .
ثانياً - علاقة الدولة القرطاجية بالمجتمع اللوبي( ق 5 ق. م – ق.4 ق.م).

## أولا – المجتمع اللوبي خلال نشأة الدولة القرطاجية

### 1- وضعية المجتمع اللوبي الباكرة قبل تأسيس مدينة قرطاجة

كوَّن المجتمع اللوبي وحدة عرقية حضارية في منظور المصريين والإغريق ، وذلك لما لمسوه في صلب القبائل اللوبية وفي محيطها المعيشي من مقومات إثنية موضوعية ، جعلتهم ينظرون إلى كل القاطنين من غرب النيل إلى المحيط الأطلسي على أنهم مجتمع واحد ، وتتجسد هذه المقومات الموضوعية في الملامح الخَلقيَّة والخُلُقيَّة والأزياء والسلوكات والعقائد واللغة وبعض العادات والتقاليد وطرق العيش والنشاط الاقتصادي .[1]

لقد لاحظنا أثناء دراستنا السابقة ، أن الثقافة المصرية القديمة كانت قد أثرت في القبائل المحاذية لها تأثيرا كبيرا امتد إلى غاية منطقة خليج السرت الكبير ، وفيما بين القرن العاشر ق.م وإلى غاية القرن الرابع ق.م عرف تاريخ المجتمع اللوبي القديم شُحًّا في مصادره المادية والكتابية على حد سواء .

كما إنَّه وباستثناء ما دوِّن عن شيشنق وأسرته ، وما أسهب هيرودوتس في ذكره عن القبائل الممتدة بين منطقة غرب النيل وبحيرة التريتونيس و إلى رأس تريتونيس ، – والتي لا يظهر أن هيرودوتس قد وصل إلى هذه المناطق الأخيرة لكنه سمع عنها – ، فإنه لا توجد سوى إشارات قليلة عن الفئات الاجتماعية التي سكنت المنطقة الممتدة بين خليج السرت الصغير إلى رأس سولويس .

كما يبدو أنه أثناء تلك الفترة – أي الألف الأولى ق.م – بدأت الخطوات الأولية للتوسع الفينيقي في غربي المتوسط ، وتزامن ذلك وانقطاع تاريخ لوبه وخاصة فيما يتعلق بأسماء القبائل ، كذلك نسجل ندرة شديدة في معرفة التركيبة الاجتماعية للُّوبيين القاطنين في هذه المناطق ، وعلى الرغم من أنَّ المؤرخين القدامى أصروا على أن سكان المغرب القديم الأصليين هم وحدة عرقية حضارية ممتدة على طول الساحل والمناطق الداخلية والتخوم الصحراوية التي تسيطر عليها قبائل الجرميين والجداليين ، إلا أن هناك فراغاً تاريخيا حول هوية السكان في المناطق التي نشأت فيها المستوطنات الفينيقية لاحقا .

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون .... " ، ص . 52 .

لذلك ، فإنَّ المرحلة الثانية من تاريخ المجتمع اللوبي في شقه الغربي يبدأ بنشوء وازدهار الدولة القرطاجية فيما بين القرن التاسع قبل الميلاد إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد ، وهو تاريخ قائم على ما ذُكِرَ عن الدولة القرطاجيـــة وأنظمتهـــا الاجتماعيـــة وتأثيراتها الحضارية البونية في منطقة المغرب القديم .

لكن : كيف كان النسيج الاجتماعي في المغرب القديم قبل وصول الفينيقيين ؟

**أ – المجتمع اللوبي وموقفه من الاستيطان الفينيقي الباكر**

لقد كانت العناصر البشرية المكوِّنة للمجتمع اللوبي القديم قبل وصول الفينيقيين محلية خالصة ، إذ كانت تتكوَّن من العرق اللوبي ، وأولئك يعودون في جذورهم الأولى في فترة ما قبل التاريخ إلى الإنسان العاتري و القفصي والوهراني والمشتوي الذي نشأ في بلاد المغرب القديم ، ولعل ذلك يعني أن العناصر البشرية الوافدة من الفينيقيين لم تكن لتشكِّل زيادة سكانية ذات تأثير واضح المعالم في النَّسيج الاجتماعي اللوبي الأصيل .

في الوقت الذي استوطن فيه الفينيقيون المناطق الساحلية لبلاد المغرب القديم ، كانت القبائل اللوبية لا تزال غير مستقرة تجوب المناطق الساحلية والمناطق الداخليـــة مثل قبائل النسمونيين وقبائل اللوتفاجيين ، وهذا ما سمح للفينيقيـــين بالاســـتقرار فـــي مناطق كان يقطنها اللوبيون موسميا ، وهذا هو الذي أدى بدوره إلى تغير طفيف فـــي النسيج الاجتماعي لسكان المغرب القديم خلال الألف الأولـــى ق.م ، أي فـــي عـــصر الرحلات الفينيقية البحرية الأولى ولكن في مناطق خصبة ومحددة . [1]

يمكن – إذن – توزيع سكان بلاد المغرب القديم حسب أجناسهم خـــلال تلـــك الفترة على النحو الآتي :

– **المناطق الساحلية**

انتشر فيها اللوبيون من ذوي البشرة البيضاء على طول الشريط الساحلي .

( 1 ) جان ديزانج ، تاريخ أفريقيا العام ، مج : 2 – حضارات أفريقيا القديمة – ، ج . 17 – البربر الأصليون – ، ط . 1 ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985 ، ص. ص. ( 431 – 438 ) .

- **السهول المرتفعة**

انتشر فيها اللوبيون أيضاً و بعضهم من العرق أبيض البشرة ، وكذلك أسلاف الجيتوليين من العرق أسود البشرة .

- **المناطق الشمالية من الصحراء**

يقصد بها المناطق الممتدة بين بحيرة تريتونيس وصولا إلى واد سوس ، وانتشر فيها الأثيوبيون والجرميون ثم النيجريتيون والفاروزيون . [1]

**ب – النشاط الاقتصادي للوبيين قبل وصول الفينيقيين**

أكدت معظم الدراسات الأثرية [2] أن اللوبيين كانوا قد حذقوا الزراعة ومارسوها قبل وصول الفينيقيين ، حتى أن الرسوم الصخرية التي تعود إلى مرحلة عصر المعادن في الأطلس الأعلى صوَّر بعضها المحراث الدوَّار ، في حين أن الفينيقيين كانوا يستخدمون المحاريث الحديدية ذات الثلاث شفرات وكانوا يجرونها بأنفسهم بواسطة حبال يربطونها على أكتافهم ، ثم استخدموا الثيران لحرث الأرض لاحقا .

فاللوبيون – إذن – قبل العصر البوني لم يعرفوا أية وسيلة ميكانيكية لدرس محاصيلهم فكانوا يدرسون الحبوب بالحجارة الضخمة التي كانت النواة الأولى للرَّحى الحجرية .

لقد أثبت علماء النبات القديم ( ***Paléobotanique*** ) أن القمح الجاف والشعير قد زرع قبل وصول الفينيقيين بزمن طويل ، وكذلك الفول والحمص ، كما أجاد النسمونيون زراعة نخيل البلح بعد أن كانوا يجنونه من واحة وجله لعقود طويلة ، وشجر الزيتون كان بريا .[3]

---

( 1) جان ديزانج ، المرجع السابق ، ص . 438 .

( 2 ) ***الدراسات الأثرية حول الزراعة في بلاد المغرب القديم*** : لقد أثبت المؤرخ والأثري غابريال كامبس أن مدرجات الزراعة في تازبنت بنواحي تبسة تعود لفترة النيوليتي . **للمزيد من المعلومات انظر** : *- Gabriel Camps , Massinissa ou les débuts de l'Histoire , Libyca , T: VIII , 1960 , P.P. ( 72-74).*

( 3 ) جان ديزانج ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 443 – 445 ) .

لذلك ، فإنَّ الباحث في التركيبة الاجتماعية للُّوبيين في المرحلة الفينيقية الباكرة وما قبلها عليه أن يعتمد بصورة أكبر على تقدم الدراسات الأثرية المعاصرة منه على الكتابات التاريخية القديمة .

## 2 – علاقة المجتمع اللوبي بالفينيقيين في عهد المستوطنات الباكرة

درج اعتبار القرن الخامس ق.م حدًّا فاصلاً لتغير العلاقات اللوبية القرطاجية في كتابات المؤرخين القدامى وفي مقدمتهم هيرودوتس ، ولكن هذا الأخير جاءت كتاباته في فترة كانت قرطاجة في مرحلة الازدهار والقوة البحرية ، ثم تحولت نحو الاستقرار والزراعة في المغرب القديم بعد نهاية حروبها مع صقلية .

لذلك ، فإنَّ فترة نشوء وازدهار قرطاجة البحرية لا يزال بحاجة إلى الدراسة ، وعلى الرغم من كثرة المستوطنات الفينيقية البونية على طول السواحل المغاربية القديمة ، فإنه يكفي أن نفترض أنَّ المستوطنات الباكرة لا بد وأنها قد نشأت في مراكز لم تكن قفراً من قبل ، بل وجد الفينيقيون فيها سكانا أصليين ولكن لم تأتِ – فقط – على ذكرهم المصادر .[1] ومن هنا تبدأ العلاقات بين الطرفين .

### أ – تاريخ العلاقات اللوبية الفينيقية

لقد تم تقسيم تاريخ العلاقات اللوبية الفينيقية ثم القرطاجية على النحو الآتي :

- **علاقات تجارة وسلم بين اللوبيين وفينيقيا ثم قرطاجة**

بدأت منذ منتصف القرن 9 ق.م ، إلى غاية 5 ق.م ، وانقسمت بدورها إلى مرحلتين هما :

- **المرحلة الأولى**

غرفت بمرحلة الهجرة الفينيقية من صور إلى هضبة بيرصه على يد الأميرة عليسة وصحبها خلال القرن 9 ق.م وإلى غاية القرن 8 ق.م .

- **المرحلة الثانية**

تميزت المرحلة الثانية ببناء قرطاجة ، و توجيه اقتصادها نحو البحر المتوسط ، مما أدى إلى اصطدامها بالإغريق ، وكان ذلك فيما بين القرنين 7 و6 ق.م .

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003 ، ص. ص. ( 177 – 214 ) .

– **علاقات الاستيطان والحرب بين اللوبيين وقرطاجة**

منذ القرن 5 ق.م إلى غاية القرن 2 ق.م وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل :

– **المرحلة الأولى** : ساد فيها التفوق القرطاجي في المتوسط خلال القرن 6 ق.م .

– **المرحلة الثانية** : مرحلة النزوح نحو الاستقرار والزراعة .

– **المرحلة الثالثة** : هي مرحلة الضعف و الحفاظ على المكتسبات البرية واسترجاع الأمجاد القديمة ، وكان هذا فيما بين القرنين الثالث والثاني ق.م .

لقد أشار بلينوس الأكبر [1] إلى قدم الحضور الفينيقي في المغرب القديم مثلا مدينة هيبون ، وكذلك المستوطنات التي أقاموها في حدود الألف الأولى ق.م ، وأهم المستوطنات ثلاث مؤسسات كبرى امتدت على طول الساحل اللوبي ، وهي وتيكة وليكسوس وقرطاجة .

**ب – أبرز المدن الفينيقية الباكرة في بلاد المغرب القديم وعلاقات سكانها باللوبيين**

– **أوتيكا :**

هي منطقة بها معالم جنائزية تحتوي على شتى المعطيات حول عالم الأموات والعمارة والصناعة والتجارة ومميزات عن الحياة اليومية – آنذاك – وتعكس المحيط الذي ألفه الميت قبل موته ، و قدر عمر آثارها بحوالي 1100 ق.م . [2]

كانت تعد أوتيكا من أقدم المصارف التي أقامها الفينيقيون فهي محطة ارتكز عليها الأسطول الفينيقي للتزود بالماء والمؤن وترميم السفن ، وذلك بفضل موقعها الخصب . [3] و الجدير بالذكر أنها كانت سوقا لوبية لتجارة القمح .

– **ليكسوس :** [4]

---

( 1 ) *- Pline l'Ancien , Histoire Naturelle , T : V , par . XVI.*

( 2 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 13 .

( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 14 .

( 4) ***ليكسوس*** : يعود تاريخ إنشائها إلى نهاية القرن 12 ق.م وكان غرض إنشائها استراتيجي وتجاري باعتبارها مطلة على المحيط الأطلسي ، موقعها الحالي قرب مدينة العرائش بالمغرب الأقصى ، وقد رسا فيها حنون خلال رحلته أثناء القرن الخامس ق.م ، وعرفت باسم تسميش أي مدينة الشمس . **للمزيد من المعلومات انظر** : محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص . 87 .

تقع على الضفة الجنوبية من مضيق هرقل ، وهي مدينة إله الشمس ، و هـــي مدينـــة لوبية إذ أن الموقع لم يكن قفراً لما حل به الفينيقيون ، ولكنهم أطلقوا عليه تسمية ذات أصول كنعانية . [1]

من أهم المستوطنات الباكرة التي كان يقطنها اللوبيون ثم تحولت إلى مؤســـسة فينيقية ، وكانت تعد حلقة وصل بين أوتيكا وليكسوس تلك التي أطلق عليها لاحقا تسمية تيبازا .

ما بين تلك المستوطنات ، انتشرت عشرات المستوطنات الصغيرة المؤقتة ، إلا انه وبعد تأسيس قرطاجة فـــي نهايـــة القـــرن 9 ق.م وبدايـــة القـــرن 8 ق.م تخلـــى القرطاجيون عن سياسة المستوطنات الوقتية ، وتوخوا سياسة الاســـتيطان والحضـــور الدائم لتبدأ – آنذاك – مرحلة جديدة من العلاقات مع سكان المغرب القديم .[2]

الملاحظ أن تسمية تلك المستوطنات الثلاث كانت تنحدر من جذور لغوية لوبيـــة وجدها الفينيقيون عندما احتكوا بالمغاربة القدماء في تلك الربـــوع ، ذلـــك أن هنـــاك مجموعة كبيرة من أسماء المواقع والأعلام الجغرافية تبدأ بحرف " و " متحركة عثـــر عليها في النقوش البونية واللوبية بدليل أن أوتيكة و ليكسوس و تيبازا كانـــت تعـــرف بالأسماء الآتية ذات الأصول اللوبية : وتيكة و ليكش و تيفاش .[3]

## 3- **المجتمع اللوبي خلال تأسيس قرطاجه**

أمام ندرة الوثائق الكتابية والمادية التي تعود إلى فترة ازدهار الدولة القرطاجية ، يضطر الباحث إلى الأخذ ببعض الإشارات التاريخية البسيطة التي تتنـــاول طبيعـــة المجتمع اللوبي وعلاقته بالوافدين إلى أرضه حيث يغلب عليها الطـــابع الأســـطوري ،

---

( 1) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 16 .

( 2 ) محمد حسين فنطر ، " الحرف والصورة ... " ، ص . 16 .

( 3 ) في هذا الصدد ذكر ستيفان جزال الكثير من المدن ذات التسمية اللوبية الأصيلة ، **للمزيد من المعلومات *أنظر*** :
H.*A.A.N., T : II , P. P. ( 143 – 154 )*; *M'Hamed Hassine Fantar , Carthage , T: I , éd.Alif, Tunis , 1998 , P . 71.*

كما وردت في أسطورة عليسة وخاصة في رواية المؤرخين تيميوس و جوستينيانوس . [1]

يستفاد من أسطورة عليسة أن تلك الأميرة كانت تدفع ضريبة سنوية لزعيم القبيلة اللوبية التي ابتاعت أرض قرطاجة من مناطق نفوذه واستقرار قبيلته .

هذا ما أعطى المؤرخين المهتمين بالدراسات البونية وخاصة المؤرخ محمد الصغير غانم إشارة تاريخية مهمة جدا ألا وهي : إنه كان هناك نظام قبلي منظم يحكمه شخص عرف باسم " حيرباص " كان يفوض له الاضطلاع بشؤون قبيلته ، مما يدل على قدم النظام السياسي والاجتماعي للوبيين في المغرب القديم . [2]

كما رحب اللوبيون – لاحقا – بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى المغرب القديم بغرض التجارة ، ونظراً لطبيعتهم السلوكية السلمية فقد كان التفاوض سيد العلاقات بينهم وبين اللوبيين ، حيث انتهى بهم الأمر إلى دفعهم ضريبة مالية سنوية لزعماء القبائل اللوبية التي احتكوا بها في مناطق رسوِّهم على طول الساحل المغاربي القديم ، وتمكنوا بفضل ذلك من تأسيس مراكز تتم فيها المبادلات التجارية مع اللوبيين . [3]

أ – **<u>التواصل السيميائي بين اللوبيين والفينيقيين</u>**

نظرا لجهل الطرفين لغة الآخر فقد توصلا إلى لغة إشارات وإيماءات وطرق معاملات سيميائية مفهومة عالميا ، ولذلك يعد نص المساومة الصامتة التي أوردها هيرودوتس خير مثال لعملية التفاهم فيما بين اللوبيين والوافدين الفينيقيين وكذا طبيعة العلاقات السلمية الباكرة فيما بينهما ، ومضمون النص كالآتي :

" ... يوجد مكان في لوبه يسكنه الناس يقع خلق أعمدة هرقل ، وإلى ذلك المكان كان الفينيقيون يأتون ويفرغون حمولتهم ، وبعد أن يرتبوا وضع بضائعهم بنظام

---

( 1) ***<u>أسطورة عليسة</u>*** : بين التاريخ والأسطورة نقاط مشتركة إذ هناك جانب من الواقع التاريخي في أسطورة عليسة حيث أنها استندت دائما في أحداثها إلى وحيه . **<u>أنظر</u>** : محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي ... ، ص. ص. ( 101 – 103 ) . وورد نص الأسطورة كاملا عن الإغريقية واللاتينية مباشرة في كتابات جزال ، ***لمزيد من المعلومات أنظر***:
-*Stéphane Gsell , H.A.A.N.,T: I , P. 380 .*

( 2 ) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ... ، ص . 28 .

( 3 ) - *Stéphane Gsell , H.A.A.N. T : I , P . 382 .*

يرجعون إلى ظهر سفنهم الراسية بعد أن يكونوا قد أشعلوا نارا ، وعندما يرى أهالي المنطقة الدخان يحضرون إلى الشاطئ ويضعون أمام البضائع الذهب ويعودون أدراجهم ، عند ذلك يعود الفينيقيون ويفحصون الذهب فإن وجدوا كميته مناسبة حملوه وغادروا ، وإن وجدوه غير كاف عادوا إلى سفنهم وانتظروا ، وهكذا حتى يتم الاتفاق بين الطرفين " . [1]

هكذا ، فإنَّ طبيعة الفينيقيين السلمية خلال القرون الثلاثة اللاحقة بعد تأسيس قرطاجة ، هي السبب الذي جعلهم يستقرون بجوار اللوبيين ليكوِّنوا مجتمعا جديدا عرف فيما بعد بالمجتمع البوني .

## 4 – مظاهر تأثر المجتمع اللوبي الباكر بالحضارة الفينيقية

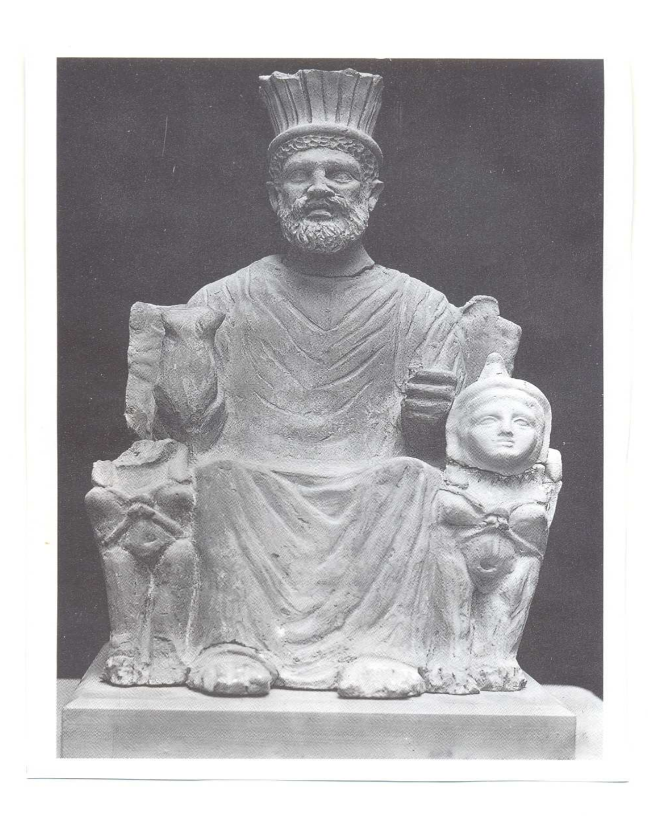
### أ – في المجال الاقتصادي

تحولت المراكز التجارية الباكرة إلى مستوطنات للقرطاجيين ثم البونيين الذين تعايشوا مع اللوبيين ، و تطورت بدورها إلى مدن تضم أغلبية ذات أصول فينيقية ، وتجمَّعت حولها القبائل اللوبية لتسوِّق بضاعتها المحلية والتي كانت تتكون من جلود الحيوانات وريش النعام والذهب مقابل أن يبتاعوا من التجار الفينيقيين كل أنواع الزينة والأواني الزجاجية المصنَّعة والمعادن والخزف .

### ب – في المجال الديني

تأثر المغاربة القدماء أيما تأثر بالآلهة الكنعانية ودليل ذلك الامتزاج الديني في معتقدات اللوبيين من خلال اقتباسهم عبادة الإله بعل حمون [2] *( انظر الشكل رقم ( 35 ) . ص. 190 )*

( 1 ) هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، تر : عبد الإله الملاح ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2001 ، ص . 369 .
( 2 ) ***بعل حمون*** : اعتبر الأله الأعلى للعالم الفينيقي الغربي ، ففي فينيقيا كان معروفا بالإله بعل و التي كانت تعني السيد . لمزيد من المعلومات انظر : محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ... ، ص . 210 .



الشكل رقم ( 35 ) :

تمثال الإله بعل حمون عثر عليه في معبد تنسمات قرب بئر بورقبة على بعد 60كلم جنوب تونس ، وهو على هيئة رجل متوج بالريش و كث اللحية جالس على العرش في وضع مهيب ، رافعا إحدى يديه لمباركة المتعبدين ومحفوف بتمثالين لأبي الهول ، ويعود للقرن الأول للميلاد .

**نقلا عن : دليل مجموعة متحف الباردو بتونس .**



( أ )



( ب )

الشكل رقم ( 36 ) :

( أ ):رمز الإلهة تانيت في النقوش البونية في مجموعة متحف الباردو بتونس .
( ب) : رمز ثان للإلهة تانيت ، في نقوش محفوظة بمتحف اللوفر بباريس ، وهي عبارة عن مثلث تعلوه ذراعان تمتد أفقيا وتتوسطهما دائرة ، وفي إحدى اليدين صولجان .

*نقلا عن :* *- Sabatino Moscati , Carthage , P.P. ( 112, 114).*

كما قارب اللوبيون بين الإلهة عشتار [1] والإلهة تانيت بني بعـــل[2] *(راجـــع الشكل السابق رقم (36) . ص.191 )* آلهتهم المحلية الأصيلة . [3]

أما من مظاهر التأثر الديني هو أنَّ اللوبيين كانوا يدفنون موتاهم وفقـــاً للتقاليـــد الدينية الكنعانية ، حيث تم العثور على قبور حجرية كالحوانيت و الدولمان بالقرب من مراكز الاستقرار الفينيقي في المغرب القديم ، وتجسدت أيضاً روح الامتزاج الـــديني في الأثاث الجنائزي حيث تم العثور على العديد من الشقف الفخارية الفينيقية واللوبيـــة في أماكن المستوطنات الساحلية ، وخاصة في المواقع الثلاث الكبرى وتيكـــة وتيفـــاش وليكش .

هكذا ، كانت العلاقات المغاربية الفينيقية خلال المرحلة الباكرة سلمية اقتصادية استفاد منها المغاربة في الخروج من العزلة التي كانوا يعانونها منذ فترة ما قبل التاريخ

كما أنهم انتقلوا بفضل احتكاكهم بالفينيقيين من مرحلة التنقل و الترحـــال إلـــى الاستقرار وتأسيس المدن في المناطق الداخلية . [4]

لقد استمرت العلاقات بين المغاربة القدماء وبين الفينيقيين تجارية وسلمية وودية إلى غاية القرن السادس ق.م ، ودليل ذلك أن اللوبيين شاركوا في الجيش القرطـــاجي ضد الإغريق ووقفوا إلى جانبهم وخاصة في معركة ألاليا ( ***Alalia*** ) ســـنة 524 ق.م قرب كورسيكا ، ثم في حرب قرطاجة مع صقلية ، حيث بدأت العلاقات تأخذ منحـــى جديداً . [5]

---

( 3 ) ***عشتار*** : ج. عشتاروت ، وهي الصفة المؤنثة لبعل ، وقد وردت في رسائل العمارنة وفي ســـفر الملـــوك الأول مـــن التوراة ، و انتقلت إلى قرطاجة عن طريق الفينيقيين . **لمزيد من المعلومات انظر** : المرجع نفسه ، ص . 213.

( 4 ) ***تانيت بني بعل*** : اعتبرت المعبودة الشعبية لقرطاجة ، واسمها من أصل لوبي ، ولها رموز عديدة مثل امـــرأة ترضـــع طفلها ، كما مثلت على هيئة مثلث تعلوه دائرة . **لمزيد من المعلومات انظر** : الشاذلي بورونيَّة ومحمد طاهر، قرطاج البونية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 1999 ، ص . 277.

( 5 ) فراسوا ديكريه ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، تر : عز الدين أحمد عزو ، ط . 1 ، دار الأهالي للطباعـــة والنـــشر والتوزيع ، دمشق ، 1996 ، ص . 135 .

( 1 ) محمد الصغير غانم ، التواجد الفينيقي ... ، ص . 237 .

( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 237 .

## ثانياً – المجتمع اللوبي في العهد الوسيط للدولة القرطاجية

### 1– علاقة الدولة القرطاجية بالمجتمع اللوبي خلال ( ق. 5ق.م – ق. 4 ق.م )

#### أ – دوافع تغير المعاملة القرطاجية للوبيين

عُرف عن العلاقات بين اللوبيين و الفينيقيين بأنها سلميَّة ذات طابع اقتصادي ، استفاد منها اللوبيون في فك العزلة التي كانوا يعانون منها بسبب بعد منطقتهم الجغرافية عن منطقة حضارات الشرق الأدنى القديم ، واستمرت هذه العلاقات تجارية قوامها احترام الوافدين للقبائل اللوبية ، وذلك منذ الألف الأولى ق.م وإلى غاية القرن الخامس ق.م .

وخلال هذه المدة الطويلة ازدهرت قرطاجة ونما اقتصادها في البحر المتوسط ، ثم ما لبثت أن دخلت في صراع هدفه فرض الهيمنة وتحقيق السيادة الدولية في المتوسط مع دويلات الإغريق انتهى بها إلى هزيمة بحرية شهيرة في التاريخ ، عرفت بمعركة هيميرا ( ***Himère*** ) سنة 480 ق.م .

وبتحطم قوتها العسكرية البحرية أخذت قرطاجة تغير في مختلف سياساتها العسكرية واهتماماتها الاقتصادية وعلاقاتها مع المجتمعات القديمة المجاورة لها ، وكان لذلك التغيير الذي انتهجته هدف يسعى لاستعادة توازنها ومكاسبها السابقة .

لذلك ، كان أول تغيير هو أنها لجأت إلى عملية الاستيطان داخليا عن طريق زيادة الاهتمام بالزراعة وتوسيع دائرة معاملاتها مع اللوبيين المنتشرين حوالي قرطاجة ، إلى حد تغييرها تماما عندما تعارضت ومصالحها . [1]

لقد كانت قرطاجة تدفع منذ تأسيسها أموالا للوبيين في صورة أجرة وضرائب ، فأما الأولى فكانت على أرض بيرصة نفسها ، وأما الثانية فكانت على الأراضي المجاورة ، وبهذه الطريقة توسعت مناطق نفوذ قرطاجة على حساب مناطق اللوبيين ، إلى حد أنها امتنعت عن تنفيذ الضرائب ، وانقلب الوضع إلى أن القرطاجيين أصبحوا

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، ط. 1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2003 ، ص. ص. ( 42 – 43 ) .

هم الذين يفرضون ذلك على اللوبيين ، كما جنَّدوا شبابهم في الجيش القرطاجي باعتبارهم مرتزقة لمواجهة صقلية .[1]

**ب – نتائج تغير السياسة القرطاجية**

ساءت العلاقات بين الدولة القرطاجية والمجتمع اللوبي وبلغت أوجها في القرن الثالث ق.م وذلك بسبب الاستغلال الاستيطاني الذي مارسه القرطاجيون ، ويمكن حصر النتائج في النقاط الآتية :

– في المجال الاقتصادي :

احتكروا التجارة وفرضوا قوانينهم في المبادلات التجارية .

– في المجال العسكري :

عامل الجنود اللوبيون المأجورين أسوأ معاملة إذ تماطلوا في دفع رواتبهم .

– في المجال الاجتماعي :

عومل اللوبيون على أنهم طبقة أدنى من الطبقة القرطاجية .

– في المجال السياسي :

لم تسجل المصادر وصول أي قائد عسكري أو حاكم في مجلس بلدي لوبي أو من أصل لوبي ضمن التنظيم السياسي في قرطاجة أو في مدنها الكبرى ، حيث كانوا يحصرون الوظائف العليا في ذوي النسب الفينيقي والأصل الكنعاني .[2]

**مما سبق نلاحظ** ، أن المجتمع القرطاجي كان قد اعتمد على سياسة العزلة والانغلاق على نفسه ، وهذا ما أدى إلى شعور اللوبيين بالدونية والغربة أمام القرطاجيين ، فظلوا بعيدين عنهم رغم أن التأثيرات الثقافية والدينية التي تركها المجتمع القرطاجي في المجتمع اللوبي عميقة الأثر، إلا أن الروابط الاجتماعية كالمصاهرة والقرابة ، وما ينجم عنها من تربية الأطفال والسكن الاجتماعي في منازل وبيوت حضرية ونوعية لباس المرأة والعادات والتقاليد الاجتماعية للمجتمع اللوبي ظلَّت مجهولة لعدم ذكرها في المصادر التي تناولت تلك الفترة .

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المرجع نفسه ، ص . 45 .

( 2) المرجع نفسه ، ص . 45 .

## 2 – المجتمع اللوبي ( التركيبة العرقية والطبقية )

### أ – التقسيم العِرقي للمجتمعات المصغرة في المجتمع اللوبي

إنَّ أول ظاهرة يلمسها الدارس للتاريخ الاجتماعي في المغرب القديم ، هي أن العناصر البشرية المنتشرة – آنذاك – قد بدأت في التكتل والانتظام خلال عهد ازدهار الحكم القرطاجي ، ذلك أن الامتزاج الواضح بين تلك العناصر المختلفة عرقيا ضمن المنظومة الحضارية القرطاجية أدى إلى ثراء التركيبة الاجتماعية المغاربية ، حيث كان لطبيعة الفينيقيين السلمية عظيم الأثر في تكوين مجتمع عرقي جديد هو المجتمع البوني .

أما المجتمع القرطاجي فهو نسبة لمدينة قرطاجة التي كانت لها السيادة الاسمية على كامل المستوطنات غربي المتوسط – آنذاك – ، وفي كلتا الحالتين فإنَّ المغاربة القدماء كانوا جزءاً في ذلك المجتمع ، لا سيما قبل أن يتشكل المجتمع النوميدي وتتضارب المصالح النوميدية مع القرطاجيين بعد ذلك .[1]

هكذا ، كان المجتمع اللوبي في تلك الفترة مجتمعاً مختلطاً تبلورت فيه أنماط عديدة من العناصر البشرية تفاعلت فيما بينها ، دون أن يفقد كل عنصر مقوِّماته الحضارية المادية والفكرية في مختلف المجالات الدينية والاقتصادية ثم الأدبية والفنية ، فأصبح مجتمعاً تنوَّعت في أساليب الحياة القبلية والحياة الحضرية ذات النشاط الحضاري المتنوع .[2]

### ب – التعريف بأنماط السكان حسب التصنيف العرقي وتشكل المجتمع الانقسامي [3]

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المملكة ... ، ص . 38 .

( 2 ) رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص . 206 .

( 3 ) ***المفهوم السوسيولوجي للمجتمع الانقسامي*** : مصطلح استخدمه السوسيولوجيون والأنثروبولوجيون وكذا المؤرخون وفي بعض الأحيان الجغرافيين عند دراستهم للمجتمع المغاربي الكبير والمجتمعات المغاربية المصغرة المنبثقة عنه في إطار التوالد ، وكان أول من استخدمه دوركايم في أطروحته عن تقسيم العمل الاجتماعي سنة 1893 ، وتمحورت نظريته حول فكرة أساسية مفادها أن المجتمعات تنتقل تدريجيا عبر التطور التاريخي الطويل من مجتمعات قبلية إلى مجتمعات مدنية ، فيكون المجتمع بمثابة تجمع لعدد من العشائر وتشكل كل عشيرة قسمة اجتماعية داخل المجتمع الشمولي ، ولذلك ، نطلق عليه المجتمع الانقسامي . **لمزيد من المعلومات انظر** : ليليا بنسالم ، " التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير " ، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي ، تر : عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، ط. 2 ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 ، ص.12.

يمكن ضبط أنماط سكان المغرب القديم حسب أعراقهم واستقرارهم جغرافيا ، وهم الذين عاشوا فيما بين القرنين الخامس ( 5−3 ق.م ) ، وذلك بناءً على التقسيم العرقي الذي ورد في مصنَّفات هيرودوتس ، وقد سار على نهجه بقية المؤرخين الإغريق والرومان ، على أن بعض هذه الأنماط كانت موجودة منذ مرحلة العصر الحجري الحديث في المنطقة وهي :

- **السكان الأصليون**

هم اللوبيين والأثيوبيين ، وهما وحدتان عرقيتان كبيرتان امتدتا في المغرب القديم ، من غرب النيل إلى المحيط الأطلسي بشكل متوازٍ ، حيث امتد اللوبيون في الشمال ، والأثيوبيون في الجنوب . *( راجع الخريطة السابقة رقم ( 14) . ص . 166 )*

- **السكان المستوطنون**

هم القرطاجيون والإغريق ، فأما القرطاجيون فهم من السلالة الفينيقية الكنعانية ، و أما الإغريق فلم يتعد نفوذهم مستوطنتي برقة و قورينه في خليج السرت الكبير ، وذلك نظراً للضغط السياسي الذي مارسه القرطاجيون في سبيل الحفاظ على ممتلكاتهم شرقي وغربي قرطاجة فحوصروا جغرافيا وحضاريا من طرف القرطاجيين .[1]

فالمجتمع اللوبي كان عبارة عن فسيفساء تكونت من العنصر اللوبي المحلي والعرق القرطاجي ذي الأصل الفينيقي الكنعاني و العرق الزنجي من الأثيوبيين و المغاوريين والعرق اليوناني في برقة ومستوطنات خليج السرت الكبير ، هذا بالإضافة إلى عناصر حضارية متوسطية مختلفة من الأتروسكيين والقبارصة والكريتيين .[2]

---

(1) هيرودوت ، المصدر السابق ، ص . 369 .

( 2 ) رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص . 206 .

**ج – أنماط السكان المحليين حسب التوزيع الجغرافي**

كانت أنماط السكان حسب التوزيع الجغرافي لا تختلف كثيرا عن التوزيع العرقي ، ذلك أن المحرك الأساسي في توزيع القبائل هو خصوبة المكان والنشاط التجاري ، وبالتالي فإنَّ هناك قبائل ساحلية وداخلية وصحراوية منتشرة في المغرب القديم ، وبناء على ما سبق ، فإن المجتمع اللوبي القديم خلال العهد القرطاجي كان مجتمعا انقساميا .

– **المجتمع الانقسامي المحلي**

انقسم بدوره إلى قسمين : الأول يعرف بالمجتمع اللوبي والثاني بالمجتمع الأثيوبي .

– **المجتمع اللوبي ذي العرق المحلي**

هو مجموعة القبائل المحلية التي تناولها هيرودوتس ، وتسميته طغت على جميع سكان بلاد لوبه ، إلا أن أسماء القبائل المحلية والتي أطلقها السكان على أنفسهم لا تزال مجهولة لحد الآن ، نظرا لغيابها من المصادر.

كما أنَّ معظم المصادر الإغريقية والرومانية ككتابات ديودوروس وبلينوس القديم و استرابون أشارت إلى أسماء مختلفة تماما ومنقطعة لغويا عما ذكر في أقدم مصدر تاريخي وهو " تاريخ هيرودوتس " التي سبق تناولها .

تجدر الإشارة إلى أنَّ القبائل اللوبية السبعة عشر المنتشرة في ربوع المغرب القديم قد اتحدت في الفترة ما بين القرنين الرابع والثالث ق.م مشكِّلةً اتحادات قبلية ، والمعلومات التاريخية ضئيلة حول كيفية هذه الاتحادات .

– **المجتمع القبلي الأثيوبي**

أطلقت تسمية الأثيوبيين لأول مرة في المصادر التاريخية من طرف هيرودوتس ، وكانوا ينقسمون إثنيا إلى مجموعتين متباينتين نوعياً ، فهناك الأثيوبيون الشماليون الذين ينتمون للجنس اللوبي الأبيض البشرة ، وهؤلاء هم الذين يعتبرون جزءاً من الأمة المغاربية الكبرى ، بينما هناك الأثيوبيون الجنوبيون الذين تغلبت عليهم الصفة الزنجية .[1]

---

( 1 ) رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص . 235 .

كان أولئك يتاخمون النسمونيين ولا يفهم النسميون كلامهم ، وقامتهم قـصيرة ، وكان الأثيوبيين الزنوج لا يفهمون لغة القبائل اللوبية . [1]

كما كان الجرميون يطاردون سكان المغارات من الأثيوبيين على متن عربـات تجرها أربعة خيول ، ذلك أن الأثيوبيين الغيرانيين كانوا أسرع في العدد وقـد نعـتهم هيرودوتس بالتروجلوديت أي الغيرانيين إشارة منه إلى الكهوف الطبيعية التـي كـانوا يتخذونها بيوتاً .[2]

هذا ويقسمهم استرابون جغرافيا إلى أثيوبيين شرقيين وغربيين ويذكر بانهم قبيلة واحدة كبيرة العدد . [3]

**د – <u>أنماط السكان الوافدين ( الطبقية في المجتمع القرطاجي )</u>**

إنَّ مصادر دراسة المجتمع القرطاجي عديدة من حيث المضمون، وذلك فيمـا أوردته المصادر الكتابية والأثرية ، بالإضافة إلى النقوش التي تعتبر مـصادر ماديـة محلية ذات قيمة تاريخية عالية ، وهي من الوثائق التي قدمت معلومات عن المجتمـع القرطاجي ، ولذلك يمكن القول أن أنموذج المجتمع القرطاجي هو موضوع قد استوفى حقه من البحث ، ولذلك فإننا سوف نتطرق إلى الأنماط السوسيولوجية المميزة للمجتمع القرطاجي باعتباره مجتمعا بدأ وافدا ثم أصبح محليا .

كان المجتمع القرطاجي مجتمع حضري مدني يتميز بالحركية والتعـايش بـين مختلف الفئات السكانية مع حفظ التفاوت الذي يفصل بينها من حيث القدرات والـوزن الاجتماعي والفاعلية السياسية ، وصفة التحضر دلالة على أن أفراده كانوا يعيشون في محيط المدينة ، وصفة المدنيَّة تعني أنه كان مؤطرا بقوانين يساهم المواطن في بعثهـا وتكريسها .

لقد تكون المجتمع القرطاجي من ثلاثة أصناف تحكمت فـي تراتبهـا الطبقـي درجة الغنى والفقر والمهنة الممارسة و أفراد المجتمع القرطاجي بناءً على ذلك هم : المواطنون والأجانب والعبيد .[1]

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون ... " ، ص . 51 .
( 2 ) محمد حسين فنطر، " قبيلتان لوبيتان ... " ، ص . ص. ( 58 –60 ) .
( 3 ) *Strabon , Op . – cit . , P . 3.* -

- ***الفئةالأولى : المواطنون***

هم الذين يتمتعون بالحرية وبحقوق المواطنة والاسهام في بناء المجتمع والدولة والاضطلاع بالمهام السياسية والإدارية على أساس الثروة والثقافة والمعرفة ، ويتصدر الأثرياء هذا الصنف من المجتمع ثم الحرفيين .

- ***الأثرياء***

لقد صنف الأثرياء بحسب ما لديهم من ممتلكات عينية وعقارية و مالية ، وقد كان لطبقة الأثرياء القرطاجيين دوراً كبيراً في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية ثم الدينية وكذا التجارية والزراعية ، فهم الذين كانوا يمتلكون الأساطيل ويجهزونها بالبضائع التي توزع في مختلف الموانئ والأسواق المتوسطية وتكسبهم أرباحاً طائلة فيزدادوا نفوذاً وهيمنةً على الحكم وكانت مساكنهم على قدر من الرفعة ***( انظر الشكل رقم ( 37 ) ، ص .200 )*** ، أما خلال القرن الثالث ق.م ، فقد تألقت أسرة حنون وأسرة عبد ملقرت المعروفة باسم مؤسسها عبد ملقرت برقة وابنه حنبعل الذي اشتهر بعبقريته العسكرية ورؤيته السياسية الثاقبة . [2]

- ***الحرفيون***

عرف الصنف الثاني بالحرفيين ، وهم الذين كانوا يتعاطون مختلف الصناعات والحرف كالنجارة والحدادة وسبك المجوهرات والحلي و الفخارة والبناء ، وينضم إلى هذا الصنف كل الذين يعملون في البحر أو في المزارع من صيادين وملاحين وفلاحين ممن يملكون حقولا أو بساتين توفر لهم وسائل عيش متواضعة تقيهم شرّ الخصاصة ، ويبدو أنهم كانوا واعين بدورهم ومعتزين بحِرَفِهم ، وقد ينوِّهون عنها كتابةً على متن الأنصاب التي يقدمونها قرباناً للآلهة . [3]

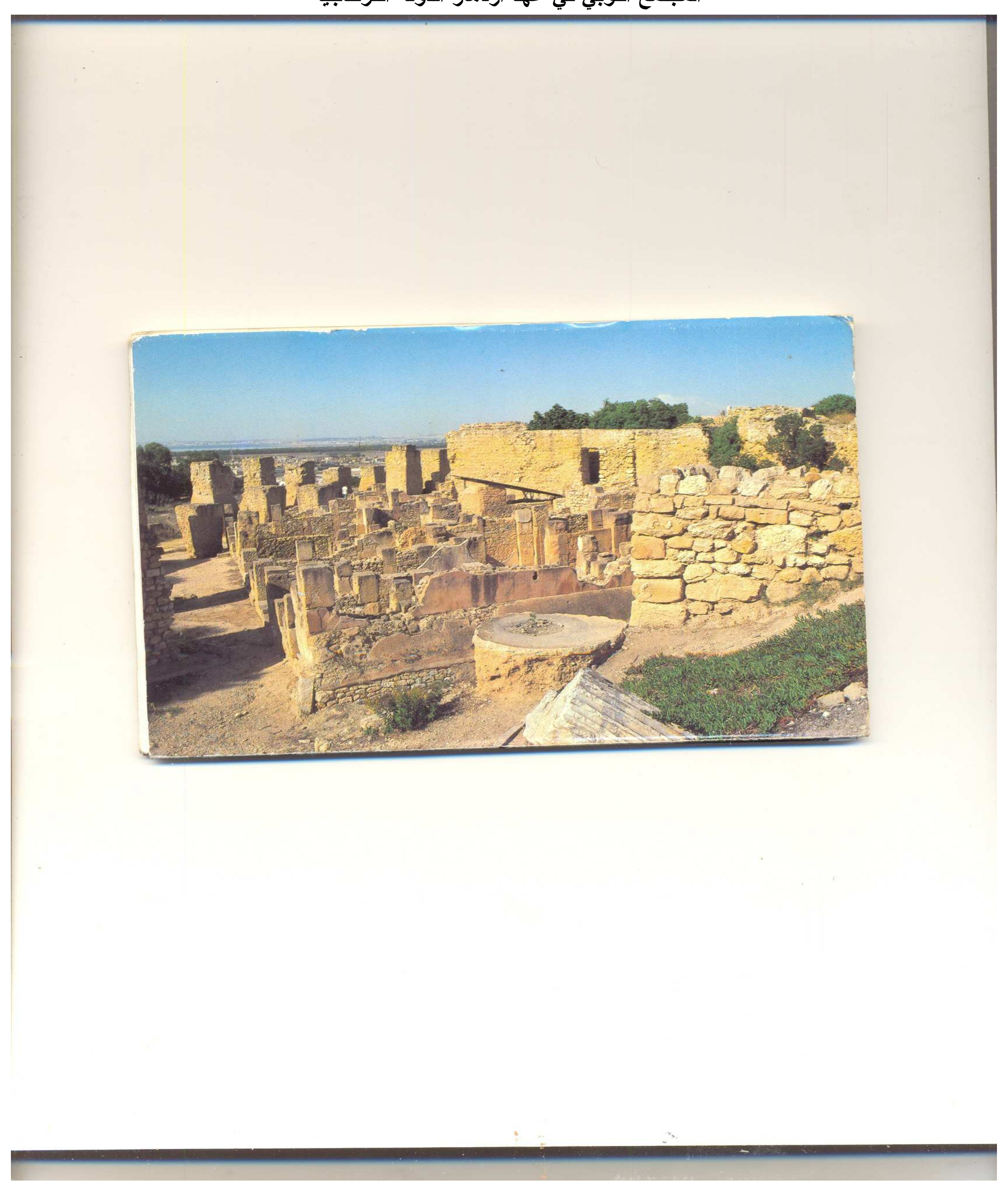
كما انتمى إلى ذلك الصنف صنف ثالث ، وهم الذين كانوا يتعاطون مهناً حرة كالأطباء والمدرسين والمهندسين وبعض الذين كانوا يعملون في دواوين الإدارة كالكتبة

---

( 1 ) مادلين هورس ميادان ، تاريخ قرطاج ، تر: ابراهيم بالش ، ط . 1 ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، 1981 ، ص . 77 .

( 2 ) *– M' hamed Hassine Fantar , Carthage (Approche d'une civilisation ) , T: I , Les éditions de la Méditerranée , Tunis , 1998 , P . P . ( 178 – 179 ).*

( 3) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 23 .



الشكل رقم ( 37 ) :

الحي السكني البوني الذي بني في عهد حنبعل على ربوة بيرصة

**نقلا عن : مجموعة متحف باردو بتونس .**

و ساطري النقوش البونية ، كما يوجد من فئة المواطنين صنف لا يملك سوى قوة عضلاته كالمجذفين وعملة المزارع وكذا عمال المقالع الحجرية والمناجم ، وكل الذين يساعدون الحرفيين المختصين.

هكذا ، تميزت فئة الحرفيين بكثرة العدد وضعف الفاعلية على أنها تنسب للطبقة المتوسطة ، فتزيدها قوة ونفوذاً في الظروف المتأزمة ، وقد وجد فيها المغامرون السياسيون أنصاراً عند الحاجة . [1]

- ***الفئة الثانية : الأجانب***

كانت توجد جاليات أجنبية كبيرة في قرطاجه والمدن البونية الكبرى من لوبيين وإغريق ثم مصريين وكذا إيبيريين و أتروسكيين . [2]

كان كل هؤلاء يقيمون في قرطاجه ويتعاطون التجارة ، وقد سكنوا فيها لأسباب عديدة ، وتذكر النقائش أن منهم من لجأ إليها تحت وطأة الظروف السياسية والاجتماعية أو القضائية السيئة التي دفعتهم إلى مغادرة أوطانهم .

- ***الفئة الثالثة : العبيد***

تميزت فئة العبيد في قرطاجه بأن لهم الحق في الزواج وتكوين أسر، كما كان لهم الحق في تقديم الأضاحي والقرابين شأنهم في ذلك شأن المواطنين- كما سيرد ذكرهم لاحقا - .[3]

على غرار بقية المجتمعات القديمة كان الرق طاقة لتنشيط الاقتصاد البوني ، وكان القرطاجي يمتلك في بيته العديد من العبيد ، ويختلف عددهم باختلاف مستوى ثروة المواطن ومكانته ، وكانوا يعملون في المزارع والمناجم ، أما المحظوظون فهم من يخدمون في البيوت ، وفي العصور المتأخرة أصبح للعبد الحق في بعض الملكية

---

( 1) محمد حسين فنطر ، الحرف ... ، ص . 24 .

'( 2 ) ***الأتروسكيون*** : هم سكان إتروريا القديمة الواقعة بين نهري الأرنو والتيبر وجبال الأبنين وسهل كامبانيا – رغم أنه خارج إطار الجغرافي السابق الذكر – ، والأتروسكيون هم عرق مختلف ثقافيا ولغويا ، وأرضهم غنية بالمعادن التي أدت إلى اهتمام الفينيقيين واليونانيين بهم ، ومجتمعهم ثري وطبقاته موسرة مما أدى إلى أن تكون طبقة النبلاء ثرية وقوية . **للمزيد من المعلومات انظر** : برونو داغوسطينو ، الأتروسكيون ، تر : أحمد الصمعي ومحمد بن مراد ، منشورات المتوسط ، تونس ، د. ت ، ص. ص. ( 21 – 42 ) .

( 3 ) *– M' hamed Hassine Fantar , Op . – Cit . , P . 188 .*

مما قد يساعده على استرجاع حريته نقداً ، فيرتقي إلى طبقة العتقــاء وفقــاً للدســتور القرطاجي .[1]

- ***<u>خصائص طبقة العبيد</u>***

لم يخلُ المجتمع القرطاجي من العبيد بل كان كغيره مــن المجتمعــات القديمــة الكبرى يعتمد نظام الرق في تسيير شؤونه الاقتصادية ، وهناك نوعان من العبيد هما:

- <u>عبيد الدولة</u> : وهم الذين يستغلون مباشرة في قصر الحاكم.
- <u>عبيد السكان</u> : وهم الذين يمتلكونهم القرطاجيين ، حيث كانوا يعملــون فــي المزارع والمناجم و ورشات الصناعة ، ويخدمون في البيوت وهؤلاء هم الأوفر حظــا والأقل شقاءً في مجتمع العبيد .

إن الدارس لطبقة العبيد في التاريخ القديم ، يجد أن الرق كان يعــيش حيــاة مهينة جدا ، لكن الملاحظ أن عبيد قرطاجة كانوا قد حازوا على بعض الامتيــازات ، فمثلا كان يحق لهم التزوج ، ولا يجوز للسيد المالك أن يشتت أسرة العبد ، بل يمكــن أن يعتقه إذا استطاع أن يجمع مالا يعتق به رقبته .

كما اعتنى الدستور القرطاجي بطبقة العبيد و أفرد بنودا لهم في القــانون يــتم بموجبها التحول من وضعية إلى أخرى طبقا لشروط ولوائح معينة .[2]

تلك كانت الملامح الكبرى للمجتمع القرطاجي البوني ، وأهم أصنافه وفئاته ، إلا أن الملاحظ عليه أنه لم يكن مجتمعاً ثبوتياً بل كــان ذا حركيــة تجلــت فــي ضــوء النصوص القديمة ، ومن خلال النقوش البونية برزت لنا أدق خصائصه ونظامه وسبل تصريف شؤونه العامة والخاصة ومؤسساته المعتمدة على القانون والانتخاب وإشــراك المواطن القرطاجي في مختلف جوانب الحياة .[3]

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 24 .
( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 30 .
( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 31 .

## 3- المجتمع القرطاجي الوافد ( مميزاته وخصائصه )

كان يتميز بالتعايش بين الفئات والتفتّح ، حيث كان يتـوفر للأجانـب فـرص الاندماج فيه عن طريق المصاهرة والتثّقف ، فلقد أشـار المؤرخـون القـدامى إلـى ضابطين من أصل يوناني كانا تحت إمرة حنبعل أقبل أبوهما نازحـاً مـن سرقوسـة واستقر بقرطاجه وتزوج قرطاجية ، أنجبت له طفلين وانصهرت أسـرته فـي نـسيج المجتمع القرطاجي ، فلم تكن الحواجز بين الفئات موجودة بل كان يرتقي في الطبقـات من توافرت فيه الكفاءة . [1]

### أ – المرأة ومكانتها في المجتمع القرطاجي ( عليسة وصوفونيزب نماذجاً )

كانت المرأة القرطاجية مساهما فعالا في بناء المجتمع وتنشيط الاقتصاد ، فتسند إليها الوظائف الدينية و تتعاطى التجارة وبعض الحرف المنزليـة كالحياكـة وغـزل الصوف ، كما شاركت في حروب قرطاجه ،هذا فضلا عن جمالها الذي كان مـضاهيا لجمال الإغريقيات *( انظر الشكل رقم ( 38 ) . ص . 204 )* ، كما وأنها قد ضحَّت بنفائسها في سبيل فداء وطنها ، و المتتبع لأصناف النساء القرطاجيات بحسب نـشاطهن الـسياسي يمكن أن يلاحظ بجلاء في المصادر الأدبية شخصيتين بارزتين هما : الملكة الحاكمـة عليسة مؤسسة قرطاجة والأميرة صفونيسبة القرطاجية .[2]

### – الملكة عليسة وتأسيس المجتمع القرطاجي

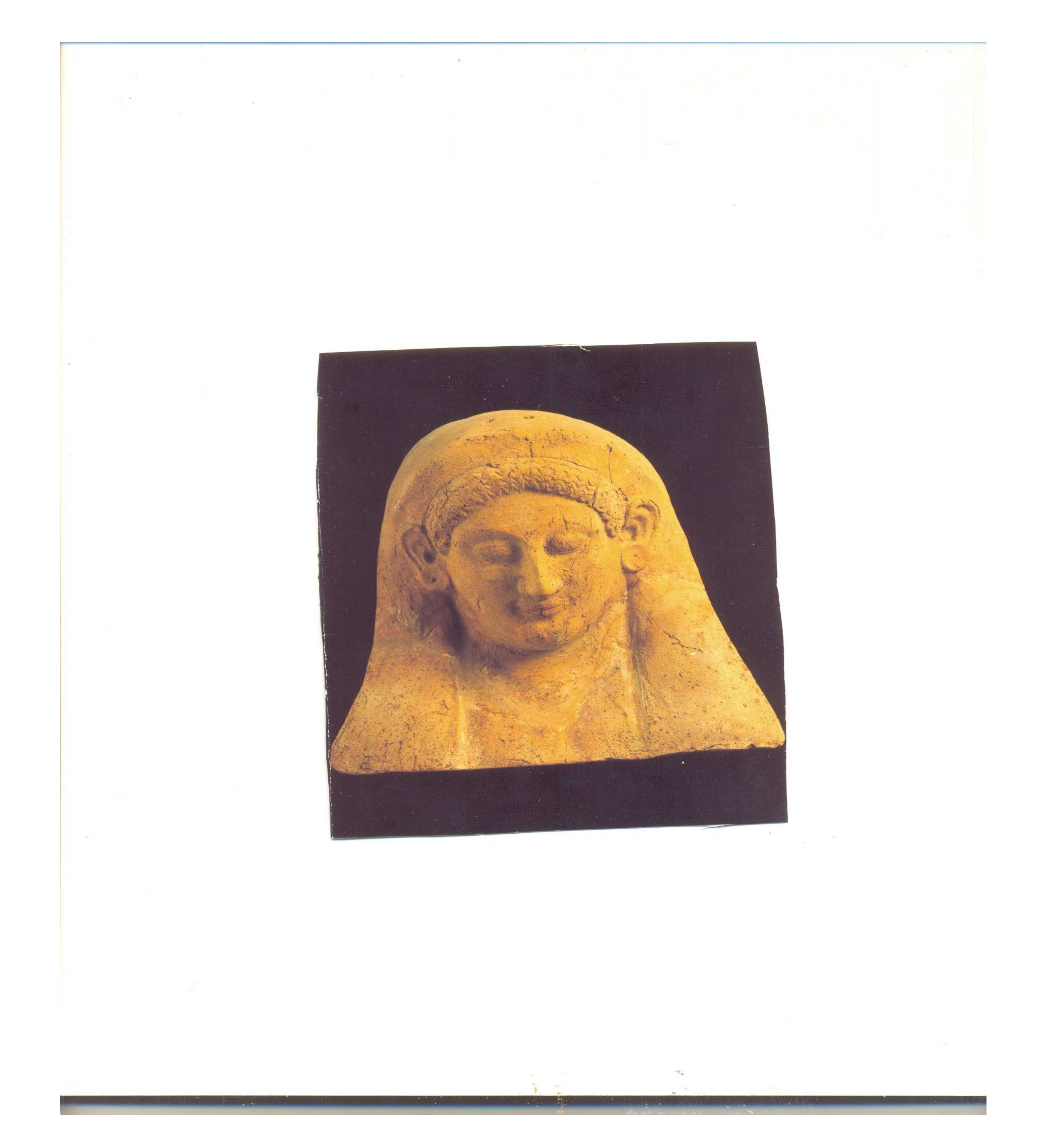
تعد شخصية عليسة من أشهر الشخصيات النسائية وأكثرها تأثيرا في المجتمـع القرطاجي ، فهي فينيقية الأصل واسمها الحقيقي " إليشات " واشتهرت باسـم عليـسة ديدون ، حيث ذكر المؤرخ اللاتيني جوستينوس (***Justinus***) [3] أنها ابنة الملـك متـون ملك صور والتي عينها والدها رفقة أخيها بيجماليون ليخلفانه على العرش .

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، المرجع السابق ، ص . 30.

( 2 ) خديجة منصوري ، " أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال المصادر المادية والمصادر الأدبية " ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، ع : 25 ، أفريل 2008 ، ص . 270.

( 3 ) ***جوستينوس*** : أو يوستينوس وهو مؤرخ لاتيني عاش فيما بين القرنين الثاني والثالث للميلاد ، أعدَّ تلخيصاً لكتاب فـي التاريخ صنفه مؤرخ من بلاد الغال يدعى تروجوس بومبيوس ، وفي ذلك المؤلف وردت أخبار عليسة وتأسـيس قرطاجـة ، ويعرف المصدر بتاريخ جوستينوس ( *Historiarum Phillipicarum ex Trogo Pompeio* ) وقد ترجم إلى عدة لغـات وسيطة ما عدا اللغة العربية ،. **للمزيد من المعلومات انظر :** أحمد الفرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الـشرق الفينيقـي وقرطاجة ، ط . 1 ، منشورات بيت الحكمة والمعهد الوطني للتراث ، تونس ، 1993 ، ص . 27.



الشكل رقم ( 38 ) :

رأس تمثال لسيدة قرطاجية يبرز من خلاله تصفيفة الشعر والأقراط وملامح الأنف الطويل والفم الدقيق والذقن الصغير والجيد الطويل ، وهي من المميزات الخَلْقِيَّة الجمالية للمرأة القرطاجية.

كان زوج عليسة عاشرباص كبير كهنة الإله ملقرط [1]، وكان من الأثرياء فطمع في ثروته شقيق عليسة الأمير بيغماليون فقتله ليستولي على الثروة ، وكان أن خشيت عليسة على نفسها وثروة زوجها من أخيها ، فقررت مغادرة المدينة مبحرة رفقة بعض الأمناء من حاشيتها في البحر ، فكانت الوجهة جزيرة قبرص حيث مكثت هناك بعض الوقت ، وطلب منها كاهن الجزيرة أن يرافقها وعائلته شريطة أن يستلم كهانة المعبد وذويه في المدينة الجديدة التي ستؤسسها ، فوافقت عليسة واصطحبت معها ثمانين فتاة قبرصية إلى جانب شباب حاشيتها ليكونوا جيلا جديدا ، وهكذا كانوا هم النواة الأولى المؤسسة للمجتمع القرطاجي . [2]

لقد عمّرت حاشية عليسة المدينة الجديدة التي كانت تعرف بالفينيقية بتسمية " قرط حدشت " بفضل ملكتهم وحنكتها، وذلك بعدما ابتاعت أرضا من السكان المحليين للمغرب القديم بحيلة جلد الثور الشهيرة ، وتقديمها ضريبة سنوية للقبيلة اللوبية التي اشترت بها قطعة الأرض في المكان المعروف حاليا بربوة بيرصه .

عندما ازدهرت المدينة طلب حيرباص رئيس قبيلة الماكسيتاييين الذين يعيشون بجوارها الملكة عليسة للزواج وهددها بالحرب والقتال في حالة رفضها لطلبه ، فما كان منها إلا أن أحرقت نفسها فداءً لوطنها . [3]

من الرواية يمكن أن نستنتج في الجانب الاجتماعي أن المجتمع القرطاجي كان قد نشأ نتيجة المصاهرة بين الفينيقيين والقبارصة ثم استقر في أرض قرطاجة .

**ب - سلوكات عليسة ودوافعها**

يمكن ملاحظة صفات كثيرة سلوكية في شخصية عليسة من خلال الرواية التاريخية ، فهي شخصية ناضجة انفعاليا رفضت الخضوع لواقعها في علاقتها مع أخيها .

---

( 1) **ملقرط** : يكتب بأوجه عديدة مثل " ملكارت " وكان معبود مدينة صور الفينيقية . **للمزيد من المعلومات انظر** : محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص . 214.

( 2) – *Marcus Junianus Justinus , Histoires philippiques de trogue Pompée , T : XVIII , trad. Par : Marie- Pierre Arnaud – Lindet , éd . M.P.A.L , Paris , 2003 , P . 21 .*

( 3) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ... ، ص . 46 .

تمتعت عليسة بمجموعة من المبادئ والقيم ، استطاعت نقلها بكل ما تضمنته من معايير ومثل ومعتقدات وسلوك اجتماعي بعد تأسيسها قرطاجه إلى أبناء شعبها الصغير – آنذاك – ، وذلك من خلال ردة فعلها على طلب الملك اللوبي حيرباص .

أما شعورها الاجتماعي بالطبقية ، وشعورها السياسي بالمسؤولية في ضرورة حصر الحكم بين أبناء شعبها ، كانا سببان في عزمها على إيجاد حلول تضمن عدم عودة الحكم إلى أصحاب الأرض الأصليين .

كما كان لحسِّ الأميرة عليسة الاقتصادي مفعوله في مواصلة النشاط التجاري البحري كما كان ممارسا في صور، كل هذا حال دون قبولها طلب الزواج ، وأدى بها إلى التضحية بنفسها لبقاء قرطاجة .

**<u>ج – شخصية صفونيسبة</u>**

اسمها البوني هو " صفنبعل " أي رعية الإله بعل ، وعرفت كذلك بصفنيبة وهي من أصل أرستقراطي فوالدها هو عزربعل بن جرسكن ، يرجح أنها ولدت حوالي 221 ق.م في السنة التي أصبح فيها حنبعل قائدا أعلى للجيش القرطاجي في إسبانيا .[1]

وردت أخبار متفرقة عن صفونيسبة من خلال ذكر مرحلة ضعف الدولة القرطاجية وعلاقتها بالدولة النوميدية ، وقد حصلت على لقب "الملكة زوجة الملك" .

لم تذكر المصادر أنه قد أسند لها دور سياسي ، لكن كان هناك صراع خفي حول الظفر بها بين ملك نوميديا الشرقية مسنسن وملك نوميديا الغربية صفاقس وذلك لما عرف عن جمالها وأدبها .[2]

حيث كانت ستتزوج من الملك مسنسن لولا أن المجلس القرطاجي ضغط على والدها كي يزوجها لصفاقس الذي كان في نظره حليفاً قويا لقرطاجه ، وزفت إليه سنة 205 ق.م ، وتزامن ذلك وتحالف ماسينيسا مع سيبيون وهزمهما لصفاقس في معركة زاما سنة 201 ق.م ، وقد ماتت في سن العشرين منتحرة بإيعاز من مسنسن الذي بعد

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص. ص. ( 27 –28 ) .

( 2 ) *- M'hamed Hassine Fantar , Op . – Cit . , P .83 .*

أن دخل كرتن رفض تسليمها للرومان ، وهذا يعكس أيضا نبالة أخلاقه بتجنبه اغتصاب الملكة المهزومة .[1] (*راجع الشكل رقم ( 39 ) . ص . 208* )

- **سلوك صفونيسبة**

كانت شابة ، لكن عرف عنها تدينها حيث كانت تعبد الآلهة القرطاجية في مدينة سيجا عاصمة مملكة صفاقس ، وقد كانت وفية لزوجها صفاقس ، ذلك أنها انتحرت مكرِّرةً تصرف جدتها عليسة ، مما يعكس تمسكها بالتقاليد والأعراف البونية المحافظة .

**4- المجتمع اليوناني في خليج السرت**

**أ – تعريف المجتمع اليوناني ونشأته ببلاد المغرب القديم**

هو النوع الرابع من أنواع المجتمعات العرقية في المغرب القديم ، وثاني نوع من المجتمع الانقسامي الوافد ، وهو المعروف تاريخيا بمجتمع برقة وقورينة الإغريقي ، الذي استوطن سواحل المغرب القديم منذ أواسط القرن 7 ق.م في منطقة خليج السرت الكبير .[2]

يعود أصل إغريق برقة و قورينة إلى أهل ثيرا [3] الذين تعايشوا مع قبيلة الجلجاميين الذين يعود لهم الفضل في اهتدائهم لمنبع أبولو ، وكذلك الأسبوتيون الدين ساعدوهم في إنشاء قورينة حوالي سنة 631 ق.م بقيادة باتوس .

---

(1) – *Serge Lancel , HANNIBAL , Cérès éditions , Tunis , 2000 , P . 305 .*

( 2 ) ***طبيعة المجتمع اليوناني في المغرب القديم*** : يختلف المجتمع اليوناني اختلافا كبيرا عن المجتمع الكنعاني الفينيقي ، وخاصة فيما يتعلق بمكانة المرأة في المنظومة الأسرية ، إذ لم يكن يعترف بتعدد الزوجات ، وفي المقابل يعترف بالتعدد اللامحدود للمعشوقات ، وفي المجتمع الأثيني وغيره من مجتمعات دويلات الإغريق التي عاشت خلال العصر الكلاسيكي حوالي القرن الخامس ق.م ، وهي الفترة التي نزح فيها بعض الإغريق على المغرب القديم في سواحله الشرقية كانت المحظيات والعلاقات الحسية أكثر من العلاقات الزوجية الشرعية ، ويبدو أن القبائل اللوبية المتاخمة قد فرضت على الإغريق أعرافها وتقاليدها ، ولكن سرعان ما دب الخلاف والعزلة الاجتماعية من طرف الإغريق بعكس القرطاجيين الذين كانت أسباب الخلاف مع اللوبيين اقتصادية أكثر منها اجتماعية وسلوكية . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 ، ص . ص . ( 49 – 73 ) .

( 3 ) كان السبب في أن أهل ثيرا ( سانتورين حاليا ) دون غيرهم قد لجؤوا إلى المغرب القديم هو القحط وتدهور المحصول والضغط السكاني في أواخر القرن السابع ق.م قد أصابهم ، وبذلك أرسلوا أبناءهم بصفة مستعمرين وليس بصفة تجار ، ففي الواقع لم يكن لديهم ما يتاجرون به ، وكانت مغامراتهم صعبة للوصول إلى المغرب القديم ، وفي بداية الأمر عندما حاولوا العودة إلى ديارهم رماهم أهلهم بالسهام كي لا يعودوا وبهذه الطريقة قسمت الأراضي بين من تبقى من العائلات



الشكل رقم ( 39 ) :

لوحة زيتية على القماش من تنفيذ الرسام الإيطالي ماتيا بريتي (Matia Pretti ) من متحف الفنون الجميلة بليون ( 1613–1699 ) ، وتمثل رسما تخيليا لنهاية الملكة القرطاجية صفونيسبة وهي تتناول قدح السم من يد مسنسن ملك نوميديا إثر معركة زاما والانتصار على صفاقس .

نقلا عن : *- Serge Lancel , Hannibal , P.266.*

---

= الثيرية وأسسوا هم مستوطنتهم في بلاد المغرب القديم . ***للمزيد من المعلومات انظر***: روبرت ليتمان ، التجربة الإغريقية بين حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي ( 800 ق.م – 400 ق.م ) ، تر : منيرة كروان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000 ، ص . 46 .

تذكر النصوص الإغريقية أنهم قد قدموا إلى السواحل اللوبية في نحـــو مـــائتي بحار ، وصاهروا اللوبيين ، وامتازت العلاقات الباكرة بالسلم والوئام ، واستمر ذلـــك إلى غاية منتصف القرن السادس ق.م ، أين انتهجوا سياسة اســـتيطانية فـــي أراضـــي القبائل اللوبية عنوة ، مما أدى بالعلاقات إلى السوء ، وانخرط الطرفان في سلسلة من الحروب عرفت بحروب " المامريكا " والتي لم تتوقف إلا بعد الفتح الإسلامي .[1]

مما يستدل به من المصادر أن العلاقات المغاربية اليونانية كانت مختلفة تمامـــا عن العلاقات المغاربية القرطاجية ، وذلك راجع لعدة أسباب أهمها :

لقد عومل اللوبيون بناءً على تخطيط مسبق من الدويلة الأم ثيرا معاملة قوامهـــا الطبقية ، ففي مرسوم قورينة الذي يعود إلى القـــرن الرابـــع ق.م ، فـــإن اليونـــانيين يصبحون هم المواطنين في قورينة فكانت الأسرة والتنظيمات ووشائج القربى والنـــسب كما هو الحال في ثيرا دون أدنى اعتبار للسكان الأصليين ، ومن هنـــا كانـــت بـــوادر الصراع بين الطرفين .[2]

لقد كان دافع الاستيطان الإغريقي مختلفا عن الـــدافع الـــذي أســـست لأجلـــه قرطاجه ، ولذلك تعارض الإغريق مع القرطاجيين ، وقام صراع بينهما ســـرعان مـــا انتقل إلى عرض البحر المتوسط بعد أن كان في سواحل المغرب القديم ، حيث يمكـــن لليونان أن ينافسوا قرطاجه ، ويسيطروا على شرقي المغرب القديم في الوقت نفسه .

هكذا اقتسم الإغريق و القرطاجيون المغرب القديم ، واعتبراه بسواحله ومياهه الإقليمية مجالهما الحيوي للتجارة والحرب .

لقد عوملت القبائل المحاذية للمستوطنات الإغريقية بحذر فيما بعد حيث مـــنح الأسبوتيون حق المواطنة الإغريقية لأبناء النساء اللوبيات من الآباء الإغريق ، وهـــذا التصرف يعكس النزعة الفوقية التي كان يتعامل بها السكان المحليـــون الـــذين كـــانوا اجتماعيا أدنى درجة من الإغريق ومن المواطنين المتأثرين بالثقافة الإغريقية .

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . ص . ( 56 - 58 ) .
( 2 ) روبرت ليتمان ، المرجع السابق ، ص . 52 .

خلال القرن الرابع ق.م ، وبعد وفاة الاسكندر الأكبر آل الحكم إلى آل برقة وأما خليج السرت فإلى أحد قادته المعروف ببطليموس بن لاجوس، ذلك الأخير الذي حكم المنطقة مع مصر وكانت سلالة البطالسة من نسله . [1]

## ب – المجتمع اليوناني في قورينة

هو مجتمع مستوطن في المغرب القديم ، إلا أنه يندرج ضمن الفئات السكانية التي عاشت جغرافيا في المنطقة ، وتأثرت ببعض العادات اللوبية المحلية بفعل المصاهرة والقربى ، إذ أن الإغريق لم يأتوا بنسائهم بل تزوجوا من بنات القبائل اللوبية المتاخمة لمدينتهم التي أسسوها لاحقا وعرفت بقورينة .

كانت قورينة مدينة ممتازة في جغرافيتها فالأرض ثرية والمناخ معتدل ، وقد كان للمرأة القورينائية دوراً بارزاً في المجتمع على غرار المرأة الاسبرطية ، ذلك أن المرأة الأثينية كانت أكثر تواضعا عن بقية نساء دويلات الإغريق .[2]

لا نجد إشارات عن المرأة في هذا المجتمع ما عدا أن زوجات إغريق برقة وقورينة كن لوبيات ، مما يعكس الامتزاج الحضاري بين العرقين من خلال المصاهرة .

## ج – مظاهر الامتزاج الحضاري بين المجتمع المحلي والوافد

لم يقتصر مجهود الإنسان المغاربي القديم محليا كان أم دخيلا على تطوير فكره فقط بل تفاعل مع غيره ، إلا أن الملاحظ هو أن المجتمع اللوبي كان أكثر استفادة من غيره من المجتمعات الأخرى وأكثر تأثرا بالأفكار الوافدة وخاصة فيما تعلق بالجانب الديني .

تشمل عناصر التمازج الديني عبادة آلهة ذات أصول فينيقية كالإله بعل والإلهة عشتار ، واستمرارية هذا التمازج عن طريق ظاهرة التناظر في مجمع الآلهة الديني ، فمثلاً : الإله ملقرط الفينيقي إله صور يرادف الإله هرقليس عند الإغريق هو الأله

---

( 1 ) مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص . 62 .

( 2 ) سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر ، ط . 2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976 ، ص . 155 .

الرئيسي ، وبذلك كان مجمع الآلهة القرطاجي مرادفا لمجمع الآلهـــة الفينيقـــي ومنه انتقل إلى اللوبيين ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الأشكال والرموز التصويرية في النقوش البونية . [1]

هكذا ، احتوى المجتمع المغاربي القديم على عدة مجتمعات كبرى انقسامية ، إلا أنَّ ملامحه المحلية لم تتبلور إلا خلال القرن الثالث ق .م ، وذلـــك بظهـــور المجتمـــع اللوبي النوميدي .

( 1 ) ريتشارد كليفورد ، " الديانة الفينيقية " ، الثقافة العالمية ، ع : 56 ، تر : جاب الله علي جاب الله ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، جانفي 1993 ، ص. ص . ( 78 – 79 ) .

# الفصل الثاني

# المجتمع اللُّوبي النوميدي

# ( خصائصه ومظاهره )

أولا : المجتمع اللوبي النوميدي في عهد نهاية الدولة القرطاجية .

ثانياً : المجتمع اللوبي خلال القرن الثالث ق.م و ردة الفعل على السياسة القرطاجية ( الثورة الاجتماعية أنموذجاً ).

تبلورت العناصر السكانية في المغرب القديم ما بين القرنين الرابع والثالث ق.م إلى نماذج اجتماعية جديدة لم تكن معروفة في أسمائها من قبل في المصادر الكتابية ، وإن كان بعضها يعد امتدادا عرقيا لفئات سابقة ، حيث تقلص مفهوم " لوبه " فلم يعد يعني العناصر السكانية للمغرب القديم قاطبة ، فقد ظل اللوبيون الشرقيون قبائل متفرقة ، أما اللوبيين الغربيين فظهر منهم المجتمع اللوبي النوميدي .

إن المجتمع اللوبي النوميدي هو مجتمع هجين اتضحت ملامحه خلال فترة الحروب البونية الأولى والثانية ، أي أنه تزامن مع ضعف نفوذ الدولة القرطاجية وانشغالها بالشؤون العسكرية على الشؤون الثقافية والعمرانية ، وكذلك مع قيام الاتحادات النوميدية الكبرى و رغبتها في تأسيس كيان سياسي خاص بها .

لذلك فإن المجتمع اللوبي النوميدي كان يحمل الروح الحضارية البونية بهوية محلية وطنية عازمة على استعادة أراضيها وتملكها و إدارتها .

لكن السؤال المطروح هنا: كيف يمكن تتبع مظاهر المجتمع اللوبي النوميدي ؟

## أولا – المجتمع اللوبي في عهد ضعف الدولة القرطاجية

### 1- التركيبة الاجتماعية في المغرب القديم خلال القرنين الثالث والثاني ق.م

#### أ – التعريف بأنماط السكان في المجتمع اللوبي النوميدي

قسم ديودوروس الصقلي [1] حسب المعلومات التي استقاها عن بوليبيوس [2] سكان بلاد المغرب القديم إلى أربعة فئات كبرى ، الأولى وافدة والثلاث عناصر المتبقية من السكان الأصليين أو من نصف أصليين بسبب التمازج العرقي عن طريق المصاهرة ، و تلك العناصر هي :

– الفينيقيون : هم سكان قرطاجة من الأصول الكنعانية السامية ، وينتهي نسبهم إلى صور .

---

(1) – *Diodore de Sicile ,Op.-Cit. , T: III – E thiopie et Libye - , P . 49 .*

(2) – *Polybe , Histoires, T : II , 2.*

– الليبو فينيقيين : عرفوا بالبونيين أيضا ، وهم على الأرجح من سكان المدن الساحلية الكبرى ممن كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة القرطاجية كاملة .

– النوميديون : هم سكان المدن والمناطق الداخلية ، والذين يناصب سوادهم الأعظم العداء للقرطاجيين بسبب سيطرتهم على ممتلكاتهم الزراعية وفرض الضرائب عليهم خاصة بعد تغيير قرطاجة لسياستها من بحرية متنقلة إلى زراعية مستقرة بعد القرن الخامس ق.م .

– البدو الرحل : وكانوا يتوزعون في كامل المناطق الداخلية حتى مشارف الصحراء .[1]

الملاحظ هنا ، أن من تلك العناصر تشكلت – فيما بعد –مجتمعات كبرى كالنوميديين والبدو الرحل الذين عرفوا بالجيتول ، أما الليبوفينيقيين فهم محل جدل تاريخي ، إذ وباستثناء ذكرهم في نهاية الوجود القرطاجي لا نجد تجددا لهذه الطبقة ، ولذلك فلا يمكن البت في أنها كانت تسمية سياسية أو اثنية .

## 2 – إشكالية طبقة الليبو فينيقيين ومكانتها في المنظومة الاجتماعية المغاربية القديمة

بعد مرحلة الامتزاج الديني والحضاري الذي عاشته العناصر السكانية خلال المرحلة السابقة ، برزت فئة جديدة عرفت في المصادر بتسمية " الليبوفينيقيين " أو طبقة البونيين .

### أ – أصل التسمية

اختلف المؤرخون حول أصل تلك الفئة السكانية ، فمنهم من يرجح أنها ذات أصول محلية خالصة حصلت على حقوق المواطنة القرطاجية ،وبذلك فهي تسمية سياسية وإدارية لعرق محلي ، وتلك الفئة تشبه – إلى حدٍّ كبيرٍ – فئة المترومنين الذين حصلوا على حق المواطنة الرومانية في القانون الروماني .[2]

( 1 ) محمد الصغير غانم ، معالم التواجد .... ، ص . ص. ( 107 – 108 ) .

(2) *– Stéphane Gsell , H.A.A.N. , T : II – L' état Carthginois - , Librairie Hachette , Paris , 1918 , P. P. ( 289-290 ) .*

هناك من يرجِّح أنها فئة عرقية جديدة نشأت بعد ثلاثة أجيال على الأقل من فئة الفينيقيين ذوي الأصول الكنعانية ، حيث توالدت وتناسلت من سكان المستوطنات الفينيقية الباكرة و سكان المؤسسات الساحلية التي ظهرت لاحقا على يد القرطاجيين ، وكذلك من سكان المدن الداخلية التي توسعت فيها قرطاجه بعد تخليها عن السياسة التوسعية البحرية التي كانت تنتهجها خلال العهد الوسيط ، و قد أطلقت عليها التسمية من طرف الإغريق .[1]

إن الليبوفينيقيين بناء على تلك الفرضية ، كانوا يمثلون ثمرة التلاقح والتمازج بين الفينيقيين واللوبيين ، و قد تركت المصادر المادية وخاصة الشواهد النقوشية عدة أدلة على زواج اللوبيين بالقرطاجيات لما كنَّ يتمتعن به من جمال مختلف عن ذلك الذي تتحلى به المرأة اللوبية ، كما أن تلقيها لتربية حضرية مدنية أبعدتها عن الواقع الريفي الذي كانت تعيشه المرأة اللوبية كان سببا في الاقتران بها .[2] ***( انظر الشكل رقم 40) . ص.216 )***

هذا و ذكر في نص رحلة حنون [3] المصطلح لأول مرة للدلالة على المدن المؤسسة التي يقطنها هؤلاء ، وأن هذه التسمية لها صيغتها السياسية والقانونية فقط .[4]

## ب – <u>نشاطات الليبوفينيقيين</u> ( البونيين )

لقد شكَّل الليبوفينيقيين طبقة اجتماعية مهمة في سلسلة الكيان الاجتماعي المغاربي القديم ، وكان لهم مستوطنات إدارية محلية ونظم حكم مشابهة ومقتبسة من النظام القرطاجي .

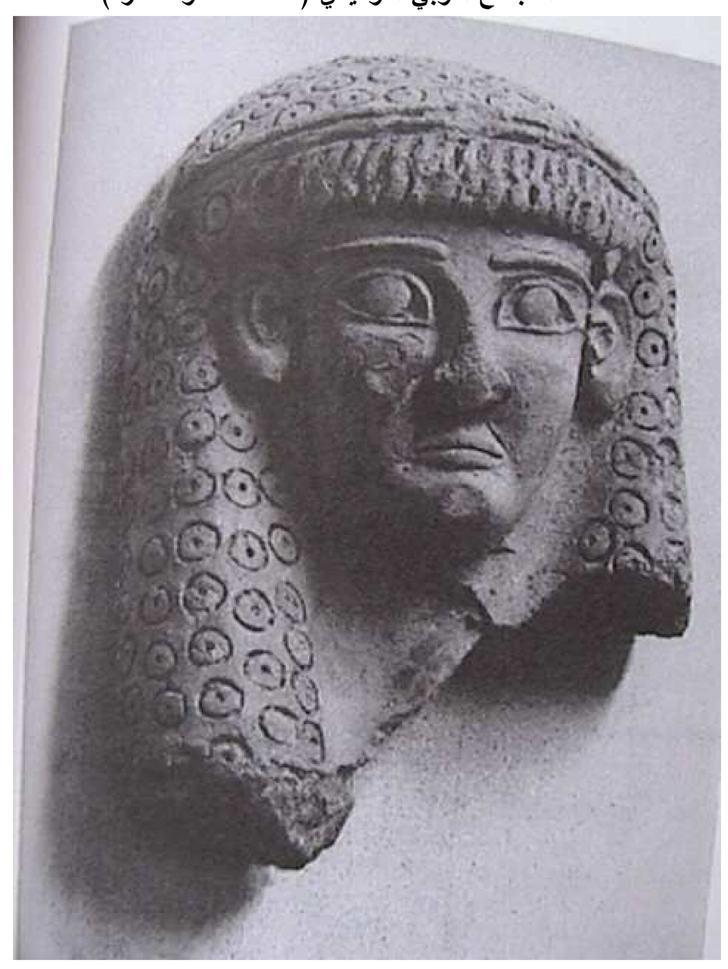
---

( 1 ) *– M' hamed Hassine Fantar , Op. – Cit. , P . 170.*

( 2 ) *- Ibid , P . 200.*

( 3 ) ***رحلة حنون القرطاجي*** : قام بها قائد الأسطول القرطاجي خلال القرن الخامس ق.م ، حيث استكشف السواحل الإفريقية التي تطل على المحيط الأطلسي ، فوصل إلى حدود السنغال حاليا ، وقد دون رحلته في تسعة عشرة فقرة إحداها ضاعت بفعل الكسر، لم يعثر على نصِّها البوني وإنما الإغريقي ، وتعد مصدرا كتابيا مهما لا غنى عنه لتلك المرحلة من التاريخ البوني .
**للمزيد من المعلومات انظر :** *Stéphane Gsell , Le périple de Hannon , D''Après le site web :* www.remacle.org

( 4 ) *- Stéphane Gsell , H.A.A.N. , T : I , - La colonisation phénicienne et l' Empire de Carthage - , Librairie Hachette , Paris , 1913 , P . P . ( 473 - 477 ) .*



الشكل رقم ( 40) :

قناع يصور ملامح وجه امرأة قرطاجية يعود إلى القرن بداية الرابع ق .م
وقد زيَّنت عيناها على النمط المصري القديم .

**نقلا عن : محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 184.**

كان الليبوفينيقيين يدفعون ضرائب مختلفة على سلعهم التي يتاجرون بها ، وكذلك بالنسبة للصادرات التي يقتنونها من أسواق قرطاجة والأسواق الساحلية الكبرى كوتيكة أو تلك القادمة من مالطة وبلاد اليونان .

كما كان التجنيد الإجباري مفروضاً على هذه الطبقة إلى جانب حريتهم في الارتزاق في القوات البرية والبحرية القرطاجية . فكان بذلك وضعهم السياسي والإداري أدنى من وضع القرطاجيين حيث أنهم لم ينالوا أي امتيازات حقيقية على الصعيد المالي .

مما سبق ، نستشف أنَّ الليبوفينيقيين ليسوا سوى لوبيين مورست عليهم سياسة القرطجة ، وإلا لكانوا قد تمتعوا بحقوق القرطاجيين ذاتها .[1]

ولئن اعتبرهم بوليبيوس و ديودوروس الصقلي واسترابون و بلينوس الأكبر وبطليموس فئة اجتماعية خاصة ، نتجت بعد فترة طويلة من الاستيطان والاستقرار والمصاهرة بين السلالة السامية الكنعانية وبين اللوبيين ، فإنهم قد انفردوا بهذه المرتبة في السلم الاجتماعي على الأساس العرقي وليس وفقا للأساس الإداري .[2] فالليبوفينيقيين بذلك كانوا جزءاً لا يتجزأ من كيان المجتمع اللوبي المحلي النشأة .

على أنه يمكن القول بأن الليبوفينيقيين هي تسمية عرقية تطلق على فينيقيي لوبه الذين كانوا يسكنون المستوطنات الساحلية ، ثم ما لبثت هذه التسمية خلال القرن الثالث ق.م أن شملت جميع سكان المناطق الداخلية واتخذت في مرحلة لاحقة صبغة إدارية وقانونية ذات معنى تشريعي وقصد بها مواطني المدن البونية التابعة لقرطاجة ، ولهم الحقوق المدنية نفسها التي كان يتمتع بها مواطنو العاصمة ، كما كانت لهم مؤسساتهم البلدية الخاصة بهم .[3]

مما أثر عنهم التفاعل الديني مع القرطاجيين ، ذلك أن عناصر التقاليد الجنائزية لليبوفينيقيين كانت تشبه كثيرا التقاليد القرطاجية من حيث عملية الترميد واستخدام

---

( 1 ) ب .هـ . وارمنجتون ، تاريخ أفريقيا العام ، مج . 2 ، ج. 18 – العصر القرطاجي – ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985 ، ص . ص. ( 458 – 459 ) .

( 2 ) – *F . Decret et M . Fantar , Op . – Cit . , P . 60.*

( 3 ) الشاذلي بورونيَّة ومحمد طاهر ، المرجع السابق ، ص . 212.

المغرة ودفن الميت ممددا على ظهره ، وهي تقاليد فينيقية الأصل ، ذلك أن الطريقة اللوبية في الدفن تعود إلى التقاليد القفصية التي تعتمد على الدفن في وضع جنيني . [1]

**ثانياً – <u>المجتمع اللوبي خلال القرن الثالث ق.م و رد الفعل على الدولة القرطاجية</u> <u>( الثورة الاجتماعية أنموذجاً )</u>**

بدأت بوادر تسمية المجتمع اللوبي في الأفول بعد سلسلة الاتحادات القبلية التي قامت بها جموع القبائل التي أوردها هيرودوتس في كتاباته المدوَّنة خلال القرن الخامس ق.م ، ذلك أنه وفي ظروف مجهولة وقع الاندماج الاجتماعي بين القبائل المتجاورة جغرافيا والمتشابهة في أعرافها وعاداتها و القريبة في معتقدها .

لقد باتت المصادر تذكر مجموعات سكانية كبرى أقرب في بنيتها إلى بنية الشعب منها إلى بنية المجتمع القبلي المصغر ، فأصبح مصطلح اللوبيين مرادفاً لأسلاف قبائل الماصيل المنتشرين في نوميديا الشرقية .

هذا وقد امتهن اللوبيون الزراعة والرعي والتجنيد ضمن صفوف جيش المرتزقة القرطاجي ، كما ازداد عددهم في الجيش عندما استولت قرطاجة على كامل الإقليم الداخلي المتاخم لأراضيها .

كان اللوبيون يمثلون جيشا خفيف الحركة سريع التنقل وعارفا بالمناطق الداخلية باعتبارها أراضي أجداده ، حيث أنَّ انفتاح اللوبيين على الثقافة القرطاجية قد أدى إلى تعرُّفهم على أنماط عيش وثقافة متوسطية ، كان لها الأثر البارز في تبنِّيهم لمظاهر الحضارة القرطاجية .

ومن خلال المصادر المادية تم العثور على الكثير من الخزف ذي الطلاء الأسود والجرار البونية في الأثاث الجنائزي للوبيين ، مما يعكس محليتهم وأصالتهم .

إن أولئك اشتهر ذكرهم على هامش الحرب البونية الأولى من خلال ما يعرف بحرب المرتزقة أو الحرب اللوبية .[2]

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الفينيقيون وقرطاج ، منشورات المتوسط ، تونس ، 2005 ، ص . 33 .

( 2 ) حبيب البقلوطي ، " دور اللوبيين في حرب المرتزقة " ، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية ، ع : ( 7 – 8 ) ، منشورات المعهد الوطني للتراث ، تونس ، ( 1992 – 1993 ) ، ص . 1 .

## 1 – مفهوم الحرب اللوبية القرطاجية ( 241 – 238 ق.م )

### أ – إشكالية ضبط التسمية

تعد الحرب اللوبية القرطاجية [1] من أبرز الأحداث التي ميَّزت المجتمع اللوبي المحلي في نهاية عهد السيطرة القرطاجية على بلاد المغرب القديم ، وذلك إثر نهاية الحرب البونية الأولى ضد روما والتي انتهت بمعاهدة لوتاتيوس في صيف سنة 241 ق.م ، إلا أن تلك المعاهدة لم تدم إلا إلى غاية 238 ق.م ، حيث تُقِر أغلب المصادر القديمة وفي مقدمتها مؤلَّفات بوليبيوس على أن حرب اللوبيين أخطر من الحرب التي دارت بين قرطاجة و روما .

و قد عرفت أيضا بحرب المرتزقة لأن العنصر المحلي الذي كان يمتهن الارتزاق في الجيش القرطاجي هو الذي قادها ، ويطلق عليها ديودوروس الصقلي " حرب لوبة " لأن القيادة في مستوى القمة كانت لوبية ، والتعبئة على مستوى القاعدة كانت تعبئة لوبية ، والشعارات التي رفعت كانت شعارات لوبية ، والمجال الجغرافي الذي دارت فيه رحى الحرب كان مجالا لوبيا .[2] *( أنظر الخريطة رقم ( 15 ) . ص .220. )* .

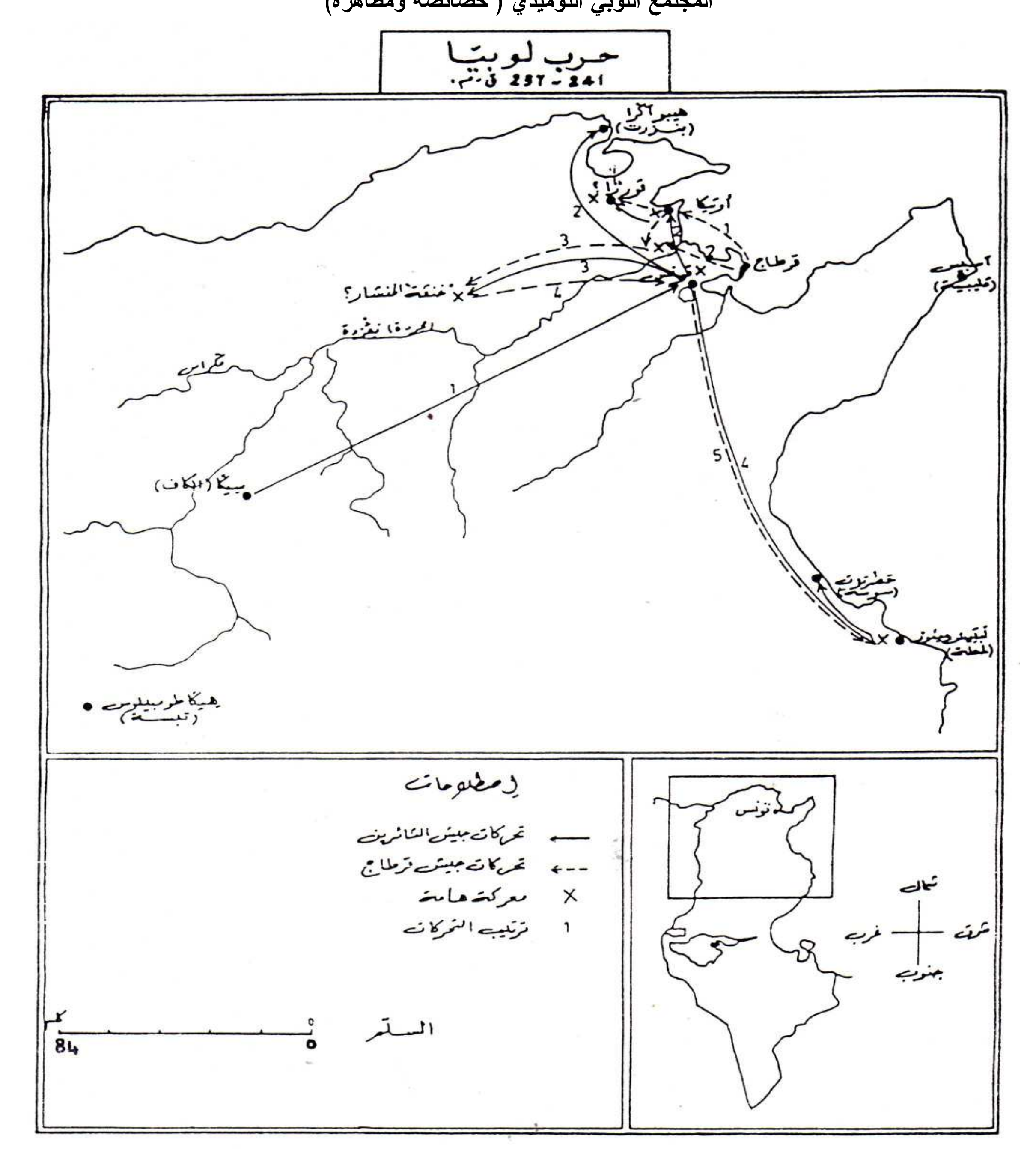
لقد درجت الكتابات التاريخية المعاصرة [3] على تعريفها بأنها " حركة عصيان وتمرد عسكري ، قادها بعض رؤساء الفتنة من الجيش القرطاجي ، تورطوا في أحداث

---

( 1 ) عرفت هذه الحرب بعدة أسماء وهذا التعدد ليس اعتباطيا فلكل اسم معنى وتأويل ، إذ وصفها بوليبيوس بحرب اللاهوادة ، وهي بالنسبة للدولة القرطاجية الممثلة للسلطة السياسية المركزية حرب مرتزقة ، وهي أيضا الحرب اللوبية الشعبية عند الرأي العام البوني غير الملتزم بالموقف السياسي الرسمي للدولة القرطاجية ، لأنهم كانوا يرون فيها حربا واجهت إخوة وحدت بينهم الأرض والثقافة والدولة منذ عدة قرون ، أي الأرض اللوبية والثقافة البونية والدولة القرطاجية ، فهي من = هذا المنظور أعمق واخطر من أن تكون مجرد حرب عادية ، ولذلك آثرنا استخدام مصطلح الحرب اللوبية للدلالة على حرب المرتزقة . **للمزيد من المعلومات أنظر** : حبيب البقلوطي ، " دور اللوبيين في حرب المرتزقة ( 241 ق.م – 238 ق.م ) " ، مج . 1 – المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي – ، ط . 1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون وبيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 2005 ، ص. ص. ( 278 –279 )

( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 280 .

( 3 ) راجع في هذا الصدد دراسات بعض المؤرخين المهتمين بالتاريخ البوني ومنهم على سبيل المثال كتابات المؤرخين : شارل جلبرت وكولات بيكار و ستيفان جزال في : *G.Ch. et C. Picard . Vie et mort de Carthage , éd .Hachette , Paris , 1970.* و . *S. Gsell , H.A.A.N. , T : II* .




## الخريطة رقم ( 15 ) :

**مواقع انتشار حرب لوبة المعروفة بثورة الجند المأجورين**

**نقلا عن : حبيب البقلوطي ، المرجع السابق ، ص .12.**

الشغب ضد سياسة الدولة القرطاجية ، فكانت حركة همجية ، تخريبية ، فوضوية ، خارجة عن أصول التمدن والتحضر والتسيُّس ، مآلها الفشل والإحباط " .[1]

لكن المتمعن في التفاصيل الدقيقة لمختلف مظاهر هذه الحرب من بدايتها إلى نهايتها ، يمكن أن نستشف بعض الحقائق التاريخية غير تلك التي سجلها المؤرخون .

لعلَّ أهمَّ ملاحظة نسجلها كانت الحضور الاجتماعي المكثف للعنصر اللوبي الشعبي المحلي سواء في مستوى الدواعي والأسباب التي فجرت هذه الحرب ، أو في مستوى التعبئة المادية والبشرية ، أو في مستوى القيادة والتوجيه للعمليات العسكرية وللمفاوضات والعلاقات الدبلوماسية ، فهي حرب وليست انتفاضة وثورة شعبية كما كانت معروفة في المصادر.

**ب- <u>دوافع الحرب اللوبية وأبعادها</u>**

كانت الحرب اللوبية بمثابة محنة أهلية أباد فيها أبناء المجتمع المغاربي القديم بعضهم بعضا .

أما في أواسط القرن الثالث ق.م ، وبعد أن مضى على الحضور الفينيقي في لوبه أكثر من سبعة قرون ، وعلى قيام الدولة القرطاجية أكثر من ثلاثة قرون ، وعلى تركيز السياسة القرطاجية العقارية في أرض لوبه أكثر من مائة وخمسين عاما ، أصبح يصعب في بعض الحالات التمييز بين ما هو لوبي وما هو فينيقي حيث اختلطت الأعراق مثرية بعضها بالجوانب الثقافية ، و أفرزت حضارة لوبية فينيقية مشتركة معروفة بالحضارة البونية التي لم تكن منعزلة عن المناخ الهليني العام ، ولذلك ونظرا للاعتبارات السابقة فعندما اكتسحت المنطقة الحرب اللوبية اعتبرت أخطر من الحرب البونية .[2]

( 1 ) *– Stéphane Gsell , H.A.A.N. , T : III – Histoire militaire de Carthage - , Librairie Hachette , Paris , 1918 , P . P . ( 100 - 106 ).*

( 2 ) حبيب البقلوطي ، المرجع السابق ، ص . 280 .

كان للحرب اللوبية بعدان هما :

- **بعد عسكري**

ادمج البعد العسكري في إطار السياسة الخارجية للدولة القرطاجية ، وانحصر في نطاق العقد الظرفي المبرم بين الإدارة العسكرية القرطاجية ، والمرتزقة في الجيش القرطاجي ، وقد كانت العلاقة بين الطرفين علاقة مادية انتهت بانتهاء الآجال المضبوطة في العقد المشترك ، واعتبر من الدوافع غير المباشرة .

- **بعد اجتماعي**

ارتبط البعد الاجتماعي ارتباطا مباشرا بالسياسة الداخلية للدولة القرطاجية ، وذلك في نطاق العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم ، وهي علاقة فرضها القانون التكاملي الجدلي بين القمة القيادية والقاعدة الإنتاجية ، و كان طويل المدى .

في كلي البعدين عبَّرت الحرب اللوبية عن تذمر شعبي كبير من ممارسات قيادية متراكمة .

إلا أنَّ السبب الرئيسي لتلك الحرب هو أنَّ القرطاجيين كانوا دائماً ينفقون ما يستخلصونه من إقليمهم في قضاء شؤونهم الخاصة ، بينما ينفقون على تسلحهم وعلى شؤونهم الخاصة ما يستخلصونه من بلاد لوبه .[1]

ويعني ذلك أن الجباية العامة للدولة القرطاجية ، كان قوامها ما يرد إليها من الضريبة المباشرة التي كان يؤديها اللوبيون . وبالتالي ، فإن تردي أوضاع الخزينة العامة القرطاجية بسبب الحرب البونية الأولى جعلها تتقاعس عن دفع مستحقات الجنود ومضاعفة الضرائب لإعادة الاعتبار لخزينتها العامة المتضررة ، وهذا ما ادى إلى اندلاع الحرب بين الطرفين .

هكذا، تحولت الحرب اللوبية من مرحلة التململ والعصيان العسكري الضيق في صلب مرتزقة يطالبون بمؤخر رواتبهم وتنتمي إليهم عناصر قليلة أجنبية غير لوبية ، إلى مرحلة ثورة شعبية عارمة اكتسحت كامل إقليم الدولة القرطاجية ورفع اللوبيون

(1) – *Polybe , Op . – Cit . , T : I , para. LXXI .*

خلالها شعار الحرية والتحرر وشملت الثورة المنطقة الممتدة بين قرطاجة وسيكا البونية ، فكانت بحق حرب اللاهوادة .[1]

## 2 – مظاهر الحرب اللوبية القرطاجية

### أ – سير الحرب وأبعادها

تعد رواية بوليبيوس المصدر الأساسي في دراسة الثورة الاجتماعية ، رغم ما حملته من تحامل على اللوبيين واعتبارهم ثوارا متمردين ، و قد اندلعت إثر خروج أزيد من عشرين ألف مقاتل من سيكا قاطعين أكثر من 160 كلم ، دون أن يلحقوا أي أذى بالأراضي اللوبية طوال المسافة التي قطعوها ، وكان السواد الأعظم من الجيش من اللوبيين الذين كانوا على وعي بالثنائية السياسية الاجتماعية القرطاجية القائمة على تركز الضيعات الفلاحية التي كانت أملاكا خاصة للأرستقراطية القرطاجية الممثلة للأوليجارشية الحاكمة ، والتي جعلت من قرطاجة في أواخر عهدها منقسمة إلى قسمين :

– قرطاجة المؤسسة السياسية .

– قرطاجة المدينة الأرستقراطية : التي سرعان ما تهاوت في يد الرومان لاحقا ، ولذلك بدا للوبيين أنه بإمكانهم استعادة أراضيهم مستفيدين من الضعف التي شهدته قرطاجة إثر خروجها منهكة من الحرب البونية الأولى .[2]

ذلك الوعي من طرف اللوبيين جعلهم يعمدون إلى شد الرحال تجاه قرطاجة للمطالبة بحقوق غير تلك التي طلبها بقية المرتزقة ، وإلا كيف يمكن تفسير تحولهم إلى الثورة على خلاف غيرهم من المرتزقة ؟ خاصة وأن وضع اللوبيين في الجيش القرطاجي كان مختلفا تماما عن وضع بقية المرتزقة لأن مشاركتهم كانت مشاركة عضوية قديمة تسوسها علاقة الانتماء إلى الدولة القرطاجية منذ أواخر القرن الخامس ق.م .[3]

---

( 1 ) حبيب البقلوطي ، " دور اللوبيين ... " ، ص . 283 .

( 2 ) - *Polybe ,Histoire Générale , T : I , Liv : I , Par. : XV - " Guerre des Mercenaires " - , P. 53 .Sur le site web : http://remacle .org. Le : 02/02/2008.*

( 3 ) - *Ibid , P 56.*

ذكر بوليبيوس أن أشهر القادة الثائرين على قرطاجة هما :

– سباندیوس ( ***Spendius*** ) : كان آبقاً يونانيا ، فر من سيد روماني وتميز بقوة بدنية كبيرة ، واتفق مع شخص عرف بالمصادر بماطوس .

– ماطوس ( ***Matus*** ) : كان لوبيا حرا ، شارك في كل الحملات العسكرية الأخيرة لقرطاجة على روما ، وهو المحرك الأساسي للاضطرابات الأخيرة .

أما عن أخبارهما تذكر المصادر أن سبانديوس كان قد أحبط عدة محاولات للصلح بين قرطاجة واللوبيين بسبب خشيته المستمرة من وقوعه في الأسر وعودته إلى سيده ، وكان ماتو دائم التصدي للقرطاجيين إلى أن تم القبض عليه من طرف عبد ملقرت برقة الذي كلفته حكومة قرطاجة بإخماد هذه الثورة فانتصر على سبانديوس في معركة دارا رحاها في نفريس قرب زغوان خلفت حوالي 10.000 قتيل ، ثم انتصر أيضا على ماطوس في معركة وقعت قرب بحيرة تونس ، ثم كانت الهزيمة النهائية في لبتيس مينور، وكانت نتيجتها أسر ماطوس الذي سيق حيا إلى قرطاجة حيث مُثِّلَ به وأعدم سنة 237 ق.م ، وانتهت بذلك الحرب اللوبية والتي كانت أعنف ثورة قام بها اللوبيون على القرطاجيين ، بعد ثلاث سنوات وأربعة أشهر من الاقتتال المستمر .[1]

حتى أن النساء اللواتي أمضين سنوات الحروب السابقة وهن مقهورات من جراء اعتقال أزواجهن أو آبائهن بهدف دفع الضرائب تعاهدن على التنازل عن كل ما بحوزتهن من مجوهرات لتغذية نفقات الحرب ، وتمكن ماطوس بفضل مؤازرتهن من تسديد الرواتب المتأخرة للجنود .[2] وقد مثل هذا التصرف إحدى صور التماسك الأسري في المجتمع اللوبي .

**ب – <u>نتائج الحرب اللوبية القرطاجية</u>**

إن أهم نتيجة خلفتها الحرب اللوبية هي أن قرطاجة قد غيرت معاملتها مع سكان المدن اللوبية الداخلية حيث فرضت العقاب الجماعي عن طريق زيادة جباية

---

( 1 ) ب . هـ . وارمنجتون ، المرجع السابق ، ص . 469 . و لمزيد من المعلومات حول التفاصيل الدقيقة لدور عبدملقرت برقة في إخماد الثورة اللوبية انظر : فرانسوا ديكريه ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 171 – 179 ) .

( 2 ) فرانسوا ديكريه ، المرجع السابق ، ص . 171 ؛ *- Polybe , Op .- Cit . , T : I , P.XV.*

الضرائب و في غير أوانها ، حيث رجع القائد عبد ملقرت إلى قرطاجة محملا من تلك المناطق بالغنائم ، ليلتفت بعدها إلى جبهة حربية جديدة بحرية ألا وهي إسبانيا .[1]

لكن ، من الواضح أن صمت المصادر والانقطاع التاريخي الملموس في ذكـر التاريخ اللوبي من الحرب اللوبية إلى ظهور مسنسن كان له ما يبرره ، ذلك أنه طوال الفترة السابقة كان استعداد اللوبيين حثيثا للتحضير إلى طريقة أخرى لمواجهة قرطاجة ليس بالحل العسكري ، وإنما بالحل السياسي ممثلا في الاتحاد القبلـي الـذي سـيُفرز ظهور المملكتين النوميدية الشرقية والغربية .

## 3 – مظاهر الامتزاج الحضاري للمجتمع اللوبي بالقرطاجي

### أ – الامتزاج الديني

شمل ذلك مجال المعتقدات والمعبودات ، حيث كانت المسيرة الحضارية التـي طبع بها القرطاجيون بلاد لوبه ذات أثرٍ كبيرٍ في مجالي الديانة واللغة ، ومن الصعوبة تتبع هذه المسيرة في هذه الفترة لتداخلها مع بداية فترة تشكل الكيان السياسي النوميدي وظهوره في الساحة التاريخية ، و لكن بالإمكان تتبع التمازج فـي مظـاهر الاعتقـاد والدفن .

لقد كانت المعتقدات الدينية خلال هذه الفترة محلية تشوبها بعـض التـأثيرات الفينيقية ، وقد ظلت عبادة الثور والكبش هي السائدة ، كما اعتبر الأسد رمزا للقـوة ، وهو امتداد للإله آمون ، ولم يتعبد اللوبيون معبودات على صورة بـشرية أو نـصف بشرية إلا في نهاية المرحلة البونية .[2] *( انظر الشكل رقم (41 ) . ص . 226)*

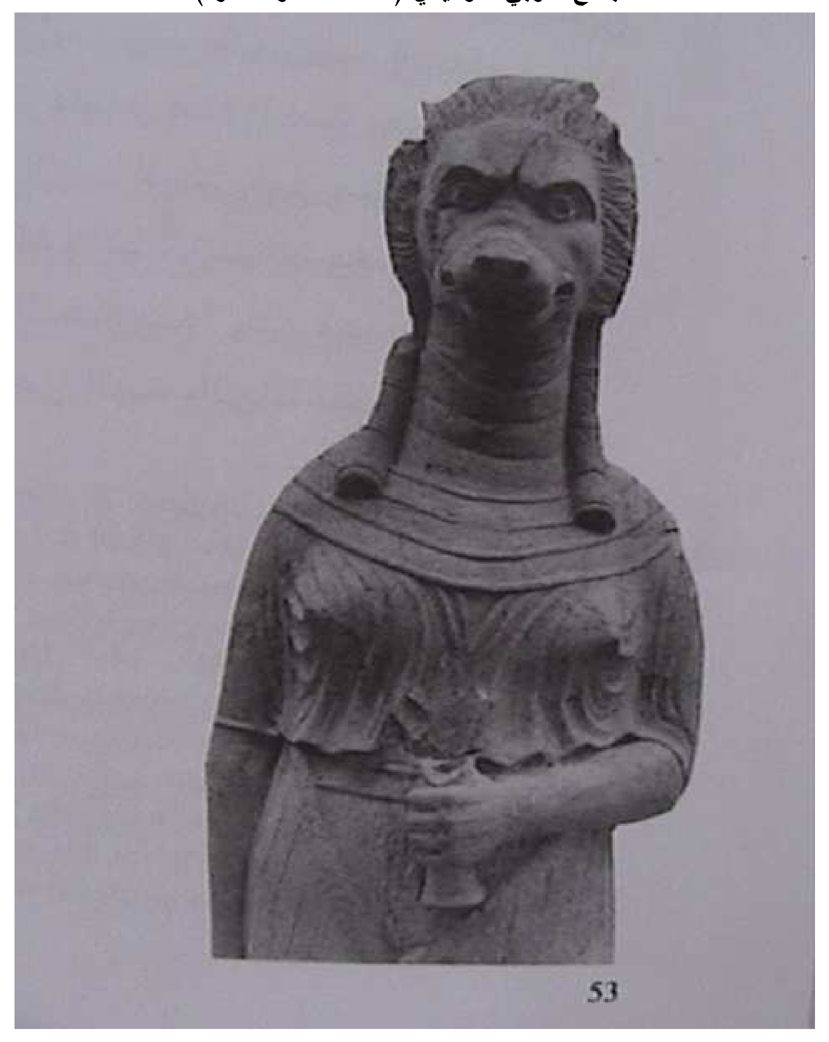
كما عبد السواد الأعظم من سكان المغرب القديم الإلهة تانيت منذ أواسط القرن الخامس ق.م وشاعت عبادتها كثيرا ، واسم تانيت هو اسم لوبي محلي ، فهـي إلهـة الإنتاج والخصوبة ورمزها مثلث ودائرة يقطعهما خط .[3]

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية .... ، ص . 48 .

( 2 ) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 203 – 207 ) .

( 3) المرجع نفسه ، ص . 212 .




**الشكل رقم ( 41 ) :**

تمثال الإلهة اللبؤة بجسم امرأة ، محفوظة في متحف نابل وتعود للقرن الأول للميلاد

نقلا عن : محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ص . 184.

من الواضح أن اهتمام اللوبيين بالآلهة الأنثى راجع إلى طبيعة المجتمعات القبلية التي كانت تولي كانت أولوية خاصة للمرأة التي ترى فيها رمزا للقـوة الكامنـة فـي ظاهرة الإخصاب والتوالد .

كذلك قدسوا الإله بعل حمون الذي انتشرت عبادته انتشاراً واسعا فـي المـدن الداخلية – كما سيرد ذكرهما لاحقا – .

أما فيما يخص ظاهرة التضحية البشرية فلم يمارسها اللوبيون كما هو الحال في قرطاجة بل على العكس استنكروا هذه الظاهرة وظلوا بمنأى عنها .[1]

أما عن ظاهرة الحرق التي كانت شائعة في بعض المـدن البونيـة المجـاورة لقرطاجة ، لم يمارسها اللوبيون لأن الإيمان بوجود الروح كان مبـدأ أساسـيا عنـد الإنسان اللوبي وعليه كان يفضل احترام الجثة ودفن عظامها على الـتخلص النهـائي منها .[2]

**<u>ب – مظاهر الامتزاج الديني ( النقوش البونية العائدة إلى القـرنين الرابـع والثالث ق.م نموذجاً )</u>**

تعد النقوش الجنائزية وشواهد القبور القرطاجية مصدرا ماديا هاما جدا للباحثين لمعرفة تفاصيل شتى عن المجتمع البوني في ما يخص الآلهة والجماعات فـي البيـت والمعبد والشارع والمتجر والورشة الصناعية ، فضلا عن معجم اللغة البونية ونحوهـا وصرفها ، فعلى سبيل المثال أورد المؤرخ محمد حسين فنطر في نقـش فـي الجـزء الأول من ديوان النقوش السامية تحت رقم (5941 ) وظيفة الكاهنة فيما يلي :

" قبر أرشتبعل الكاهنة زوجة ملقرت خلّص ".

ويعني : أن هذا قبر كاهنة كانت تسهر على شؤون الربـة تانيـت ، والجـدير بالذكر أن كتابة النقش تعود إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والثالث ق.م .[3]

---

( 1 ) فصل المؤرخون كثيرا في ظاهرة التضحية البشرية ، **لمزيد من المعلومات انظر** : *- Jérome Carcopino ,*
*" Survivances par substitutions des sacrifices d'enfants dans l'Afrique Romaine " , Revue de l'Histoire des Réligions , N. : 103 , 1932 , P. P. (592 – 599 ) . D'Après : http://www.tertullian.org. Le : 13/08/2008.*

( 2 ) ب . هـ . وارمنجتون ، المرجع السابق ، ص . 470 .

( 3 ) محمد حسين فنطر ، الحرف ... ، ص . 72.

هذا و هناك النقش ( رقم 4942 ) في الديوان المشار إليه آنفا نقرأ فيه ما يلي :
" قبر جرملقرت كاهنة ربتنا " .

يفهم منه أن تانيت ربتنا تشير إلى خلفية عقائدية اجتماعية ، يمكن تعريفها بالضمير الديني الجماعي – في الدراسات الاجتماعية – فالجميع يشعرون بالانتماء إلى عائلة دينية واحدة هي عائلة تانيت ، مثبتين ضمنيا أنه يمكن التعرف على العائلة الدينية الكبرى للمنطقة .[1]

إنه رغم ندرة النقوش التي تعود إلى هاته الفترة التي شهدت امتداد للحضارة القرطاجية على المستوى اللوبي ، وتواضع محتواها إلا أنها تشهد بوحدة الدين وبانتشار الكتابة في المدن البونية الداخلية .[2]

كما يمكن تتبع مظاهر التمازج في تداول اللغة واستخدام الكتابة البونية والتي شاعت بدورها وازدهرت في مرحلة تشكل الكيان النوميدي .

**ج – <u>في الجانب الثقافي ( اللغة والكتابة )</u>**

**<u>– اللغة :</u>**

انتشرت اللغة القرطاجية في كامل المغرب القديم ، ووجدت صداها في المجتمع اللوبي أكثر من غيره من المجتمعات الوافدة الأخرى ، وتوسعت في المنطقة المحصورة بين وتيكة و قرطاحة إلى غاية الصحراء ، وكان للغة حضور قوي في المدينة والريف اللوبي على حد سواء ، فكانت تتداول في المعابد وذلك في إطار وظائف المعبد التربوية .[3]

**<u>– الكتابة :</u>**

من الوسائل التي استخدمها القرطاجيون في الكتابة على الكُسَر والأنصاب والجرار والأواني وأيضا ورق البردي ، المحابر الفخارية ومساطر العظم والعاج والتي الممكن أنهم نقلوها إلى اللوبيين بفعل الاحتكاك الحضاري الوطيد معهم بدليل أن

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف ... ، ص. ص. ( 72 –73 ) .
( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 81 .
( 3 ) زيدون حمد المحيسن ومولاي محمد جنيف ، " البونيقيون بشمالي إفريقيا في ضوء البحث الأثري " ، أدوماتو ، ع : 13 ، جانفي 2006 ، ص. 85 .

اللغة والكتابة البونية أصبحت هي اللغة الرسمية في العالم النوميدي خلال القرن الثاني ق.م .<u>*( راجع الشكل رقم ( 42) . ص . 230 )*</u>

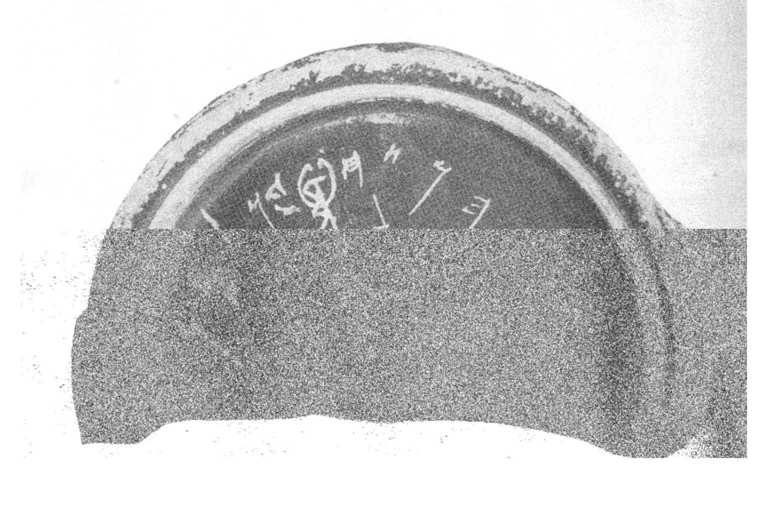
إن الشواهد النقوشية المنتشرة في مختلف المدن البونية تثبت مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمعات البونية اللوبية في المناطق الداخلية والتي أصبحت لاحقا جزءا من الكيان النوميدي المستقل .[1] <u>*( انظر الشكل رقم (43 ) . ص . 231 )*</u>

كانت العلاقات بين القرطاجيين واللوبيين في بداية استقرارهم بالمغرب القديم يسودها السلام ، وكانت الصلات الاقتصادية والاجتماعية بين الطرفين على درجة كبيرة من التفاعل .

لقد استفاد اللوبيون الكثير من المظاهر الحضارية الفينيقية والقرطاجية ، إلا أن هذا السلام لم يدم مع تغيُّر معاملة القرطاجيين للوبيين خاصة خلال الحرب التي نكَّل فيها القرطاجيون باللوبيين مما دفع هؤلاء الأخيرين إلى تغيير مواقفهم وتعاملاتهم مع الجانب القرطاجي إلى غاية حصولهم على استقلالهم السياسي مؤسسين بذلك ممالك محلية هي ممالك الماصيل ثم الماصيصيل ومن بعدهم جموع قبائل المور .

---

( 1 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 66 .



( أ )



( ب )

الشكل رقم ( 42 ) :

( أ ) : أبجدية فينيقية على كسرة من فخار تستخدم في تعليم القراءة والكتابة مما يثبت أن التعليم كان منتشرا في المجتمع القرطاجي حوالي القرن الرابع ق .م .
( ب ) : محبرة قرطاجية عثر عليها في قبر محفوظة في متحف قرطاج وتعود للقرن الرابع ق .م .

**نقلا عن : محمد فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ص،ص( 145،95) .**




الشكل رقم ( 43 ) :

نصب بوني متكامل العناصر نقش عليه رمز الإلهة تانيت

نقلاً عن : *- Sabatino Moscati , Carthage , P .123.*

# الفصل الثالث

# السياسة والمجتمع

# ( حالة المجتمع النوميدي)

**أولا – ظهور الكيانات السياسية المحلية ودورها في استقرار المجتمع.**
**ثانياً – العائلة الحاكمة النوميدية و أبرز شخصياتها القيادية .**
**ثالثاً – العائلة الحاكمة الماصيصيلية .**

## أولا – ظهور الكيانات السياسية المحلية ودورها في استقرار المجتمع

### 1- نظام الحكم وظهور المجتمعات المدنية ( المجتمع النوميدي أنموذجاً )

#### أ – نهاية المفهوم الشامل للمجتمع اللوبي وظهور المجتمعات الكبرى الانقسامية

أصبح واضحا في المصادر الرومانية نهاية المفهوم الإغريقي للمجتمع اللوبي ، ذلك أن تسمية جموع سكان المغرب القديم باللوبيين كانت تسمية إغريقية شاملة ، فكان لا بد للمؤرخين الرومان من تفصيل تلك الشعوب والأقوام .

لقد استفاد الرومان من كتابات آخر مؤرخي الإغريق ،مثل ديودوروس الصقلي وبوليبيوس ، حيث قاموا بتقليص تسمية لوبه فأصبحت حدودها الجغرافية – آنـذاك – ما بين بحيرة مريوط غرباً وغرب النيل شرقاً ومـواطن الجـرميين جنوبـاً والبحـر المتوسط شمالاً ، هذا الأخير الذي استبدل اسمه الرومان أيضا فأصبح يعرف ببحرنا ( ماري نوستروم ) .

بناءً عليه ، يمكن القول أن المفهوم الشامل للمجتمع اللوبي قد انتهـى ، لتظهـر تسميات جديدة تتلاءم ومفاهيم طبيعة المجتمعات الانقسامية ، مثل : تسمية الأفـريقيين لتعني اللوبيين الغربيين ، والنوميديين والموريين .

أما اللوبيون الشرقيون فقد كانت حدودهم خلال تلك الفترة من قورينة إلى النيل على مساحة مليون وستون ألف قدم طولا و800 ألف قدم عرضا.

لقد حافظ اللوبيون الشرقيون على تشكيلاتهم القبلية ، وظلت المصادر تنعـتهم باللوبيين وهم : المارماريداي و النسمونيون و الأسبوتيون و الماكاي و اللوتفاجيون ثم الجرميون ، هؤلاء الأخيرين الذين انتصر عليهم القائد الروماني كورنيليوس بـالبوس سنة 44 ق.م وأخضعهم للحكم الروماني .

هكذا ، اختفى مفهوم المجتمع اللوبي الشامل ، ليحل محله مفهـوم المجتمعـات الانقسامية بنوعيها المحلية والوافدة ذات الطبيعة المدنيـة والريفيـة ، وأوضـح تلـك المجتمعات ذكرا في المصادر هو المجتمع المحلي النوميدي .[1]

---

[1] -*Pline L'Ancien , Histoire Naturelle , T : V , Trad. Par : A . Dubouchet , éd . Emile Littré , Paris , 1848 , Par. ( III – IV ) . Sur le site web : www.remacle.org . Le : 30/08/2008 .*

**ب – <u>الكونفدراليات القبلية الكبرى خلال القرنين الثالث والثاني ق.م</u>**

لم تؤد الحرب اللوبية إلى حصول اللوبيين على مكاسب معتبرة وخاصة تلك التي تتعلق بالسيادة الوطنية ، وذلك بسبب أن اللوبيين كانوا يفتقدون لقيادة واحدة تتولى توجيههم .

لذلك اعتبرت الحرب اللوبية البداية الفعلية للتجربة السياسية التي أسفرت لاحقا عن تحقيق مطلب الوحدة والجنوح نحو مبدأ القيادة الفردية لا القيادة الجماعية .

منذ نهاية القرن الثالث ق.م وبداية القرن الثاني ق.م ، أصبح في بلاد المغرب القديم تكتلات قبلية كبرى ، اعتنى المؤرخون القدامى بذكرها وفي مقدمتهم بلينوس القديم ، وتمثلت في قبائل الماصيل و الماصيصيل في صورة اتحادات أسست ممالك من السكان المحليين ، وإلى الغرب كانت تكتلات قبائل الموريين التي لا نعرف عن سبب ظهورها شيئا .

أما في الجنوب المحاذي للكونفدراليات الكبرى فاستقرت جموع القبائل المعروفة بالجيتول .[1]

لقد شغلت الاتحادات القبلية المحلية المنطقة المحصورة من الحدود القرطاجية إلى المحيط الأطلسي ، ومن الملاحظ أن تلك القبائل ليست سوى امتدادا لجموع القبائل اللوبية التي ذكرها هيرودوتس ، ولكن بسبب الانقطاع التاريخي بين المصادر الإغريقية والرومانية لم يكن هناك امتداد لجميع أسماء القبائل .

لقد توضعت تلك القبائل من الشرق إلى الغرب على النحو الآتي :

- **<u>قبائل الماصيل</u>**

هي مجموعة من القبائل النوميدية ، تمتد ربوعها بين الحدود القرطاجية إلى غاية ربوع الماصيصيل وتحدها جنوبا قبائل الجيتول ، و كانت تحيط بالماصيل شرقا وغربا قبائل لم تنضم للاتحاد ، وهي :

الناتابوند ، الكابسيتاني ، الميزولان ، السباربار، الماصيل ، النسيف ، فاكاموريس ، الإيثينيان ، الموسينيان ، الماركوبيان .[1]

---

( 1) رشيد الناضوري ، تاريخ المغرب الكبير ... ، ص . 222 .

- **قبائل الماصيصيل**

هي مجموعة من القبائل النوميدية أيضا، تمتد ربوعها بين حدود الماصيل إلى نهر ملوكا ( الملوية حاليا) .[2] ثم عرفت قبائل الماصيل والماصيصيل بقبائل النوميديين ، حيث شكلت مملكتان هما :

- مملكة نوميديا الشرقية ، عاصمتها كرتن.
- مملكة نوميديا الغربية ، عاصمتها سيغا .

ثم اتحدتا لاحقا مشكلتين مملكة نوميديا الموحدة التي حكمها ماسينيسا .

الملاحظ هنا أن فترة القرن الثالث ق.م قد تقلصت فيها أسماء القبائل إلى أربعة اتحادات قبلية كبرى ، فالماصيل والماصيصيل يطلق عليهم أيضا النوميديون ، وهم مجموعة قبائل صغيرة كثيرة العدد فعندما نقول قبائل الماصيل فإنها تعني الوحدة الإثنية التي تنتمي إليها تلك القبائل الصغرى ،[3] ولكن قلة اهتمام النصوص القديمة بذكر أسماء تلك القبائل هو ما جعلها غير معروفة جيدا تاريخيا .

يبدو مما سبق ، أن الاتحاد القبلي لم يكن إجباريا على مختلف القبائل المجاورة للماصيل ، بدليل أن هناك قبائل صغيرة ظلت وفية لنمط حكمها القديم ، ومنها تلك التي ذكرها بلينوس القديم المحيطة بالماصيليين ، أما الماصيصيليين فلا نعرف ما إذا كانت هناك قبائل مجاورة لهم أم لا .

- **قبائل الموريين**

هي مجموعات هائلة من القبائل اللوبية ، تمتد ربوعها بين واد ملوكا إلى غاية المحيط الأطلسي .

لم تفصل المصادر الكتابية في تسميات قبائل المور وأصنافهم ، بل اعتبروهم وحدة عرقية أكثر عددا من النوميديين ، واشتهر ذكر بعض قبائلهم في العهد الروماني مثل : البقواط والبوار ، أما في عهد الكيانات المحلية المستقلة فإننا لا نجد إشارات تفصيلية عنهم .

---

( 1 ) - *Pline L'Ancien , Op. – Cit . , Par. : IV .*

( 2 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص. ص. ( 319 – 320 ) .

( 3 ) محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ... ، ص . 53 .

لعل قلة ذكر المغاربة القدماء في المصادر كان مرده حسن الجوار والعلاقات الطيبة التي طبعت معاملات النوميديين والموريين .[1]

**- قبائل الجيتوليين**

هي مجموعات من القبائل اللوبية الرحل ، كانت تقطن تخوم الصحراء بالقرب من الربوع المعتدلة حيث تتمركز قرى الماصيل والماصيصيل ، وكانوا في مناهضة مستمرة للنظام القرطاجي ، و حاكوا في معيشتهم النمط النوميدي و الموري .[2]

امتدت جموعهم ونفوذهم إلى نهر نيقري ( النيجر ) ، الذي يفصل بلاد أفريقيا عن بلاد أثيوبيا.[3]

هذا عن قبائل المجتمع المحلي للمغرب القديم ، وتجدر الإشارة في هذا المقام أن المجتمع الوافد ظل محافظا على مناطق تواجده ، فالإغريق في برقة والقرطاجيون في الممتلكات القرطاجية. *( انظر الخريطة رقم ( 16 ) . ص . 237 )*

**2 - السياسة والمجتمع النوميدي**

أ – وراثة الحكم في العائلة النوميدية

ساد النظام الملكي الوراثي في حكم المملكة النوميدية بطريقتين هما :

- الأولى : كانت وراثية ، تنتقل فيها الملكية وفقا لعامل الأكبر سنا بين أفراد الأسرة الحاكمة ويعرف بالنظام الأغني " Agnation " أو القرابة بالعصب من ناحية الأب ، ويكون للسلالة جد مشترك أعلى . *( انظر الشكل رقم ( 44 ). ص.238 )*

- الثانية : وراثية أيضا ، ولكن تنتقل من الأب إلى الإبن فقط أي أن منصب الحكم يتم عن طريق توريث الأصول للفروع فقط .[4]

خلال القرن3 ق.م كانت الملكية تنتقل إلى الرجال الذين ينتمون إلى جد مشترك واحد وعادة يكون الحاكم هو الأكبر سنا ، فيتولى الحكم لخبرته الطويلة في

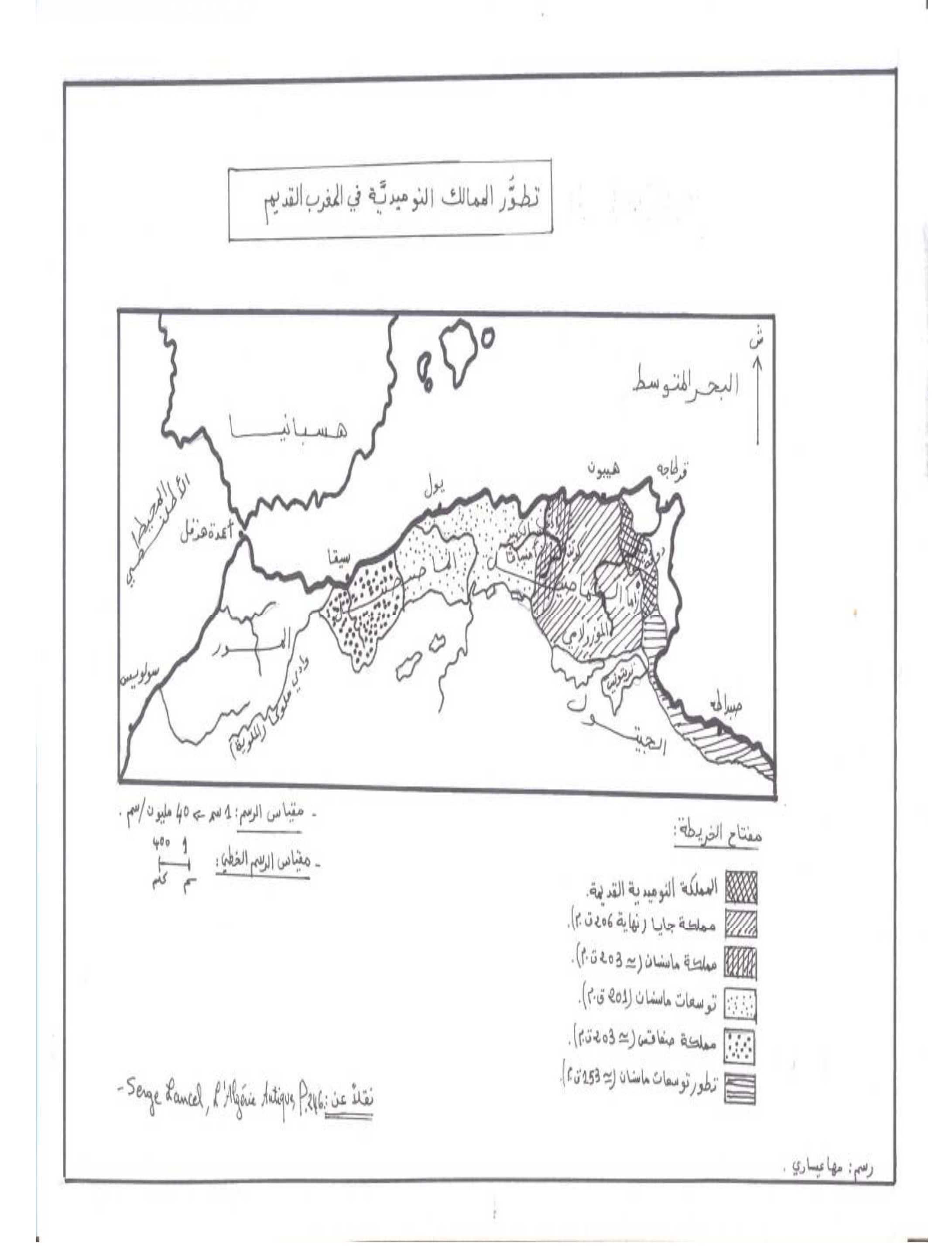
---

( 1 ) **للمزيد من المعلومات حول أصل المور وتسميتهم أنظر :** *- Jehan Desanges , Op. – Cit. , P . 35 .*

( 2 ) محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة ... ، ص . 318 .

( 3 ) *- Pline L'Ancien , Op. – Cit. , Par. : IV .*

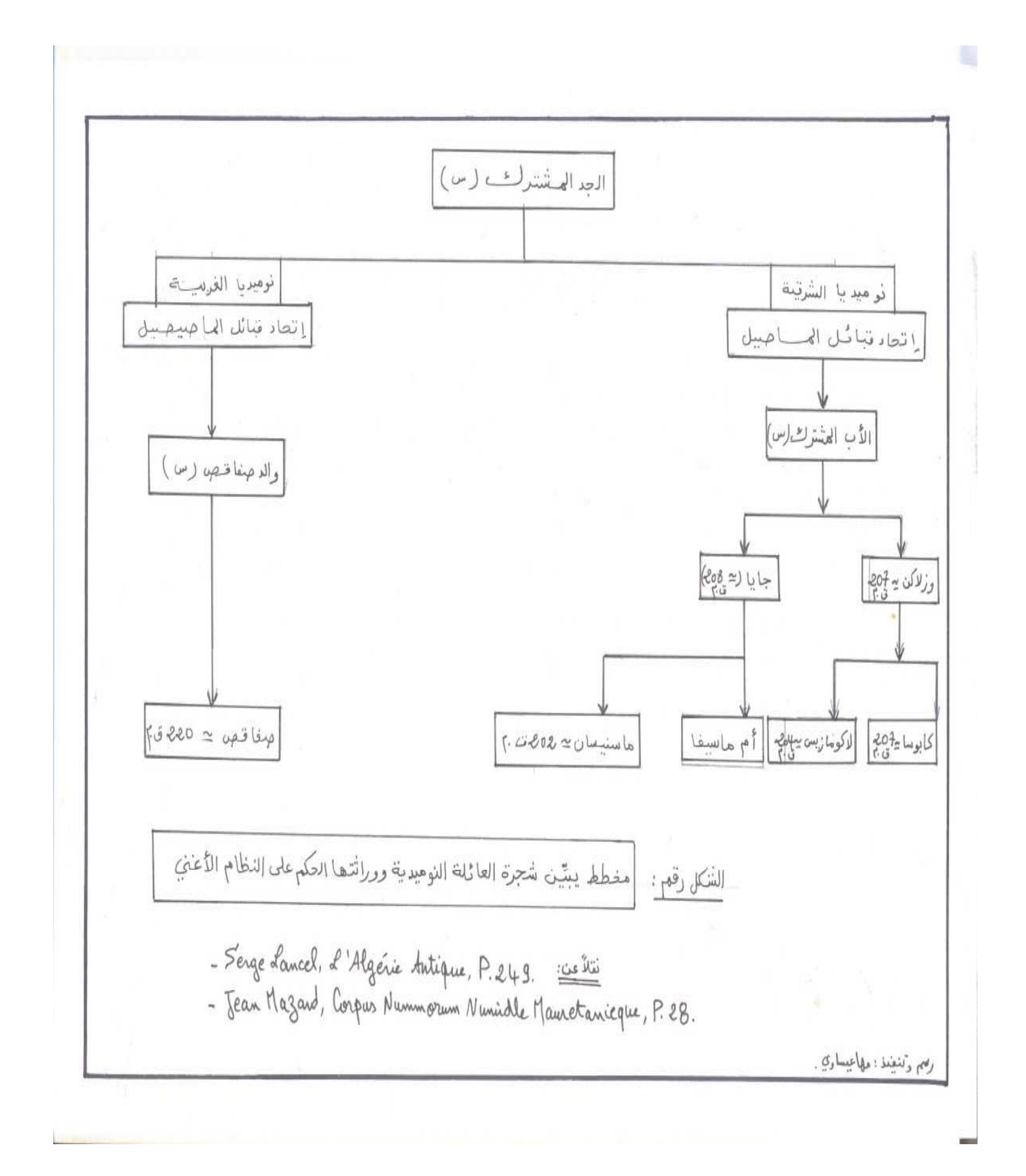
( 4 ) عبد القادر جغلول ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ، تر : فضيلة الحكيم ، ط. 2 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1988 ، ص . 10.




الخريطة رقم ( 16) :

الكونفدراليات القبلية الكبرى وتطور الممالك
في بلاد المغرب القديم

<u>**الشكل رقم ( 44)**</u>



شؤون الحياة ، وتورَّث مكانته من بعده للأخ الذي يكبره سناً ، وقد ساد هذا العرف في الحكم في المرحلة الباكرة من تأسيس المملكة النوميدية .

يعد مسنسن آخر من تولى العرش بتلك الطريقة ، فعند وفاة الملـك " جايـا " سنة 207 ق.م لم يخلفه مسنسن وإنما انتقل العرش إلى عمه " وزلاكن " الـذي كـان طاعنا في السن وتوفي بعد مدة قصيرة ، ذلك أن العم قد خلفه ابنه " كبوسا " على مبدأ أنه أكبر سنا من مسنسن الشاب – آنذاك – ثم أسند أحد أبنـاء العمومـة " مـازيتول " الحكم لشقيق كابوسا " لكومازن " لكنه أصغر من مسنسن ، مما جعل هذا الأخير يندرج في سلسلة من النزاعات على العرش انتهت باعتلائه سدة الحكم سنة 203 ق.م . [1]

**<u>ب – نمط وراثة الحكم العائلي بعد وفاة مسنسن</u>**

كانت تعد الطريقة الثانية لانتقال الحكم بالوراثة في العائلة الحاكمة النوميديـة ، وذلك بتوريث العرش إلى أبناء مسنسن الثلاثة " مكوسن ، غلوسـن ومـستنبعل " ثـم انفراد " مكوسن " ( 148 ق.م – 118 ق.م ) بالحكم لمدة ثلاثين عاما . ***<u>( انظر الشكل رقم 45 ) . ص .240 )</u>***

بغض النظر عما ورد في المصادر حول مسألة توريث العرش النوميدي مـن أن مسنسن قد عهد لسيبيون الأفريقي بتسوية أمر استخلافه بين أبنائه الثلاثة الشرعيين ، أو نظرا لخشيته من أن تتعرض نوميديا الموحدة للإنهيار على غرار قرطاجة ، فإن الطريقة التي اتخذها مسنسن في توريث الحكم كانت بمثابة إصلاح إداري ونهاية لعهد حكم استمر طوال فترة الوجود البوني ألا وهو نظام حكم الأشـفاط .[2] وهـي قـضية بحاجة إلى المزيد من البحث من طرف المؤرخين .

هكذا، استطاع ماسينسان أن يحصر حكم مملكته الموحدة بين أفراد عائلته التـي ظلت ملتزمة بالحفاظ على منجزاته الحضارية فترة طويلة من بعده .[3]

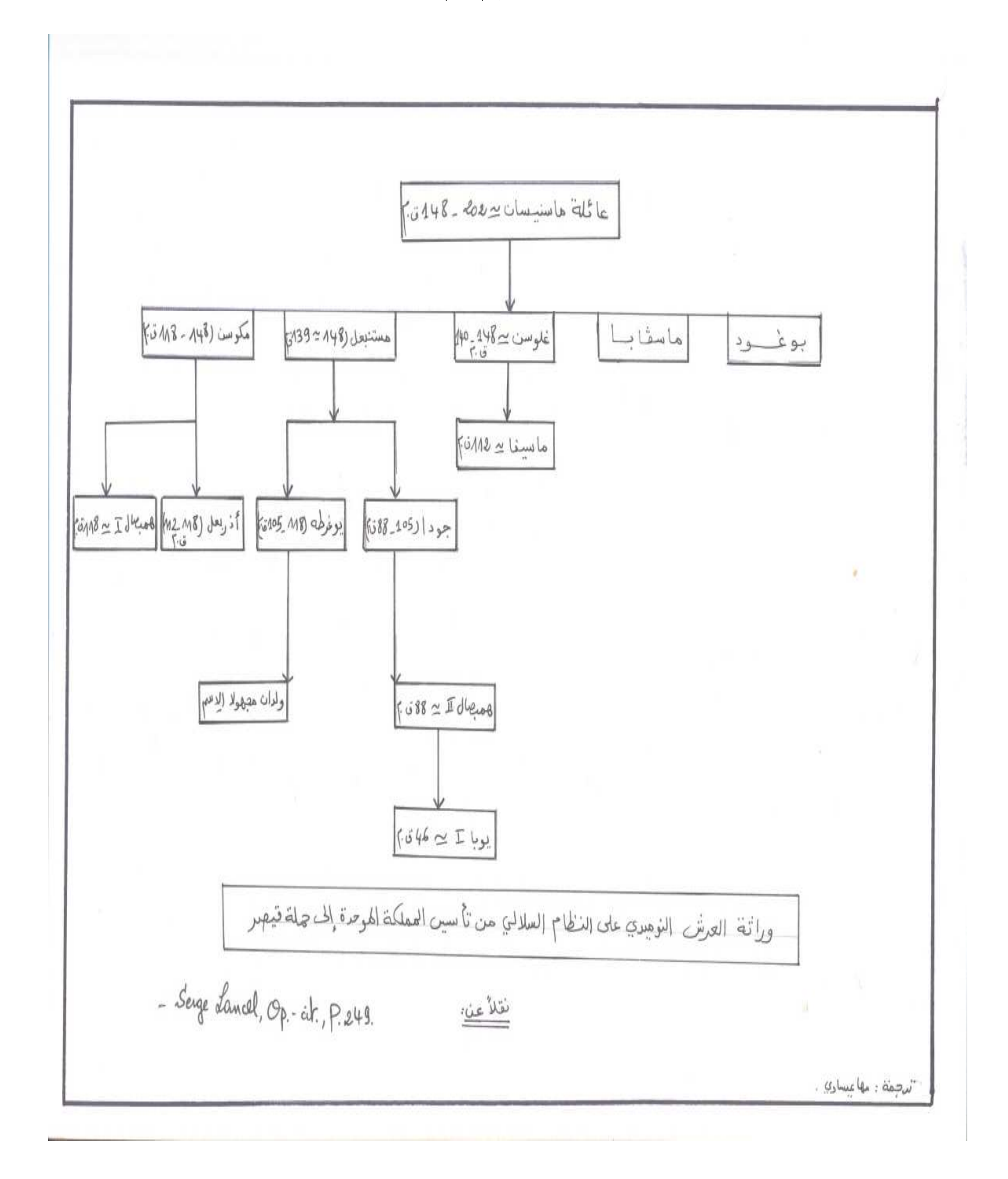
---

( 1 ) *- S. Gsell , H.A.A.N. , T : V , P. 122 .*

( 2 ) *– Ibid , P . 124 .*

( 3 ) لقد تناولت المصادر القديمة التاريخ السياسي للمملكة النوميدية وهو تاريخ تداولته المصادر الكلاسيكية و المراجع الحديثة والمعاصرة بدءا– على سبيل المثال – من نصوص سالوستيوس وتيتيوس ليفيوس وغيرهما ثم سـتيفان جـزال وكـامبس وغيره ثم حسين فنطر ومحمد الصغير غانم و البشير شنيتي و العربي عقون و الهادي حارش ، ولكن ما يهمنا هنا هو البحث في طبيعة التوريث ودوافعه الاجتماعية .

**الشكل رقم ( 45)**


عائلة ماسينيسان ≃ 202 - 148 ق.م
مكوسن (148 - 118 ق.م)
مستنبعل (148 ≃ 139 ق)
غلوسن ≃ 148 - 140 ق.م
ماسڤابا
بوغـــود
ماسيفا ≃ 112 ق.م
همبسال I ≃ 118 ق.م
أذربعل (118 - 112 ق.م)
يوغرطه (118 - 105 ق.م)
جودا (105 - 88 ق.م)
ولدان مجهولا الإسم
همبصال II ≃ 88 ق.م
يوبا I ≃ 46 ق.م
وراثة العرش النوميدي على النظام السلالي من تأسيس المملكة الموحدة إلى حملة قيصر
نقلاً عن:
- Serge Lancel, Op.-cit., P.249.
ترجمة : مها عيساوي .

## 3 – أنواع الحكم وآثاره على المجتمع النوميدي

تدرج الحكم النوميدي من الصورة الجماعية إلى الصورة الفردية ، على النحـو الآتي :

### أ- حكم السبط وآثاره

كانت وظيفة السبط [1] أعلى وظيفة سياسية يتقلدها حاكم ، مستمدة من النظام القرطاجي فهي السلطة التنفيذية المكلفة بتطبيق القوانين وإدارة شؤون أفراد المجتمع ، ثم عممت في كامل المدن البونية . [2]

كان حكم السبط – بغض النظر عن العدد – مختلفا من مدينة بونية إلى أخرى ، لكن الغالب أنه فيما بين القرن الرابع والثالث ق.م لم يحكم في مدينة بونية أكثر مـن ثلاثة أسباط ، يتقاسمون الوظائف السياسية والإدارية ثم العسكرية ، وانتشر هذا النظام في المدن الداخلية النوميدية وأهمها " كرتن " و مكتريس وتوقة وقفصة وكالاما [3] ، وقد كان حكم الأسباط هو الرائج فيها .

من المحتمل أن مسنسن عندما عهد بخلافته لأبنائه الثلاثة إنما كـان يريـد أن يعيد تكريس نظام الحكم الجماعي السبطي ، إلا أن الظروف السياسية – آنذاك – قـد حالت دون إتمام ما كان مستوحى من التقاليد الإدارية البونية السابقة .

في حقيقة الأمر، فلا تفيد المصادر مادية أو كتابية بتفـصيلات عـن التنظـيم الداخلي للمملكة النوميدية ، فيما عدا أن العائلة المالكة الماصيلية كانت لها عدة عواصم تخزن فيها ثروات المملكة ، وكان أمراء العائلة المالكة و رؤساء القبائـل بمثابـة ولاة

---

( 1 ) ***السَّبط*** : يرادفه تاريخيا مصطلح الشفط ، والقاضي ، فأما الكلمة لغة فتعني الشجرة التي لها أغصان كثيرة وأصلها واحد والسِّبْط هو ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الولد والسبط من اليهود كالقبيلة مـن العـرب ، وهـو مـصطلح اسـتخدمه المؤرخون القدامى ولا تشير أيا من الدراسات الحديثة إلى السبب الذي جعل المؤرخين المعاصرين يجعلون كلمة سبط مرادفة لكلمة شفط أو Suftum ، وبالتالي فإن كلمة قاض هي الأقرب وظيفيا أما لغويا فهي كلمة سبط وليس شفط . **للمزيد أنظـر** :
كرم البستاني وآخرون ، المصدر السابق ، ص. 318 ؛ *M'hamed Hassine Fantar Op.-Cit.P.236.* -

(2 ) *– M'hamed Hassine Fantar , Op. – Cit , P. P. 236 -237 .*

( 3 ) أسماء المدن البونية وهي على الترتيب : قسنطينة بالجزائر ومكثر ودوقة وقفصة بتونس ثم قالمـة بـالجزائر ، وقـد توضعت تلك المدن غربي تونس وشرقي الجزائر .

الأقاليم والمقاطعات ، ولكن انتقال السلطة بهذه الطريقة كان دائما يفضي إلى القلاقل والاضطرابات ، كما لم يكن يخضع لقواعد دقيقة عند عملية التوريث .

ولذلك غالبا ما أثبت نظام السبط أنه غير قادر على تسيير محكم لشؤون المملكة النوميدية بشقيها الشرقي والغربي ، ولذلك اقتصر على بعض المدن التي كان سكانها من الصعب إخضاعهم دون اعتماد رابطة العشيرة والدم المشترك ، وأن حكم الجماعة هو الأكثر ملائمة لهم .[1]

**ب – حكم الإغليد ومميزاته**

**– أصل المصطلح**

الكلمة ذات أصل لوبي وردت في نقش دوقة الشهير المزدوج الكتابة لوبي– بوني على النحو الآتي " ج ل د " ، كما وردت مرادفا لها في النص البوني كلمة " همملكت " وهي كلمة ذات أصل سامي ، مشتقة من الجذر " ملك " وبذلك فمعنى الإغليد هو مرادف من حيث السلطة السياسية لكلمة الملك . [2]

إلا أن الإغليد لم تكن لتعني فقط الملك الوحيد للمملكة فهذه الصفة يمكن ان تكون أيضا لحاكم مدينة من المدن النوميدية .[3]

تعني الإغليدية هي الحكم الذي انفرد به مسنسن و خلَفه مكوسن اللذان تميزت فترة حكمهما على المستوى الثقافي بوفائهما للإرث البوني والتفتح على الثقافة الهلِّينيَّة .

لقد تميزت على المستوى السياسي بعدة خصائص أهمها ، الانفراد بالحكم وطول ملكهما الاستثنائي في تاريخ الممالك المحلية المغاربية القديمة ، إذ حكم الأول 54 عاما ( 201 ق.م – 148 ق.م ) ، والثاني 30 عاما ( 148 ق.م – 118 ق.م ) ، وأن ازدهار المملكة لم يكن لولا قوتهما في تسيير شؤونها السياسية .

أما على المستوى الاقتصادي، فقد كان كل من مسنسن ومكوسن أول من عمما أسلوب الحياة المدنية والدورة النقدية ، وعلى المستوى الاجتماعي حوَّلا جزءا من المجتمع القبلي إلى الحياة الحضرية والاستقرار المدني .[4]

---

( 1 ) غابريال كامبس ، البربر ، ص . ص. ( 23 – 24 ) .
(2) – F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit . P . 108 .
(3) – G .Camps , Massinissa … , P . 216 .
( 4 ) غابريال كامبس ، المرجع السابق ، ص . 21 .

ج – **الوظائف الإدارية للنوميديين**

سمح النظام السياسي المستقر للمملكة النوميدية في العاصمة الأولى " كـــرتن – سيرتا " باستحداث وظائف إدارية شغلها بعض النوميديين المدنيين ، ذلك أن التركيبـــة القبلية للمجتمع النوميدي كانت تشكّل عقبة في وجه التغييـــر الـــسياسي والإداري فـــي المستوى الذي طمح إليه مسنسن .

ولولا النقوش المزدوجة التي ضمَّها معبد الحفرة بقسنطينة ، لما تمكن الباحثون من إماطة اللثام عن بعض جوانب الحياة الإدارية النوميدية ومنهم على سبيل المثال بيرتيي (***Bérthier***) ، وكان من الواضح أن الطبقة الراقية في المجتمع هي التي كانت تتقلد المناصب والوظائف الرفيعة ، حيث مارس النوميديون وظائف إدارية سامية مثل وظيفة الموظف الإداري السامي الذي دون في النقوش المزدوجة بونية – لوبية تحت اسم " ر ب م ش ط ر ت " أي رئيس المشاطر وتعني " المسؤول الإداري " . [1]

من هنا ، يمكن ملاحظة أن النوميديين كانوا منظمين في جهـــازهم الإداري إلا أن ما وصلنا في النصوص القديمة بالكاد لا يقدم شيئا للتاريخ ، وذلك لافتقار المصادر المادية التي يجب تعميق البحث عنها .

## ثانياً – العائلة الحاكمة النوميدية وأبرز شخصياتها القيادية

### 1- عائلة مسنسن الحاكمة

#### أ – النسب في العائلة المالكة الماصيلية

يجهل المؤرخون الكثير من التفاصيل حول البنية الاجتماعية للعائلات الملكيـــة الماصيلية والماصيصيلية والمورية ، إذ لا يعرف من المصادر سوى أســـماء الملـــوك وحدود ممالكهم الجغرافية ، إلا أنه وبرغم ذلك فقد أمكن التعرف على بعض الجوانـــب عن البنية الاجتماعية للعائلة النوميدية الحاكمة من خلال العملة التي سكَّها الملوك .

فعائلة مسنسن مثلا هي التي كان ينتخب منها رئيس الاتحاد القبلـــي الماصـــيلي والماصيصيلي ، وذلك لأن تلك العائلة هي التي كانت تفرض قوتها على بقية القبائل

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، ط.1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 ، ص . 238 .

والتي عادة ما تكون نوعاً ما ضعيفة وقليلة الشأن ، وبذلك كانت السلطة تتأسس في يد القبيلة الأقوى عدة وعتاداً ، وتأتى ذلك لأسرة مسنـــسن ( ***MSNSN*** ) [1] دون غيرهـــا ، وكانت تعرف كذلك بالأسرة الماصيلية الحاكمة .[2]

تعد أسرة مسنسن الأكثر شهرة عبر التاريخ النوميدي ، ولم يرد في المـــصادر أي ذكر لأسرة أخرى ذات نفوذ أو سلطة إدارية باستثناء العائلة الماصـــيلية الكبـــرى وأسرة مسنسن .

بذلك كانت أيضا أول أسرة في مجتمع القبيلة الماصيلية التي احتكرت لنفـــسها الزعامة ضمن قبائل الاتحاد السرتي وذلك بالاعتماد على قوة رجالها .

لقد تسلسل نظام الحكم من السبط زلالسن وابنه جايا وصولا بمسنسن وأبنائـــه وأحفاده الذين توالوا على الحكم في نوميديا .

كما كان كبير العائلة سنا هو زعيم القبيلة ، وقد يعزل من مكانه إذا ثبت عـــدم كفاءته في قيادة شؤون القبيلة ، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخـــرين مـــن الأكبر سنا ، وغالبا ما يكون لرئيس القبيلة مستشارون يتعاونون معه في تسيير أمـــور القبيلة وفقاً لأعراف وتقاليد خاصة بهم . [3]

تجدر الإشارة هنا أن جايا والد مسنسن كان ملكا ، وجده " زلالسن " كان سبطا.

**ب – <u>المرأة في العائلة المالكة الماصيلية</u>**

كانت والدة مسنسن من النساء النوميديات القويات اللواتي شاركن الرجال فـــي الحكم والسياسة ولكن عن طريق استقراء الغيبيات بواسطة العِرافة ، ويروى أن ابنهـــا كان يستشيرها ويأخذ بنصائحها في بعض أمور المملكة ، إلا أن النصوص القديمـــة لا يشير أيا منها إلى اسمها أو صفاتها .

---

( 1 ) ***تسمية مسنسن*** : هو العاهل الماصيلي النوميدي ، و بالعودة إلى المصادر النقوشية فإن استخدام مصطلح " مسنسن " في هذه الصيغة بالذات سببه أنه قد ورد دون حروف متحركة في النقوش اللوبية البونية المزدوجة والتي تعتبر مصادر محلية هامة جدا ، لعلها أكثر دقة مما أوردته المصادر الأدبية اللاتينية حول صيغة اسم العلم مسنسن ، والذي اشتهر باسم " ماسينيسا – ***Massinissa*** ) عبر التاريخ ، ولذلك سنستخدم المصطلح في كامل فصول الرسالة .

( 2 ) *– Jean Mazard , Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque , Arts et Métiers Graphiques , Paris , 1955 , P .P . ( 27 - 29 ) ..*

( 3) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص. 206 .

كما كانت العِرافة شائعة بين النساء ، واحتلت جزءا هاما من شؤون المرأة الكاهنة ، والواقع أن المرأة النوميدية كانت قد قطعت أشواطا في هذه المهنة كي تصل إلى هذا المنصب الديني ، ولا أدل على ذلك مما عثر عليه في نقش بوني من معبد الحفرة تحت رقم ( ***C.P.634.3***) ذكر في السطر الثالث من نص نقيشته " رب هـ ك هـ ( ك) ت " أي " كبيرة الكاهنات " ، مما يعني أن مكانة المرأة في المجتمع السرتي كانت مرموقة بفضل امتهانها للكَهانة والعِرافة . [1]

كان للملك مسنسن أخت مجهولة الاسم أيضا هي أم " مسيفا " – وهو غير مسيفا بن غلوسن حفيد مسنسن – الذي لم يستأثر أبناؤه بالحكم ، وانقطعت عنده شجرة العائلة المالكة . [2]

كما لا نعرف له أي اسم من أسماء إخوته و أشقائه ولعله كان أكبرهم سنا مما سمح له أن يستأثر بمميزات الحكم . ولذلك فالأسرة الماصيلية الحاكمة تكوَّنت من : " جايا و مسنسن و مكوسن " وهم الأكثر تأثيرا في أحداث التاريخ النوميدي .

## 2 – <u>شخصية مسنسن ( 238 ق.م – 148 ق.م )</u>

### أ– <u>معنى اسمه وشخصيته</u>

انتمى مسنسن إلى السلالة الماصيلية ، والده الملك جايا بن السبط زلالسن ، ووالدته معروفة بالعِرافة ، و تعني كلمة مسنسن ابن الاثنين ولعل المقصود بهما الإلهين الرسميين للنوميديين بعل حمون وتانيت بني بعل[3] .

ورد ذكر مسنسن في معظم النصوص القديمة ، ولعل أهمها روايات بوليبيوس و تيتيوس ليفيوس وسيليوس إيتاليكوس [4] و كذلك سالوستيوس و أبيانوس مارسولانوس على أنه ملك النوميديين الأقوى الذي صنع مجد مملكته.

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . 230 .

( 2 ) *– J. Mazard , Op . – Cit , P . 28 .*

( 3) **للمزيد من المعلومات حول معنى اسم مسنسن انظر :** محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ...، ص. ص. ( 71 – 73 ) ; *Stéphane Gsell , H.A.A.N. , T: III , P. 178*.

( 4 ) ***<u>سيليوس إيتاليكوس</u>*** : شاعر لاتيني من البندقية ( 26–101م ) ، انتخب بروقنصلا سنة 77 م وله قصيدة مهمة جدا عنوانها البونيات وهي عبارة عن ملحمة متكونة من 17 نشيد تناول فيها الحرب البونية الثانية ( 219–201ق.م ) ، **<u>للمزيد من المعلومات انظر</u>** : ( *Polybe , Histoire Romaine , T : III , et : Tite-live , Histoire Romaine , T* :

لكن تلك المصادر تشير فقط إلى تاريخه السياسي ونزاعاته مع قرطاجه خـــلال الحروب البونية وتذكر علاقته مع الإمبراطورية الرومانية ، ولا نجد ما يفيــدنا حــول شخصيته وعلاقته بأفراد أسرته و تعليمه ، لكن الغالب أن تلك العلاقات كانت مستوحاة من مجموع الأعراف والتقاليد اللوبية العتيقة والتي تعرضت للتأثيرات البونيــة بــسبب الاحتكاك بقرطاجة والعالم الفينيقي .

يروى أن مسنسن كان قد تلقى تعليما ذي تأثيرات هلِّينية سمحت لــه بــالاطلاع على الثقافة التي كانت سائدة – آنذاك – ، وبذلك فقد انطبعت آثارها في جوانــب دون أخرى كالعمران حتى أن المدغاسن كانت أعمدته ذات طراز أيوني . *( انظر شكل المدغاسن . ص . )*

أما الأدب النوميدي المُتَهَلِّين ، فليس لدينا أي شيء عنه ، مما يؤكــد ضــياع الإرث النوميدي المكتوب أو إتلافه عن قصد خلال فترة الاحتلال الروماني ، كما يمكن القول إن المجتمع النوميدي كان ينقل أفكاره وأدبه الشعبي عن طريق المشافهة ولــذلك لم يكن ليدوِّن أفكاره .

أما عن صفات مسنسن الجسمانية ، فتجمع النصوص القديمة ، على أنــه كــان قوي البنيان و جم النشاط ، وككل الملوك العظماء كان ذا شخــصية بطوليــة ، وقــد تعددت زيجاته المختلطة ، فكان له عشرة أبناء شرعيين .

لقد أبرزت العملة رأس مسنسن بوضوح من حيث تسريحة شعره وإكليل الملــك ، واللحية الكثة . *( انظر الشكل رقم (46 ) . ص .247 )*

من الطبيعي أن يكون مسنسن فارساً ماهراً وعارفاً بأمور الفلاحة لمــا تمليــه طبيعة النشأة الاجتماعية الليبونوميدية ، كما أنه قد خاض عدة معارك وحروب أهمها على الإطلاق " معركة زامــا 201 ق.م " التــي وحَّــد بعــدها قبائــل الماصــيل و الماصيصيل في اتحاد تــحت لواء الممــلكة النوميدية .[1] وهكذا ، عاش مسنسن حياة طويلة وتوفي في سن التسعين ، و حكم كرتن برتبة إغليد لمدة 56 عاماً .

---

= *Sillius Italicus , Les puniques;.*( XXVII- XXX ) ، وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين المذكورين جميعا قدموا من خلال سرد التاريخ السياسي لمسنسن بعض الإشارات الدالة على شخصيته كالقوة والحزم و الغيرة على المحبوب ، **للمزيد من المعلومات انظر :** *- G. Camps , Op . – Cit . , P. 185.*

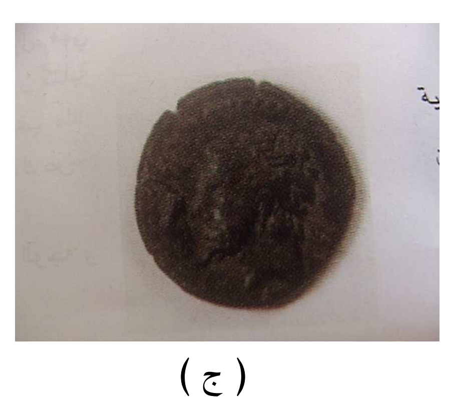
( 1) ب . هـــ . وارمنجتون ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 470 – 472 ) .



( أ )



( ب )



( ج )

الشكل رقم ( 46 ) :

( أ ) : وجه قطعة نقدية برونزية للملك مسنسن تظهر بوضوح شعره ولحيته وإكليل الملك.
( ب ) : وجه وظهر قطعة نقدية برونزية للملك مسنسن .
( ج ) : وجه قطعة نقدية برونزية للملك مكوسن .

**نقلا عن : دليل متحف سيرتا .**

**ب – سلوك مسنسن**

أثيرت حول شخصية مسنسن قضيتان كبريان سلوكيتان تمثلت الأولى في حقده على صفاقس كونه استأثر بخطيبته القرطاجية صفنيبه .

أما الثانية فتمثلت في انتقامه من صفاقس وتسليمه للرومان وولائه الكبير لهم فيما بعد . وهكذا ، الدارس لعلاقة مسنسن بصفونيسبة يجد فيها الكثير من المبالغة ، إذ لم تذكر وتفصل النصوص الرومانية القديمة– والمولعة بمثل تلك القصص– طبيعة العلاقة بين الطرفين ولا آثارها .

كانت صفونيسبة إحدى خادمات معبد الإلهة تانيت منذ نعومة أظفارها كأي امرأة قرطاجية متدينة ، كما أن تلك الفترة كانت فترة نزاعات قديمة بين قرطاجة ومملكة الماصيل بسبب النزاع حول ملكية الأرض منذ الحرب اللوبية ( 241 ق.م – 238 ق.م ) ، والتي انتهت بالحل السياسي المعروف بالاتحاد السرتي بتأسيس مملكة نوميديا لاحقا ، كما ان مسنسن ليس سوى ذلك الرجل النوميدي ذي الأصول اللوبية العريقة الذي تتحكم فيه مجموعة الأعراف والتقاليد ، ولذلك يبدو أن تداعيات هذه القصة هي من نسيج المؤرخين القدامى الذين كانوا متأثرين بالأدب والتراجيديا الإغريقية التي تأثر بها الأسلوب الروماني في الكتابة .[1]

أما حقده وتسليمه صفاقس للرومان كامتداد لتلك القضية فهي رواية مُجانِبَة للصواب أيضاً ، ذلك أن فرض السيادة وتحقيق السلطة الفردية كانت هي الدافع الرئيسي لتغلب مسنسن على صفاقس ، وباستثناء هاتين القضيتين اللتين حيك حولهما الكثير فإن مناقب مسنسن كثيرة لا تحصى فالمؤرخ جوليان يذكر عن استرابون بأن

---

( 1) **الأسلوب الروماني في الكتابة التاريخية :** هو أسلوب يفيض بالطابع الرومانسي ، فغالبا ما يخاطب الغرائز لا العقل والبصيرة فيميل إلى الإطناب والمبالغة ، فإذا كان الأسلوب اليوناني في الكتابة والذي تأثر به الكتاب الرومان هو أسلوب أرسى تقاليد التدوين المعتمدة على المشاهدة والملاحظة والوصف والتحليل ، فإن الأسلوب الروماني هو أسلوب محدثي النِّعمة الذين شرعوا العنف وعبدوا الثروة واستماتوا من أجل السلطة وهو بعيد عن الاتزان وعقلانية العلاقة في كثير من الأحداث ، ولا أدل على ذلك من أن كتابات هيرودوتس كانت مفعمة بالأخبار الاجتماعية أما كتابات سالوستيوس وتيتيوس ليفيوس فكانت مليئة بالأحداث العسكرية وأخبار الحروب . **للمزيد من المعلومات أنظر :** أديت هاملتون ، الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة ، تر : حنا عبود ، ط. 1 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1994 ، ص. ص. ( 13 – 14 ) .

مسنسن قد مدَّن النوميديين ويكفيه هذا أن يجعله إغليدا عظيما لا سيد قبيلة أو سيد اتحاد قبلي .[1]

أما عن طبيعة العلاقة بين مسنسن بصفته إغليداً ورؤساء بقية قبائل الاتحاد فقد كانت قائمة على مدى قوة شخصية مسنسن وتأثيره على الأفراد ، ومما يروى عن تأثيره في قبائل الماصيل ، أنه خلال حربه مع صفاقس استدعى في بضعة أيام تحت إمرته ما يناهز على 10.000 مقاتل ماصيلي ، وككل المجتمعات القديمة فإن الملك في حالة الحرب يتقمص إلى جانب شخصيته القيادية شخصية الكاهن الذي يشحذ همم جنوده .[2]

هذا لا يعني أنه لم تكن هناك شخصيات قيادية سبقته ، و لكن المصادر أغفلتها فيما عدا القائد النوميدي نرفاس الذي قام بدور ريادي في الحرب اللوبية ، وكانت له صفات القائد الحاكم المؤثر في جنوده والذي كان عددهم يقدر بنحو 2000 جندي .[3]

تجدر الإشارة إلى أن مسنسن كان قد توفي قصره بالعاصمة كرتن سنة 148 ق.م أثناء الحرب البونية الثالثة .[4]

### 3 – شخصية مكوسن ( ؟ – 118 ق.م )

#### أ – ظروف اعتلاء مكوسن العرش

لا تذكر النصوص القديمة تاريخ ميلاد مكوسن ، وهو أشهر أبناء مسنسن فمن خلال التمعن في صورته المحفورة على عملته فقد كان أثناء حكمه كهلا تجاوز الخمسين .[5]

لقد ورث مكوسن العرش النوميدي عن أبيه مع اخويه مستنبعل وجلوسن ، فتولى الأول القضاء والثاني الشؤون العسكرية أما مكوسن فكانت بيده الشؤون الإدارية ، ويذكر سالوستيوس أن مكوسن قد انفرد بالحكم بعد وفاة أخويه بسبب مرض أصابهما حيث توفيا في السنة نفسها .[6]

---

( 1) شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص . 134 .

( 2) - *G. Camps , Massinissa …. , P. P . ( 161 – 162 ) .*

(3 ) - *Ibid , P . 160 .*

( 4 ) ب . هـ . بارمنجتون ، المرجع السابق ، ص . 472 .

(5 ) – *J. Mazard , Op . – Cit , P . 42 .*

( 6 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، تر : العربي عقون ، الفقرة :V ، ص . 77 .

حكم مع أخويه بنظام الحكم الثلاثي الذي ما هو سوى محاولة لإعادة تكريس نظام السبط [1] وذلك لمدة تسع سنوات أي إلى سنة 139 ق.م ، حيث أصبح بدوره إغليداً وتخلص من توصيات القائد الروماني سيبيون إيميليانوس الذي عهد إليه مسنسن عند احتضاره بتسوية الخلافات إن حدثت على العرش من بعده .[2]

حكم مكوسن لمدة ثلاثين عاماً ( 148 ق.م – 118 ق.م ) المملكة النوميدية ، وقد كان حكما مستقراً للمجتمع النوميدي قضاه دون نزاعات وحروب عسكرية ، وإنما في نشاط ورخاء اقتصادي فسك العملة على غرار ما فعله والده وبرسمه ، واهتم اهتماما غير مسبوق باللغة والكتابة اللوبية والكتابة البونية الجديدة التي عثر على آثارها مدونة على جدران المعابد والنصب و النقوش المختلفة وخاصة في سهل دوقة.[3]

***( انظر الأشكال رقم (47 ، 48 ) . ص . 251 )***

**ب – شخصية مكوسن القيادية**

استقرت المملكة النوميدية في عهده بفضل حسن تسييره لأمورها إداريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، فحصَّن مكوسن كرتن وظل وفيا فيها للثقافة الهلينية ، وازدهرت في عهده مدن كثيرة مثل دوقة وتالة وقفصة ، وشيد قرى كثيرة لأفراد المجتمع النوميدي الذي عرف الاستقرار والهدوء النسبي خلال فترة حكمه .[4]

كما ذكر المؤرخ كاركوبينو أن شخصية مكوسن كانت كشخصية والده لينة لأنه كان خاضعا للرومان ومموَلا لهم ، ولكن مكوسن كان حكيما كوالده و خاصة فيما يتعلق بالحفاظ على مكتسبات مسنسن السياسية والعسكرية ، بل استطاع أن يحقق الرخاء للنوميديين عن طريق الاحتفاظ بعلاقة جيدة مع الرومان .[5]

مما يؤثر عن سلوكه تكريسه لقواعد وراثة العرش النوميدي من خلال الإبقاء على حكم السبط و لكن مع اختلاف بسيط وهو إدراج ابن أخيه مستتبعل المعروف باسم يوغرطة في الحكم إلى جانب ولديه " أذربعل " أو "همبصال " ، وخلفية تصرف

---

( 1 ) حول خلفية إسناد الحكم إلى ثلاثة **وللمزيد من المعلومات انظر :** محمد الصغير غانم ، المملكة ... ، ص. ص. ( 92 – 97 ) .

( 2 ) محمد حسين فنطر ، الحرف .... ، ص . 341 .

( 3 ) *- G. Camps , Massinissa …. , P. 236 .*

( 4 ) *- Ibid , P . 240 .*

( 5 ) *– Jérome Carcopino ," Salluste et les Numides " , Rev. His. , T : 88 , 1928 , P . 30 . D'Après le site web , www.revues.orgLe : 12/04/2007.*





الشكل رقم ( 47 ) : عملة مكوسن ويبدو من خلالها كهلا ، وسهل معبد دوقة الذي بني في عهده



الشكل رقم ( 48 ) : وجه عملة أذربعل من سلالة مسنسن .

*نقلا عن : مطويات متحف سيرتا ،* -www.dougga.tu

مكوسن هو أن يوغرطة كان الأكبر سنا والأكثر قوة وفروسية و الأقدر على الحفاظ على نوميديا قوية عسكريا ومستقلة ، ولذلك لجأ إلى عُرْف كان متبعا في التقاليد النوميدية ألا وهو " التبني " لدعم مسألة توريث العرش لابن أخيه إلى جانب ابنيه الشابين .

رغم ذلك ، رفض أبناء العمومة توليه العرش وكان ذلك مرده أيضا التمسك الكبير بمجموع الأعراف النوميدية التي تجيز تولي العرش فقط لأبناء النساء الحرائر وليس أبناء الإماء ، ويوغرطة كان ابن أمة ، وشكَّل هذا الوضع نقطة الاستعلاء على يوغرطة الذي أعاد كرة جده مسنسن وانفرد بالحكم لاحقا . [1]
وقد توفي مكوسن شيخا كبيرا سنة 118 ق.م . وبوفاته ينتهي عهد ازدهار الدولة النوميدية .[2]

## 4 – شخصية يوغرطة ( 160 ق.م – 105 ق.م )

ذكر سالوستيوس أن يوغرطة كان شابا ذا بنية قوية ووسيما ، وتبعا لتقاليد النوميديين فقد أجاد الفروسية ورمي الرمح ، وكان صيادا ماهرا للأسود والحيوانات الضارية ، وكان يتمتع بأخلاق حميدة ، وهذه هي صفات القائد الحقيقية التي أهلته لتقاسم المُلك مع ابني عمه ، وهي تشبه الصفات الجسمانية والخلقية التي تحلى بها جده مسنسن .[3]

بعد أن انفرد يوغرطة بالعرش ، أراد إعادة مجد جده في كرتن ومقارعة الرومان ، ورغم انتصاره في بعض المعارك ، ومحاولاته الحثيثة في توحيد القبائل النوميدية و المورية إلا أن ذلك باء بالفشل لتباين القوة بينه وبين الرومان الذين لم يستطيعوا القضاء عليه إلا بمؤامرة مع حليفه الموري بوخوس وألقي القبض عليه حيا

( 1 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، الفقرتان ( X – XI ) ، تر : العربي عقون ، ص .ص . ( 81 – 82 ) .
( 2) محمد حسين فنطر ، الحرف ... ، ص. 341 .
( 3 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، ص. 80 .

وسيق يوغرطة إلى روما حيث توفي جوعا وعطشا في سجن توليانوم بالكابيتول في روما سنة 105 ق.م .[1]

تجدر الإشارة هنا ، إلى أن أهم النصوص التي تناولت يوغرطة ككتابات ديون كاسيوس وسالوستيوس لم تذكر شيئا عن مصير المملكة النوميدية من بعده ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أحوال الحياة اليومية في نوميديا .[2]

أما عن عائلة يوغرطة وزيجاته ، فلا تخبرنا المصادر الكتابية سوى أنه كان قد تزوج زواجا سياسيا من ابنة بوخوس ملك موريتانيا .

أما المصادر المادية التي يمكن أن تروي شيئاً عن يوغرطة ، فإنها من الممكن أن تكون متناثرة في منطقة قبائل الماصيل ، وذلك في المناطق التي دارت فيها معظم المعارك بين يوغرطة وبين الرومان ، و في حقيقة الأمر فإنه لا تتوافر سوى بعض المسكوكات ، التي تعد من المصادر المنقولة التي تم من خلالها معرفة أن نوميديا كانت لا تزال على ثرائها في فترة حكم يوغرطة رغم حروبه ، ذلك أن العملة ظلت متداولة وحافظت على نقش الفيل والحصان رمز المملكة النوميدية .[3]

*( انظر الشكل رقم (49 ) . ص.254 )*

## أ – العناصر الاجتماعية المساندة ليوغرطة في حربه ضد الرومان

اعتبرت شخصية يوغرطة من الشخصيات المحلية الهامة التي حاولت تحقيق السيادة الوطنية رغم الظروف الصعبة المحيطة به ، ذلك أن انفراد يوغرطة بحكم نوميديا ودخوله في الصراع مع الرومان ما بين ( 111 ق.م – 105 ق.م ) أدى إلى إضعاف البلاد .

كان للصورة الاجتماعية دورها الكبير في ذلك ، إذ أن تركيبة المجتمع المغاربي في تلك الفترة لم تكن لتؤهله لتحقيق الوحدة كما رسم لها يوغرطة .

---

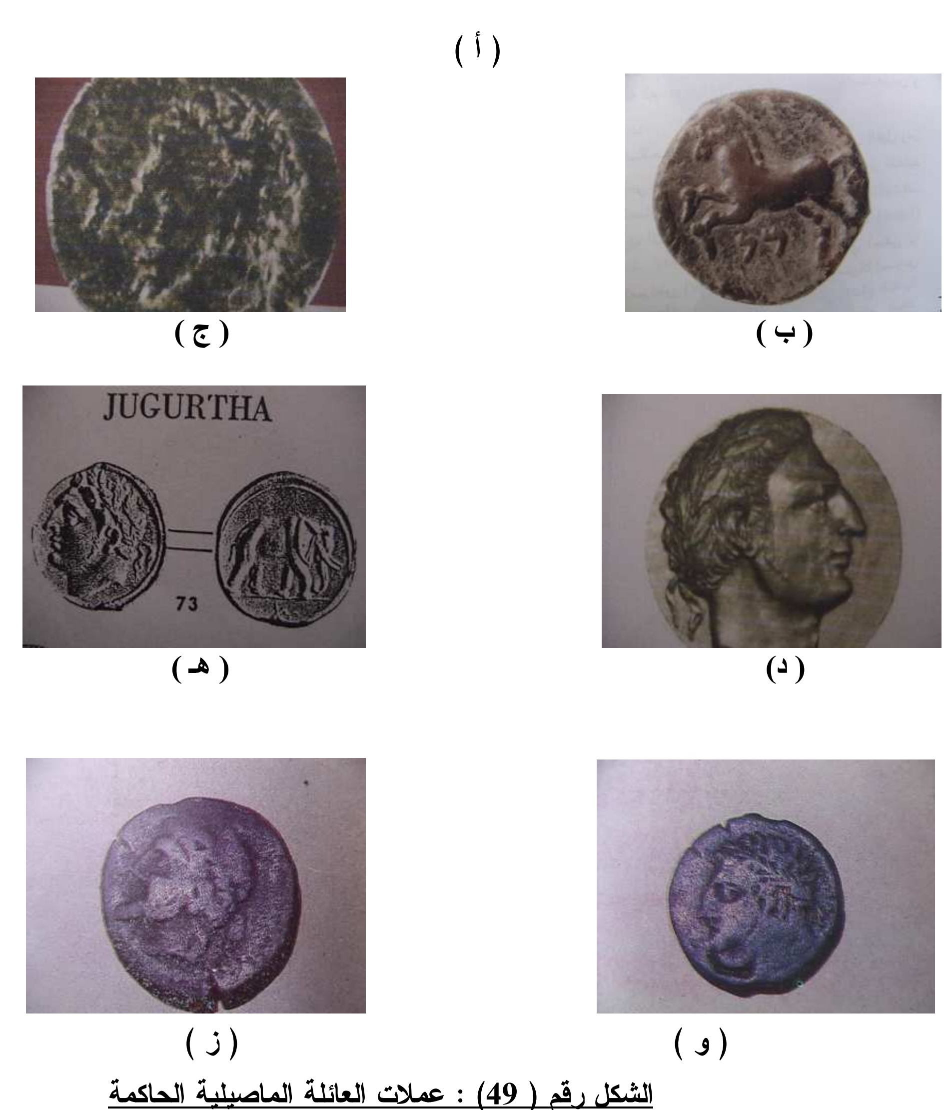
( 1 ) لقد حاولنا هنا البحث في شخصية يوغرطة الإنسانية وليس في تداعيات حربه مع الرومان ، ، لكن المتأمل في هزيمته يجد أنه كانت مستحيلة عن طريق المواجهة نظرا لبسالته، ولذلك لجأ الرومان إلى طريق المراوغة ، والمجتمعات القبلية تعتمد على الكلمة ميثاق شرف ، ولذلك صدق يوغرطة بوخوس فوقع ضحية مؤامرة لا تراعى فيها الكلمة وعدا و لا عهدا .

( 2) المصدر نفسه ، ص . 175 .

(3) *– J. Mazard , Op . – Cit . , P. 45 .*



( أ )




( ج ) ( ب )

( هـ ) ( د )

( ز ) ( و )

الشكل رقم ( 49) : عملات العائلة الماصيلية الحاكمة

| |
|---|
| ( أ ): عملة مسنسن الشهيرة التي دون اسمه عليها بالبونية أسفل نقش الفيل . |
| ( ب ) : ظهر عملة برونزية لمسنسن تبرز رسم الحصان في وضعية العـــدْو. |
| ( ج ) : عــملــة يــوغــرطة تــبرز وجــهــا شــابا بــملامــح حــازمــة . |
| ( د ، هــ ) : عملة يوغرطة تحمل رقم ( 73) من مجموعة الأثري جان مازار . |
| ( و ) : عملة برونزية ليوغرطة عــثر عــليها في تــبسة ، قــطرها 2.6سم . |
| ( ز ) : عملـــة برونزية لمكــوسن تبرز ملامح الكــهولـــة عثر عليها بتبسة . |

نقلا عن : مطويات متحف سيرتا ودليل متحف تبسة ، *J.Mazard , Op.-Cit. , P.240* -

لقد كان سكان المغرب القديم – آنذاك – يتضمنون على عناصر اقتربت من الاستقرار في المدن ، واستعذبت حياة المدينة وخاصة في كرتن ودوقة ، حيث أصبحت أميل إلى الحياة الحضرية والنشاط التجاري ، وفي الوقت نفسه كانت هناك عناصر أخرى لا تزال في طورها القبلي على حواف الصحراء ، وكانت تحاول جاهدة الاقتراب من الحياة المتحضرة ولكنها لم تألف حياة المدن والخضوع السياسي للدولة النوميدية الموحدة .

لذلك ، فقد كانت عملية الوحدة السياسية لسكان المغرب القديم مهمة بالغة الصعوبة لما كانت عليه القبائل النوميدية و المورية و الجيتولية من تنافر عرقي . [1]

عندما خاض يوغرطة الحرب مع الرومان ساندته المجتمعات القبلية التي كانت تتسلح ببيئتها البرية والجبلية عند مواجهة الأخطار، ولم يقتصر يوغرطة على دعم القبائل له بل لجأ إلى مساندة الجيتول وتحالف مع الموريين الذين كانوا تحت زعامة بوخوس الأول وصاهره .

هذا وقد نجح يوغرطة في خطته لتوحيد القبائل في كامل المغرب القديم وتمكن من توجيهها تحت قيادة واحدة في سبيل استعادة وطرد الرومان من مناطق نفوذهم ، وكاد أن ينجح إلا أن الرومان اتبعوا سياسة جديدة قوامها الخدعة وألقي القبض عليه أسيرا ثم قتل سنة 104 ق.م . [2]

## ثالثاً – العائلة الحاكمة الماصيصيلية

### 1 – قبائل الماصيصيل

#### أ – مفهوم الماصيصيل

شكّلت جموع قبائل الماصيصيل مع الماصيل الاتحاد النوميدي ، فكان من الصعب تتبع الملامح الحضارية للماصيليين الذين تمركزوا في نوميديا الشرقية بمنأى عن الماصيصيليين – الذين تربعوا على مساحة أكبر بكثير من مساحة الأول– الذين شكلوا نوميديا الغربية ، وقد ساد تشابه عميق بين أعراف وتقاليد تلك القبائل مما سهل

---

( 1 ) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، ص . 295.

( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 296 .

كثيرا من مهمة تشكيل الاتحاد رغم الحرب التي اندلعت بين الطرفين لتحقيق السيادة والوحدة .

هكذا ، ظهر النوميديون لأول مرة كقوة في المغرب القديم في نهاية القرنالثالث ق.م وبداية القرن الثاني ق. م ، وشاع ذكرهم في خضم الخرب البونية الثانية كقوة حليفة تؤمن الطريق للجيش القرطاجي .[1]

**ب – جغرافية بلاد الماصيصيل**

من الصعب تحديد المواطن التي انتشرت عليها قبائل الاتحاد الماصيصيلي لكنها كانت تمتد بين نهر ملوشا ( الملوية ) إلى غاية رأس تريتون – حسب استرابون – وكانت عاصمتها سيقا .[2]

امتدت حدودها إلى غاية نهر الأمبساقا ( وادي الرمال حاليا) ، وكانت أراضي الماصيصيل أكثر خصوبة من أراضي الماصيل .

لقد كانت أراضي الماصيصيل عبارة عن سهول واسعة جيدة لزراعة القمح، حتى أن الأرض كانت تنتج محصولين في دورتين زراعيتين خلال السنة ، وقد انتهت مملكة الماصيصيل بعد سنة 203 ق.م إثر ضم مسنسن قبائلها في الاتحاد النوميدي ، وأصبحت المنطقة كلها تعرف بنوميديا بدلا من نوميديا الشرقية الماصيلية ونوميديا الغربية الماصيصيلية .[3]

أما عن الصورة الإثنية للماصيصيل فلم يرد منها شيء في المصادر القديمة ، إذ يذكر المؤرخ جان ديزانج أن أن تلك القبائل واسعة الانتشار وكثيرة العدد ولكن لا نعرف من أسمائها الفرعية أي قبيلة ، وكان المؤرخين القدامى من ديودوروس الصقلي و سيليوس إيتاليكوس و استرابون ثم تيتيوس ليفيوس قد أشاروا إلى الماصيصيل عند ذكرهم للاتحاد النوميدي .[4] ومن أشهر ملوك الماصيصيل صفاقس .

---

( 1 ) *– F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit . P . 81 .*
( 2 ) *- Strabon ,Op. –Cit. , P. II.*
( 3) شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 132 – 133 ) .
( 4 ) *– J. Desanges , Op . – Cit . , P. 110 .*

**2 - شخصية صفاقس**

أشير إلى صفاقس في الكتابات البونية تحت اسم " شفق أو صفق أو شـــفوق " ، وقد تبوّأ العرش الماصيصيلي في النصف الثاني من القرن الثالـــث ق.م ، وعاصـــمته عرفت باسم سيغا .[1]

لم تحفظ النصوص القديمة شيئاً عن حياته الاجتماعية من حيث تاريخ ميلاده وعائلته ومركز قبيلته التي ينتمي إليها وشبابه و كيفية تكوينه الاتحاد الماصيصيلي أو كيفية وصوله إلى العرش ، فيما عدا إشارتان الأولى : أنَّ له ولدان أحدهما سمي " فرمينا " ، والثانية زواجه السياسي الشهير وهو شيخ كبير من الأميـــرة القرطاجيـــة الشابة صفونيسبة .[2]

**أ – صفاقس ودوره في الحرب البونية الثانية**

لقد كان للملك صفاقس دورا بارزا في أحداث الحرب البونية الثانية ( 219 ق.م – 201 ق.م) التي اشتهر فيها حنبعل بن عبد ملقرط البرقي .

كما قام صفاقس بمحاولات لتهدئة الأوضاع في شمال أفريقيا بغـــرض إبعـــاد خطر الرومان عن بلاد المغرب القديم ، كانت أهمها تلك المحاولة الدبلوماسية المتمثلة في عقد مؤتمر سيقا لسنة 206 ق.م ، التي جمعت القائد القرطـــاجي عزربعـــل بـــن جرسكن ، والقائد بوبليوس سيبيون المكنى بالأفريقي عن الجانب الروماني ، و صفاقس عن الجانب النوميدي ، لكن انتهى اللقاء بالفشل بـــسبب سياســـة الرومـــان التوســـعية ورغبتهم في احتلال المغرب القديم وتحطيم القوة القرطاجية .[3]

كما كان أول من وحَّد نوميديا الغربية بحيث طبق نظام اللامركزية في التنظـــيم الإداري .

كما كانت العاصمتين كرتن و سيقا تسيَّران من قبل موظَّفَيْن ســـامِيَيْن محلِّيَـــيْن كان يعيِّنهم صفاقس بالإضافة إلى مجالس قبلية ورجال دين وجباة ضرائب وضباط في الجيش.

---

( 1) محمد حسين فنطر ، الحرف .... ، ص. 337 .
(2 ) – F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit . P . 82 .
(3 ) – Stéphane Gsell , H.A.A.N. , T: III , P . 185 .

**ب- ملامح صفاقس من خلال العملة**

عمل الملك صفاقس على سكّ عملته الخاصة في سيقا ، وكان له معمل خاص بذلك .[1]

لقد كان صفاقس ملكا وليس إغليدا – كما تظهر العملة التي سُكَّت فيها كلمة " هـــ م م ل ك ت " – مارس الحكم فيما بين (213 ق.م – 202 أو 201 ق.م ) .

تُظهِر العملة أن صفاقس كان يطلق لحية مدببة النهاية ويحلق شعره حلقا خفيفـا مصففا له باتجاه الخلف ، ويبدو أنه كان كهلا في الخمسينات . هذا و تظهره معظـم النقود التي سكَّ فيها رسمه فارساً يمتطي الحصان دون سرج ،[2] وفي عملة أخـرى شعره ولحيته كثَّين ويتحلى بعصابة هي شارة من شارات الملك .[3]

( راجع الشكل رقم (50 ) . ص .259 )

مما تميز به صفاقس إشراكه لابنه فيرمينا في الحكم ، مما يوحي برغبتـه فـي توريثه العرش إلا أن حربه مع مسنسن هي التي حالت دون إتمام ذلك .

كانت نهاية صفاقس في معركة دارت رحاها في السهول النوميدية ، حيث سقط أسيراً بين يدي مسنسن الذي سلَّمه للرومان ، وتم نفيه إلى روما حيث تـوفي بمنطقـة تيفولي التي هي إحدى ضواحي مدينة روما ، وكان ذلك سنة 201 ق.م .[4]

خلاصة لما سبق يمكن القول أنه باستثناء ما عرفناه عن صـفاقس و فيرمينـا، تظل المعلومات شحيحة عن بقية أفراد الأسرة الحاكمة الماصيصيلية ، ولـذلك تظـل مملكة الماصيل أكثر حضورا في المصادر منها على مملكة الماصيصيل .

رغم أن العائلة المالكة الماصيلية والماصيصيلية كانتا الوحيدتين اللتين ذكرتهما المصادر الكتابية باقتضاب ، لكن أمكننا أن نعرف بعض خصائصهما الاجتماعية ، في انتظار إماطة اللثام عن الكثير من تاريخهما بواسطة البحث الأثري .

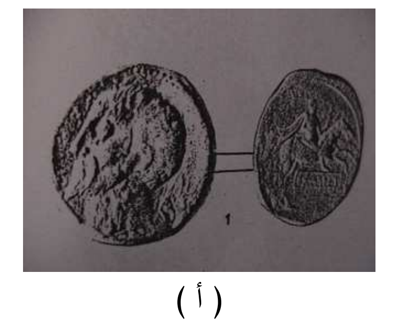
---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المملكة ... ، ص. 64 .

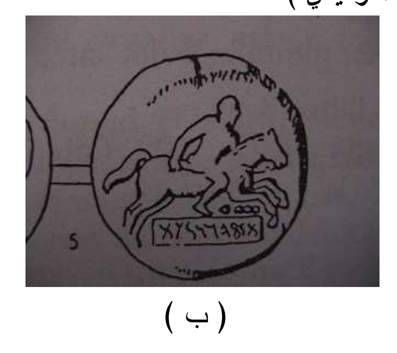
( 2 ) إن امتطاء الحصان أو الحِجْر دون سرج – لحد الآن – من علامات الرجولة والفروسية الفذة في بلاد المغرب ، **للمزيد من المعلومات انظر :** – *J. Mazard , Op . – Cit . , P. 18 .*

(3) – *Ibid , P. 20 .*

( 4) محمد حسين فنطر ، الحرف ... ، ص. 337 .



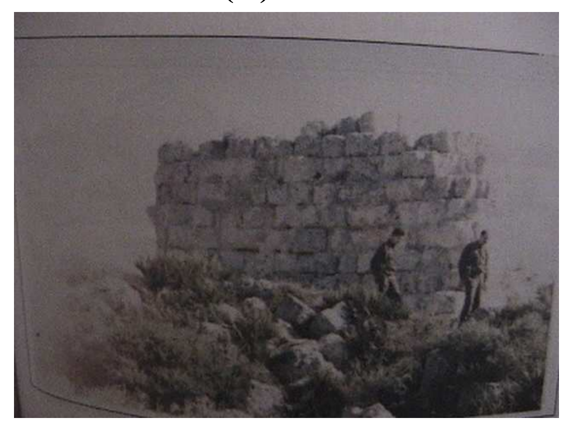
( أ )



( ب )

( ج )

( د )





( هــ )

**<u>الشكل رقم ( 47 ) : العائلة الماصيصيلية الحاكمة</u>**

| |
|---|
| **( أ ) : عــملــة صــفــاقــس تــظهر مــن خــلالــها مــلامــح الشيخوخة .** |
| **( ب ) : رسم نسخي لظهر عملة صفاقس وقد دون بالبونية " صفق همملكت " .** |
| **( ج ) : عملة فرمينا ابن صفاقس دون فيها بالبونــية " فرمنــد همــملكت " .** |
| **( د ) : ضريح عائلة الملك صفاقــس في سيغــا قــرب وادي التــافــــــنة .** |
| **( هــ ) : عملة للمــلك صفــاقــس من مجمــوعــة متــحــف سيــرتــا .** |

***<u>نقلا عن</u>*** : (أ،ب،ج): *-J.Mazard , Op.-Cit., P.P.( 18,21).*

( د): رابح لحسن ، أضرحة الملوك النوميد والمور ، ص . 294.

# الباب الثالث

## المجتمع اللوبي و تفرعاته خلال القرن 2 ق.م

## ( المجتمع النوميدي أنموذجاً )

**الفصل الأول**

**المظاهر التاريخية والاجتماعية للمجتمع النوميدي**

**الفصل الثاني**

**مظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي**

**الفصل الثالث**

**الحياة الدينية والثقافية في المجتمع النوميدي**

# الفصل الأول
# المظاهر التاريخية والاجتماعية للمجتمع النوميدي

أولا – المجتمع النوميدي ( قراءة سوسيو تاريخية ) .
ثانياً – مظاهر التنظيم الاجتماعي النوميدي .

تواجه المتتبع للصورة السوسيو تاريخية التي كان عليها المجتمع النوميدي – بعد استقرار شؤونه السياسية و نظمه الإدارية والعسكرية – عدة تساؤلات ، لعل أهمها ما يلي :

ماذا كان يطلق السكان على أنفسهم من تسمية ؟ وهل توصل مسنسن إلى تمدين مجتمعه في مدن نوميديا الموحدة أم اقتصر على سكان المدن الكبرى ككرتن و سيكا ودوقة ؟ وهل تخلى المجتمع القبلي – في ظرف وجيز – عن حياة القبيلة وتنقلاتها إلى حياة المدينة واستقرارها ؟

## أولا – المجتمع النوميدي ( قراءة سوسيو تاريخية )

### 1 – أصل التسمية الدالة على وجود شعب نوميدي

أشارت النصوص القديمة لهذه التسمية ، وكانت تعني بها مجموعات قبلية لها خصائص عرقية مشتركة وذلك منذ القرن 3 ق.م ، فدلت التسمية على أنه شعب كثير العدد ذي سلطة سياسية مستقلة تبسط نفوذها في مجال جغرافي يمتد من حدود قرطاجة شرقا إلى وادي ملوكا غربا .

عن أصل المصطلح ، فلا يوجد أصل لوبي أو بوني للكلمة ، فيما عدا وروده باللاتينية والذي يفهم منه معنى البدو.

كما أن الدراسات اللغوية في مجال الكتابة اللوبية ، قد قدمت الكثير من أسماء الأعلام المستهلة بالسابقة ( ن،م ) والتي يقصد منها وجود مجموعة قبلية كبيرة هي مجموعة النوميديين ، وقبائل الماصيل و الماصيصيل هي التي كونت مملكة نوميديا الشرقية ومملكة نوميديا الغربية . وأما إطلاق تسمية نوميديا على الكيان السياسي لهما، فكان شائعاً في النصوص القديمة التي تعود إلى تلك الفترة .[1]

مما سبق يبدو أن تسمية قبائل الماصيل والماصيصيل بالنوميديين ، كانت من باب الصفة التي أخذت مع مرور الزمن طابع اسم العلَم ، بدليل أن استخدام مصطلح " النوميديين " أصبح هو الرائج في نصوص المصادر القديمة التي تناولت تاريخ المغرب

(1) -Gabriel Camps, Massinissa … , P. P. ( 149 – 150 ).

القديم خلال فترة الممالك المحلية فيما بعد في النصوص اللاتينية لاسترابون و تيتيوس ليفيوس وجوستينيانوس وبلينوس القديم .

**أ – معنى اسم نوميديا في المصادر الكتابية القديمة**

ذكر المؤرخ جان ديزانج ( ***J.Desanges*** ) مختلف المصادر التي تناولت نوميديا ذكرا وافيا ، فمن المصادر الإغريقية الباكرة نجد كتابات هيكاتوس المليتي وهيرودوتس وهيلانيكوس وبينداريوس ، وقد كانت الكلمة تفيد عندهم معنى البدو .

أما المصادر الإغريقية اللاحقة ككتابات بوليبيوس و ديودوروس الصقلي فقد استخدمت مصطلح نوميديا للدلالة على مجموعات إثنية .[1]

على كل ، لم تعرِّف تلك المصادر الكتابية النوميديين على أنهم شعب كبير العدد ذي سيادة على رقعة واسعة من بلاد المغرب القديم ، ولكنها اكتفت بإسباغ الواقع المعيشي القديم لأولئك القوم ، فجعلوه اسم علم لصيقا بهم عبر التاريخ .

لقد ساعد في رسوخ التسمية أن النوميديين في ذلك الوقت ، لم يكونوا قد وصلوا بعد لتكوين مجتمع مدني خصائصه المميزة ، حيث كان سكان بلاد المغرب القديم إجمالا خلال الفترة الليبوفينيقية يتكون من مجتمعات قبلية صغيرة أورد أسماءها المؤرخ الإغريقي هيرودوتس بالتفصيل ، إلا أنه لم يذكر ما إذا كانت هناك مجموعة من اللوبيين القدامى تدعى " النوميديين " .

كما أن هيرودوتس كان أول من قدم وصفا أنثروبولوجيا للقبائل التي سكنت المغرب القديم خلال فترة القرن الخامس ق.م ، فقد كانت تعني عنده كلمة " نوماد" البداوة و الترحال .[2]

على كل ، فإنه باستثناء رواية هيرودوتس التي لا تحتوي على أكثر من ذكر مصطلح " نوميد " ، فإن المصادر الإغريقية تعني بكلمة النوماد صفة للحياة التي كانت تعيشها تلك القبائل .

ذلك أن هيرودوتس ، كان ملما بالخصائص الجغرافية والبشرية لبلاد لوبه وان اسم نوماد لم يكن يعني به قبيلة ولكنه صفة لحياة البداوة والترحال وأن جميع

---

( 1 ) *– Jehan Desanges ,Op.-Cit. , P. P. ( 126 -127 ) .*

(2) *- Stéphane Gsell , " Textes relatifs … " , P. P. ( 27 -29 ).*

اللوبيين الذين كانوا يمتهنون الرعي هم بدوا أي نوماد ، وبمرور الزمن تطورت هذه الصفة فأصبحت اسم علم لجموع قبائل الماصيل و الماصيصيل .[1]

**ب – <u>تأصيل المصطلح ( سالوستيوس أنموذجاً )</u>**

استخدمت المصادر اللاتينية المصطلح في صورة اسم علم ، وأهم النصوص التي تناولت ذلك ، نصوص " سالوستيوس " ، هذا الأخير الذي ذكر روايته عن أصل النوميديين في الفقرة (*XVIII*) من كتابه حرب يوغرطة على أن أصولهم من الفرس والأرمن .

يذكر أيضا أن الذين نزلوا إلى سواحل المغرب القديم ، وتصاهروا مع الجيتوليين ، وسموا أنفسهم " نوماداس " أي المتنقلين للبحث عن بلد يستقرون فيه .

كما أن مساكنهم تسمى " ماباليا " وهي ذات أشكال مستطيلة وجدرانها محنية تعلوها أسقف تشبه غواطس السفن ، وأن الفرس بعد تنامي قوتهم برز منهم مجموعة من الشباب المقدام الذي تنقل في المناطق المتاخمة لقرطاجة والتي نسميها نوميديا بشعبها القديم والحديث .[2]

تظل رواية سالوستيوس محل جدل كبير بين المؤرخين بسبب ضعف مضمونها التاريخي فهي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقائق التاريخية التي أوردها المؤرخ هيرودوتس .[3]

من الواضح أنه منذ القرن الثالث ق.م كانت تسمية نوميديا كلمة دالة على شعب كان يقطن المغرب القديم إلى جانب الجرميين والجداليين وغيرهم وهم من أصول محلية تعود إلى مرحلة ما قبل التاريخ ويعتبرون جزءا لا يتجزأ من اللوبيين .[4]

فالنوميديون وفي ظروف غامضة اتحدت جموع قبائلهم لتؤلف مملكة ذات كيان محلي ، فالوحدة السياسية كانت العامل الرئيسي في تمدين النوميديين وتحولهم إلى حياة

---

( 1 ) محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص . 163 ؛ ب.هـ. وارمنجتون ، تاريخ أفريقيا العام ، مج.2 ، ج. 18 ، ص. 454.

( 2 ) محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 91 – 92 ) .

( 3 ) المرجع نفسه ، ص. 92 ، هـ 2 ؛ *– G. Camps , "Massinissa …. ". P. P. ( 15 – 19 )*

( 4 ) *– Jehan Desanges , Op . – Cit . , P. 127 .*

الاستقرار عن طريق العمل في الفلاحة ثم تقبل العيش في مدن ، ومن هنا كانت بداية التحول وذروته أيضا إلى المجتمع الحضري .[1]

## 2 – المفهوم السوسيوتاريخي للمجتمع النوميدي

### أ – تعريف المجتمع النوميدي

اهتم بعض علماء الاجتماع و في مقدمتهم عالم الاجتماع الشهير إميل دوركايم وبعض المؤرخين مثل ستيفان جزال [2] بدراسة تاريخ المجتمعات القديمة فواجهوا صعوبات كثيرة فيما يتعلق بإبراز المظاهر الحيوية لتلك المجتمعات ، وكذلك عنوا بمدى تطبيق النظريات الاجتماعية ، وخاصة عملية التطور الاجتماعي بالنسبة لأصناف المجتمع . [3]

بذلك أوحت نظرية دوركايم لمحللي المجتمعات المغاربية عبر العصور باتجاه جديد للبحث في إطار ما عرف بالدراسات السوسيوتاريخية .

بناءً على ما سبق ، يمكن تعريف المجتمع النوميدي بأنه هو : الصورة الشاملة للمجتمع القبلي الماصيلي والماصيصيلي ، هذا الأخير الذي صمتت المصادر عن ذكره بعد سيطرة العائلة الحاكمة الماصيلية وخاصة في عهد ماسينيسا فخبا ذكره

---

( 1 ) شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 134 .

( 2 ) أنظر الفصل الأول من الجزء الأول من مجموعة التاريخ القديم لشمال أفريقيا ، حيث قدم ستيفان جزال مقاربات تاريخية أنثروبولوجية ممتعة حول المجتمع المغاربي القديم تفيد في سد الفجوات التاريخية في تاريخ المغرب القديم ، وما قام به جزال ليس سوى تطبيق فعلي لفرع متخصص هو سوسيولوجيا تاريخ الحضارات القديمة ، والذي بدوره كان جزءا من الأنثروبولوجيا عندما كانت المدرسة الفرنسية تعتبرها أيضا جزءا من علم الاجتماع ، لأن الأنثروبولوجيا لم تأخذ طريقها كعلم مستقل سوى بعد الحرب العالمية الثانية وتبني المدرسة الأنجلوسكسونية لها .***للمزيد من المعلومات أنظر*** :

محمد عبده محجوب ، طرق ومناهج البحث السوسيولوجي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص . 241 ؛
محمد عبده محجوب ، مقدمة في الأنثروبولوجيا ، ط . 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص . 17 .
فيليب تولرا وجان فارنييه ، إثنولوجيا وأنثروبولوجيا ، تر:مصباح الصمد ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،2004،ص.8 ؛ حسين عبد الحميد رشوان ، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي،المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2003 ، ص . 255 .

( 3 ) من أهم النظريات الاجتماعية نظرية عالم الاجتماع إميل دوركايم التي استخدم فيها مفهوم الانقسامية لدراسة المجتمعات وتطورها وذلك في أطروحته تقسيم العمل الاجتماعي سنة 1893 – سبق وأشرنا لذلك من قبل – ، ***للمزيد من المعلومات انظر*** : الفصل الخاص بالقواعد المتعلقة بتكوين الأصناف الاجتماعية من : إميل دوركايم ، قواعد المنهج السوسيولوجي ، تر : سعيد سبعون ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2008 ، ص . ص . ( 105 – 119 ) .

إلا أنه من الواضح أنَّ قبائل الماصيصيل كان اندماجها سياسيا لا أكثر، ولذلك غلب ذكر المجتمع النوميدي بلغ أوج ازدهاره في عهد السلطة السياسية لماسينيسا وأبنائه .

ففي غياب شبه كلي في المصادر الكتابية للمعلومات التاريخية الخاصة بالحياة الاجتماعية للقبائل المغاربية القديمة ، على غير ما عهد عن هيرودوتس والذي اختص باللوبيين الشرقيين ، فقد سجلت لنا بعض المصادر المادية وتتمثل في مجموعة النقوش النوميدية المكتشفة في معبد الحفرة بسيرتا ملامح تحول أجزاء من المجتمع اللوبي القديم والمتمثل في المجتمع النوميدي من صورته القبلية إلى صورته الإنقسامية .[1]

**ب – حدود ومجال المجتمع النوميدي**

تغيرت الخارطة السكانية في المغرب القديم خلال القرن الثاني ق.م ، عما كانت عليه في الفترة الممتدة بين القرن الخامس ق.م والقرن الثالث ق.م ، إذ لم يعد ذلك المجتمع اللوبي الشامل الذي يمتد في إقليم الواحات الغربية و قورينة وقرطاجة والأطلس التلي والتخوم الصحراوية ، بل إنه أصبح مشكلا من مجتمعات فرعية لكل منها خصوصيتها الثقافية ، وكان ذلك بسبب الشعور الذي اعترى القبائل والمتمثل في ضرورة التكتل فيما بينها لأغراض سياسية وعسكرية ، كتأمين الحماية من الخطر القرطاجي أو الروماني ، وأدى ذلك إلى تشكيل مجتمعات كبرى ولكنها قليلة لم تتجاوز أربعة مجتمعات – هي تلك المجموعات القبلية المدروسة في الفصل السابق – ، لكنها تطورت داخليا ولم تخبرنا أيضا النصوص القديمة عن كيفية الاتحاد فيما بينها .

هكذا ، فبما أن النسب يعد عماد التقعيد للتحول الاجتماعي من صورة القبلية البسيطة إلى الانقسامية المتدرجة ، وبخاصة في تلك القبائل التي تنتمي إلى منطقة جغرافية واحدة ، فإن هوية الفئات الاجتماعية كانت واضحة في محتوى النقوش الإهدائية والجنائزية التي أظهرت أنَّ المتوفي لا بد وأن يذكر اسم أبيه وجده وأحيانا القبيلة التي ينتمي إليها ، وهو أكبر دليل مادي على أن الفئة النوميدية كانت فئة متماسكة انقسامية.

---

( 1 ) **للمزيد من المعلومات أنظر** : فصل الامتزاج الحضاري من خلال نصب معبد الحفرة البوني بقسنطينة في مؤلَّف : محمد الصغير غانم ، المملكة ... ، ص. ص. ( 129 – 171 ) .

كان من خصائص البنية الانقسامية للمجتمع النوميدي هي أن الفئات الاجتماعية قد تحالفت في ما بينها بصورة تلقائية مما أدى إلى ظهور المجتمع المدني الذي جسده المجتمع السرتي – كما سيرد لاحقا – .[1]

## 3 – العوامل المؤثرة في تشكُّل المجتمع النوميدي الانقسامي

### أ– العوامل السياسية و آثارها

تميز المجتمع النوميدي بمركزية الحياة السياسية والاقتصادية بعد عهود طويلة من اللامركزية ، وقد كانت الحروب البونية فرصة لبعض الشخصيات القوية من العشائر الكبرى للوصول إلى ما سعت إليه من الاتحاد ، ألا وهو مملكة موحدة ومستقلة ، فكانت البداية بإقامة ملك الماصيصيليين صفاقس عرفت بمملكة نوميديا الغربية ، وأتت بعد ذلك فترة الصراع بين الطرفين في ظل الجو السياسي المسيطر عليه من قبل الرومان ، والذي انتهى بتأسيس مملكة نوميديا الموحدة بضم القبائل الصغيرة والكبيرة المتناثرة في ربوع بلاد المغرب القديم في إطار سياسي واحد تحت سلطة ملك واحد عن طريق تولي مسنسن عرش الماصيليين ، فعرفت مملكتهم بنوميديا الشرقية.

لقد حدث تحت حكم مسنسن نهضة اقتصادية كبيرة وتطورات اجتماعية جديدة، فأسفر ذلك عن مملكة متطورة وناضجة ولئن لم يكتب لها أن عمَّرت طويلاً ، إلا أنها استطاعت أن تكون في فترة وجيزة من أقوى ممالك العالم القديم .[2]

كما كان التأثير القرطاجي على البنية الاجتماعية النوميدية مزدوجا ، فمن جهة فرضت قرطاجة ضرائب أثقلت كاهل النوميديين ، كما اقتطعت أجزاء من فائض إنتاجهم الزراعي لتموِّن جنودها في الحروب البونية ، ومن جهة أخرى نشرت بينهم الثقافة البونية فاقتبسوا منها عن قناعة و رضى الديانة واللغة .

---

( 1 ) عبد الله الحمودي ، " الإنقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة " ، الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي) ، ط . 2 ، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 ، ص. ص. ( 60 – 63 ) ؛ محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص. ص. ( 222 – 223 ) .

( 2 ) عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ، ص.11 .

رغم ما سبق ذكره ، لم يستطع النوميديون الاستقرار والتمدن على غرار المجتمعات الكبرى القديمة ، إلا بعد تشكيل مسنسن للمملكة النوميدية الموحدة ، حيث وجدت القبائل الكبرى في الاتحاد فرصتها في تكوين مجتمع لم يكن قادرا على تكوين نفسه من قبل بالصورة المدنية الملائمة التي عرفها المجتمع المصري القديم والفينيقي ثم اليوناني والقرطاجي وكذا الروماني ، فتدرج من النظام الاتحادي إلى النظام الملكي المستقر نسبيا سياسيا وجغرافيا .[1]

لقد أدَّت نهضة الزراعة و التجارة إلى ازدهار المدينة النوميدية ذات الأصول اللوبية ، وتلك العناصر هي التي ساعدت النوميديين على التمسك بملكية الأرض التي ما هي سوى تعبير عن الرغبة بالاستقرار والتمدن ،رغم بقاء الرواسب العشائرية في مختلف نواحي حياة النوميديين ، فشملت الزراعة كامل الأراضي النوميدية الماصيلية والماصيصيلية ، ونتج عن ذلك توسيع حركة التجارة ، مما انعكس على تطور البنية الاجتماعية .

**ب – <u>مستويات نمو التطور الاجتماعي عند النوميديين</u>**

بدأ نمو التطور الاجتماعي عند النوميديين على ثلاث مستويات هي :

**1**- درجة تحضر القبائل .

**2** - ظهور نمط جديد من العلاقات الاجتماعية التي لا ترتكز على عامل القبلية .

**3** - ظهور ملكية الأرض الزراعية الخاصة .[2]

وذلك ما اعتبره الدارسون علامة تغيير في المجتمع النوميدي .

– **<u>تحضر القبائل</u>**

حافظت القبائل النوميدية على بنية العرش هيكلا أساسيا للنظام العام ، لكن كبار رجالاتها لم يعودوا ليعتمدوا على تربية الماشية فقط كرأسمال لثروتهم ، وإنما أصبح مقياس ثرائهم مدى ما تنتج أراضيهم من القمح والغلال ، كما أنَّ تداول العملة النوميدية فيما بينهم ، قد أخرجهم من دائرة المقايضة التي عملوا بها لعهود طويلة ، وظهر من

---

(1) *Ernest Mércier , Histoire de Constantine , éd . J. Marle et F. Buon , Constantine , 1903 , P. 3* -
*www.gallica.bnf.fr. :Le : 23/01/2009* .

( 2) عبد القادر جغلول ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 8 – 11 ) .

رجال القبائل الكتبة والساطرون ثم الشعراء و كذا الأدباء والكهنة ، وكان هذا كافيا لمعرفة أن الرجل النوميدي أخذ يهتم باهتمامات الرجل المدني .

**- نمو العلاقات الاجتماعية**

كان ذلك بعد الانفتاح على الأسواق التجارية الكبرى للعالم القديم ،إذ ولج التاجر النوميدي إليها من خلال تصدير فائض إنتاجه ، ليتحرر من قيم المتاجرة ضمن إطار قبيلته أو في أحسن الظروف ضمن السوق القرطاجية ، فتعاطى التجارة مع بقية تجار العالم المتوسطي ، و بذلك أصبح معروفاً بإنتاجه لا بقبيلته التي ينتمي إليها .

**- ظهور ملكية الأرض الخاصة**

كانت ملكية الأراضي الخاصة مقتصرة على أفراد العائلة الحاكمة ، ذلك أن الغالب من تلك الأراضي هي ملكية العرش الجماعية ، وان مجموع الأفراد يعملون في الأرض لفائدة عائلتهم في ملكية العرش ، و باستثناء أسرة مسنسن التي عرف أنه كانت لها ملكيات خاصة . فإن النصوص القديمة لم تذكر لنا ما هي أهم أسماء بعض قبائل الماصيل والماصيصيل ، فكيف تحفظ الملكيات الخاصة لتلك القبائل ؟

على كلٍّ ، فإن المصادر القديمة لم تَخْلُ من ذكر إشارات تاريخية على هامش سرد المؤرخين للأحداث الكبرى ، ليس فقط على المجتمع النوميدي وإنما على جميع المجتمعات الفرعية التي تنضوي في إطار المجتمع اللوبي القديم كان محليا، أو وافدا كالمجتمعين الموري والجيتولي ثم المجتمع القوريني وغيرهم .

## ثانياً - مظاهر التنظيم الاجتماعي النوميدي

### 1 - المصادر القديمة والتنظيم الاجتماعي

إذا لم يكن من اليسير رسم صورة عن الحياة السياسية التي عرفها النوميديون ، ودوَّنها المؤرخون القدامى في استطرادات نصوصهم الرئيسية ، فإنه من الصعب رصد مظاهر الحياة اليومية و التركيبة الاجتماعية لشعب ، لم نعثر له من وثائق كتابية سوى نقوش حجرية إهدائية وجنائزية ثم عملات .

خلاصة لما سبق ، يمكن تلمُّس تلك الصورة من خلال ما هو موجود من مصادر كتابية ومادية متوفرة .

لقد حفظت لنا نصوص هيرودوتس أنواع الزواج الذي كان شائعا بين بعض قبائل اللوبيين خلال القرن الخامس ق.م ، وكذلك طبيعة العلاقات الزواجية التي كانت سائدة بين الرجل والمرأة .

كما استرعى التنظيم الاجتماعي للُّوبيين هيرودوتس باعتباره مختلفا اختلافا عميقا عن التنظيم الاجتماعي الذي كان سائدا في بلاد اليونان ، وغيره من المجتمعات الكبرى التي عرفها وزارها وبخاصة المجتمع المصري القديم ، فدوَّن تفاصيل كثيرة عن أسلاف النوميديين ، وعن عاداتهم وتقاليدهم ، في الجزء الرابع المعنون بميلبوميني ( ***Mélpomène*** ) من كتابه التواريخ .[1]

على العموم ، لم تُعِر المصادر اليونانية والرومانية اهتماما يذكر بالتنظيم الاجتماعي النوميدي ، لأنها ركَّزت على القبائل المنتشرة في بلاد المغرب القديم ، وعلى إسباغ تسميات عليها ذات صيغة يونانية أو لاتينية في غير أدنى مراعاة لأصل التسمية أو كيفية نطقها باللغة اللوبية .

بذلك لا يمكن تتبع التسمية " أنثروبولوجيا" إلا من خلال المقاربات اللغوية وهي عملية صعبة جدا ، تأتي بثمارها بصعوبة نظرا لتطور اللغة اللوبية إلى لهجات فرعية عديدة وما لحقها من تأثيرات من اللغات الكبرى بفعل ظاهرة الاحتلال المتواصلة على البلاد المغاربية .

تُستَشَفُّ بعض ملامح المجتمع النوميدي من ثنايا كتابات بعض المؤرخين الرومان أمثال آميانوس مركلينيوس و بلينوس القديم ثم سالوستيوس و استرابون .[2]

بالإضافة إلى ما خلَّفته النقوش البونية واللوبية والتي تعد المصادر الوحيدة التي خلفها المغاربة القدماء وتفيد إلى حد ما في تقصي أحوال اللوبيين ثم النوميديين .

---

( 1 ) هيرودوت ، المصدر السابق ، ص. ص. ( 293 – 372 ) .

( 2 ) *–Ammien Marcelin , Histoires , T: IV , Par. 39 ; Pline l'Ancien , Histoire Naturelle , T : V , P. P . ( 52 -54) ; Salluste , Op. – Cit . , P. 80 ; Strabon , Op. – Cit. , T. : XVII , P. 1 .*

## 2 – الأسرة النوميدية

سبقت الإشارة إلى النقوش والرسوم المدونة على جدران معبد الكرنك وواجهة معبد أبي سمبل ولوحة إتريب التي تعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م إلى غزوة أمير الليبو مريي بن دد سنة 1727 ق.م ، والتي أتى فيها مصر مصطحبا زوجاته ونسائه ، وفي هذا إشارة واضحة إلى ظاهرة تعدد الزوجات عند القبائل اللوبية منذ القديم ، و تواصلت هذه العادة في العهد النوميدي .

### أ – أنواع الأسر النوميدية

على غرار بقية المجتمعات القديمة ، تشكِّل الأسرة الوحدة الأولى في مؤسسة التنشئة الاجتماعية النوميدية ، ولها نوعان :

#### – الأسرة النووية

نشأت من رابطة الزواج الأحادي ، وكانت تتكون من الأب و امرأة واحدة ،فعادة يكتفي الرجل بامرأة تكون زوجته الأولى الشرعية وأما لأبنائه ، وشاع هذا النوع من الأسر في الطبقة الدنيا .

#### - الأسرة المختلطة

نشأت من الزواج المختلط ، تعددت فيها الزوجات ، وكانت تتكون من زوجة رئيسية أو عدة زوجات رئيسيات وعدد كبير من الإماء ، وشاع هذا النوع من الأسر في الطبقة الثرية والحاكمة ، إذ يذكر سالوستيوس أن تعدد الزوجات عادة لدى النوميديين في ( ***الفقرة 80*** ) ما يلي :

" تزوَّج يوغرطة من إحدى بنات بوخوس ، لكن في الواقع هذه الرابطة لا تعني شيئاً عند النوميديين والموريتانيين على السواء ، فكل واحد يتزوج عددا من النساء ، البعض عشرة ، والبعض الآخر أكثر من ذلك ، أما الملوك فأكثر من ذلك بكثير ، وفي مثل هذه التعددية تضيع المودة بحيث لا ترق أي منهن إلى مقام الشريكة الحقيقية فكلهن لا يوحين بغير الاحتقار " .[1]

يمكن أن نستشف من النص ما يلي :

---

( 1 ) سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، تر : محمد الهادي حارش ، ط. 1 ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1991. ص . 143 .

1- استمرارية الزواج السياسي عند الملوك النوميديين أسوة بزواج مسنسن بصفونسبة ، خدمة لمصالح المملكة والمحافظة على حدودها .

2- تعدد الزوجات دليل على الغنى ، ويبدو أن السواد الأعظم من الرجال كانوا مزواجين بأكثر من اثنتين ، إذ ذكر سالوستيوس أن أبناء مسنسن عشرة ، ولم يذكر أنهن إماء وإنما زواج شرعي فلهن مكانة واحدة .

3- كان الملوك النوميد والمور يتزوجون بكثرة بغية الإنجاب ، ذلك أن كثرة الأولاد كانت عاملاً في زيادة الثروة من خلال خدمة الأبناء في ممتلكات الوالد .

4 - غياب عاطفة الحب بسبب كثرة الزواج ، إلا أن هذا هو تصوّر سالوستيوس وإسقاطه لعادةٍ كانت في المجتمع الروماني ألا وهي تفضيل الزواج الأحادي على التعددي ، ولأن النوميديين كانوا يحافظون على تقاليد الأسلاف فقد كانوا يبغضون المخادنة و التي كانت أمرا طبيعيا عند الرومان .

**ب – <u>العلاقات في الأسرة النوميدية</u>**

**- <u>القرابة ونسب الأبناء</u>**

لا خلاف أن الأسرة النوميدية كانت أسرة أبوية ، ودليل ذلك أنه لم يعثر في النقوش البونية و اللوبية الإهدائية و الجنائزية التي يحفر عليها عادة اسم المتوفي واسم ابيه وجده وأحيانا القبيلة التي ينتمي إليها إلى من نُسِبَ إلى والدته .

إن دليل ذلك المصادر النقوشية ، ففي نقيشة دوقة الأولى والثانية مزدوجتي الكتابة لوبية – بونية ، وكذا النقائش البونية واللوبية التي عثر عليها في نوميديا كنقوش معبد الحفرة بقسنطينة ، ونقوش مدينة تيجيزيس ( عين البرج بأم البواقي حاليا ) فإن جميع أسماء الأعلام المذكورة تنتسب إلى ناحية الأب ، وعلى سبيل المثال نذكر : شخصية زمر بن عطابان وحنون بن فطار وغيرهم كثيرون ينتسبون إلى الأب .[1]

*<u>( انظر الشكل رقم ( 51 ) . ص . 273 ) و ( انظر الشكل رقم ( 52 ) . ص . 274 )</u>*

فالأسرة أبوية سلالية ، وكان ذلك هو العرف الشائع في الأسرة النوميدية منذ القرن الثالث ق.م .

---

*– J.B.Chabot , Recueil des inscriptions Libyques , Imprimerie Nationale , Paris , 1940 . P . 3.* ( 1 )

## الشكل رقم ( 51) : نص نقوشي يبين ظاهرة النسب إلى الأب في الأسرة النوميدية

**نص لوبي مترجم إلى اللغة العربية من نقيشة دوقة الأولى المزدوجة ( لوبية-بونية):**

**احتوى النص اللوبي على أسماء الأعلام التي اشتركت في تشييد الضريح النوميدي بدوقــة ، والملاحــظ أن جميـــع الرجـــال المذكورين ينتسبون إلى الأب .**

**- السطر الأول: بناء اطابان بن إيفمتاح بن فلو.**

**- السطر الثاني: بناء الأحجار أباريس بن عبد عشترت.**

**- السطر الثالث: زمر بن اطابان بن إيفمتاح بن فلو.**

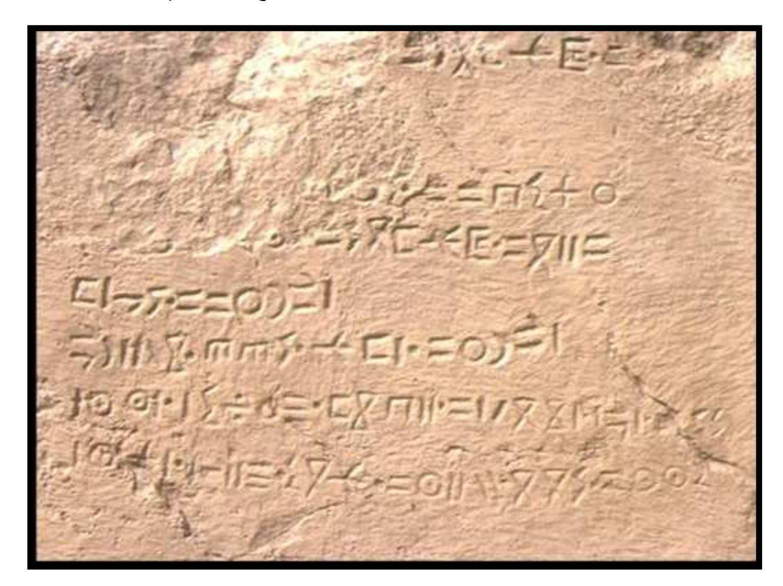
**- السطر الرابع: منجي بن ورسكن.**

**- السطر الخامس: معاونيه زايزي وطمان و وركسن.**

**- السطر السادس: صناع الخشب مسدل بن ننفسان وانكان بن اشي.**

**- السطر السابع: صناع الحديد شفط بن بلال وففاي بن بابي .**

نقلا عن : - *Faidherbe , Collection complète des Inscriptions Numidiques , Librairie Franck , Paris , 1870 , P.P.( 51-53).*



( أ )



( ب )

<u>الشكل رقم ( 52 )</u> :

**نقوش لوبية عليها أسماء أعلام ينتسب جميع المذكورين فيها إلى الأب**

( أ ) : نقيش دوقة الأول عليه كتابة لوبية من النوع الأفقي ، اكتشف سنة 1842 وهو محفوظ في المتحف البريطاني .

( ب ) : نقش تيجيزيس (عين البرج بسيقوس حاليا ) علية كتابة لوبية من النوع العمودي ، وهو محفوظ في متحف سيرتا.

<u>نقلا عن: -www.britishmeusem.uk</u>

تاريخ الزيارة : 2008/03/12.

– تصوير : الباحثة .بتاريخ : 2001/04/12.

تعد عائلة مسنسن الكبرى التي تبدأ من الجد الأكبر " زلالسن " عائلة العاهل النوميدي أبوية ، حتى أن اسم والدته لم يرد في المصادر الكتابية رغم أنها ذكرت أن مسنسن كان يسترشد بآراء والدته التي تتقن العرافة .[1]

من ذلك يبدو أن الأسرة كان أفرادها كثيري العدد ، بحيث كان للعاهل مسنسن أربعة وأربعون ولدا .[2] و لا يعقل أن يكون هؤلاء الأبناء من أم واحدة ، مما يجعلنا نستنتج أن الأسرة الملكية الحاكمة كان عدد الزوجات فيها كثير .[3]

**- نوع رابطة الزواج**

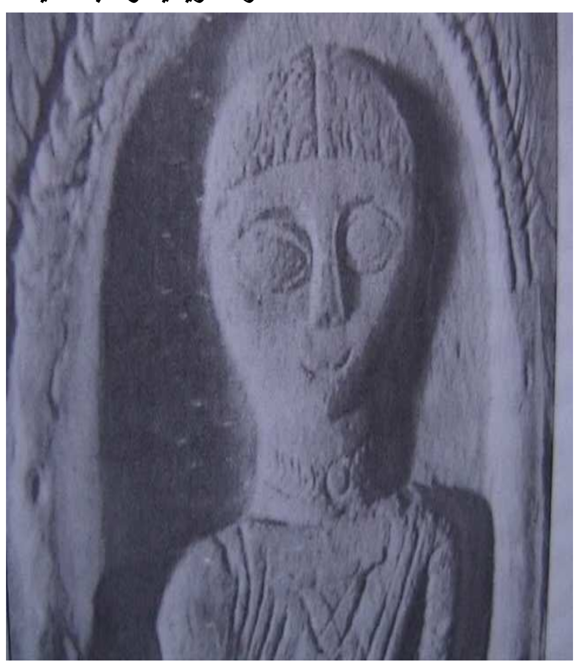
كانت رابطة الزواج تبنى على الرجل والمرأة ، ويعرف في المفهوم السوسيولوجي بالزواج المختلط ( ***Mariage Exogamie*** ) ، وهو الزواج الشائع والمعترف به بين القبائل ، ولم تكن هناك أي روابط أخرى خارج إطار العلاقة المشروعة التي يقرُّها المعبد وقانون القبيلة من حيث الأعراف والتقاليد المتبعة في إتمام مراسيم الزواج ، أما العزوبة والترمُّل ثم الانفصال ، فكان قليلا إذ سرعان ما كان يعجَّل بزواج من فقدت شريكها لأي سبب من الأسباب ، وكانت المخادنة تجلب العار لأصحابها .[4]

**- المرأة النوميدية**

كانت المرأة النوميدية ذات ملامح جميلة ، وكانت تتزوج في سنٍّ مبكرة ، والبكارة شرط أساسي عند الفتاة والحفاظ عليها أمر واجب إذ تشترط العفَّة قبل الزواج .[5] *( انظر الشكل رقم ( 53 ) . ص .276 )*

---

( 1 ) - *J. Mazard , Op. – Cit , P. 28.*
( 2 ) – *S. Gsell , .HA.A.N. ,T. V , P.46 .*
( 3 ) تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ ستيفان جزال كان قد تناول الروابط الاسرية المغاربية القديمة تناولا جيدا لكنه اعتمد أكثر على الأنثروبولوجيا وذلك بدمج الدراسات المعاصرة لزمانه حول البربر في منطقة القبائل الكبرى والريف المغربي وخاصة ما قام به المهتمون بعلم الاجتماع من أمثال بيرك وباسي ولوترنو وديماس مع ما ذكر في المصادر القديمة ، فكان يسد الفجوات التاريخية بالأنثروبولوجيا ، ورغم محاولاته لم يكن ليفهم جميع عادات المجتمع المغاربي فيفسر – على غرار أسلافه هيرودوتس وبلينوس – تفسيرات غير منطقية مثلا : ظاهرة البغاء المقدس في أولاد نايل كانت أمرا عاديا .(**للمزيد من المعلومات انظر** : *St.Gsell , H.A.A.N.,T: I , P.43 , Marge Num.: 2*) ، ولذلك حرصنا على استقاء المعلومة التاريخية مما كتبه عن المصادر الكتابية والمادية ، اما استقراء الأنثروبولوجيا فله مواضعه ولا تتعد غالبا الدراسات المونوغرافية لظواهر محددة جدا يمكن تتبعها في الوقت الحاضر ولا نجدها مذكورة في المصادر القديمة كالوشم .
( 4 ) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P.42 .*
(5 ) – *Ibid , P.43 .*



( أ )



( ب )

<u>الشكل رقم ( 53 ) :</u>

نصب جنائزي من الحجر الكلسي عليه نقش بارز لامرأتية لوبيتين محفوظ في متحف مكثر بتـــونس ، يبـــرزان ملامح المرأة المحلية وتصفيف الشعر و حلي الجيد والثوب

<u>نقلا عن</u> : - *Claude Mossé , Hérodote et la condition des femmes Lybiennes , Centre de Publication Universitaires , Casablanca ,2007, P.18.*

قامت المرأة النوميدية بدور فعال في بناء الأسرة وتربية الأطفال ، ويحدث أن تهرم المرأة سريعا قبل الرجل بسبب المهام المنوطة بها ، فإلى جانب الحمل والولادة المتكررة فإنها تعمل في الزراعة أو في المهن اليدوية المضنية[1] *( انظر الشكل رقم ( 54 ) . ص . 278 )* ، مما يجعلها تبدو غالبا أكبر من سنها ، وهذا ما يجعل الرجل يلتفت إلى نساء أكثر شبابا ونضارة ، وكانت مكانة المرأة وحظوتها عند زوجها بقدر ما لها من أبناء .

لقد اتسعت ظاهرة الزواج المختلط بالأباعد فكان يؤتى بالفتيات من قبائل أخرى ، فعزَّزت المصاهرة من أواصر القرابة بين القبائل ، كما كانت سبباً في فض النزاعات وإحلال السلم .[2] كما كان للزوج حق معاقبة الزوجة إذا ثبتت إدانتها .[3]

على العموم كان للمرأة دور بارز في الجانب الديني حيث وصلت إلى مرتبة " كبيرة الكاهنات " التي تساوي مرتبة " كبير الكهنة " .[4] وكانت أشهر النساء النوميديات والدة مسنسن .

– **السلطة في الأسرة**

بما أن الأسرة أبوية فهي مؤسسة على سلطة الرجل ، وتخرج الفتاة عقب زواجها من أسرتها لتنتمي إلى أسرة أخرى هي أسرة الزوج . ولا توجد مستمسكات على وجود أسرة أموسية ، فخلال القرنين الثالث والثاني ق.م كانت السلطة في أُسَرِ القبائل النوميدية للأب .[5]

– **السلطة في العائلة**

احتاجت جموع قبائل الماصيل لشخص كفء يدير شؤونها ويصل بها إلى التطور والازدهار بعد الاستقرار ، فكان انتقال السلطة في العائلة بداية عن طريق النظام الأغني .

.

---

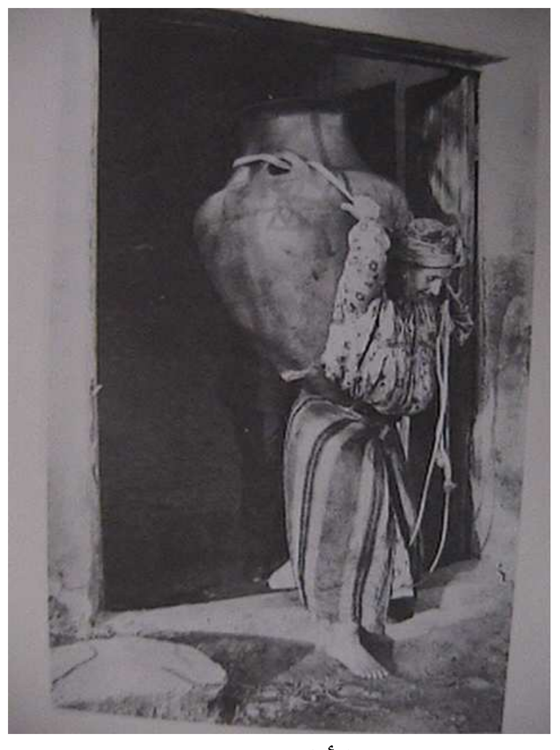
( 1 ) **مهن المرأة النوميدية :** كانت المرأة تقوم بأعمال شاقة جدا ، ولأنه لم تترك المصادر المادية لنا صورا أو تماثيل عن المرأة النوميدية ، فإن الباحث التاريخي قد يلجأ إلى المقاربة الأنثروبولوجية في هذا المجال ، و في هذا الصدد لاحظتُ أن السواد الأعظم من نساء الأرياف لا يزلن يمارسن نشاطات مضنية في الحقول والجبال خاصة في منطقة النمامشة والأوراس .

(2) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P. 46 .*

( 3 ) - *Ibid , P. 56 .*

*( 4 )* محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . 230 .

(5) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P.43 .*



( أ )



( ب )

الشكل رقم ( 54) : بعض مهام المرأة المعاصرة ذات الأصول النوميدية.

( أ ) : امرأة قبائلية تحمل إناء للمؤونة وقد سوّته وطلته قبل شيِّه .

( ب ) : امرأة أوراسية تحمل عيدان الأخشاب لاستخدامها في شؤون الحياة اليومية .

نقلا عن : ( أ ) : غابريال كامبس ، البربر ، ص . 89.

( ب ) : تصوير الباحث م.ش.حسين .

أما في مرحلة لاحقة فقد ظهر نموذج جديد لتنظيم الحكم العائلي بتوريث السلطة من الأصول إلى الفروع ، وسرعان ما أصبح مشروعاً في كامل مدن الماصيل ، وقد خفف هذا التعديل في وراثة سلطة العائلة الكبيرة من روابط الأسر المنضوية تحت لواء العائلة ، لأنه أعطى السيادة لأكبر عدد من الرجال الشباب الذين أصبحوا باكرا رؤساء لأسرهم الصغيرة ، وأدى إلى نوع من الاستقلال والتحرر في الروابط الأسرية التي كانت أمتن في ظل نظام القبيلة .[1]

– **الوراثة والتبني**

كانت الوراثة للأبناء بالتبني كما للأبناء من الأصلاب ، إذ يتمتعون بالشرعية نفسها ، وقد مارس النوميديون التبني وشاع بين مختلف طبقات المجتمع وبخاصة تبني العم أبناء أخيه ، ولا أدل على ذلك من تبني الملك مكوسن لابن أخيه يوغرطة عند احتضاره ، حيث أشار نص الوصية التي ذكرها سالوستيوس إلى تلك الظاهرة التي يبدو أنَّ النوميديين كانوا يعترفون بها ضمن مجموعة أعرافهم وتقاليدهم .

يعكس هذا المقتطف من نص الوصية الأسباب والدوافع التي أدت بمكوسن إلى تبني يوغرطة وثقته في حفاظه على المكتسبات النوميدية :

" **... يا يوغرطة كنت طفلا صغيرا بلا مال ولا أمل عندما دعوتك إلى وراثة عرشي ... وأثبتت لي الأيام أني لم أكن مخطئا ... وبشجاعتك تألق اسم عائلتنا في نومنتيا ... إني تارك لكم عرشا متينا إن حسنت سياستكم ، ضعيفا إن لم تحسنوها ، بالوحدة تقوى الدول وبالتفرقة تنهار أعظم الدول ... أما أنتما يا (أذربعل وهيمبصال ) فعليكما باحترام هذا الرجل وتوقيره ... حتى لا يقال إنني آثرت ابني بالتبني على ولدي من صلبي** " .[2]

– **القبيلة النوميدية**

لم تكن القبيلة في هذه المرحلة سوى عائلة كبيرة تنضوي تحتها مجموعة من الأسر الصغيرة التي تنتمي لجد مشترك ، وتشكل كل قبيلة مجتمعا مصغَّراً له أملاكه

---

( 1 ) *– Ibid , P. 56 .*

( 2 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، ص. ص. ( 20 –21 ) . **للمزيد من المعلومات انظر** : سالوستيوس ، المصدر السابق تر : محمد العربي عقون ، ص. 81 .

ونشاطه الاقتصادي المميز له ، وخلال القرن الثاني ق.م ازدادت روابط القبائل الماصيلية فيما بينها وكذلك القبائل الماصيصيلية ، واتحدت في نسيج واحد هو النسيج النوميدي .

إنَّه لا توجد إشارات إلى أسماء هذه القبائل ولا عاداتهم ولا مواطنهم كما فعل هيرودوتس مع القبائل اللوبية ، ففيما عدا ذكر القبائل المحيطة باتحاد الماصيل لا نجد عند بلينوس الكبير و الجغرافيين استرابون وبطليموس ما يفيد حول قبائل الاتحاد الماصيلي .

أما فيما يخص القبائل المجاورة فقد انتشرت هذه القبائل في شمال غرب المملكة النوميدية ، ومن الواضح أنها لم تكن تابعة لسلطة أسرة مسنسن ، وعددها قليل – وقد سبقت الإشارة إليها – هي : " السبربر– ***Sabarbares***" و " نسيف – ***Nicives***" و"الناتابوديون– ***Nattabudes*** " و " القبصيون – ***Capsitani*** " و" المزالنة – ***Misulani*** " . وقد استقرت بعض هذه القبائل في القرى ، أما القبائل كبيرة العدد فمنها التي استقرت في المدن الداخلية ومنها التي بنت مدناً جديدة.

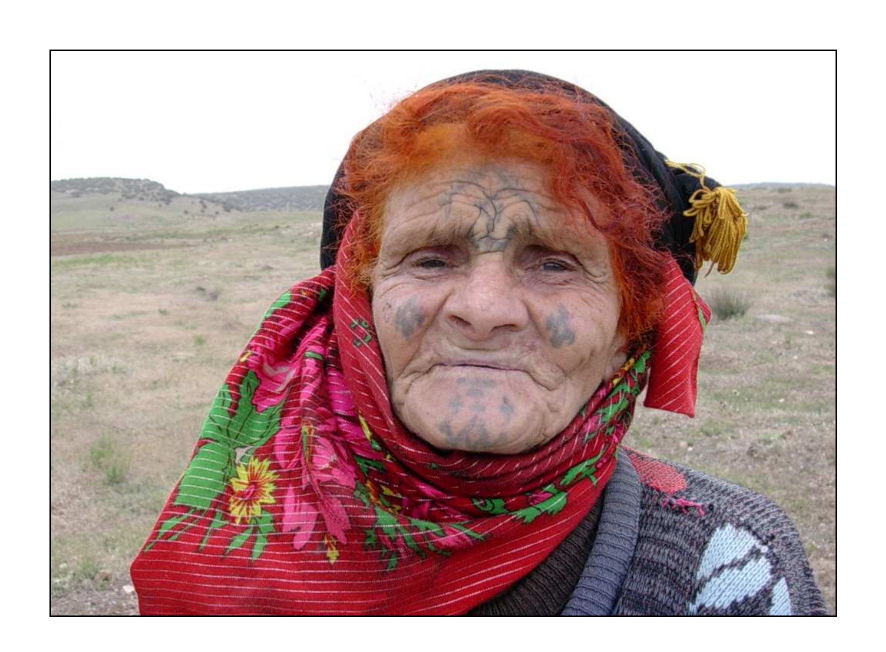
## ج – رصد لبعض القيم والتقاليد الريفية المعاصرة التي لها مدلولات تاريخية ( الوشم أنموذجاً )

### – المفهوم السوسيوتاريخي للوشم

يعد الوشم ظاهرة اجتماعية تدخل ضمن آداب السلوك الاجتماعي ،حيث أنه يرتبط بالجسد الموشوم يحيا بحياته ويموت بموته، كما يشكِّل جسرا للربط بين ماهو روحي ومادي في الجسد ذاته ، واشتهرت به المرأة النوميدية .

كذلك للوشم رمزية اجتماعية وسياسية قوية، فهو يشكل أساس الانتماء الاجتماعي وركيزة الإحساس بالانتماء الموحد، والشعور بالهوية المشتركة والتي ساهمت في ضمان حد كبير من التناغم بين كافة أطراف القبيلة.

كما أن الوشم يحيل على هوية واضعه وانتمائه القبلي، شانه في ذلك شان الزخارف النسيجية المبثوثة بشكل خاص في الزرابي والألبسة الصوفية ، وهو عبارة عن مجموعة من العلامات ورموز هندسية تبشر بالنضج الجسمي للمرأة ، ولم يكن



الشكل رقم ( 55 ) :

صورة فوتوغرافية تبين وجه عجوز عليه أشكال متكاملة العناصر للوشم البربري المعاصر في منطقة الأوراس

تصوير : الباحث م. ش . حسين .

الوشم مجرَّد متعة وزينة ، بل إنَّه كان مرتبطًا ارتباطًا عميقًا بما هو من صميم الهوية المحلية و المكانة الاجتماعية .

أما في المغرب القديم كانت تمارسه الكاهنات ، وينجز في أجواء طقوسية مفعمة بالدلالات الروحية ، ويقصد به استجلاب نِعَم الآلهة تانيت ورضاها واتقاء نقمتها وغضبها .

لقد اهتم بعض المؤرخين كثيرا بظاهرة الوشم عند المرأة محاولين تتبع أصوله في العصور القديمة بدءاً من لونه ووصولا بقيمته ، فوجدوا أن قبائل التحنو كانت تمارسه . وكانت المرأة تعتبره ذي شأن في حياتها ، و قد ارتبطت أشكاله بشكل الآلهة ومدلولاتها .[1]

على كل ، يعد الوشم ( التكاز بالأمازيغية المعاصرة) مظهرا تاريخيا حيا بين أبناء المجتمع الريفي المغاربي لأيامنا هذه ، و استمراريته دليل على ممارسته منذ أقدم العصور .[2]

- **<u>تواصل بعض عادات الدفن في المجتمعات الريفية المعاصرة</u>**

تجدر الإشارة إلى أن هناك الكثير من القيم و التقاليد الريفية المعاصرة المتعلقة بالدفن و التي لا تزال متداولة لحد الآن و لها جذورها المغرقة في القدم ، وقد حاول بعض المؤرخين من المدرسة الاستعمارية و منهم ستيفان جزال ( ***St. Gsell***) وغابريال كامبس ( ***G.Camps***) وموريس ريغاس ( ***M.Reygasse*** ) و ريموند

---

( 1 ) - *J. Herbert , " Les Tatouages Nord Africains " , R.Af. ,V: 72 , 1931, P. P. ( 66 – 77 ).*

( 2 ) اهتم المؤرخ محمد حسين فنطر برصد ظاهرة الوشم داعيا الباحثين إلى إجراء دراسات نظامية يكون قوامها رصد الظاهرة على صعيد مغاربي واستقراء ما قد تطرحه من قضايا مادية ودلالية معنوية مهمة في التاريخ الاجتماعي . أنظر : محمد حسين فنطر ، اللوبيون ... ، ص . 55 . ***وانظر الدراسات الآتية*** : فاطمة الزهراء الزعيم ، الوشم ( تميز هوياتي و نضج جنسي ) ، مجلة هسبريس ، الرباط ، جوان 2008 ، متاح على الرابط : www.hespress.com ، تاريخ الزيارة : 2008/10/12 ، و : محمد المختار العرباوي ، " في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية " ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ع : 398 ، دمشق ، 2005 ، ص .6 . متاح على الرابط : www.awu-dam.com ، تاريخ الرفع : 2007/02/23 . و : *- E. Gobert , " Note de la région de Gafsa " , Rev.Tun. , 1911 , P. P. ( 32 – 39 )* ، sur les Tatouages Indigènes و : -Herber , " Le Tatouage du dos de Maroc " , R. Afr. , 1947 , P. 118 . و تجدر الإشارة هنا إلى أن دراسة المؤرخ عليها ألا تتجاوز البحث في تواصل ظاهرة الوشم عبر العصور لا البحث في مدلولاتها ورموزها الحالية ، لأن الإسلام هذب البربر وأزال هذه العادة ، ولكن استمراريتها من باب العرف وليس الدين .

فوفري ( **R. Vaufrey** )[1] انتهاج أسلوب المقارنات والمقاربات السوسيو تاريخية في رصد تلك العادات لكن انحصر ذلك في مجالات محددة.

رغم ما تنطوي عليه تلك المقاربات من مخاطر تستدعي توخي الحيطة والحذر ، فإن الأنثروبولوجيا لا تزال تقدم شروحات لفهم بعض ما خفي من حياة المجتمعات الهامشية في المصادر التاريخية ، وخاصة بالنسبة للمجتمعات الريفية في الأراضي النوميدية .

هذا و تعتبر عملية رصد العادات الدينية أصعب في الدراسة من العادات المرصودة في طقوس الأحوال الشخصية ، والتي من اليسير تتبع الكثير من مظاهرها في المجتمعات الريفية المعاصرة بسبب قوة المعتقد .

لكن بقاء هذه العادات إلى يومنا هذا لا يعكس قوة الشعائر القديمة ، وكذا استفحالها بين أبناء المجتمع بدعوى الجهل ، بقدر ما يعكس سماحة مبادئ الدين الإسلامي وتلطفه بالشعوب التي اعتنقته في السماح لمن غلب عليهم الإيمان بالعرف بمواصلة استخدامهم لمثل هذه العادات .

إن هناك ثلاث حالات في الصورة الدينية للعادات الجنائزية المعاصرة هي :

- الأولى : تتعلق بعبادات وممارسات دينية مندثرة .
- الثانية : تتعلق ببدع المآتم .
- الثالثة : تتعلق ببعض العادات والتقاليد التي لم ينافيها الإسلام .

إن روح الإسلام لم تجمد العادات الموروثة فقد انتقل الكثير منها عبر الزمن ، مما أمكننا أن نلاحظه بسهولة تامة ، وهو جوهر المقاربة التاريخية الأنثروبولوجية .

وقد قمنا من خلال عينة دراسية برصد عشرين مأتم تفصيلي في قبائل مختلفة من منطقة تبسة ( إيكاتومبيلوس النوميدية ) وضواحيها فيما بين سنة 2004 و2008 ، والنتائج كانت نسبية في المجتمع الريفي الانقسامي الذي يمثل بدوره عدة مجتمعات مونوغرافية متشابهة إلى حد كبير في عاداتها وتقاليدها المعاصرة .

---

( 1 ) **للمزيد من المعلومات انظر :** *St.Gsell , H.A.A.N., T: I , 243;G.Camps , Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri , Libyca , T: VI , 1958-1959, P.P. ( 229-242) , M.Reygasse , Monuments funéraires préhislamiques de l'Afrique du Nord , Arts et Métiers Graphiques , Paris , 1950 , R.Vaufrey , " Le Capsiens des environs de Tebessa " , T: I , Rec . de Cne. , 1936, P.150.*

إن الملاحظة الأساسية التي سجلناها في مجال المعتقد الديني هي ظاهرة التبــرك بالأجداد التي لا تزال قائمة لحد الآن .

أما في مجال عادات الدفن فقد ظلت بعض العادات قائمة مثل وضع السكين علــى جسد المتوفي ، وكساؤه برداء أحمر ، والطواف بالجثة قبل إخراجها من البيت ، وكذا الدفن في المقابر العائلية ، ثم تزويد القبر بحفرة للسوائل ، وهي كلها ممارسات ثبــت القيام بها في الأضرحة الجنائزية ببلاد المغرب القديم من خلال الأثاث الجنائزي الــذي عثر عليه في تلك الأضرحة.[1]

**خلاصة لما سبق ،** فإن الدارس للتاريخ الاجتماعي عليه أن يتوخى العلميّة عند الدراسات السوسيو تاريخية للتفريق بين ما هو سوسيولوجي وما هــو تــاريخي ، وأن ليس كل ما هو في العرف المعاصر ذي أصول عتيقة في بلاد المغرب القديم ، وليست بعض الظواهر المعاصرة نوميدية المنشأ والهوية .

---

( 1 ) **للمزيد من المعلومات حول الأثاث الجنائزي و الشعائر وطقوس الدفن انظر :** رابح لحسن ، أضرحة الملوك النوميد والمور ، ط . 1 ، دار هومة ، 2004 ، ص. ص. ( 213 ، 229 ، 257 ، 271 – 277 ) .

# الفصل الثاني

# مظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي

**أولا – أهـم الـمـدن والـقـرى الـنومـيدية .**
**ثانياً – مـظـاهـر الحـيـاة الـيومية في الـمجـتـمع النُّـوميدي .**
**ثالثاً – التنظيم الاجتماعي المعاصر للنوميديين ( الموريون و الجيتوليون).**

شغل المجتمع النوميدي بعد الاستقرار الذي تحقق له بفضل سياسة الملك مسنسن وأسرته في توطين وتمدين النوميديين فضاءات متنوعة ، فأفراد القبائل الصغيرة ظلوا يقطنون في الأرياف والقرى الصغيرة .

أما أفراد القبائل الكبرى المتحالفة ضمن الاتحادات ، فقد استقرت في المدن الداخلية ذات الأصول اللوبية ، والتي كانت هذه الأخيرة في فترة سابقة قرى كبيرة منضوية تحت الحكم القرطاجي ثم أصبحت تابعة لنوميديا ، فسمح لها ذلك بظهور مجتمع مدني نسب إلى مدنه فمثلا هناك المجتمع السيرتي الذي ينسب إلى سيرتا ، وهناك المجتمع الدقي الذي نسب إلى مدينة دوقة ، ولكل منهما خصائصها السياسية والإدارية والاقتصادية المميزة لها ، والتي تم التعرف عليها من خلال الشواهد الأثرية.

## أولا – أهم المدن والقرى النوميدية

### 1 – أنواع مفهوم المدينة و نظامها الإداري

كانت المدن النوميدية العائدة إلى القرنين الرابع والثالث ق.م ذات طابع زراعي ورعوي ، تتبادل منتوجاتها الرئيسية عن طريق المقايضة ، سواء أكان ذلك في مجال محيطها الداخلي أو مع المدن البونية الساحلية .[1]

المدينة النوميدية هي تجمُّع بشري متكون من اتحاد قبلي منضوٍ في تجمعي الماصيل و الماصيصيل ، في رقعة استراتيجية يسهل فيها الاستقرار .

قبل ذلك ، كان القرطاجيون قد أسسوا مدنا كثيرة على طول ساحل بلاد المغرب القديم وتعايشوا مع سكانها الأصليين ، كما ساهموا في بناء وتنمية مدن أخرى وجدوا بها قبائل لوبية فتمازجوا معهم عن طريق المتاجرة والمصاهرة .

بناء على ما سبق ، تعد المدن الداخلية من تأسيس محلي خالص ، أما القرى فكانت الأكثر انتشاراً و كان النوميديون يفضلون السكن فيها لقربها من أراضيهم الزراعية .

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، المملكة ... ، ص . 148 .

شكَّلت المدينة أساسا مركزا سياسيا واقتصاديا ، يحكمها رئيس من أسرة ثرية أو من أسرة لها علاقات وارتباطات مع العائلة الحاكمة .[1]

**أ – <u>أنواع المدن النوميدية ونظامها الإداري</u>**

إذا أردنا تصنيف المدن النوميدية حسب **موقعها الجغرافي** ، فإنه يمكننا التمييز بين نوعين من المدن هما :

– **<u>المدينة الساحلية ذات الأصول الفينيقية</u>**

هي مدن ساحلية أسسها الفينيقيون واستقروا فيها ، وكانت أميـل إلـى تحقيـق الاستقلالية والانفصالية ، تأثرت بالأنظمة السائدة في شمال الحوض المتوسط فسعت إلى تطبيق نظام دويلة المدن ، كروسيكاد .[2]

– **<u>المدينة الداخلية ذات الأصول اللوبية</u>**

تميَّزت المدن اللوبية بثقافتها الليبو نوميدية ، وكان سكانها يتداولون فيما بينهم اللغة البونية إلى جانب اللغة اللوبية ، وكانوا يكتبون بالخط البوني الجديد ( ***Le Néopunique*** ) وشاع ذلك بشكل خاص في مكثر ***<u>( انظر الشكل رقم ( 56 ) . ص . 288)</u>***

أما حسب **التنظيم الإداري** الذي كان متبعاً من طرف الإدارة النوميدية ، فقد صنفت المدن المشار إليها آنفاً إلى :

– <u>المدينة العاصمة</u> : مثل سيكا ( الكاف بتونس حاليا ) و سيرتا وكان يشرف عليها الملوك والأمراء إشرافا مباشرا .

– <u>المدينة القرية</u> : كانت ذات تسيير بلدي كماكتاريس ، وحكم فيها الأسباط .[3]

هذا و قد اعتمدت أسرة الملك مسنسن في إدارتها لشؤون المدن على ثلاثة أنواع من الأنظمة الإدارية هي :

**1**- <u>نظام الإدارة المركزية</u>

كانت العواصم تسيَّر من قبل الملوك وأبنائهم .

---

( 1 ) *– S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P.252 .*
( 2 ) *– F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit. , P. 87 .*
( 3 ) *– G.Camps , Op. – Cit , P. 255 .*


مظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي

( ب )　　　　　　　　( أ )

( د )　　　　　　　　( ج )

<u>الشكل رقم ( 56) :</u>

**نقوش مكتوبة بالخط البوني الجديد في مكثر تعود إلى القرن الأول ق.م**

**( أ ) : نقيشة معبد عشترت من مدد محفوظة في مستودع مكثر بالخط البوني الجديد .**

**( ب ) : نقيشة على نصب من مكثر تبين مدى التغيير الذي طرأ على اللغة البونية في الأرياف النوميدية .**

**( ج ) : نصب نذري موجه للإله بعل من مكثر .**

**( د ) : نقيشة عثر عليها في هنشير مدد بمكثر.**

<u>نقلا عن</u> : محمد حسين فنطر ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، ص. ص. ( 54،53،144،110).

2- نظام الإدارة القبلية

كان يسيِّر المدن الصغيرة و القرى الداخلية ذات الأصول اللوبية ، وهذا النوع منتشر بكثرة ، حيث تركز السواد الأعظم من السكان في شكل قبائل ، وكل رئيس مسؤول عن إدارة قبيلته ، وكان معظمهم يمتهن الزراعة والرعي ، وتكلموا اللهجة اللوبية كسكان كالاما ( قالمة حاليا ) .

3- نظام الإدارة البلدية

كان يسيِّر بعض المدن الداخلية القوية ، التي خضعت شرفيا للمملكة ، فمن جهة لها الحرية في تسيير شؤونها البلدية باستقلالية عن العاصمة ، ولها الولاء الظاهري والتأثر الديني والثقافي من جهة أخرى كدوقة وتيفست .

**ب – نماذج من أهم المدن النوميدية ذات الأصول اللوبية**

ذكر المؤرخ ستيفان جزال أنه لا تخلُ المصادر الكتابية كنصوص بوليبيوس وتيتيوس ليفيوس وسالوستيوس من التأكيد على وجود مدن كثيرة نوميدية ، وأن بعض المدن الرومانية قد شيدت على أنقاضها ، ومن أشهرها كرتن وسيكا و دوقة وتيفستيس و كالاما و مكتاريس و بونة و ألتيبوروس و كابسا و تيجيزيس و غيرها كثير .

أما المصادر المادية التي يمكنها أن تؤكد تلك الفرضية التاريخية فهي نادرة ، ومعظمها من المصادر غير المنقولة كالأبنية التي ضاعت معظم ملامحها ومنها على سبيل المثال ضريح الملك صفافس بسيغا ، و تلك المصادر التي ينبغي أنه تكون تتناول سيرورة الحياة اليومية شبه منعدمة في نوميديا على وجه الخصوص .

إنه باستثناء الأضرحة الجنائزية الكبرى كضريح ومعبد دوقة وضريح المدراسن والصومعة لا توجد شواهد أثرية على البناء النوميدي ، إذ تبقى مدينة كرتن حاضرة بقوة في المصادر على أنها عاصمة مملكة نوميديا الموحدة .[1]

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أضرحة السرت كضريح صبراطة .[2]

(1) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P.275 .*

(2) – F.Racob , Architecture Royale Numide , trad. Par: P.Veyne , Pub. E.F.R. , 1976 , P.P. ( 326-347). Sur le site web : www.publications-école , Le : 03/10/2008.

- **<u>كرتن ( سيرتا – *Cirta*)</u>**

عرفت مدينة كرتن النوميدية باسم سيرتا منذ عهد الاحتلال الروماني ، وهي عاصمة المملكة النوميدية ، وأصل تسميتها فينيقي ( ق ر ط ) أي المدينة الحصينة ، وأشير إليها في المصادر على أنها مدينة كبرى مكتملة الملامح الحضارية منذ القرن الثالث ق.م .

كانت الثقافة البونية هي السائدة بين سكان كرتن ، حيث كتبوا بالبونية وتكلموا باللوبية ، ويذكر المؤرخ فنطر أن سترابون قد أشار إلى وجود خزينة المملكة النوميدية كانت قد احتوت على نفائس مدهشة .[1] لكن المستمسكات المادية على سيرتا تظل غائبة ، لأننا لا نعرف – لحد الآن – لا نعرف كيف كانت الأحياء السكنية في المدينة أو نمط البيوت في المدن ذات الأصول النوميدية ، لكن يمكن القول أن الأرياف المعاصرة ذات الأصول النوميدية قد احتفظت لنا بأشكال عن المنازل الحجرية والتي يوحي بناؤها بنمط قديم كان سائدا ومنتشرا في تلك المناطق . *<u>( انظر الشكل رقم (57 ) ص.291 )</u>*

لقد عاش سكان مدينة كرتن حياة مميزة ، ودليل ذلك أنه قد تسنى لهم أن يكونوا مجتمعا مدنيا مستقرا على غرار المجتمع القرطاجي عرف بالمجتمع السيرتي ، وصل إلى تطوُّر ديني وثقافي كبير خلال القرن الثاني ق.م .

- **<u>دوقة ( *Thugga – Dougga*)</u>**

أفادتنا المصادر النقوشية بمعلومات مهمة حول مدينة دوقة ، ونقصد بذلك نقشا دوقة الأولى والثانية مزدوجا الكتابة بونية –لوبية ، كانتا قد عثر عليهما بمعبد وضريح المدينة بمعلومات نفيسة حول التنظيم الإداري والتمسك بالثقافة البونية وتداول اللوبية وثراء الطبقة الاجتماعية وتمدنها ، و لقد ورد اسم المدينة بحروف لوبية كالآتي " ت ب ج ج " ، حيث وردت في نص النقيشة كما يلي :

النص اللوبي :

السطر السادس : ص ك ن . ت ب ج ج . ب ن ي ف ش ن . م س ن س ن .

النص اللوبي :

السطر السابع : ج ل د ت . و ج ي ي . ج ل د ت . و ز ل ل س ن . ش ف ط .

---

(1) – *F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit. , P. 240 .*

مظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي



( أ )



( ب )



( ج )



( د )



( هـ )

الشكل رقم ( 54 ) : بيوت معاصرة ذات منشأ نوميدي في منطقة إشوقان بالأوراس

( أ ) : منظر عام لتوضع التجمعات السكنية في المنطقة .

( ب ) : نموذج منزل مبني بالحجارة بابه باتجاه الشرق .

( ج ) : دعامات خشبية داخلية للسقف .

( د ) : قفل خشبي للباب الرئيسي به ثلاث مسننات .

( هـ ) : مدفأة جانبية عليها صحنان مزدان أحدهما برسوم هندسية .

تصوير : م.ش. حسين .

معنى النص :شيد سكان دوقه من بني فشن معبدا للإغليد ماسينيسابن جايا بن السبط زلالسن.[1]

يمكن أن يستشف من النص السابق أن النظام البلدي لدوقة في عهد مكوسن دقيقا ومنظما ومراعيا لأصول الحكم النوميدي العتيق ، إذ ساد بها نظام السبط ( الشوفيت ) الذي عبر عنه في السطر السابع باللوبية " ش ف ط " ، وكان فيه مجلس الأعيان ، وقد اختلف عن التنظيم القرطاجي في الكثير من التفاصيل مما يسمح بالقول أن التأثير البوني كان هو الظاهر والتنظيم النوميدي ذي الملامح اللوبية هو الأصل .[2]

– **تيفستيس ( *Thévestis* )**

تعد من أهم المدن في إقليم الماصيل الشرقي ، أسسها اللوبيون منذ القرن الرابع ق.م ، وأصبحت مدينة كبيرة خلال القرن الثالث ق.م ، ذكرها ديودوروس الصقلي في كتابه الرابع والعشرين باسم " إيكاتموبيلوس " ، وقد كانت مدينة حصينة خلال الحرب اللوبية 237 ق.م .[3] حيث أن القائد القرطاجي حنون أخذ منها 3000 رهينة افتداهم أهاليهم فيما بعد ، وهذا دليل على ثراء سكانها و تأمينهم لمبالغ الفدية .[4]

لكن الملاحظ أن تيفستيس النوميدية قد زالت معالمها تماما واستحالت معالم رومانية ، أما الأرياف في ضواحي تيفست فتبقى منطقة تازبنت شاهدة بمدرجات الزراعة على أنها ذات أصول نوميدية .[5]

## 2– نماذج من مجتمع المدن النوميدية

### أ – المجتمع المدني الكرتي ( السيرتي )

هو المجتمع الحضري الذي تحول أفراده إلى حياة المدينة ، فكان أن اختلفت نشاطاته المعيشية وموارده الاقتصادية و تركيبته الطبقية ، فتحوّل إلى مجتمع كبير بعد أن كان ينتمي إلى المجتمع القبلي الريفي ، و سمي كذلك نسبة للمدينة التي استقر فيها

---

( 1 ) – *J.B.Chabot , Op.-Cit. , P .3.*
( 2 ) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P. P. (263-264 ).*
( 3 ) – *G.Camps , Op. – Cit , P. 43 .*
( 4 ) - *Ibid , P. 42 .*
( 5 ) – *Ibid , P.72.*

كما مارس معظم أفراد المجتمع السيرتي وظائف قارة لا يحتاج أصحابها للتنقل كما هو الحال بالنسبة إلى أفراد المجتمع الريفي مثل وظيفة رئيس المشاطرة أي الضابط .

لقد كشفت تلك النصب من خلال النصوص الموجودة في نقائشها على الوظائف والمهن التي كان يمارسها الأفراد السيرتيون ، إذ ورد في نقيشة نصب بوني محفوظ في متحف سيرتا الوطني تحت رقم (***C.P783.3***) مستخرج من معبد الحفرة مهنة النجار .[1]

إضافة إلى ما سبق هناك نقوش أخرى ذكرت مهنا ووظائف إدارية ثم عسكرية ودينية واجتماعية مثل الكاتب والضابط السامي والكاهن و الطبيب .

كان المجتمع السيرتي على درجة من التدين والحفاظ على التقاليد البونية ، إذ تشير نقوش معبد الحفرة إلى قيمة تدين الرجل والمرأة السرتيين ، حيث كانت جل النصب مهداة إلى الإلهين الرسميين " بعل حمون " و " تانيت " بهدف كسب الرضى والبركة . ***<u>( انظر الشكل رقم (58 ) . ص .294 )</u>***

هذا و تجدر الإشارة إلى أن النصب البونية تعد وثائق مصدرية مهمة جدا تكشف عن جوانب طالما تناولتها المصادر الكتابية باقتضاب .[2]

## ب – <u>المجتمع المدني في مدينة دوقة</u>

هو مجتمع حضري ، امتهن أفراده مهنا راقية إلى جانب المهن الشائعة كالفلاحة والرعي ، و قد أفادنا نقش دوقة الثاني في معرفة بعض تلك المهن والوظائف التي كانت خلال القرن الأول ق.م ، و ذلك من خلال النص النقوشي الآتي :

– السطر التاسع :

الترجمة بالعربية : و ت ن ك و . م ص ص ك و . م ج ن . و ي ر ش ت ن.

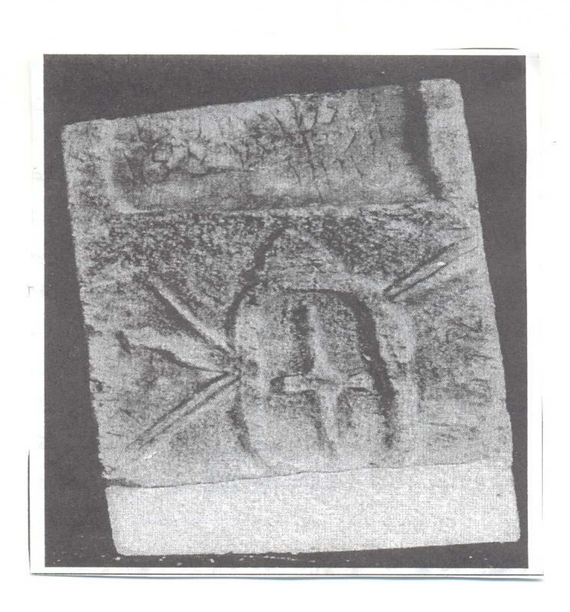
– السطر العاشر :

الترجمة بالعربية : و س د ي ل ن . ج ز ب . م ج ن . و ش ف ط ي.

---

( 1) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . ص . ( 252 – 253 ) .

( 2) **للمزيد من المعلومات انظر :** الفصل السادس من المرجع نفسه ، ص. ص. ( 221 –261 ) .







**الشكل رقم ( 58 ) :**

**نقوش بونية من معبد الحفرة سطِّر عليها حرف ووظائف مارسها النوميديون خلال القرن الأول ق .م هي رئيس المشاطرة (الضابط )والنجار والسباك**

**نقلا عن : محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميدية ، ص. ص. ( 245،236،253).**

- السطر الحادي عشر :

الترجمة بالعربية : و ش م ن . ج ل د ت . ج ل د ج م ي ل . ز م ر.[1]

إن الملاحظ من النص أن كلمة " مصصكوي " اللوبية تعني المهندس ، واسمه " مجن بن يرشتن بن سديلن " وهو مصمّم شكل ضريح دوقة ، وكلمة " ج ز ب " اللوبية تعني مموّل بناء الضريح ، ويقصد بها – في أيامنا –المقاول ، وهناك مهن أخرى مثل " جلد جمل " وتعني المسؤول عن الجمال واسمه " زومار بن مسنف بن عبد أشمون " ، إضافة إلى ذلك كانت هناك وظائف عسكرية وردت في نهاية النص مثل " ربتمات " وتعني قائد المائة ، و " أدحمش " وتعني قائد الخمسين .[2]

كما يشير النص إلى الوفاء لأسرة الملك مسنسن التي مدَّنتهم وأعطتهم الحرية والاستقرار وهذا هو سبب بنائهم للضريح .

أما عن المجتمع التيفستي في العهد النوميدي فإنه من المحتمل أن يكون مجتمعا فلاحيا ، ولحد الآن لا توجد شواهد كتابية تتناول شيئا عن ذلك المجتمع في تلك الفترة ما عدا مجموعة ماسكري ( ***Masqueraye*** ).[3]

## ثانياً – <u>مظاهر الحياة اليومية في المجتمع النوميدي</u>

### 1- <u>أنماط المعيشة الاقتصادية</u>

#### أ – <u>الفلاحة النوميدية</u>

عاش الإنسان النوميدي إنسانا منتجاً ما بين القرنين الثالث والثاني ق.م ، أي في فترة حكم الأسرة الماصيلية ، وذلك بفعل سياسة اقتصادية قوية ومحكمة أملاها

---

( 1 ) – *J.B.Chabot , Op.-Cit. , P .3.*

( 2 ) -*Ibid , P. 03 .*

( 3) ***<u>مجموعة ماسكيري</u>*** : احتفظ ماسكيري ضمن مجموعاته الخاصة بالنقوش اللوبية التي عثر عليها بتبسة ، و قد قمت بمسح أثري في مختلف المناطق الريفية الأثرية في تبسة ، ولم أعثر سوى على مسكوكات رومانية وحجارة مصقولة مهيئة للكتابة في قسطل ، كما لا يحتوي متحف مينرف على نقوش لوبية أو مسكوكات نوميدية للعرض ، فباستثناء ثماني نقائش لوبية يشير إليها شابو أنها منسوخة عن مجموعة ماسكيري لا تحتوِ في مضمونها إلا على أسماء أعلام ، فإنه لا يمكن للباحث التاريخي الجزم بوجود المهن نفسها التي كانت ممارسة في دوقة . ***<u>للمزيد من المعلومات انظر</u>*** : *- Chabot , Op . – Cit , P. x.*

مسنسن على أبناء شعبه ، رغم أنه كان بغير منأى عن الصراع الذي كان دائرا بين قرطاجة والإمبراطورية الرومانية .

لقد احتوت المصادر الكتابية على إحصاءات تشير إلى كمية الإنتاج الزراعي ووفرته ، مما يعكس أن النوميديين كانوا متفانين في عملهم .

لقد كان التطور الزراعي سبباً في امتهان النوميديين الزراعة ، وهو ما أدى إلى زيادة الإنتاج الفلاحي ، حيث كانت الحبوب هي المنتَج الأول الذي اشتهرت بها الأراضي النوميدية وخاصة القمح والشعير[1] ، وقد ذكر جزال عن تيتيوس ليفيوس أن الملك مسنسن كان يمون الجيش الروماني بما لا يقل عن مائتي ألف صاع من القمح فيما بين( 200 ق.م – 170 ق.م ) وهي من أجود الأنواع ، وهذا ما يدل على أن النوميديين قد امتهن معظمهم الزراعة وحذقوا فنونها . [2]

كما زرع النوميديون إلى جانب الحبوب الخضر ، وخاصة في المدن الثلاث ( كرتن ، تيفست ، دوقة ) ، وقد تناول بالتفصيل بلينوس القديم أنواع الخضر التي زرعها النوميديون وهي البصل والثوم والخرشف والقرع ، هذا إضافة إلى الفواكه التي اقتبسوا زراعتها عن القرطاجيين وهي التين والعنب واللوز. [3]

رغم انتشار الزراعة فإن ذلك لم يمنع استمرار الحياة الرعوية كحرفة رئيسية للكثير من النوميديين ، فالذين امتهنوا الفلاحة لم يقلعوا عن الرعي ، ذلك أن الزراعة لا تتطلب العمل إلا خلال فترتين في العام ، فكان من السهل أن يجمع النوميدي بين الفلاحة والرعي .[4]

تميزت المنطقة بكثرة قطعان الماشية حيث ذكر بوليبيوس في هذا الصدد ما يلي : " في هذه البلاد توجد الخيول والأبقار والأغنام والماعز و هي من الكثرة لدرجة أنني لا أعتقد أن لها مثيلا في باقي الأرض " وهذا ما يدل على اهتمامهم بتربية الحيوانات .[5]

– **<u>حياة الرعاة</u>**

( 1) محمد الهادي حارش ، التطور السياسي ... ، ص . ص. ( 110 – 111 ) .

(2 ) *- Tite- Live , T: XXXI – XXXVI*

(3 ) *- Pline l'Ancien ,T*: XIX , 22 .

( 4) محمد الهادي حارش ، التطور ... ، ص. ص. ( 111 – 113 ) .

( 5 ) *- Polybe , T : XII , P . 3.*

ظل النظام القبلي هو السائد في القرى والأرياف ، فكان هناك رعاة شبه مستقرين يقومون بتنقلات محدودة بين السهول شتاء والمرتفعات صيفا كانوا يربون الأبقار والخيول إلى جانب الأغنام، أما الرُّحَّل فكانوا دائمي التنقل بحثا عن الكلأ والماء وكانوا يربون الأغنام أيضا والماعز والحمير . [1]

- **تربية الخيول**

أوْلى النوميديون عناية كبيرة بتربية الخيول التي كانت من سلالة ممتازة كما كانوا يحرصون على امتلاكها فكانت تعرف منذ القديم بالخيل النوميدي ، وقد كان مستنبعل شقيق مكوسن مهتما بتربية الخيول النوميدية من السلالة الممتازة ، ونظرا لتربيته الهلِّينية كان مولعا بسباق الخيل ، وقد ذكر المؤرخ ستيفان جزال أن مستنبعل كان قد أحرز مرتين على جوائز نظير فوزه في الألعاب الأثينية في سباق الخيل .[2] و نستنتج أن الخيول كانت وسيلة نقل هامة اقتناؤها دلالة على الفروسية والشجاعة ، كما عرف عن الخيالة النوميديين أنهم بواسل في الحروب . *( انظر الشكل رقم (59 ) . ص .298 )*

**ب - أهم الصناعات والحرف**

شغل مجتمع القرى والمدن الصغيرة مهنة الفلاحة و الرعي ، وشغل مجتمع المدينة إلى جانب الفلاحة مهنا كثيرة ، و أهمها :

- **صناعة الفخار**

شاع في أسواق نوميديا نوعان من الفخار :

- أولهما : الفخار الفينيقي البوني الذي كان يجلب من المدن الساحلية .
- ثانيهما : الفخار المحلي المعروف بالفخار النوميدي .

تعد صناعة الفخار أصيلة في المغرب القديم ، ولم يكن ليختلف في طريقة صناعته عن الفخار الفينيقي البوني من حيث استعمال الدولاب والشي في التنور ، وإنما الاختلاف كان من حيث الطلاء والتلوين ،و لم يرسم الخزاف النوميدي صورا

---

( 1) محمد الهادي حارش ، التطور ... ، ص. ص. ( 112 – 113 ) .

( 2) *– S. Gsell , H. A.A.N. ,T. V , P.182 .*





الشكل رقم ( 56 ) :

استمرارية الخصائص المورفولوجية للحصان النوميدي ، من خلال مقارنة تبين التشابه الكبير بين حصان في رسم صخري يعود لمرحلة الحصان بالأهقار ، وحصان معاصر من منطقة الشافية .

**تصوير : الطالبة الباحثة .**

جسدت مشاهد آدمية أو حيوانية أو نباتية كما فعل الفخاري الفينيقي على أدواته ، وإنما اكتفى الصانع بالتزيين الهندسي ، وهي السمة المميزة له عن فخار العالم القديم [1].

لقد لبَّت المصنوعات الفخارية الحاجات الدينية والدنيوية للفرد النوميدي ، فمن حيث الاستخدام كان هناك فخار نذري وفخار عائلي ، ومن حيث التقنيات كان هناك الفخار المزخرف والفخار البسيط .[2] ***( انظر الشكل رقم (60 ) . ص . 300 )***

هكذا استخدم النوميديون في شتى مجالات حياتهم اليومية ، فصنعت منه الأواني المختلفة كالجرار و الأباريق و الصحون و الأثاث الجنائزي – كما سنشير إليها لاحقا – ، فكان صناعة رائجة حيث عرف عن تيديس أنها مدينة الخزّافين.

- **الحدادة**

كان لمهنة الحدادة أهميتها الكبيرة ، وبخاصة في مجال إنتاج أدوات الزراعة كالمحاريث والمناجل ، وكذلك في صناعة الأسلحة وخاصة الرمح الذي كان السلاح الرئيسي للجنود النوميديين ،[3] والسيف والخنجر ، والخوذة والدرع . و كانت أدوات هجومية و دفاعية [4] . ***( انظر الشكل رقم (61 ) .ص.301)***

كما احتوت النقوش البونية على رسومات لبعض هذه الأسلحة ، مما يدل على أن السيف والدرع هما السلاحان الرسميان في الجيش النوميدي .

هذا وقد مثلا على نصب يحمل نقيشة نذرية من معبد الحفرة تحتل وسطه صورة درع وسيف ويفيد معنى النقيشة البونية أن هذا النصب مهدى من طرف ضابط عسكري اسمه " حملك " إلى الإلهين بعل حمون وتانيت .[5]

أيضاً هناك مهن أخرى كالنجارة والنقش على النصب ، حيث حظي النقاش بمكانة ممتازة في المعابد ، و هذا أكبر دليل على أن المجتمع النوميدي كان على درجة من التطور والازدهار .

---

( 1) محمد حسين فنطر ، " صناعة الطين المفخور في قرطاج " ، مجلة أدوماتو ، ع: 1 ، الرياض ، 2000 ، ص . 60.

( 2) محمد الهادي حارش ، التطور ... ، ص . 128 ؛ *S. Gsell.H.A.A.N.,T:VI,P.66.* -

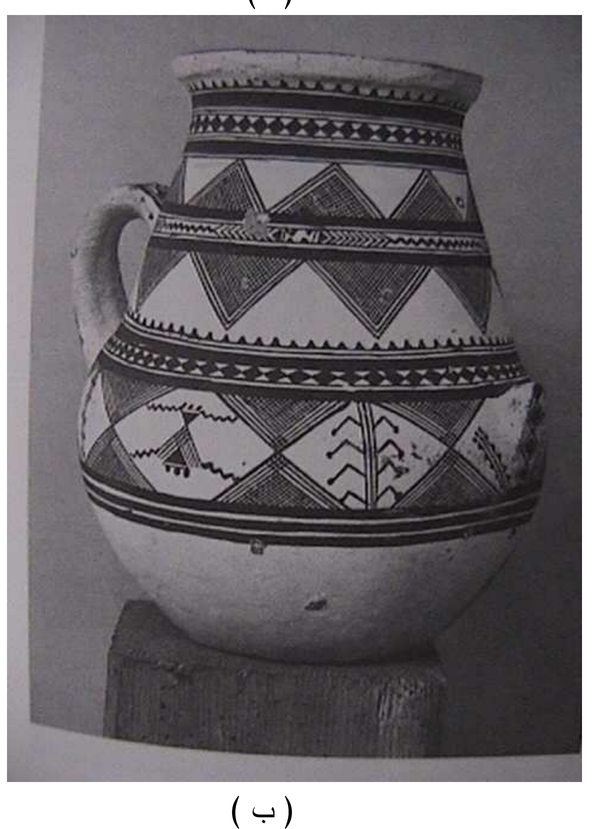
(3 ) *– S. Gsell , H. A.A.N. ,T. VI , P.47 .*

(4 ) *- Ibid , P. 47 .*

( 5) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . 241 .



( أ )



( ب )

**<u>الشكل رقم (60)</u> : صناعة الفخار في نوميديا**

**( أ ) : إناء من تيديس عاصمة الخزافين النوميديين .**

**( ب ) : إبريق فخاري مزين بزخارف هندسية بني على أبيض .**

<u>نقلا عن</u> : *- Serge Lancel , L'Algérie Antique , P.35.*

– غابريال كامبس ، البربر ، ص . 69.



**الشكل رقم (61 ) :**

**نصب بوني عليه نقش بارز يمثل فارسا نوميديا يحمي نفسه بدرع كبيرة ويحمل رمحا ، و تتوضع النقيشة أسفل النصب من مجموعة بيرتيي ( Bérthier ) محفوظ في متحف اللوفر بباريس .**

نقلا عن : *-Serge Lancel , Op.-Cit. , P.39.*

– **التجارة**

كان التاجر في الوقت نفسه هو المنتج والمستهلك في عملية البيع والشراء ، حيث كان يمارس نشاطه المتمثل في التجارة المحلية في الأسواق الداخلية ، فيتنقل بين المدن والقرى والساحل والداخل ، وهناك ثلاثة أصناف من الباعة والمشترين :

– **الصنف الأول** : هم الرعاة الذين يقدمون الصوف والجلود مقابل الحبوب ، ويتعاملون غالبا بالمقايضة .

– **الصنف الثاني :** هم الفلاحون الذين يقدمون الحبوب ، ويتعاملون بالمقايضة والعملة في الوقت نفسه .

– **الصنف الثالث** : هم أهل الحضر من سكان المدن الذين يمارسون مهنا وحرفا ووظائف ، ويقصدون الأسواق الأسبوعية للتبضع ، ويتعاملون غالبا بالعملة .[1]

فالإنسان النوميدي شكل منظومة اجتماعية متماسكة عندما تأتت له الظروف السياسية المستقرة ، و السياسة الاقتصادية المحكمة .

رغم المظاهر التي تشير إلى أن المجتمع النوميدي كان مجتمعا متحضرا وميسورا ، لكن لم تشر المصادر الكتابية أو الأثرية إلى ما يفيد بوجود الطبقية الاجتماعية ، ففي حقيقة الأمر أنه كان مجتمعا ظلت تتحكم فيه أعراف القبيلة .

ففي داخل كل قبيلة هناك نظام أبوي ، يبدأ من الأصول وينتهي بالفروع ، فلا وجود لنظام اقتصادي محدد للسلطات يخلق الهوة الاقتصادية بين أفراده ، فرغم الوصول إلى السيادة والقيادة من طرف رب العائلة إلا أن ذلك في النظام القبلي لا يقتضي الترفع كما هو الحال في المجتمعات الكبرى كما كان لاحقا في المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني .

ب – **الملابس والحلي والأدوات**

لبس النوميديون الملابس الجلدية أسوة بأسلافهم اللوبيين الذين ذكرهم المؤرخ هيرودوتس ، كما ارتدوا الملابس المنسوجة التي عرفوها بفعل احتكاكهم بالعالم الفينيقي الذي برع في فن الحياكة والأصباغ ، وكانوا يلبسون فوق الجلباب المنسوج المعطف الصوفي أو البرنس الذي يعد اللباس الأصيل الذي يتميز به الرجل و يعبر

---

(1 ) محمد الهادي حارش ، التطور ... ، ص . 148 ، *- F.Decret et M. Fantar , Op. – Cit . P. 137 .*

عن ثرائه ومكانته بين أفراد عائلته .[1] وكانت الحلي المتداولة هي القلائد والأساور ، ومن وسائل الزينة الوشم [2].

أما الأدوات المنزلية المستخدمة في الحياة اليومية فكان جلها مصنوع من الفخار وبعضها مصنوع من الأخشاب .[3] كما صنعت أيضا من الحلفاء ولأنها مادة قابلة للفناء السريع فلم يبق لنا من آثارها المادية شيء يذكر . [4]

كانت أواني الطعام أربعة أصناف هي : أواني الطهي والشرب ثم الأكل والتخزين ، وكانت بعض تلك الأواني يصنعنها النسوة ، أما العائلية فقد كانت كبيرة وبسيطة ، فهناك الصحون و القِصاع ثم الأقداح و الجرار والخوابي المتعددة الأشكال والأحجام .[5]

نستنتج مما سبق ، أن الحياة الاجتماعية للفرد النوميدي كانت حياة نشطة ولها خصائصها المميزة .

## ثالثاً – التنظيم الاجتماعي المعاصر للنوميديين ( الموريون و الجيتوليون )

إن رسم صورة تقريبية لمجتمعات بلاد المغرب القديم ومدى انتشارها وتصنيفها خلال القرنين الثالث والثاني ق.م ، أصبح بالإمكان تلمسها عما كانت عليه في أواسط القرنين الخامس والرابع ق.م ، وذلك بفضل الاتحادات التي سهلت من قيام الممالك المحلية ، فساد حكم المملكة النوميدية المواطن الجغرافية لقبائل الماصيل والماصيصيل في شرق ووسط بلاد المغرب القديم ، وساد حكم مملكة الموريين غربه ، وسيطرت على جنوبه قبائل الجيتول .

---

(1) – *S. Gsell , H. A.A.N. ,T. VI , P.28*

(2) - *Ibid , P . 12 .*

( 3 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، ص . 90 .

( 4 ) محمد حسين فنطر ، اللوبيون ... ، ص . 55.

( 5 ) محمد الهادي حارش ، التطور ... ، ص . 132 ، تزخر المتاحف في الشرق الجزائري بنماذج كثيرة من أدوات الحياة اليومية التي تعكس نمط الحياة الاجتماعية خلال الفترة المدروسة .

كان بذلك المجتمع المغاربي القديم مكونا من ثلاثة مجتمعات قبلية محلية كبــرى عاصرت بعضها ، ومجتمعيْن مصغَّريْن مدنيَّيْن وافديْن هما الإغريق و القرطــاجيون

**1- الموريون**

إن الحديث عن الموريين في تلك الفترة ليس بالأمر الهيِّن نظرا لتفرعاتهم القبلية و اتساع مجالهم الجغرافي [1]، ذلك أن معنى الاسم في الفترة النوميديــة كــان مرادفــا لسكان غرب بلاد المغرب القديم ، وقد اشتقت كلمة الموريين من كلمــة " موريزيــا " التي ذكرها سترابون وقصد بها بلاد لوبه الغربية [2] ، أي كامل القسم الغربي من بلاد المغرب القديم . [3]

أما الموريون فكانوا قبائل لوبية انتشرت في ما وراء نهر ملوشا ( الملويــة ) ، لم يطلقوا على أنفسهم هذه التسمية كما هو الحال بالنسبة لقبائل الماصيل والماصيصيل ، وإنما أطلق عليهم من طرف المؤرخين القدامى .[4]

أسَّس الموريون أول مملكة في أواخر القرن الثالث ق.م ، وكان ملكها " باجا " حليف مسنسن خلال الحرب البونية الثانية ، وصمتت المصادر التاريخية عــن ذكــر مملكة المور قرابة قرن إلى غاية أن يأتي المؤرخ سالوستيوس على ذكرها فيما يلي :

**" ...الأراضي التي تلي الإمبراطورية القرطاجية حتى حدود موريتانيا هي ملك النوميديين الشعوب الأكثر قربا من إسبانيا هم الموريتانيون " .[5]**

مما تذكره المصادر هنا أن موريتانيا توسعت في مملكة نوميديا في عهد الملك " بوخوس " حتى وصلت قلب الماصيصيل .[1]

---

(1) ***دراسات حول المور*** : أفرد العديد من الباحثين دراسات مستقلة عن المور ، خاصة في الفترة البيزنطية ، أما في الفترة النوميدية فإن الدراسات مقتضبة في تلك الفترة ، كما أود أن أشير إلى أننا سنكتفي بذكر إشارات كبرى حول التاريخ السياسي = للمور والمملكة الموريتانية ، لأن ما يهمنا هو الجانب الاجتماعي ، فالمور في العهد النوميدي مجموعات قبلية محلية تعقد الاتفاقات مع بني جنسها ، وتتكلم اللوبية .

(2) – *Strabon , Op . – Cit , T : XVII , P . 3.*

( 3) ***أصل تسمية الموريين*** : المور مشتقة من كلمة ذات أصل فينيقي وهي " ماحوريم " وتعني الغرب ، ونقول " بلاد المور " أو " بلاد موريتانيا " ، وقد انتشر الاسم في عهد البيزنطيين ليعني كامل سكان المغرب القديم ، وللمزيد من المعلومات حول أصل التسمية وآراء المؤرخين القدامى والمحدثين حول كلمة " مور " **انظر :** محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، ط. 1 ، م.و.ك ، الجزائر ، 1984 ، ص. ص. ( 157 – 160 ) ؛ - *St. Gsell , H.A.A.N. , T : V , P . 88 .*

( 4) - *Ibid , P. 92 .*

( 5 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، ص. ص. ( 34 – 35 ) .

مما سبق نجد يمكن القول أن الموريين كانوا عبـــارة عــن مجموعـــات قبليـــة ازدهرت تحت حكم الملك " بوخـــوس الأول " ( 118 ق.م –81 ق.م ) الـــذي جمـــع الموريين على غرار ما فعله الملك مسنسن ، وقد دام حكمه طويلا وازدهر الموريـــون في عهده ، لكن بعد وفاته انقسمت مملكة المور إلى قسمين هما :

مملكة المور الشرقية ومملكة المور الغربية ، وقد حكم الملك " بوجود " عـــرش المملكة المورية الغربية جاعلا " تنجي " عاصمة لها ، مع أخيه " بوخوس الثاني " الذي حكم المملكة المورية الشرقية ، وتزامن ذلك وبداية احتلال الرومان للمغرب القديم .

هذا ما جعل تاريخ المور يرتبط بالصراعات التي انتهت بموت بوخوس ســـنة 33 ق.م ، و الملك بوغود سنة 31 ق.م ، وصارت كل تلك المنطقة دون حاكم لمـــدة ثماني سنوات ، [2] إلى أن نُصِّبَ يوبا الثاني [3] *( انظر الشكل رقم( 62) . ص . 306)* على كامـــل مملكة موريتانيا سنة 25 ق.م فحكمها أربعين عاما بمبدأ الولاء لروما وتكريس الثقافة الهلينية ، وأهم مدن مملكة موريتانيا خلال القرن الأول ق.م : تنجـــي و ليكـــسوس و تامودا و بنازا و وليلي وكلها مدن ساحلية تقع على السواحل الغربية للبحر المتوســـط والمحيط الأطلسي [4] ، ولا تذكر لنا المصادر الكتابية هنا ما يتعلـــق بتـــسمية القبائـــل المورية الفرعية ، وتوزيعها وانتشارها ، لتظل تسمية المور هي السائدة على جمـــوع قبائل الغرب التي كانت تنتمي إلى أرومة واحدة مع النوميديين ، ولعل المصادر المادية هي التي قد تفي بغرض معرفة أشياء عن الحياة اليومية والتركيبة الاجتماعية للقبائـــل المورية . [5]

---

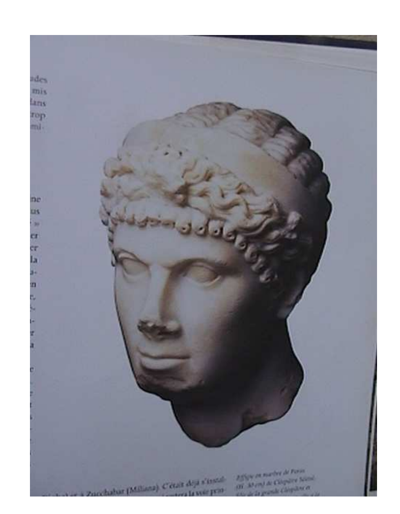
(1) *– F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit. , P. 73 .*

( 2 ) ب . هـــ . وارمنجتون ، المرجع السابق ، ص . 473 .

( 3 ) ***يوبا الثاني ( 25ق.م – 23م )*** : ابن الملك النوميدي يوبا الأول ، تربى في البلاط الروماني بعد احتلال الرومان لبلاد المغرب القديم ، مكتسبا ثقافة هلينية ولاتينية رفيعة ، نصبه أوكتافيوس ملكا على موريتانيا ، اقترن بكليوبـــاترا ســـيليني ابنـــة كليوباترا الكبرى و القائد الروماني أنطونيوس ، وضع مؤلفات عديدة لكنها ضاعت وقد أشار إليها المؤرخون اللاتين من أمثال بلينوس القديم ولعل أهم ما كتبه " ليبيكا " و " بيبليوتيكا " ، وقد خلف آثارا كثيرة في يول ( شرشال بالجزائر حاليا ) ، وكذلك في فولوبيليس ( قصر فرعون بالمغرب الأقصى حاليا ) ، و يعتني الباحثون و الأثريون المعاصرون كثيرا بشخصيته وفترة حكمه وفق المعطيات الأثرية . **للمزيد من المعلومات انظر على ســـبيل المثـــال لا الحـــصر** : *Yann Le Bohec , Histoire de l'Afrique Romaine , éd.Picard , Paris , 2005 , P . 59 ; M.Coltelloni-Trannoy , Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptollémée , éd. Picard , Paris , 1997 , 271 p.*

( 4 ) *– F. Decret et M. Fantar , Op. – Cit. , P. 75 .*

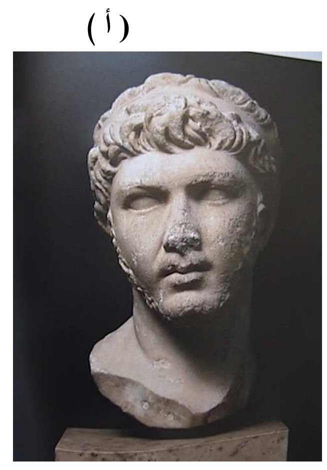
( 5 ) *– J. Mazard , Op . – Cit . , P. 60 .*



( أ )



( ب )



( ج )




( د )

الشكل رقم ( 62) :

نماذج مختلفة لآثار تعود ليوبا الثاني

( أ ) : رأس تمثال من الرخام محفوظ في متحف اللوفر .

( ب ) : رأس تمثال من الرونز ليوبا الثاني محفوظ في متحف فولوبيليس .

( ج ) : رأس تمثال ليوبا الثاني محفوظ في متحف الرباط .

( د ) : وجه عملة من الفضة ليوبا الثاني من مجموعة متحف سيرتا .

نقلا عن : Serge Lancel , Op.-Cit. , P.P. ( 63, 66 )

**2– الجيتوليون**

ظهرت تسمية الجيتول منذ القرن الثاني ق.م ، [1] لتدل على مجموعة قبلية كبيرة منتشرة بين مواطن الجرميين شرقا في فزان إلى المحيط الأطلسي غربا .

من الواضح أن القبائل الجيتولية تنتمي إلى عرق واحد علـــى غــرار قبائـــل الجرامنت ، ولكنهم مجموعات من القبائل متعددة الفروع ، وكانوا يندمجون في الوحدة الاجتماعية للممالك التي يعيشون على حدودها فمثلا كانوا يحاكون النوميــديين عنـــدما يحطون رحالهم في المملكة النوميدية في عاداتهم ونظمهم ، وكذا الحال عندما كـــانوا يستقرون في مملكة المور .[2] ***( انظر الخريطة رقم ( 17 ) . ص . 308 )***

لقد قد اشتهر الجيتوليون في المغرب القديم بكونهم رعاة نمـــوذجيين ، فكانـــت قطعانهم حسب استرابون هائلة الأعداد ، وذكرهم بلينوس القديم بأنهم قوم متحركـــون يتحينون الفرص لاجتياح الأراضي المتاخمة لمضاربهم .[3]

أما سالوستيوس فيعتبرهم – إلى جانب اللوبيين – من السكان الأصليين لبلاد المغرب القديم ، فإذا كان اللوبيون هم سكان الشمال الأصليين فالجيتول هم سكان الجنوب الأصليين .[4]

**أ – أصل الجيتول**

حول أصل الجيتوليين ، يمكن القول إنهم قد يكونوا أسلاف مربيي الأبقار الذين صورتهم الرسوم الصخرية مسيطرين على الصحراء الكبرى في مرحلة النيوليتي ،[5] آلفين حياة التنقل والترحال نحو الشمال عندما يحين موسم الرعي .

استمد الجيتول الكثير من المظاهر الحضارية من سكان المملكتين النوميدية

---

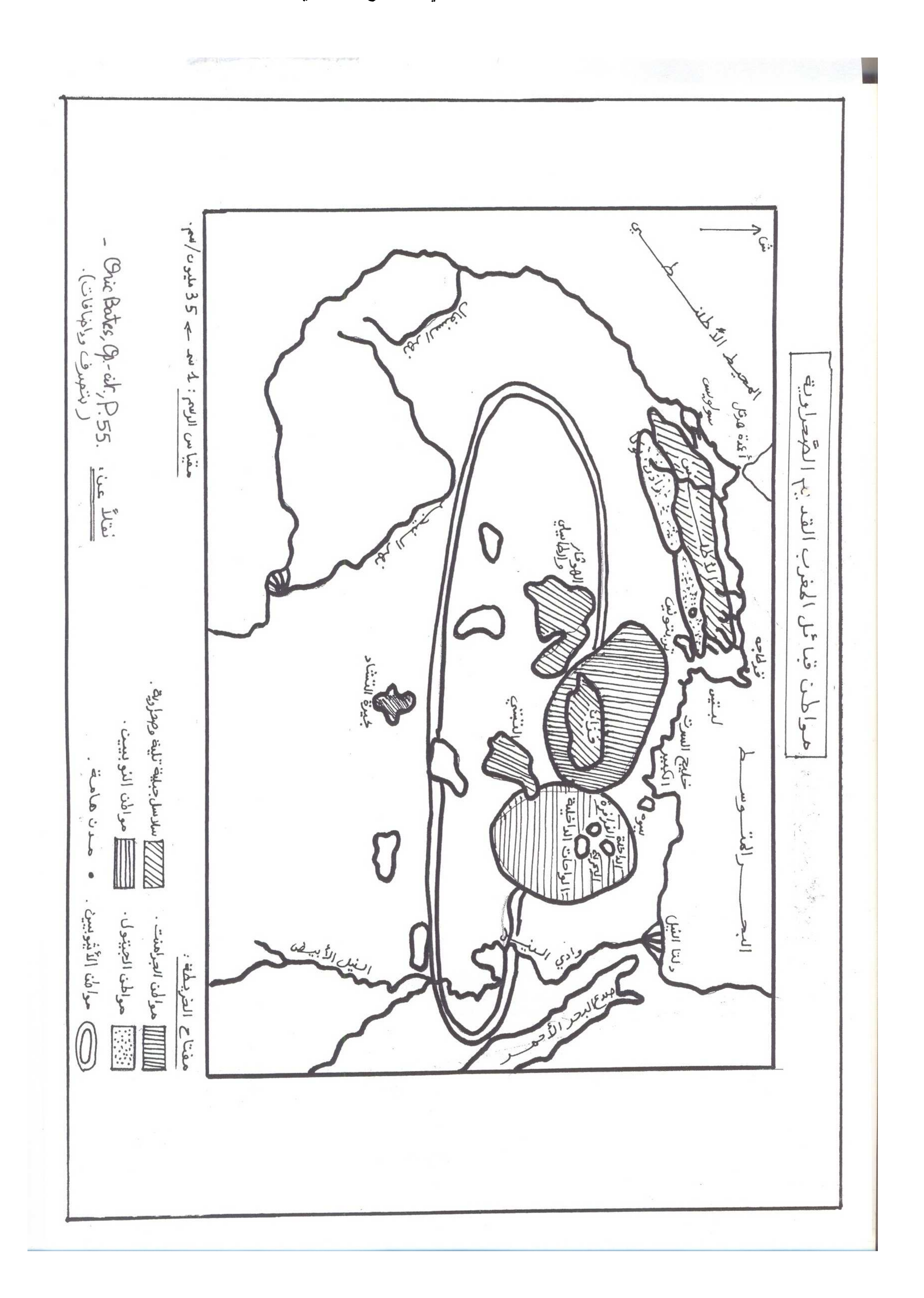
( 1 ) يطلق عليهم أيضا ( الجداليون ) ، و يبدو أن تسمية الجيتول جاءت من أصول لوبية ، وترسم باللاتينية على الصيغة الآتية ***Gaetulus*** وتنطق الجيم مفخمة على النحو الآتي " جدالا – ***Gdala*** " ، وهذا الاشتقاق هو الأقرب إلى اللغة اللوبية ***للمزيد من المعلومات أنظر*** : *- G. Camps , Massinissa … , P . 157.*

( 2 ) محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص . 165 .

(3 ) *- Pline l'Ancien , Op. – Cit , T : V, P . 23. ; J.Desanges ,Op.-Cit.,P.35.*

( 4 ) سالوستيوس ، المصدر السابق ، ص . 32 .

(5 ) *– G .Camps , Massinissa … , P .157 .*




**الخريطة رقم ( 17)**

و المورية ، كما أنهم من الناحية الأنثروبولوجية هجين متجانس من الجــنس الزنجــي الأفريقي و الجنس الأبيض .

مثَّل الجيتوليون خزّانًا بشريًّا للمتحاربين في بلاد المغرب القديم ، فقد كانوا دائما في صفوف الجيوش مرتزقة وذكرت المصادر أنهم خاضوا غمار الحرب البونية الثانية إلى جانب حنبعل ، وإلى جانب النوميديين في حربهم ضد الرومان ، بمعنى أنهم كانوا دائما مساندين للمغاربة القدماء .[1]

لقد أكد سالوستيوس ذلك التعاون مع جيرانهم في ما يلي :

" اقتنع يوغرطة بأن لا شيء يقف في وجه ميتيلوس ... فانطلق مع عــدد مــن رجاله عبر الصحارى الشاسعة حتى وصل إلى الجيتول ، وهم قوم بدائيون ومتوحشون ولم يكونوا يعرفون الرومان حتى بالاسم ، فأخذ يدربهم ويعودهم على النظام والانتظام في الصفوف ومتابعة التعليمات والعمل بمقتضى الأوامر والخلاصة كل واجبات العمل العسكري " .[2]

معنى ذلك ، أنهم قد مدوا يد العون ليوغرطة طواعية وتيقنا بــضرورة الــدفاع عن أرضهم .

وصف سالوستيوس الجيتول بالوحشيين والهمجيين والبدائيين ، ولكن إن كــانوا كذلك فعلا ، لما انتظموا – كما واصل في الفترة نفــسها – فــي الجــيش العــسكري النوميدي مشكلين فرقة مميزة ، بعد أن عمل يوغرطة على تدريبهم و تسليحهم ، فمنــذ تلك الفترة شكَّلوا خطرا على الرومان وتواصلت ثوراتهم ضد الاحتلال الروماني .

هكذا كان الجيتول قبائل انتشرت شمال الصحراء ، ولم تذكر لنا المصادر أسماء القبائل الفرعية التي تنتمي لعرق الجيتول ، فيما بلينوس القديم الذي ذكر أنــه خــلال القرن الأول ق.م كانت هناك قبيلتان كبيرتان من الجيتول همــا قبيلتــا " الأتلوليــون– ***Autolole*** " و " البنيوريون – ***Baniures*** " ولم يذكر عنهما سوى أنهما تنتميــان لقبائــل الجيتول [3] .

---

( 1 ) محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص. 167 .
( 2 ) العربي عقون ، المرجع السابق ، ص .143 .
( 3 ) *– J. Desanges , Op . – Cit . , P.31* .

تمركز أبناء قبيلتا الأتلول والبانيور في الحدود الجنوبية لمملكة المور قرب مدينة سلا ، وكانت مضاربهم محاذية لقبائل البقواط التي ذاع صيتها في القرن الأول ق. م ، ووصلت مضاربهم إلى غاية رأس كانتن قرب تنجي ، فكانوا قريبين للمور .[1]

تجدر الإشارة إلى أن الأتلوليين والبنيوريين ازدهر دورهما أثناء مقاومة الاحتلال الروماني في جنوب مملكة المور .[2]

**ب – <u>نمط الحياة عند الجيتول</u>**

ماثل نمط الحياة عند الجيتول نمط حياة ومعيشة النوميديين والموريين القريبين من مضاربهم ، و يعد الجيتول من سكان المغرب القديم المسيطرين على كامل حدوده الجنوبية في مواجهة قبائل أفريقيا السوداء ، لأن أراضيهم كانت ضمن التخوم الصحراوية حيث المدن والقرى والأرياف الخصبة التي تمثل إقليماً انتقاليا بين الصحراء الكبرى و المرتفعات .

كما كانوا حلقة الوصل بين خيرات أفريقيا وبقية سكان المغرب القديم ، وأن مواطنهم شمال بلاد الأثيوبيين ، حيث كان بإمكانهم ممارسة زراعة محدودة في إقليم رعوي شاسع ، لكن الغالب على معيشتهم هو الحلّ و الترحال .[3]

**وخلاصة لما سبق** ، فإننا نجد أن المجتمع المغاربي القديم المحلي كان يتكون من النوميديين والمور والجيتوليين ، وأنَّ ما ميَّز تلك القبائل التشابه في نمط معيشتها وثقافتها.

(1) - *G .Camps , Massinissa … , P .154 ; J.Desanges ,Op.-Cit.,P.28.*
(2) - *Ibid , P .154 .*
(3) محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 165 – 166 ) .

# الفصل الثالث

# الحياة الدينية والثقافية في المجتمع النوميدي

أولا – أصول الديانة في المجتمع النوميدي.
ثانياً – اللُّغة في المجتمع النوميدي.
ثالثاً – الكتابة اللُّوبية.

## أولا – أصول الديانة في المجتمع النوميدي

أقرَّ هيرودوتس منذ منتصف القرن الخامس ق.م بوجود حياة دينيـــة للُّـــوبيين ، ذلك أن لهم آلهتهم و عاداتهم و طقوسهم الخاصة بهم ، وقد عبَّرعن ذلك بقوله :

" يقدِّم اللوبيون القرابين إلى الشمس والقمر دون غيرهما ، فإلى هاتين القـــوتين الإلـهيتين يقرِّب اللوبيون جميعهم ويقدمون الذبائح ، ولكن الذين يقيمون حـــول بحيـــرة تريتونيس فهم يقرِّبون إلى الآلهة أثينا وإلى تريتون وإلى بوسيدون " .[1]

تثبت تلك الرواية أن هيرودوتس كان يرى أن هناك وحدة تجمع كامل القبائـــل اللوبية ، ومع ذلك فهو لا ينفي الخصوصيات المميزة لكل قبيلة ، فكلهم يقربون للشمس والقمر ، وتميَّز سكان بحيرة تريتونيس بعبادة ثالوث تركَّب من إلهة وإلهين هـــم أثينـــا وتريتونيس وبوسيدون .[2] بالإضافة إلى آلهة محلية عرفت بآلهة معبد شـــمتو. *<u>( انظـر الشكل رقم ( 63 ) . ص . 313 )</u>*

مهما يكن ، ففي منظور المؤرخين القدامى والمجتمعات الكبرى من المـــصريين القدامى والإغريق ثم الرومان أن اللوبيين كانوا وحدةً عرقيةً حضاريَّةً ، وقد توصـــلوا إلى نظرتهم تلك بناءً على ما لمسوه في صلب المجتمعات اللوبية وفي محـــيطهم مـــن مقومات موضوعية ، جعلتهم ينظرون إليهم كوحدة عرقية حـــضارية وتتجـــسد تلـــك المقومات في الدِّين واللُّغة .[3]

### 1- أبرز الآلهة وأهمية الدين في المجتمع

انتشرت عبادة الآلهة الفينيقية – كما أسلفنا سابقاً – في المغـــرب القـــديم منـــذ الحضور القرطاجي و تأسيس المستوطنات الساحلية غربي البحر المتوسط ، ثم ما لبث أن نفذت إلى المناطق الداخلية تلك المعبودات ، و كان أهمها بعل حمون وتانيت بنـــي بعل اللـــذان ازدهـــرت عبادتهمـــا بـــشكل كبيـــر خـــلال فتـــرة الحكـــم النوميـــدي

( 1 ) - *Hérodote , Op. –Cit. , T : VI , Par. : 188 , P. 258 .*
( 2 ) محمد حسين فنطر ، " اللوبيون .... " ، ص .51 .
( 3 ) المرجع نفسه ، ص . 52 .



الشكل رقم ( 60 ) :

الآلهة اللوبية في معبد شمتو بتونس

نقلا عن : -Sabatino Moscati , Op.-Cit., P.17.

## أ – الإلهان بعل حمون وتانيت

اعتبر الإلهان بعل حمون وتانيت [1] *( راجع الشكلان رقمــي ( 35 )و( 36) ، ص .(190-191 )* هما الإلهين الرسميين في المغرب القديم وذلك منذ القرن الخامس ق.م ، ونظرا للتأثير القرطاجي في العالم البوني فقد حاكى النوميديون القرطاجيين في إقامة النــصب له .

حيث أن جميع نصوص النقائش في نصب معبد الحفرة كانت مهداة إلى هــذين الإلهين ، فإذا كان القرطاجيون يعتبرون " بعل حمون " هو سيد المبخرة فيقــدمون لـــه الأطفال الصغار ، فإن النوميديين كانوا يقدمون له الأضاحي البديلة ، وقد كان صـــاحب المرتبة الأولى في العالم البوني بعكس العالم القرطاجي الذي كان يعتبر تانيت سابقة له في المرتبة ، ومرد هذا طبيعة النوميديين الممجدة للرجل .[2]

كما كان لبعل حمون و تانيت المكانة الأولى في مجمع الآلهة القرطاجي وانتقلا بالمكانة نفسها في مجمع الآلهة البوني ، [3] و قد اعتبرتهم سلطة كرتن عاصمة المملكة النوميدية الآلهة الرسمية فيها . [4] بحيث سجل في معبد الحفرة 281 نصبا مهداة إليهما فقط مما يعكس هذه المكانة الكبيرة عندهم .[5]

( 1 ) ***أصل تسمية بعل حمون وتانيت*** : تعني أصل كلمة " بعل " السيد وهو أبرز الآلهة الفينيقية الكنعانية ، وتعني أيضا " المالك " وعبد في الشرق الفينيقي منذ الألف الثاني ق.م ، أما " حمون " فتعني " الناري " . وعن تانيت فهي مشتقة من اسم الآلهة المصرية " نيت " مع إضافة اللاحق اللوبي " ت " ليصبح الاسم " تنت " أو بإضافة الحروف المتحركة " تانيت " ، أما حول أصل الإلهين هل هما محليَيْن أم وافديْن فإن امختلف الدراسات لم تبت في الأمر والغالب أنهما محليان . **للمزيد من المعلومات أنظر** : محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 209 – 212 ) ، محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة ... ، ص. ص. ( 86 – 87 ) ، محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ، ط. 1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2001 ، ص. ص. ( 7 – 12 ) .

( 2 ) أحمد الفرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، ط. 1 ، المجمـــع التونـــسي للعلـــوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 1993 ، ص . 163 .

( 3 ) هناك آلهة كثيرة عبدها المغاربة القدماء خلال فترة التمازج الحضاري الليبو البوني وهي : الإله ملقرط وأشمون وبعل يدر ولكنها لم تكن بمكانة بعل حمون وتانيت . أنظر : رتشارد كليفورد ، المرجع السابق ، ص. 79 .

( 4 ) - *St . Gsell , H.A.A.N. , T . VI , P. 146 .*

( 5 ) محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة ... ، ص . 88 .

**ب- مكانة الإلهين بعل حمون وتانيت في المجتمع السيرتي**

لقد كان من مظاهر إقبال سكان بلاد المغرب القديم على تمجيد بعل حمون وتانيت أيما تمجيد ، أن أطلق الآباء على أبنائهم أسماء مزدوجة تحمل في شطرها الثاني بعل ، فكان بذلك يحتل المرتبة الأولى في قائمة الآلهة التي تدخل في تركيب أسماء الأعلام في المجتمع السرتي ، و على سبيل المثال نجد الأسماء الآتية : " بعل يتن " في النقيشة رقم **96** ، و " بعل شليك " في النقيشة رقم 75 ، " عزر بعل " في النقيشة رقم **01** من اللوحة **19** من معبد الحفرة البوني .[1]

هذا فضلا عن أسماء أعلام الأسر الحاكمة القرطاجية وأشهرهم على الإطلاق " حنبعل " ، فيبدو من هذه التسميات أن النوميدي بشكل عام كان يكن لمعبوده الشعور بالعظمة والامتنان ويطلب الخلاص والحماية من " بعل حمون " .[2]

هكذا أبدت النقوش أن الوازع الديني كان قويا عند النوميديين ، حيث جعلتهم الرابطة الدينية ينتمون إلى حلقة أوسع اجتماعيا هي حلقة المجتمع البوني الشامل ، فكانت الوحدة الدينية سببا في تحلق النوميديين والموريين والجيتوليين [3] إلى فضاء حضاري بإمكانه منافسة الفضاءات الحضارية الكبرى للعالم القديم .

رُمِزَ لبعل حمون في النُّصب برمز الشمس الذي يأخذ شكل القرص ، وصور في التماثيل بهيأة رجل مسن أقرن يوحي شكله بصورة الكبش هذا الأخير الذي يعتقد بأنه رمز للإله المصري آمون الذي عبد في واحة سيوة ، ورمزه الكبش ذي الهالة وصورة الشيخ المسن ، فكانت صورة ورمز بعل حمون لا تخلو من مظاهر حياتهم اليومية الروحية .[4]

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص. ، ص. ( 253 ، 259 ، 263 ) .

( 2 ) أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص . 164 .

( 3) رغم أن المصادر التاريخية لم تشر إلى ديانة الجيتوليين ، فقد سبقت الإشارة إلى أنهم حاكوا النوميديين والموريين في دياناتهم ، ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا يساندونهم عسكريا ضد الرومان ، ولذلك كان من الطبيعي أن يحتكوا بهم في مسيرة حياتهم اليومية فاقتبسوا الكثير منهم ، ولعل هذا الرأي بحاجة إلى دعم من البحث الأثري وخاصة في المدن الداخلية الجزائرية كبسكرة و البيض والأغواط والجلفة وغيرهم من المدن الداخلية في الجزائر ( نوميديا القديمة ) .

( 4 ) محمد الهادي حارش ، دراسات ونصوص ... ، ص. 13 ، محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص. 211 .

لقد تمسك المجتمع النوميدي بعبادة الإله بعل حمون وذلك لكونه إلهـا شمـسياً تحكَّم في السحب والرعد والتساقط وخصوبة الأرض ومن ثم السيطرة على الحياة .[1]

**ج – مكانة المعبودة تانيت عند المرأة النوميدية**

كانت " تانيت " ترمز للخصوبة والإنتاج ، وتكتب بالبونية " تنـت " وتعـرف أيضا باسم " تانيت بني بعل " .

إن ابتداع المخيال اللوبي لها في صورة آلهة محلية ليس من قبيل المـصادفة ، وإنما يرجع إلى أن المجتمعات القبلية كانت تعطي الأولوية للمرأة التي ترى فيها رمزا للقوى الكامنة في ظاهرة الإخصاب ، بحيث صوَّرتها التماثيل في هيئة امرأة بوضـعية الإرضاع .*( أنظر الشكل رقم ( 64 ) ، ص . 317 )*

هذا و قد توافق انتشار عبادة تانيت بالموازاة مع عبادة بعل حمون منـذ القـرن الخامس ق.م ، فاعتبرت الإلهة الأنثى الرسمية في بلاد المغرب القديم .

تجدر الإشارة أن النظرة الاجتماعية للآلهة لم تكن تخرج عن إطار المنظومـة الأسرية المكونة من الأب والأم ، واعتبر النوميديون بعل حمون و تانيت نواة الأسـرة الدينية في مجمع الآلهة البوني .[2]

**2 – الممارَسات الدينية في المجتمع**

**أ – الطقوس التعبدية**

كان النوميديون يمارسون طقوسهم الدينية في المعابد ، حيث يقدمون الأضاحي والقرابين وفق طقوس خاصة وصيغ إهدائية أثبتتها نصوص النقائش ، فمثلا انتـشرت الصيغة الآتية في بداية النصوص المخصصة لتقديم النذر للآلهة ، فمثلا إن الجملة التي تستهل بها معظم النقائش كانت : " **لأدن لبعل حمن وتنت** " ، ويقصد بهـا " **إلـى المولى بعل حمون وتانيت** " .

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . 151 .

( 2 ) رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص . 209 .



**الشكل رقم ( 64 ) :**

**تمثال من الفخار للإلهة تانيت في وضعية الإرضاع ، عثر عليها في معبد تنسمات قرب بئر بورقبة بتونس ، وتعود إلى القرن الأول ق .م ، و يعد تجسيد تانيت في صورة بشرية مظهرا من مظاهر التطور الفكري الديني ببلاد المغرب القديم .**

**نقلا عن : - M'hamed Hassine Fantar , Carthage , T : II , P.400.**

إذا كانت ظاهرة التضحية البشرية قد شاعت في قرطاجة ، فإنها في المجتمع السيرتي قد غابت تماما ، بل شاعت ظاهرة الاستبدال بتقديم القرابين من الحيوانات والطيور و أجود أنواع الفواكه والخمور والعطور إلى الآلهة .[1]

- **<u>دور الكهنة في المعبد</u>**

كان ينتمي الكهان إلى الطبقة الأرستقراطية ، ولم تقتصر المهمة على الرجال فقط ، بل شملت النساء أيضا ، حيث أن عادات الطقوس التعبدية كان لزاما أن يشرف عليها عارفين بشؤون الآلهة والصلوات ، كما أن وجود الكاهن وكبير الكهنة وكبيرة الكاهنات كان يوحي بتنظيم الجهاز الديني النوميدي و تراتبه .[2]

- **<u>نقش الرموز ودلالاتها</u>**

لقد عبد سكان بلاد المغرب القديم عددا محدودا جدا من الآلهة ، وجسدوا القوة الإلهية لبعل حمون بالكبش الأقرن ذي الهالة ، والذي عثر على رسوماته منقوشة منذ مرحلة الرسوم الصخرية العائدة إلى مرحلة النيوليتي ، مما يؤكد بأن عبادته قديمة جدا ، وقد حافظ الكبش الأقرن على صورته البدائية دون تغيير في المغرب القديم إلى أن أقرض قرونه لاحقا إلى الإله " بعل حمون " ، مما يوحي بأن عبادته في الصحراء كانت أقدم بكثير من عبادة الإله آمون في واحة سيوة ، ويمكن القول أن " الكبش ذي الهالة " أقدم بكثير من الإله المصري آمون .[3] ( *<u>انظر الخريطة رقم ( 18 ) . ص .319.</u>* )

فالكبش الأقرن كان مقدسا خاصة إذا علا رأسه قرص الشمس ، إذ يعد شكل القرص من الرموز المقدَّسة التي لها علاقة وطيدة بالقوة والتكاثر والخصوبة هذا من جهة .

من جهة أخرى فالكبش هو الحيوان الرئيسي الذي يقود القطيع أثناء الرعي ، وتلك القطعان كان يعتمد عليها في معيشة السكان الأساسية منذ آلاف السنين ، ولذلك تحتل رموز الكبش الصدارة في النصب والنقوش والرسوم .[4]

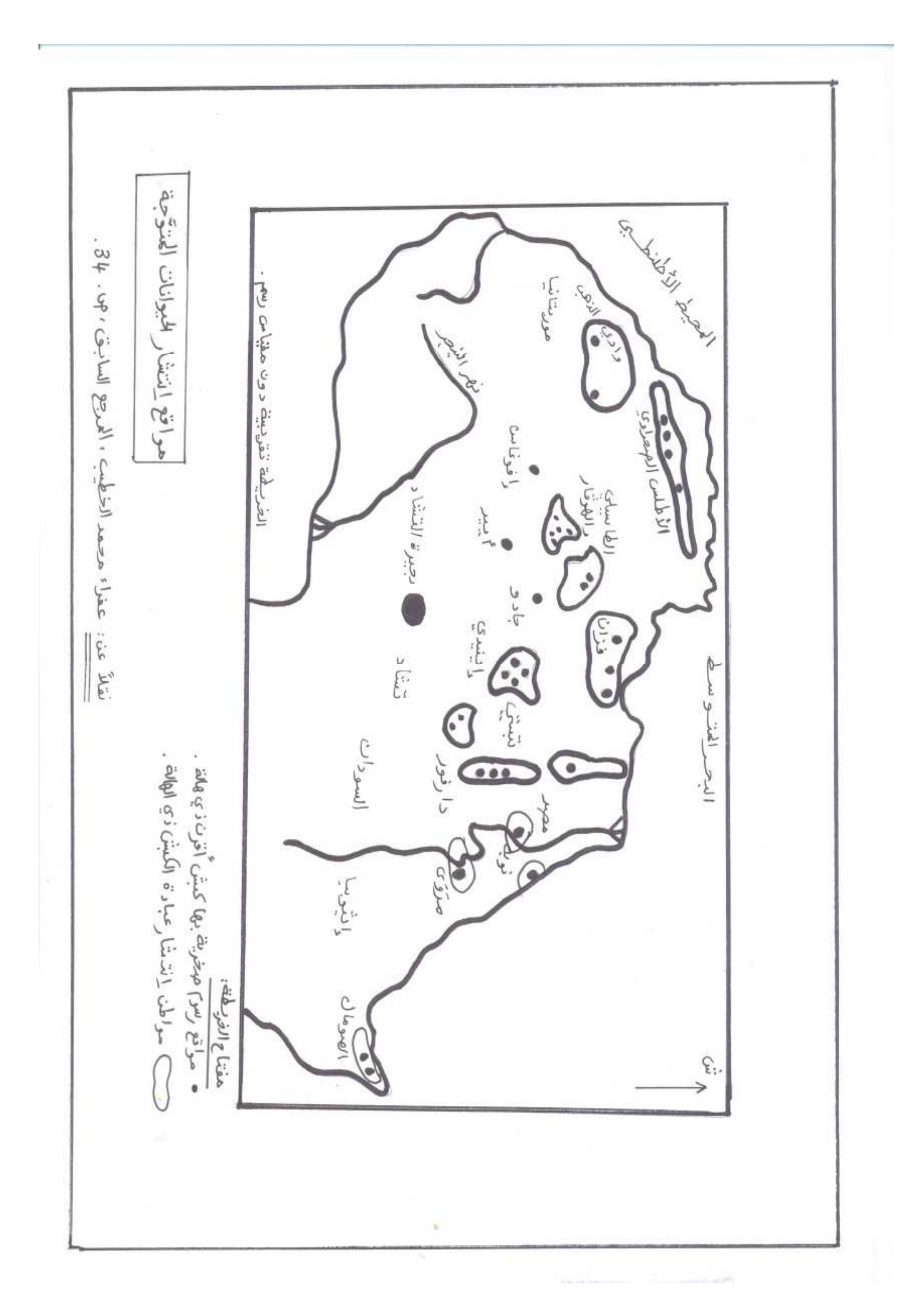
---

( 1 ) أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص . 209 .

( 2 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص . 160 .

(3) - *G. Camps , " Le bélier à Sphéroide " , Encyclopédie Berbère , T : IX , éd . Edisud , Paris , P. 1991 , P. 1419 .*

( 4 ) عفراء محمد الخطيب ، " علاقات شمال أفريقيا بالصحراء الكبرى ( الحيوانات المتوجة نموذجاً ) " ، أدوماتو ،ع " 7 ، الرياض ، جانفي 2003 ، ص. ص. ( 35 – 37 ) .




<u>**الخريطة رقم ( 18 ) :**</u>

**مواقع انتشار الحيوانات المتوجة ببلاد المغرب القديم**

**ب – الشعائر الدينية**

**– عادات وتقاليد الدفن**

اقتبس النوميديون الكثير من العادات والطقوس الجنائزية عن أجدادهم اللوبيين ، وخاصة في عادة دفن الموتى فرديا وجماعيا .

إنه و بغض النظرعن أشكال وضع الجثة في القبر والتي تفنَّن اللوبيون دفنها ، كالجلوس والتمدد على الجنب الأيمن والقرفصاء ، فإن النوميديون قد فضلوا وضعية الدفن الممدد للجثة ، وهي عادة قديمة مورست في المنطقة منذ المرحلة القفصية في فترة ما قبل التاريخ ، كما كانوا يدفنون بطريقة جماعية في حالة الحرب ، فتوضع الجثث في حفر كبيرة في أسفل الصخر أو تجمع العظام في جرار كبيرة .[1]

لقد اعتقد النوميديون براحة الميت وضرورة تسجية الجثة بعناية ، إلا أن القبور العائدة إلى فترة ممالك الماصيل والماصيصيل ثم المور كانت نادرة .

كما استعمل النوميديون المغرة الحمراء وهي صباغة استعملت في رش عظام الأموات وطلاء القبور والأثاث الجنائزي ، كما وضعت في أوان فخارية خاصة بداخل القبور لتمكين الميت من تلوين نفسه ، واللون الأحمر كناية عن الدم رمز الحياة ، وقد تجلت هذه العادة بوضوح في ضريح المدغاسن حيث لوِّنَت المنصة الشرقية والرواق وخشب الأُرْز وبعض درجات السلم وجدران الغرفة الجنائزية وأرضيتها .[2]

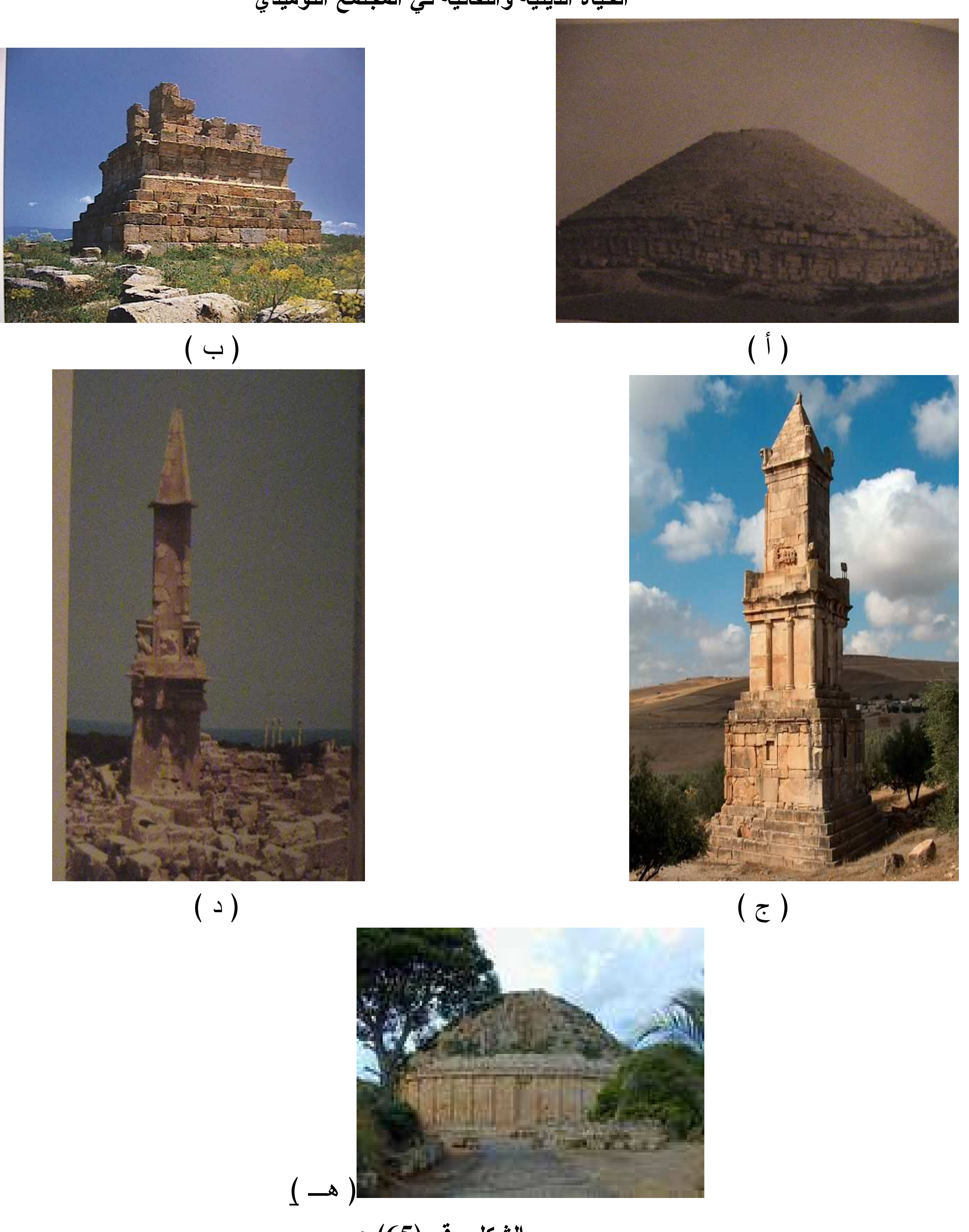
**– الأبنية والطقوس الجنائزية**

كشف البحث الأثري في الجزائر عن عدد محدود من الأضرحة الملكية ، وتتمثل في ضريح المدغاسن و صومعة الخروب و ضريح دوقة والضريح الملكي الموريتاني *( انظر الشكل رقم ( 65 ) . ص . 321 )* ، كما أن البحث الأثري في شمال أفريقيا لم يكشف عن أضرحة أخرى باستثناء ضريح صبراطة بليبيا ، وعلى كل فإن الأضرحة الملكية بنوعيها الهرمية والبرجية ، كانت قد بنيت لتقديس روح الملك ، ورغم وجود بعض الأثاث الجنائزي في هذه الأضرحة إلا أنها لم تكن كافية لتقديم صورة عن طقوس ومراسيم وعادات الدفن التي تعود إلى القرنين الثالث والثاني ق.م .

---

( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص. ص . ( 214 – 216 ) .

( 2 ) رابح لحسن ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 269 –270 ) .



( أ ) ( ب )

( ج ) ( د )

( هـ )

الشكل رقم (65) :

الأضرحة الملكية الهرمية والبرجية النوميدية والموريتانية ببلاد المغرب القديم

( أ ) : ضريح المدغاسن بمنطقة الشمرة بالأوراس .

( ب ) : صومعة الخروب بسيرتا .

( ج ) : ضريح دوقة بني في عهد مكوسن بن مسنسن .

( د ) : ضريح صبراطة بليبيا .

( هـ ) : الضريح الملكي الموريتاني بتيبازا الذي بني في عهد يوبا الثاني .

نقلا عن : .Serge Lancel , P.44 ، تصوير : الباحثة ، www.amazon.fr ، أطلس التاريخ القديم ، ص . 71 ، منير بوشناقي ، الضريح الملكي المورتاني ، ص.1.

إن الجدير بالملاحظة هو أنه يمكن أن نستثني هنا مقابر الدولمان غرب كرتن ، والتي أثبت الأثريون أن الميت كان يدفن فيها في حفرة بسيطة مزود بأثاث جنـــائزي ، هو عبارة عن أدوات تفيده في حياته الثانية ، مما يوحي بأن فكرة الحياة بعـــد المـــوت كانت قائمة ومن مسلمات الفكر الديني في نوميديا ، ويضاف إلى ذلك القبور التي كانت تعرف بالحوانيت وهي منحوتة في الصخر على شكل غرفة صغيرة مكعبة الجدران. [1]

*( انظر الشكل رقم (66 ) . ص .323. )*

إن الدارس للمصادر المتعلقة بالمجال الثقافي للمجتمع النوميدي ، يجد بأنها قليلة جدا إذا ما قيست بغيرها من المصادر التي تتناول مجالات أخـــرى مثـــل المجـــالات السياسية والعسكرية ثم الاقتصادية .

لذلك ، فالحاجة إلى المصادر المادية كبيرة جدا في تكوين صورة واضحة عن المظاهر الحضارية للمجتمع اللوبي القديم عموما و النوميـــدي خـــصوصاً ، ذلـــك أن المعطيات التاريخية والأثرية عبارة عن مشخصات زخرفية وصيغ نذرية ذات مـــدلول ديني متكرر في معظم الأحيان نقشت على النصب الجنائزيـــة التـــي نقـــشوها أســـوة بالنصب البونية في قرطاجة . *( انظر الشكل رقم (67 ) . ص . 324 )*

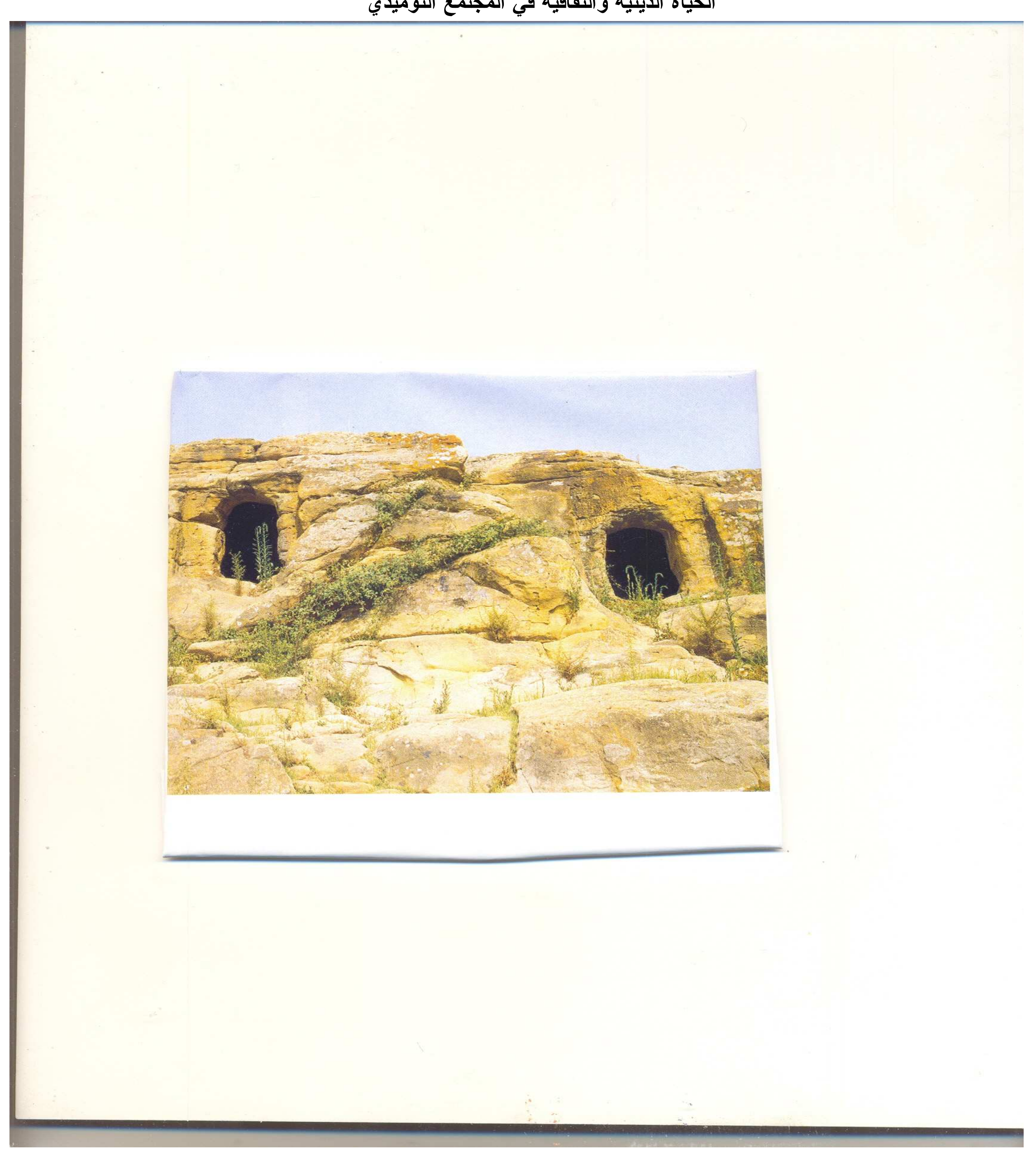
لذلك ، فلعل مبدأ المقارنة والمقاربة في المجالات الثقافيـــة والطقوســـية بـــين مجتمعات العالم القديم الكبرى هي الوسيلة الممكنة لمعرفة بعـــض القـــضايا الخاصـــة بالمجتمع المغاربي القديم سواء كان ذلك في فترة اللوبيين و النوميديين ثم المـــوريين والجيتوليين خلال فترة حكم الممالك المحلية .[2]

## **ثانياً – اللغة في المجتمع النوميدي**

تحدَّث المجتمع النوميدي لغة تطورت عن اللغة القديمة الشفاهية التـــي تكلمهـــا المجتمع المغاربي القديم منذ بداية الفترة التاريخية ، واصطلح عليها المؤرخون باللغـــة اللُّوبية ، وقد كتبت في بداية الأمر بحروف فينيقية ثم حاكت البونية و البونية الجديدة ، لتستقل بأصواتها ومعانيها .

---

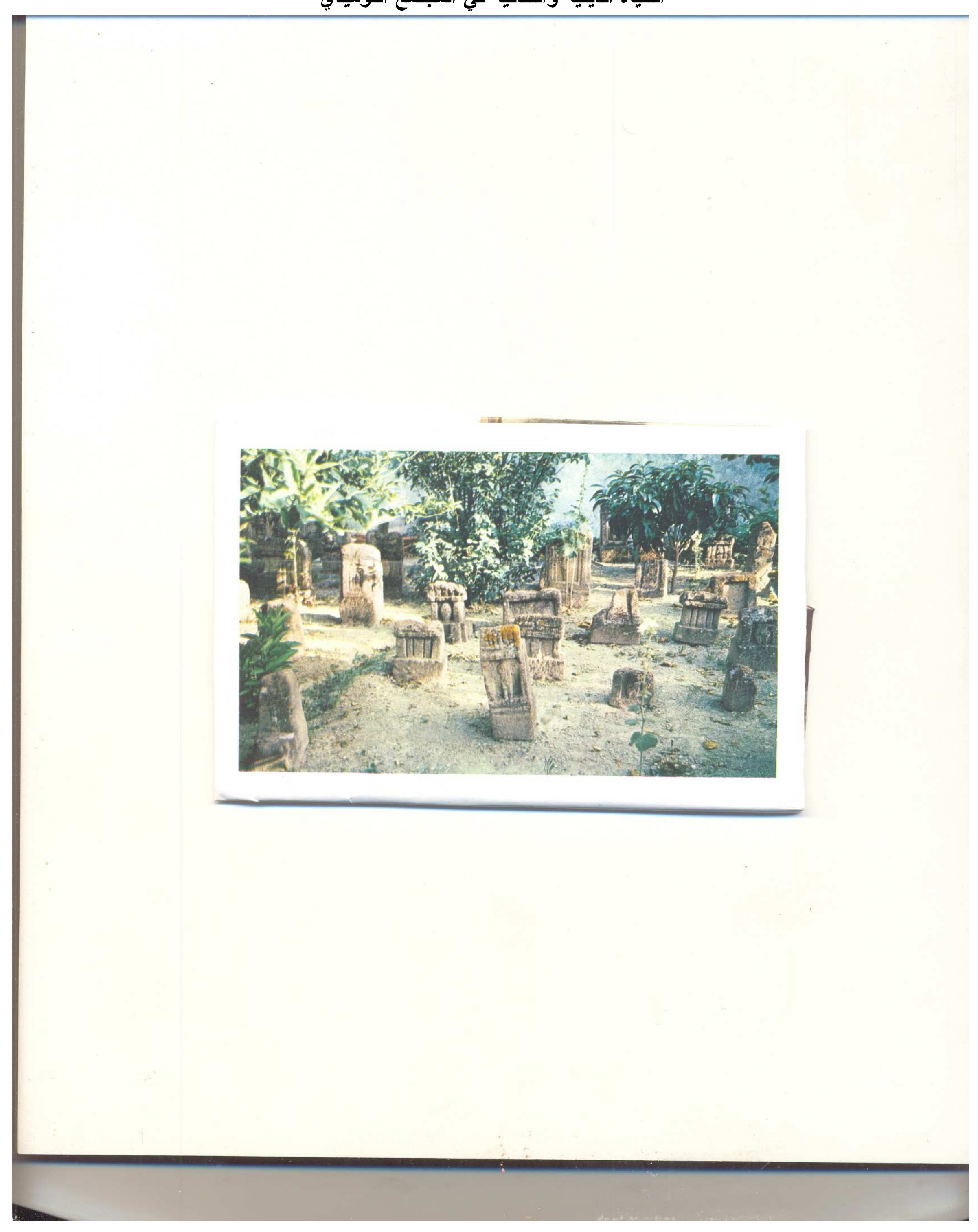
( 1 ) محمد الصغير غانم ، سيرتا ... ، ص. ص. ( 173 – 175 ) .
( 2 ) المرجع نفسه ، ص . 122 .



**الشكل رقم ( 66 ) :**

مقبرة نوميدية من نوع الحوانيت بقليبية بتونس

نقلا عن : Sabatino Moscati , Op.-Cit., P.18.-



الشكل رقم ( 67 ) :

صورة نادرة لمعبد الطوفات بقرطاجة بها نصب بونية نذرية وجنائزية ثرية من حيث الرموز والدلالات

نقلا عن : -Sabatino Moscati , Op.-Cit. , P.18.

1 – **مفهوم اللغة اللوبية**

أطلق الباحثون في مجال اللسانيات السامية على اللغة اللوبية تلك الأصوات وذلك الكلام الذي تداوله المجتمع المغاربي القديم منذ الألف الأولى ق.م ، أي منذ وجوده في صورته القبلية البسيطة التي جسدتها الوثائق المصرية في قبائل التحنو و التمحو ثم المشوش و اللبو ، وقد اتضحت معالم تلك اللغة في مرحلة حكم أسرة شيشنق المتمصِّرة [1] ، كما تكلَّمت بها أيضاً القبائل المنتشرة على طول المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط والتي جمعتها مع الفينيقيين علاقات تجارية .

هكذا ، تكلمت القبائل اللوبية لغةً استرعت هيرودوتس فكتب عنها ، و استمرت في التداول بين أفراد قبائل الاتحاد الماصيلي والماصيصيلي والموري فيما بعد .

إن الملاحظ هو أن الباحثين عندما أطلقوا تسمية " اللوبية " على نوع اللغة التي تكلمها السكان الأصليون ببلاد المغرب القديم ، لم يكن ليراعَى فيا أدنى تمييز للفترات التاريخية التي ظهرت خلالها ، وبالتالي فإن المقياس الجغرافي لهذه التسمية ينطبق – مثلا – على الفترة المحصورة بين القرن الثامن ق.م والقرن الرابع ق.م ، أما تسميتها باللغة النوميدية فينطبق على فترة الممالك المحلية سواء النوميدية أو المورية .

عليه ، فإنه يمكن القول بأن تسمية اللغة اللوبية تتوافق ومصطلح المجتمع اللوبي ، أما اللغة النوميدية فتتوافق مع المجتمع النوميدي ، وفي حقيقتها فهي لغة واحدة استمرت مع المجتمعين .

2 – **المقاييس [2] المحدِّدَة للغة اللوبية**

أ – **المقياس اللغوي**

إن مختلف خصائص ومزايا اللغة الإنسانية التي وضعها علماء اللغة واللسانيات كمقاييس لتحديد لغة ما ضمن قائمة اللغات العالمية القديمة الميتة والحديثة الحية ، لتنطبق على اللغة اللوبية .

(1) - *Oric Bates , Op . – Cit , P. P. 81 – 84* .

( 2 ) من أهم الذين اعتمدوا في الدراسات اللغوية على هذا التقسيم المؤرخ أحمد الفرجاوي . **للمزيد من المعلومات انظر :** أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص.ص. ( 136 – 138 ) .

– **تعريفات بعض علماء اللغة**

هي كما يعرفها عالم اللغة الشهير ابن جني : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " .[1]

وإذا طبقنا هذا التعريف ، نجد بأن اللغة اللوبية هي مجموعة من اللهجات التي كان يفهمها أفراد المجتمع اللوبي و يتداولونها .

وهي عند ابن خلدون : " **ملَكَات في اللِّسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصرها بحسب تمام الملكة أو نقصانها** " .[2]

يعرف عن اللغة اللوبية أنه قد تكلمها أبناء مجتمعها بجودة وحذقوا معانيها .

لقد عرَّف أشهر علماء اللغة في المدرسة الغربية ومنهم : هنري سويت و هيرمان بول وروي هجمان و كندراتوف وستيفن أولمان و فرديناند دي سوسير وناعوم شومسكي وأندريه مارتينيه اللغة فقالوا عنها ما يلي : " **هي قدرة ذهنية يمثلها نسق يتكون من رموز منطوقة ، يتواصل بها أفراد مجتمع ما** " .[3]

وإذا طبقنا هذا التعريف على المعطيات التاريخية المعروفة عندنا عن اللغة اللوبية ، جد بأنها كانت نسقاً من الرموز الكلامية تميزت بوضوح معانيها بين اللوبيين.

بناءً على ما سبق ، فإن اللغة اللوبية هي : **تلك الصورة الذهنية المنتشرة بين أفراد المجتمع الواحد باختلاف الأصوات ، وقد توقفت اللغة اللوبية عند المستوى الأول من مستويات قياس اللغة ألا و هو المستوى الفونولوجي ( الصوتي ) .**

بالتالي لا يمكن فهم اللغة اللوبية ودراستها إلا من خلال مقاربتها مع اللهجات المنبثقة عنها وهي اللهجات الأمازيغية المنتشرة في كامل شمال أفريقيا ، وهذا ما قام

---

( 1 ) ابن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، ط . 1 ، دار الكتب ، القاهرة ، 1956 ، ص. 33 .

( 2 ) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدِّمة ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ص. 613 .

( 3 ) **من أبرز رواد المدرسة الأوروبية في هذا المجال** : روي هجمان في كتابه " اللغة والحياة والطبيعة البشرية " ، وستيفان أولمان في كتابه " دور الكلمة في اللغة " ، وفرديناند دي سوسير في كتابه " دروس في الألسنية العامة " ، وأندريه مارتينيه في كتابه " مبادئ الألسنية العامة " . ***لمزيد من المعلومات انظر*** : محمد علي عبد الكريم الرُّدَيْني ، فصول في علم اللغة العام ، ط. 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007 ، ص. ص. ( 13 – 15 ) .

به علماء اللغة وفي مقدمتهم سالم شاكر و [1] ليونال جالان[2] اللـــذان وجـــدت أعمالهمـــا صدى كبيرا لدى المؤرخين لما تميزت به من رؤية تاريخية أنثروبولوجية لغوية .

**ب – اللغة اللوبية في المصادر الكتابية**

لم يتناول هيرودوتس [3] بالذكر اللغة التي تكلمها اللوبيون ، فمن الممكن أن هذه القضية ليس مردها جهله بتلك اللغة ، وإنما لكونها لا تشكل قــضية عنــده يمكــن أن يكتب عنها ، بل كان ينبئ ضمنيا تغييبه الحديث عن لغة اللوبيين أنها متشابهة وأنهـم يتكلمون لغة واحدة بلهجات ولكنات مختلفة ، لكن في النهاية كان الجميع يفهم بعــضهم بعضا .

كما اعتبر بعض المؤرخين أن تسمية اللغة التي تكلمها السكان منــذ تأســيس قرطاجة هي اللغة اللوبية الأكثر دقة ، وذلك بناءً على الوحدة العرقية لسكان المغــرب القديم .[4]

تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ هيرودوتس عنــدما ذكــر نــص المــساومة الخرساء ، لم يقصد به أن اللوبيون لا لغة لهم ، بل نظرا لأعجمية و صعوبة كلامهـم وعدم اكتراثهم – آنذاك – بملَكَة تعلّم لغة الآخر، ولذلك لم يكلفوا أنفسهم عنـاء حـذق اللغة ، فتوصلوا مع التجار الفينيقيين إلى وسيلة اتــصال رمزيـــة ، وكــان الأوْلـى بالفينيقيين التجار أن يحذقوا هم لغة الذين وصلوا إليهم .

كما أنَّه لا توجد شواهد أثرية تشير إلى أنَّ اللُّوبيين خلال القرون الثلاثة السابقة لتأسيس المملكتين النوميدية و المورية قد دوَّنوا لغتهم في صورة أبجدية أو على الأقـل في صورة رموز كتابية ، إذ أن اللوبيين قد بدؤوا يدونون بعد أن عرفــوا الاســتقرار والتمدن ولم يتأت لهم ذلك إلا منذ القرن الثاني ق.م .

لكن الشواهد الكتابية كثيرة على أنهم تكلَّموا لغة مشتركة ، فمثلا : إن شخصية الملك حيرباص التي ذكرها المؤرخ ستيفان جزال عن كل من المؤرخ اللاتيني تيميوس

---

(4) *- Salem Chaker , " Quelques réflexions générales et méthodologiques sur le déchiffrement du Libyques" , Libyca,* <u>*dans les numéros suivants*</u> *: T : 25 , 1977 , T: ( 26 – 27 ) , ( 1978 – 1979 ) .-: T: ( 28 – 29 ) , ( 1980 – 1981 ), T : ( 30 – 31 ) , ( 1982 – 1983 ) .*

(5) *- Lionel Galand , Langus et littératture berbères( vingt cinq ans d'études) , éd . C.N.R.S. ,* Paris , 1979 .

( 3 ) - Hérodote , Op. – Cit. , T : VI , P.- P. ( 251-262 ) .

( 3 ) محمد حسين فنطر ، اللوبيون ... ، ص. 57 .

( ***Timius Taorminus*** )[1] و ميناندروس الأفسسي ( Minandrus )[2] من كونه رئيس قبيلة لوبية ابتاعت منه الملكة الفينيقية عليسة خلال القرن التاسع ق.م ، قطعة أرض تلك التي بنت عليها قرطاجة ، فمن المؤكد أن علاقة البيع والشراء كانت قد تمت مشافهة وأن المفاوضين في العملية قد نجحت وسيلة الاتصال بينهم في عقد تلك الصفقة وبالتالي فإن فلعل اللغة اللوبية تعود إلى الفترة المذكورة سابقا ؟

كما ذكر المؤرخ ستيفان جزال أيضا عن المؤرخ اللاتيني تيتيوس ليفيوس وبومبيونوس ميلاً و بلوتاركيوس أن حيرباص ملك اللوبيين كان على علاقة جيدة مع الملكة عليسة وأتباعها مما يعكس أن وسيلة التفاهم بينهم كانت في بداياتها حسنة .[3]

## 3 – <u>اللغة اللوبية ومحيطها الاجتماعي</u>

لقد كانت اللغة اللوبية لغةً اجتماعيةً شأنها في ذلك شأن العديد من اللغات القديمة لكن من الواضح أنها لم ترق إلى المستوى الذي كانت عليه لغات الشرق الأدنى القديم كاللغة المصرية القديمة ، وقد ظهرت اللغة اللوبية في بلاد المغرب القديم بلهجات عديدة ، وتكلمها المجتمع اللوبي منذ أن تكوَّن في صورته القبلية البسيطة ، حيث أتاحت تلك اللغة لأفراده الاتصال في ما بينهم ، فحملت أفكارهم وأسهمت في وجودهم وإقامة علاقات فيما بينهم وبين مجتمعات العالم القديم المجاورة لهم ، وهكذا كانت تعتبر لغة مفهومة عند أفراد المجتمع اللوبي القديم على امتداد المساحة الجغرافية التي شغلها مع اختلافات فرضتها عملية النطق الإنساني .

هكذا كانت اللغة اللوبية نظاماً معيَّناً من اللهجات و الأصوات ، كما يعبِّر عنها علماء اللغة ، وقد تعارف على ذلك النظام المنطوق جميع اللوبيين في ما بين غرب نهر النيل إلى رأس سولويس ، فكانت لغة صوتية كلامية منطوقة ذات جرْسٍ مسموعٍ

---

( 1 ) ***<u>تيميوس التورميني</u>*** : مؤرخ يوناني من مدينة تورمينا التي تقع بشرق جزيرة صقلية ، عاش خلال القرن الرابع ق.م .

( 2 ) ***<u>ميناندروس الأفسسي</u>*** : مؤرخ يوناني من مدينة أفسس ، استقى معلوماته عن قرطاجه من خلال اطلاعه على الحوليات الملكية بصور ، وقد أورده المؤرخ يوسيفيوس فلافيوس المعروف بالمؤرخ اليهودي يوسف ، ذلك الأخير الذي عاش خلال القرن الأول ق.م ، واستقى معلوماته عن مينادروس الذي ذكر أن قرطاجه أنشئت في العام السابع لحكم بيغماليون لصور .

**لمزيد من المعلومات انظر :** أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص . 11.

( 3 ) - *St . Gsell , H.A.A.N., T . I , P. 393 .*

عبَّر بها اللوبيون في مجتمعاتهم القبلية عن مختلف شؤون حيـاتهم اليوميـة فنـشأت وازدهرت ، ثم أخذت تستقل كل جماعة بلهجتها حتى توصلت اللغة إلى الانقسام فـي الفترات التاريخية اللاحقة وبالأخص في العهد النوميدي ، بعد أن تعارف الأفراد سـلفا على نظام ذي دلالة معينة تعبر عن أفكارهم فأنتجوا فيما بعد الأبجدية الأفقية والعمودية [1].

لقد ظل مستوى هذه اللغة وحيدا يتوضع في المستوى الصوتي[2] الـذي يحـدد الكلمات أو أجزاء منها وفق أنماط مقبولة ومتعارف عليها ضمن لغات العـالم القـديم المتزامنة معها كاللغة البونية .

فمثلا : نجد أسماء الأعلام والصيغ النذرية مدونة بحروف صامتة في نصوص النقائش ، وهذا ما يعني أن الكلام ينطق في منظومة متناسقة ، أما الحروف الـصامتة فتفهم من سياق النصوص المصاحبة لها في النقائش المزدوجة اللغة بونيـة – لوبيـة التي ظهرت في العهد النوميدي . [3]

### أ – <u>مظاهر ومحاور اللغة اللوبية</u>

وفقا للدراسات اللغوية اللوبية ، فإن تلك الأخيرة كانت ظاهرة اجتماعيـة لهـا مظهرين ومحورين هما :

– **<u>المظهرالأول</u>** : هو الصورة الذهنية التي توجد في عقل الجماعة اللغوية .

– **<u>المظهر الثاني</u>** : هو مظهر الواقعية أي أنه كانت هناك مجموعة من الأصوات أو نظام الرموز الذي تكلم به الأفراد فعلاً .

بناء عليه فاللهجات اللوبية – حسب نظرية اللغوي دي سوسير – هي وجه من أوجه النشاط الاجتماعي الإبداعي تحكمت فيه عوامل جغرافية أثرت علـى التركيبـة

---

( 1 ) محمد علي عبد الكريم الرديني ، المرجع السابق ، ص . 9 .

( 2) ليس بمقدور أي باحث أن يلم بدراسة لغة قديمة ( ميتة ) أو حديثة ( حية ) من جميع جوانبها دفعة واحدة ، وإنما هنـاك جوانب عديدة لكل منها رؤيتها وأبعادها تسمى في علم اللغة " مستويات الدرس اللغوي " ، التي تبدأ بالمـستوى الـصوتي أي تحليل الكلمات المنطوقة ، أما المستوى الصرفي والنحوي والدلالي والمعجمي فلم ترق إليه أصـلا إلا اللهجـات الأمازيغيـة المتطورة عنها بعد آلاف السنين . **لمزيد من المعلومات أنظر :** محمد علي عبد الكريم الرديني ، المرجع السابق ، ص . 23 .

( 3) المرجع نفسه ، ص . 12 .

التشريحية لجهاز النطق ، و هي النشاط الممارس من أفراد المجتمع وفق أدوات معينة .[1] ولأن اللغة اللوبية نشاط اجتماعي فقد أسست على محورين :

– **المحور الأول** : هو محور الزمان والمكان حيث عرفت اللغة اللوبية تنوعاً لَهَجياًّ بسبب العوامل التاريخية والجغرافية .

– **المحور الثاني** : هو محور التنوع الاجتماعي أي انتظام المجتمعات الصغرى في مستويات وطبقات تتناسب مع التوزيع اللهجي .[2]

**ب – خصائص اللغة اللوبية**

كان مستوى الأصوات والحروف في اللغة اللوبية قويا ، شديد الطاقة ، ومخارج الحروف متنوعة حسب تقطع الجهاز الصوتي ، احتوت على أصوات صفاتها مجهورة ومهموسة معظمها لهَويَّة ومزدوجة وهي : ( ق ، غ ، خ / ب ، م ، و) .

تفتقر اللغة إلى الحروف الأقصى حلقية ( مثلا حرف : ع ) ، أما ما وجد في نصوص النقوش فهو لا يتعد تخمينات ، و لأن السكان تكلموا البونية فقد غيروا من نظامها الصوتي لكن التحول كان بسيطا ، متدرجا ومحدودا قبل سقوط قرطاجة . ولعله زاد تأثيرا في فترة ازدهار المملكتين النوميدية والمورية ، إلا أن الثابت أن هؤلاء لم يكتبوا كثيرا لأنهم اعتمدوا على المشافهة في نقل خبراتهم وفي كل المجالات بعكس البونية التي تركت تراثا جيدا يمكن معرفة الكثير منه .[3]

وقد ساد التنوع اللهجي في مجتمع القرية والمدينة ، كلٌّ نَطَقَ بطريقته الخاصة ، وهذا طبيعي وراجع إلى العوامل الاختلافية بين الأفراد ، والتنوع اللَّهَجي ليس نقصا أو عشوائية في التعبير ، وإنما لأنَّ النظام اللغوي عند المجتمعات الصغيرة الفرعية مبني دائماً على التقابل والتباين والاختلاف وللعوامل الجغرافية دائماً أثرها الكبير في ذلك .[4]

---

(1) *- Ferdinand de Saussure , Cours de linguistique génerale , éd . Talantikit , Béjaia , 2002 , P . P. ( 13 – 21 ).*

( 2 ) خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000 ، ص. 173 .

( 3 ) أحمد الفرجاوي ، المرجع السابق ، ص . 155 .

( 4 ) خولة طالب الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص. ، ص. ( 47 ، 55 ، 58 ، 75 ، 77 ) .

## ج- مكانة اللغة اللوبية بين لغات العالم القديم

إن ندرة النصوص القديمة التي تتناول تاريخ هذه اللغة ومفرداتها في المصادر الكتابية ، بل والتجاهل الذي مورس عليها في كثير من الأحيان من طرف المؤرخين القدامى ، من حيث ندرة تناولهم للوضع اللغوي في المغرب القديم ، بالإضافة إلى قلة تنوع الشواهد الأثرية التي اقتصر معظمها على الجانب الديني .

كلٌّ هذا أثر تأثيرا كبيرا في تعميق المعارف حول ما يتعلق بالمستوى اللغوي عند أفراد المجتمع النوميدي ، ومدى تعامل أبنائه بها في الساحة الثقافية النوميدية التي كانت تعج – آنذاك – باللغات المتوسطية كاللغة البونية و اللغة اليونانية .

وبحكم تبني أسرة الملك مسنسن الحاكمة للثقافة الهلِّينية ، فإن اللغتين البونية واليونانية كانت لغتان لهما مكانة كبيرة في المملكة النوميدية ، فإذا كانت البونية هي لغة الطبقة الثرية في المجتمع ، واليونانية لغة الطبقة المثقفة المتهلينة ، فإن اللغة اللوبية كانت لغة جميع النوميديين ، باختلاف أصواتها ونطقها من قبيلة إلى أخرى في المدن الداخلية والقرى ، وهكذا أعلى النوميديون لغتهم واعتزوا بها .

وكان يفرَّق بين المغاربة القدماء عموما وبين الغرباء في نطق بعض الحروف التي تختص بها قبيلة دون أخرى مثل حرف الخاء المفخَّم .[1]

و لأن اللغة تتأثر بالوضع السياسي ، فإنها قد ازدهرت في عهد الممالك المحلية المستقرة كعهد الملك مسنسن .

بالمقابل ، ضعف استخدام اللغة اللوبية خلال القرن الأول ق.م وذلك بسبب منافسة اللغة اللاتينية لها بفعل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم ، فأصبحت مكانتها بين اللغات القديمة محصورة في التداول بين سكان المدن والقرى ذات المنشأ اللوبي ، واقتصرت عملية تدوينها في المناطق الداخلية على احتياجات دينية .

وهكذا بقيت اللغة اللوبية متداولة بين السكان كلٌّ بصوته ولكنته ، وما اللهجات الحالية المتداولة المعروفة باللغة الأمازيغية الآن في كل من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس وليبيا من : قبائلية وشاوية وميزابية وتارقية وشلحية ولهجات أخرى كلهجة

---

(1) - *St . Gsell , H.A.A.N., T . I , P. 312.*

سكان جزيرة جربة بتونس وأهل جبل نفوسة الإباضيين بليبيا سوى تأكيد بأنها كانت تنبع من أصل واحد متشابه في خصائصه اللغوية هو الأصل اللوبي .[1]

وخلاصة لما سبق يمكن القول أن اللغة اللوبية هي أصل اللهجات الأمازيغية المعاصرة ، وقد أجمع علماء اللغة على أن أصلها من العائلة الحامية السامية ( ***Chamito-Sémitique*** ) ، وكانت لغة مختلف القبائل اللوبية في بلاد المغرب القديم .[2]

## ثالثاً – الكتابة اللوبية

دوَّن المجتمع المحلي المتكون من النوميديين و الموريين أفكارهم بواسطة رموز اصطلح المؤرخون على تسميتها بالكتابة اللوبية ، أما المجتمع الوافد من قرطاجيين وإغريق فقد دوَّنوا بالبونية واليونانية الأتيكية [3] اللتان كانتا تعتبران من اللغات الكبرى القديمة التي وصلت لغويا إلى المستوى المعجمي [4] ، وسوف نتعرَّض هنا إلى كتابة المجتمع النوميدي من خلال التعرض لأمثلة عن النقوش .

---

( 1 ) محمد الهادي حارش ، دراسات .... ، ص . 77 .

( 2 ) *– Lionel Galand , Op . – Cit , P. 76 .*

( 3 ) هي لغة أهل أثينا وكانت لغة الكتابة في القرنين الخامس والرابع ق.م التي ألفت فيها روائع الأدب والفلسفة ، واللغة اليونانية هي إحدى الفروع الهامة في الأسرة المتعددة اللغات المعروفة بالهندو أوروبية والتي تضم اللغة اللاتينية وما اشتق منها من لغات أوروبا الغربية كالإيطالية ، واللغات السلافية وما اشتق منها من لغات أوروبا الشرقية كالصربية وشمال آسيا كالروسية ولغات آسيا الصغرى كالفارسية ، وغالبا ما يتم مقارنتها مع اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة الفينيقية والعبرية وغيرهما . **لمزيد من المعلومات أنظر :** مفيد رائف العابد ، المدخل إلى اللغة اليونانية ، ط . 1 ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 1977 ، ص. ص. ( 3 – 7 ) .

( 4 ) بمعنى أن الإغريقية والبونية هما لغتان متطورتان وكتابتان لكل منهما منظومتها النحوية والصرفية الخاصة بها ، و نود الإشارة هنا إلى أنه رغم تهلين النوميديين في المدن أسوة بأسرة مسنسن إلا أنهم لم يكتبوا خلال هذه الفترة باليونانية ، وعلى افتراض أنهم كتبوا فالثابت أثريا أنه لم يصلنا شيء منها ، والوحيد الذي كتب كان يوبا الثاني ( 50 – 23 ق.م ) بعد الاحتلال الروماني وكردة فعل على الثقافة اللاتينية ، كما أن الكتابة اليونانية في المغرب القديم قد أكب علماء اللغة على دراستها فيلولوجيا وخاصة الباحثين من جامعة قار يونس ببنغازي ، وكذا الأمر بالنسبة للبونية التي اهتم بدراستها أعضاء هيئة التدريس بجامعة منوبة .

## 1- ماهية الكتابة اللوبية

### أ- تعريفات المؤرخين واللغويين

تعرف الكتابة اللوبية أيضا بالكتابة النوميدية حيث أطلق عليها هـذه التـسمية الجنرال (فيـدارب – **Faidherbe** ) ، وهـو أحـد الـضباط العـسكريين الفرنـسيين المتخصصين في دراسة النقوش ، وقد علَّلَ دوافعه في ذلك بأن أعلى نسبة من النقوش اللوبية قد عثر عليها في المملكة النوميدية الشرقية أي بلاد الماصيل . وبالتالي ، فـإن التسمية الأكثر ملائمة لها من ناحية احترام التسلسل الزمني هـو أن يقـال : الكتابـة النوميدية .[1]

كما أنها كتابة صوتية وليست مقطعية كما هو الحال في الكثير مـن الكتابـات القديمة [2] ، وقد أكد ذلك القس فولجانسيوس ( ***Fulgensius*** ) [3] و كان أول مـن أشـار إلى أن الكتابة اللوبية أبجدية وليست رموزاً – فإنها كانت كتابة متكونة من 23 حرفا ، كلها أحرف صامتة ولا تحتوي على حروف متحركة .

فحروفها عبارة عن خطوط مستقيمة أفقية تارة وعمودية تارة أخـرى وهنـاك الدوائر وأنصاف الدوائر و المثلثات ، مفردة أو مجموعة مع بعضها .

وتعد رموزها أقرب للأشكال الهندسية منها إلى الخط المكتوب ، ولعـل ذلـك كان السبب في اعتبارها كتابة رمزية أكثر منها كتابة أبجدية عند الكثير من اللغـويين الذين يصنفون حروفها على أنها رموز فيقولون " رموز الكتابة " و لـيس " حـروف الكتابة ".

---

( 1 ) *– Le Général Faidherbe , Collection complète des Inscriptions Numidiques ( Libyques ) , Librairie A.Franch , Paris , 1870 , P .6 .*

*( 2 ) – J.Février , Histoire de l'écriture , éd. Payot , Paris , 1959 , P . 321.*

( 3 ) ***القس فولجانسيوس*** : هو فابيوس كلاوديوس جورديانوس ، يعد من آباء الكنيسة الكاثوليكية في المغرب القديم خـلال القرن الخامس للميلاد ، ولد سنة 458 م في لبتيس ( فريانة بتونس ) من عائلة أرستوقراطية ، درس اليونانية واللاتينية ، عيد ملاحظا لجباية الضرائب في إقليم المزاق ، زار خلال ذلك الأديرة التي أسسها القديس أوغسطينوس ووقف عن كثـب حـول الممارسات الدوناتية والثورة الاجتماعية المعروفة بالدوارين ، وعاش مع النوميديين وكتب عن عاداتهم وديانتهم ، ثـم تفـرغ للعبادة إذ كان مرهف الحس ، أصبح أسقف روسبي ، وترك مؤلفات كثيرة منها كتاب حول تجسيد المسيح والرد على شبهات الدوناتية ، وكان انتاجه غزير وعلى نهج أوغسطينوس . **لمزيد من المعلومات انظر :** *-Louis-Antoine Augustin Pavy , Les Saints de l'Algérie , Imp. Marc Aurel éditeurs , Valence , 1857 , P.P. ( 43-48 ).*

لكن : إنَّ تكرُّر الرموز وإعطائها مدلولا واحدا في نصوص النقائش التي عثر عليها في كامل شمال أفريقيا يؤكد على أنها حروف بقيت في طورها الأول ألا وهـــي الرموز .[1]

وبناء عليه ، يعد النقشان اللذان اصطلح عليهما بتسمية " **نقش دوقة الأول و نقش دوقة الثاني** " مزدوجا الكتابة بونية _ لوبية ، أطول النصوص اللوبية ، كمـــا يعد " نقش دوقة الثاني " بصفة خاصة أول وثيقة مؤرخة تعرف بوجود كتابة للنوميديين ، ولذلك يعتبره الباحثون بمثابة حجر رشيد تمكن علماء اللغة من فك رمـــوز الكتابـــة اللوبية .[2] ***( أنظر الشكل رقم (68 ) ، ص . 335 )***

## 2 – أصل الكتابة اللوبية و استعمالاتها

تعددت آراء المؤرخين وعلماء اللغة حول أصـــل الكتابـــة اللوبيـــة ، ذلـــك أن وصولها إلى المستوى الثاني في عملية التدوين و المتمثل في الأشكال الهندسية و الأفكار المصورة ، يجعلنا نتساءل عن الصورة القبْلِيَّة التي كانت عليها تلك الرمـــوز و الأشكال الهندسية ؟ وهل بالإمكان أن نعتبر أنها قد مرت بمرحلة تصويرية شأنه في ذلك شأن اللغات القديمة التي تدرجت من المرحلة التصويرية إلى الأبجدية ؟

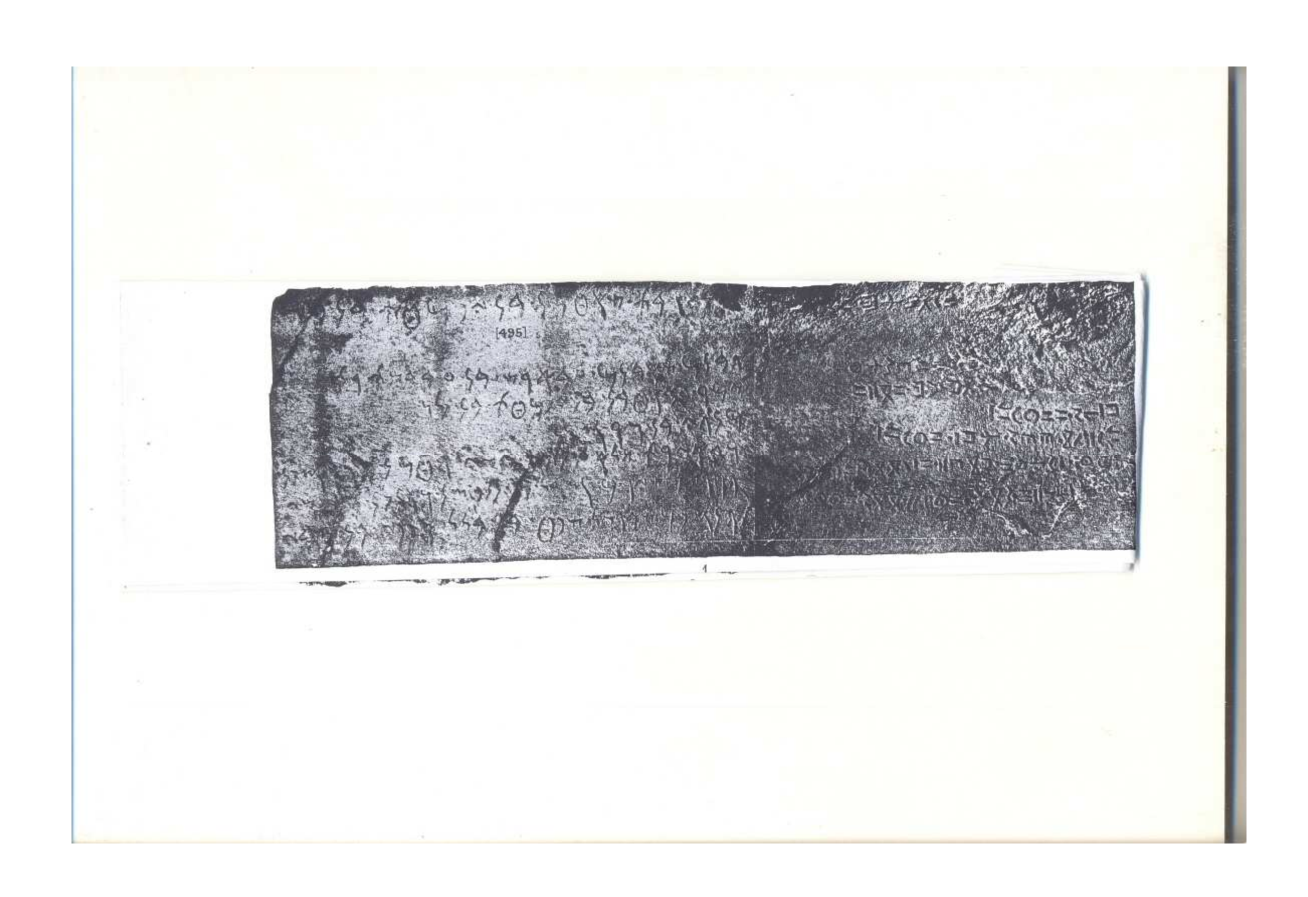
هناك رأيان الأول يدعم الأصل المحلي والثاني يقول بالأصل الأجنبي .

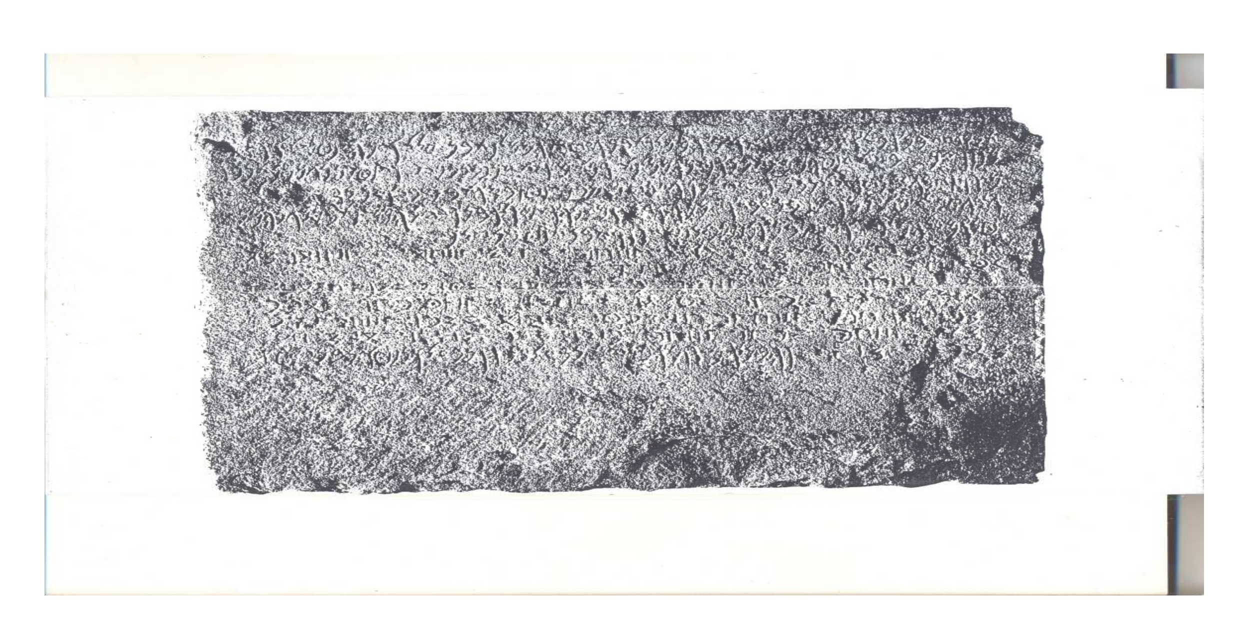
### أ – علاقة الكتابة اللوبية بالرسوم التصويرية

من الممكن وأن تكون الرسوم الصخرية هي المرحلةَ الأولى للكتابـــة اللوبيـــة ، ذلك أن معظم الكتابات القديمة كانت في بدايتها رســـوما كالهيروغليفيـــة والـــسومرية واليونانية العتيقة ، كما أنه تم العثور على العديد من الرموز الشبيهة بالرموز اللوبيـــة منقوشة في الرسوم الصخرية في الصحراء وخاصة في بلاد الجرامنت و الطاسيلي .

---

(1) - *St . Gsell , H.A.A.N., T . VI , P. P. 94 – 95 .*
(2) – *J .B. Chabot , Op. – Cit , P . 03 .*





الشكل رقم ( 68) :

نقشا دوقة الأول والثاني مزدوجا الكتابة بونية- لوبية

نقلا عن : -J.B.Chabot , Op.-Cit., Pl.I.

اعتبرت الرسوم الصخرية – آنذاك – صحيفة يومية من صنع الإنسان المغاربي القديم في مرحلة ما قبل التاريخ دوَّن فيها سيرة حياته اليومية ، كما تعتبر كتابة تصويرية متميزة في مواضيعها وتقنية تنفيذها . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن يتمثل في الآتي : هل هناك علاقة بين الرسوم الصخرية والكتابة اللوبية ؟ وهل من الممكن أن تكون التغيرات المناخية سببا في تحول الرسومات إلى كتابة ؟ وما هي الطريقة التي تحوَّلت بها تلك الرسوم إلى رموز كتابية ؟

إن هذه التساؤلات تظل دون إجابة في غياب المعطيات الأثرية التي تتناول حلقة التحول ، ومن الواضح أن أصحاب هذه الفرضية وفي مقدمتهم ستيفان جزال يقولون بالأصل السامي للكتابة اللوبية وبأنها هي الجد الأول للكتابة التيفيناغية ( كتابة طوارق الصحراء الكبرى ) والتي ازدهرت في ربوعها الرسوم الصخرية .[1]

مما سبق يمكن الاستئناس بهذه الفرضية ، بناءً على المعطيات الآتية :

**1**– وجود شبه بين الكتابة اللوبية و الكتابة التيفيناغية ، وخاصة في أوجه رسم بعض الحروف مثل حرف التاء ( + ) .[2]

**2**– تمسُّك مجتمع الصحراء وخاصة النساء بتوريث اللهجة التارقية إلى الأبناء ، وتعليم الصغار الكتابة التيفيناغية .[3]

**3** – العثور على كتابة تيفيناغية في العديد من المناطق التي سبق و أن عثر فيها على نقوش لوبية ، احتوت في نقائشها على نصوص كتابية لوبية ، وهذا في المغرب الأقصى والجزائر وعلى طول الأطلس الصحراوي .[4]

على كلٍّ ، فإن الكتابة التيفيناغية تدل على أنها مطوَّرة من أصل سابق ، ولكن هناك حروف حُرِّفَت أو أخذت قيما صوتية مغايرة بحسب التأثر والتأثير مع الحضارات المجاورة .[1]

---

( 1 ) *- St . Gsell , H.A.A.N., T . I , P. 101.* ؛ *Jinnette Aumassip , Op . – Cit , P . 16 .*

( 2 ) *– E.Litman , " L'Origine de l'Alphabet Libyque " , J. Asia. , P. 120.*

( 3 ) *-Salem Chaker et Slimane Hachi , " A propos de l'origine de l'àge de l'écriture libyco-berbère " , éd. PEETER , Paris , 2000 , P .104 .*

( 4 ) اهتم اللغوي سالم شاكر بهذه العلاقة اهتماما كبيرا في دراساته القيمة الآتية في مجلة ليبيكا : *-Salem Chaker , " Quelques considérations générales sur la langue des Touaregs " , Libyca , T : XXV , 1977 , P. P. ( 205-217 ). Et : Salem Chaker , " La situation linguistique dans le Maghreb Antique " , Libyca , T : ( XXVIII , XIX ) , ( 1980-1981) . P.P. ( 185-139 ) .*

لقد أكد عالم اللسانيات الألماني ملتزر ( ***Meltzer*** ) [2] و كذلك المؤرخ جيمس فيفريي ( ***James Février***) [3] أن الكتابة اللوبية كانت وليدة فترة القوة والازدهار الذي عاشته المملكة النوميدية ، وأنها لم تكن مقتبسة من كتابات أخرى معاصرة لها كالكتابة البونية ، وأنَّها نشأت نتيجة لتطوُّر الظروف الداخلية في المجال السياسي والاقتصادي والفكري في بلاد المغرب القديم .[4]

**ب – <u>علاقة الكتابة اللوبية بالكتابات السامية ( الكتابة البونية أنموذجا)</u>**

لا توجد كتابة معيَّنة أشار إليها علماء اللغة يمكنها أن تكون أصلا للكتابة اللوبية ، إلا أن الغالب أنها تعرضت لتأثيرات من الكتابات المعاصرة لها كالكتابة البونية والبونية –الجديدة .

يمكن القول إنها تنتمي إلى أرومة واحدة مع كل من الكتابات الكنعانية والعبرية والحِميَرِيَّة [5] والفينيقية و البونية ، لأن لها السمات نفسها التي للكتابات السامية من حيث الخط الأفقي والعدد المحدود من الحروف والحروف الساكنة ، وبالرغم من اجتهادات علماء اللغة في فك رموز الكتابات تارة بالاعتماد على الكتابة العبرية وتارة

---

( 1 ) *– Phillipe Berger , Histoire de l'écriture dans l'Antiquité , 2ème éd. , Imprimerie Nationale , Paris , 1892 , P.P . ( 324 -325 ) .*

( 2 ) *– Otto Meltzer , Geschichte Der Karthager , Zweiter Band , Weidmnnsche Buchhandlung , Berlin , 1896 , P. 122.*

( 3) *- James Février , Histoire de l'écriture , éd . Payot , Paris , 1959 , P . 325 .*

( 4 ) في مسألة نشوء الكتابة و تطورها من المشافهة التي تعد وسيلة قوية واداة مفعمة بالقوة التعبيرية والقيم الفنية ، **لمزيد من المعلومات أنظر** : والتر أونج ، الشفاهية والكتابية ، تر : حسن البنا عز الدين ، ط.1 ، ع : 182 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1994 ، ص. 52 ؛ مصطفى ناصف ، اللغة والتفسير والتواصل ، ط.1 ، ع : 193 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995 ، ص. ص. ( 9 – 23 ) .

( 5 ) ***<u>اللغة الحِميَرِيَّة</u>*** : نسبة إلى مملكة حمير ( 115ق.م – 525 م ) ، هي مجموعة من القبائل التي كانت منتشرة جنوب شبه الجزيرة العربية قرب سبأ ، إذ بعد أن سقطت تلك المملكة سنة 115 ق.م استكمل ملوك حمير نفوذهم وأصبح لهم ديش قوي وصل إلى المملكة الرافدية ، وقد خلفت مملكة حمير آثارا تدل على العظمة والرقي ، وهي تشمل كثيرا من الأطلال والنقوش ، كما كان لها أسطول ضخم ينقل البضائع بين موانئ اليمن والهند ، وقد احتلها الرومان وكتبوا بخط المسند ، وقد درس جوزيف هاليفي 767 نقشاً يمنيا سنة 1869 وكان من بين الذين رصدوا نقاط تشابه كثيرة بين الكتابيتين اللوبية والحميرية التي استعان لفك رموزها بيمني يهودي يدعى حاييم حبشوش ، وكذا الحال بالنسبة للوبية . **لمزيد من المعلومات انظر** : أطلس التاريخ القديم ، ص . 126 ، أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ط. 2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1980 ، ص . 152.

أخرى بالاعتماد على البونية إلا أنهم كانوا غالبا ما يلاحظون ذلك الاختلاف الواسع بين رسم الحروف في الكتابات السامية وفي الكتابة اللوبية .[1]

إلا أنه في الدراسات المعاصرة ، ومنها على سبيل المثال نجد جهود الأثري سباتينو موسكاتي [2] والتي دعمت دراسات سابقة كان قد بدأها علماء اللغة تيودور نولدكه و فلهوزن و كذلك اسرائيل ولفنستون [3] ، وعلى كل فقد توصل الباحثون الذين عملوا في مجال اللغة والكتابة اللوبية مثل جوزيف هاليفي و فيكتور روبو وغيرهما – كما سيرد لاحقا – إلى أن اللغة اللوبية مشتقة من جذور سامية ، وقد اعتمدوا في نتيجتهم تلك على سلسلة من البحوث الفيلولوجية و التي أتمها بالبحث والتحليل العالم الألماني أوتو روسلر الذي توصل إلى نتيجة نوجزها فيما يلي :

" **إن اللغة النوميدية لغة سامية ، انفصلت عن اللغات السامية الأخرى في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم ، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغات السامية** " .[4]

ولذلك يعتبر اللغوي روسلر من أهم الذين قعَّدوا علميا لعلاقة الكتابات السامية بالكتابة اللوبية ثم النوميدية مركزين على علاقة اللغتين ببعضهما بعضا .[5]

وخلاصة لما سبق ، فقد أقرَّ علماء اللغة مؤخرا أنه لا جدال في أنها تُصنَّف الكتابة النوميدية ضمن عائلة اللغات الحامية السامية .[1] ***<u>( أنظر الشكل رقم (69 ) ، ص .339 )</u>***

---

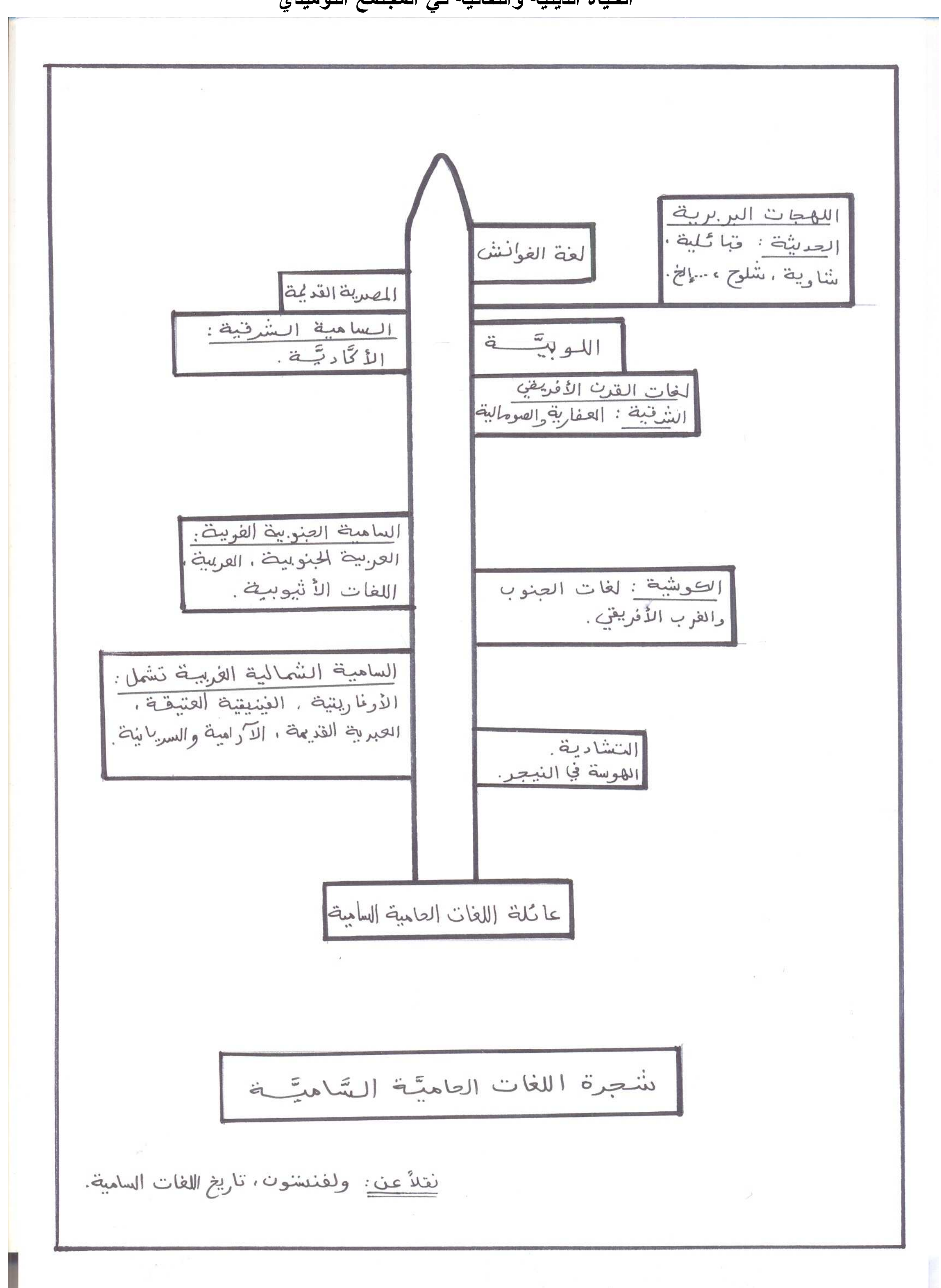
(1) - *James Février, Op.-Cit. , P . 324 .*

( 2 ) ذكر سباتينو موسكاتي في هذا الصدد ما يلي : " من المعروف أن السامية ليست مجموعة منعزلة ، ولكنها تؤلف جزءاً من مركَّبٍ من لغات أوسع تدعى ( السامية الحامية ) ، إذ هي تشتمل مع السامية على هذا التجمع الأوسع من المصرية والبربرية اللوبية والكوشية ، والعلاقة بين السامية والحامية علاقة مادة لغوية أصيلة ، وقد قدم روسلر دراسة قيمة مفادها أن البربرة اللوبية في جوهرها ذات سمة سامية ، كونها تحتوي على طبيعة صوتية خاصة وصرفية ومعجمية " . **للمزيد من المعلومات انظر** : سباتينو موسكاتي وآخرون : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، تر : مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي ، ط. 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1993 ، ص. ص. ( 34 – 35 ) .

( 3 ) **للمزيد من المعلومات انظر** حول اللغة السامية الحامية وفروعها : إسرائيل ولفنستون ، تاريخ اللغات السامية ، ط. 1 ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1929 ، ص. 2 ، حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، ط. 2 ، دار القلم ، دار القلم – الدار الشامية ، دمشق– بيروت ، 1990 ، ص . 14.

(4) - *Otto Rossler , Die Numider , Herkunft , Schrift , Sparch , P. 33.*

( 5 ) عثمان سعدي ، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية ، ط. 1 ، منشورات مجمع اللغة العربية بطرابلس ودار الأمة الجزائر ، 2007 ، ص . 7 .




**الشكل رقم ( 66 )** (6)

---

(6) - *Salem Chaker et Slimane Hachi , Op. – Cit , P . 186.*

## 3 – أنواع الكتابة اللوبية

هناك تساؤلات كثيرة حول علاقة المجتمع اللوبي بالكتابة : من كان يكتب في المملكة النوميدية ؟ و هل كانت هناك فئة الكتبة على غرار ما كان في مصر القديمة وقرطاجة ؟ و هل كان من المفترض أن يكون الكاهن كاتبا ؟

هل كتب سكان المدن والقرى ؟ هل كتب النوميديون على الحجارة فقط ، بحيث أن الذي وصلنا من شواهد أثرية لم يكن سوى أنصاب حجرية ولا أثر لرقيمات الفخار؟ وما هي الآثار الأدبية التي خلفها النوميديون مدوَّنة باللوبية ؟

للإجابة عن ذلك نقول أنه يوجد نوعان من الرموز الكتابية اللوبية ، فإذا افترضنا أنها لغة تكلمها اللوبيون في منتصف الألف الأولى ق.م ، وحذقوها خلال فترة لسيادة الحضارية القرطاجية ، فإن تدوينها هو المظهر الثقافي لسيادة المملكة النوميدية الموحدة .

لقد توصل الباحثون إلى تقسيم الكتابة وتصنيفها بناء على مناطق تواجد النقوش التي احتوت النصوص اللوبية ، و اتجاه الأسطر أفقية كانت أم عمودية .

### أ – الكتابة اللوبية الشرقية

تعرف بالأبجدية الشرقية ، تدوَّن في النصب بشكل أفقي ، وكانت قد انتشرت في نوميديا الشرقية ، وعرفت بكتابة قبائل الماصيل .[1] ***( انظر الشكل رقم (70 ) . ص.341)***

لم ترد نصوصها منفردة في النقوش وإنما كانت مزدوجة الكتابة منها البونية – اللوبية ، ومنها البونية الجديدة – اللوبية ، وفي مرحلة لاحقة شاعت النقوش المزدوجة اللاتينية – اللوبية .

لقد سمحت ازدواجية النصوص لعلماء اللغة بفك رموز الكتابة اللوبية ، وتحديد عدد حروفها وكذا تعيين القيم الصوتية لتلك الحروف في اللغة الشرقية الماصيلية ، وتنتمي إليها نقوش دوقة والنقوش المكتشفة في بعض المدن الداخلية مثل : ماكتريس و بونة و تيفست و كرتن و سيكا .

---

[1] - *Chabot , Op.- Cit. , P . 3.*

| الحــرف العربـــــي | الحــرف اللوبـــــي |
|---|---|
| ب | |
| ج | |
| د | |
| و | |
| ز | |
| ط | |
| ي | |
| ك | |
| ل | |
| م | |
| ن | |
| ف | |
| س | |
| ص | |
| ق | |
| ر | |
| ش | |
| ت | |

**<u>الشكل رقم ( 70)</u> :**

**جدول الأبجدية الأفقية اللوبية ( الاتجاه من اليمين إلى اليسار )**

**- J. , B. , Chabot , op-cit. , P. V.**

كما أنه بفضل منهجية المقارنة ، تمكَّن الباحثون من معرفة معاني الرموز الكتابية اللوبية ، وهي التي أطلق عليها : الأبجدية النوميدية لأنها كانت تمثل فعلا وجه الإنتاج الثقافي للنوميديين ، بحيث لا تكاد تخلو منطقة شغلها الماصيل لا تحتوي على عدد من النقوش .[1]

**ب - الكتابة اللوبية الغربية**

تعرف بالأبجدية الغربية ، وكانت تدوَّن بطريقة عمودية ، وقد انتشرت في كامل نوميديا الغربية ، أي في بلاد الماصيصيل ، ولكن هذا لم يمنع من انتشارها في بعض مناطق الماصيل ، ذلك أن رسم بعض الأحرف في الكتابة الغربية يشبه في رسمه بعض الأحرف في الكتابة الشرقية . *( انظر الشكل رقم (71 ) . ص .343 )*

تضمَّنت النقوش اللوبية المكتشفة في نوميديا الغربية عددا محدودا من النصوص الكتابية التي تنتمي للأبجدية الغربية ، وقد وصل عددها إلى ثمان وثلاثين حرفاً .

ولا تزال القيم الصوتية للحرف الكتابي في الأبجدية الغربية غير معروفة لأن معظم النصوص لم تكن مزدوجة بكتابة رسمية تسمح بالمقارنة والتحليل اللغوي كما كان الحال في نقوش دوقة ، وإنما كانت وحيدة الكتابة .

واشتهرت النقوش العمودية بانتشارها في المناطق الريفية ، وهي ذات طابع جنائزي .[2]

لكن السؤال الذي يطرح نفسه : لماذا كانت الكتابة اللوبية الغربية مقتضبة في نصوصها ومقتصرة على الجانب الجنائزي ؟ هل لأن النوميديين كانوا يعتقدون في الفاعلية السحرية لهذه الرموز من أنها تفيد موتاهم في الحياة الثانية ؟ أم أنها ردة فعل يحاولون من خلالها إثبات حضورهم الثقافي ؟

مهما يكن ، فإن الكتابتين اللوبيتين الشرقية والغربية قد جاءتا من الابتكار المحلي لأفراد المجتمع المغاربي القديم ، وغرضها ذلك هو تدوين بعض القضايا التي رأى فيها السكان ضرورة لأن تدوَّن بتلك الكتابة .

---

( 1 ) - *Salem Chaker , " Quelques réflexions générales ..." , P . 152 .*
( 2 ) - *Ibid , P . 153.*

| الحـــرف العربـــــي | الحـــرف اللوبـــــي | |
|---|---|---|
| ب | ⊙ | |
| ج | Ր | |
| د | ⊏ | |
| و | ॥ | |
| ز | ⊢⊣ | I |
| ط | |||| | |
| ي | N | |
| ك | ↑↑ | M |
| ل | = | |
| م | ⊔ | |
| ن | | | |
| س | ⧗ | |
| ف | X | ⋈ |
| ص | T | |
| ر | O | |
| ش | W | Ш |

**<u>الشكل رقم ( 71 ) :</u>**

**جدول الأبجدية العمودية اللوبية( الاتجاه من الأسفل إلى الأعلى )**

**- J. , B. , Chabot , op-cit. , P . V.**

لهذا كانت الكتابة اللوبية من الكتابات الرسمية المتداولة في الفضاء النوميدي .[1] وتجدر الإشارة إلى اكتشاف الأثريين نقيشة جديدة في المغرب الأقصى في الأطلس الأعلى في منطقة ( عزيب نكيس ) ،[2] وهو موقع بوني أرّخ له بحوالي القرن السادس ق.م في مطلع التسعينات .[3] وذلك من شأنه أن يميط اللثام حول استخدام الكتابة في بلاد المغرب القديم .

## 4 – الكتابات المتطورة عن الكتابة اللوبية ( التيفيناغية )

نظرا لبعض المعطيات التاريخية والأثرية واللغوية ، اعتبر بعض الباحثين أن الكتابة اللوبية ما هي إلا أصل للكتابة التيفيناغية فاصطلحوا على تسميتها بالكتابة التيفيناغية العتيقة .

لقد تبيَّن من إحصاء النقوش اللوبية ومناطق توزيعها في كامل المغرب القديم أنها كتابة كانت معروفة لدى جميع السكان ، يتداولونها في ما بينهم مع اختلافات فرعية طفيفة في اتجاه بعض الأحرف . *( انظر الخريطة رقم ( 19 ) . ص .346 )*

و قد ظل استخدامها متواصلا في بلاد الماصيل والماصيصيل والموريين والجيتوليين وكذلك الجرميين ، وأنها بدأت تزحف باتجاه الجنوب إثر تطبيق سياسة الرومنة في الفترات اللاحقة إلى غاية العصر الوسيط ، ولذلك اصطلح على تسمية النوع المتطور من الكتابة اللوبية في القرون الميلادية بالكتابة اللوبية – البربرية .[4]

---

( 1 ) يتعارض بعض المؤرخين ومنهم محمد فنطر مع بعض اللغويين ومنهم ليونال جالان و سالم شاكر في مسألة اللغة اللوبية و انبثاق الأمازيغية عنها ، وذلك من حيث أن نطق الحروف اللوبية يشابه نطق حروف الأمازيغية المعاصرة ، إلا أنه من وجهة نظر علمية فلا يمكن الأخذ بمبدأ اللغويين في قراءة النصوص اللوبية التي تعود إلى آلاف السنين على قدم المساواة مع الكتابة الأمازيغية المعاصرة . و في الوقت نفسه لا يمكن نكران جهود اللغويين الحثيثة في هذا الميدان ، حيث أنهم في بحث مستمر واكتشافات جديدة متواصلة . **للمزيد من المعلومات *أنظر*** : محمد حسين فنطر ، اللوبيون ... ، ص. 55 ، محمد الصغير غانم ، " النقوش الليبية في شمال أفريقيا المصطلح والرموز الكتابية " ، المورد ، مج. 19 ، ع : 12 ، بغداد ، 1990 ، ص . 39 ، *-Lionel Galand , " Les Alphabets Libyques " , Ant.Afr. , T : XXV, 1989 , P.70.*

( 2 ) *– Malika Hachid , " La plus ancienne écriture de l'Afrique du Nord ,Le Libyque a plus de 3000 ans d'àge ", Le : 18/07/2006.*
*, Sur le lien :http://command-com.net/agadez.org/pages_culture/origine.htm*

( 3 ) *– Salem Chaker , " L'écriture Libyco-Bérbére , Etat des lieux et perspectives " , P. 16 .Sur le lien : www.bafricaine.com, Le : 24/07/2006.*

( 4 ) - G. Camps , Op. – Cit , P.- P. ( 270 -271 ) .

اعتبر الباحث ( ريبو – ***Reboud*** ) أول من أشار إلى ضرورة التفريــق لــدى الباحثين بين الكتابة اللوبية و الكتابة اللوبية – الصحراوية والكتابة التيفيناغية .

– الأولى : هي الكتابة الأم لكل الكتابات المحلية في المغرب القديم .

– الثانية : هي تطور للكتابة اللوبية في مناطق شمال الصحراء .

– الثالثة : هي نوع من أنواع الكتابة اللوبية ، وهي جزء لا يتجزأ منها ، وكذا الحال بالنسبة لبقية الكتابات اللوبية – البربرية الحديثة التي تنتشر في مختلــف ربــوع شمال أفريقيا في وقتنا الراهن .[1] *( انظر الخريطة رقم ( 20) . ص . 349 )* .

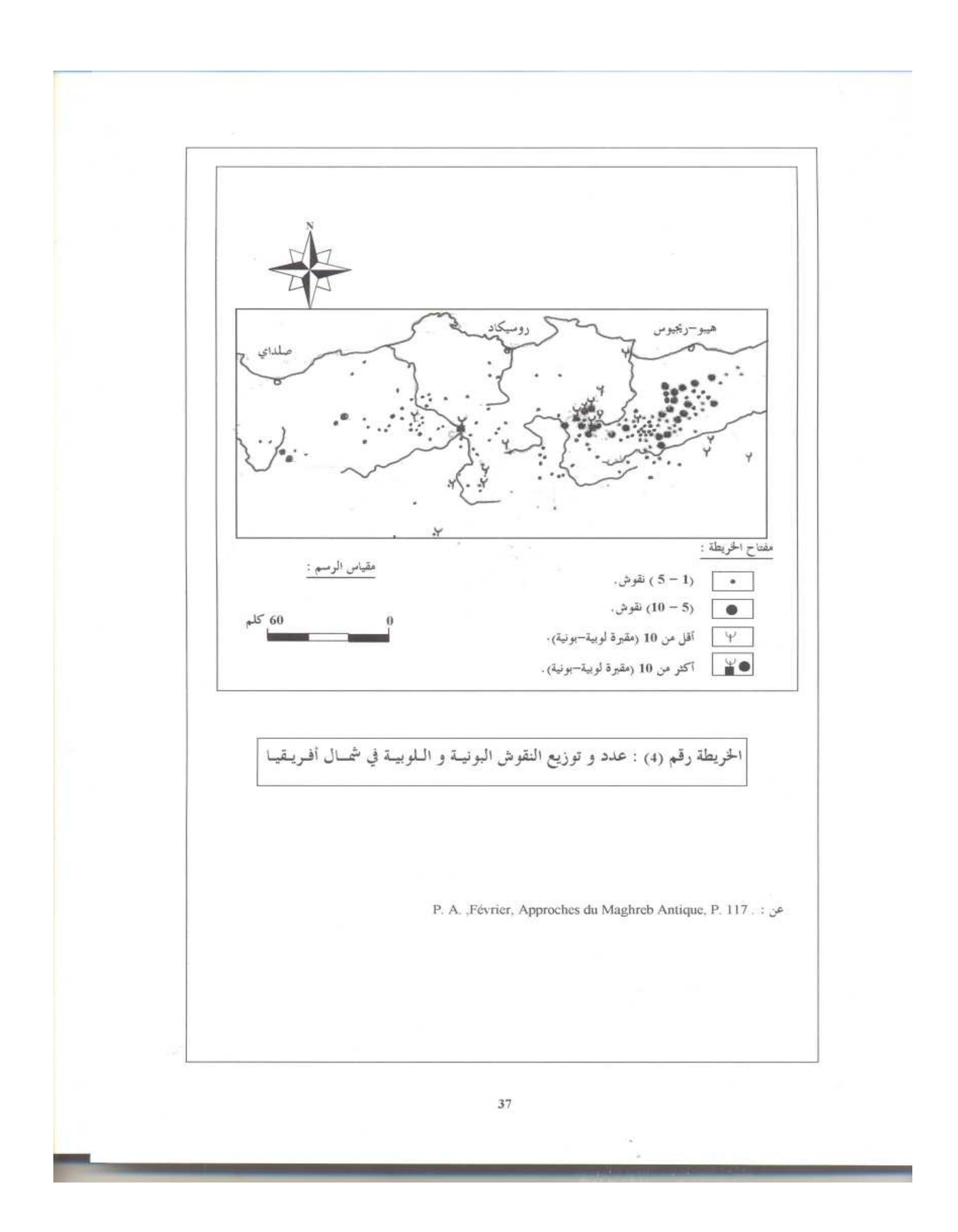
مما يدعم تلك الفرضية هو أنَّ الكتابة التيفيناغيَّة لا تزال مستخدمة عند طوارق الصحراء الكبرى ، وأن هناك شبها كبيرا من حيث رسم بعــض حروفهــا وحــروف الكتابة اللوبية . *( انظر الشكل رقم ( 72) . ص . 347 )*

كما أن عدد الحروف في كلا من الكتابة اللوبية الشرقية والكتابة التيفيناغية هــو أربعة وعشرون حرفا . وإذا كانت التيفيناغية قد استوفت بعض حقهــا مــن الــدرس اللغوي ، فإنه لا يمكن الاعتماد عليها في فك رموز الكتابة اللوبية ، لأسباب عديدة لعل أهمها على الإطلاق وجود اختلافات في نطق بعض الحروف اختلافا جذريا مثلا رمز الحرف ( ب ، ◎ ) في اللوبية الذي ينطق ( س ) في الرموز التيفيناغية رغم أن شكلهما متشابه في كلتا الكتابتين . *( انظر الشكل رقم ( 73 ) . ص . 348 )* .

مما سبق ، نجد أن النوميديين كانوا قد توصلوا إلى مرحلة مزدهرة من التطور والتفوق الحضاري خلال حكم أسرة الملك مسنسن ، مما حمَّسهم إلى الاهتمام بالشؤون الحضارية ، و لو لم يسد الاحتلال الروماني لكانت المملكة النوميديــة قــد واصــلت ازدهارها وتوفقها في مختلف مجالات الحياة .

---

- *M. Reboud , Recueil des inscriptions Libyco – Berbères , imp. Adrian Leclaire , Paris , 1870* ( 1 ) *, P. 7 .*




الخريطة رقم (4) : عدد و توزيع النقوش البونية و اللوبية في شمال أفريقيا

عن : P. A. ,Février, Approches du Maghreb Antique, P. 117 .

**الخريطة رقم ( 19)**

أبجدية التيفيناغ موضحة بالحروف العربية

ⵔⵀⵄⵅ = ب
\+ = ت
= ج
= تشبه الجيم المصرية، يسميها بعضهم "الكاف المعقودة" (كـ . g )
= جيم ذات صوت رخيم أو كاف معقودة ليّنة (كـ G )
:: = خ
ΛΠVL = د
□O = ر
= ز
\# = زاي مفخمة، قريبة من الصاد (ز = ẓ)
⊡ ⊙ = س
= ش
Ǝ = ض (ḍ)
= ط
⋮ = غ (R)
I ⌶ = ف
... = ق (K)
⁚ = كـ
II = ل
ⵎ = م
I = ن
⋮ = هـ (H)
: = و
= ي

<ins>الشكل رقم ( 72 ) :</ins>

**أشكال أبجدية التيفيناغ وقيمها الصوتية باللغة العربية**

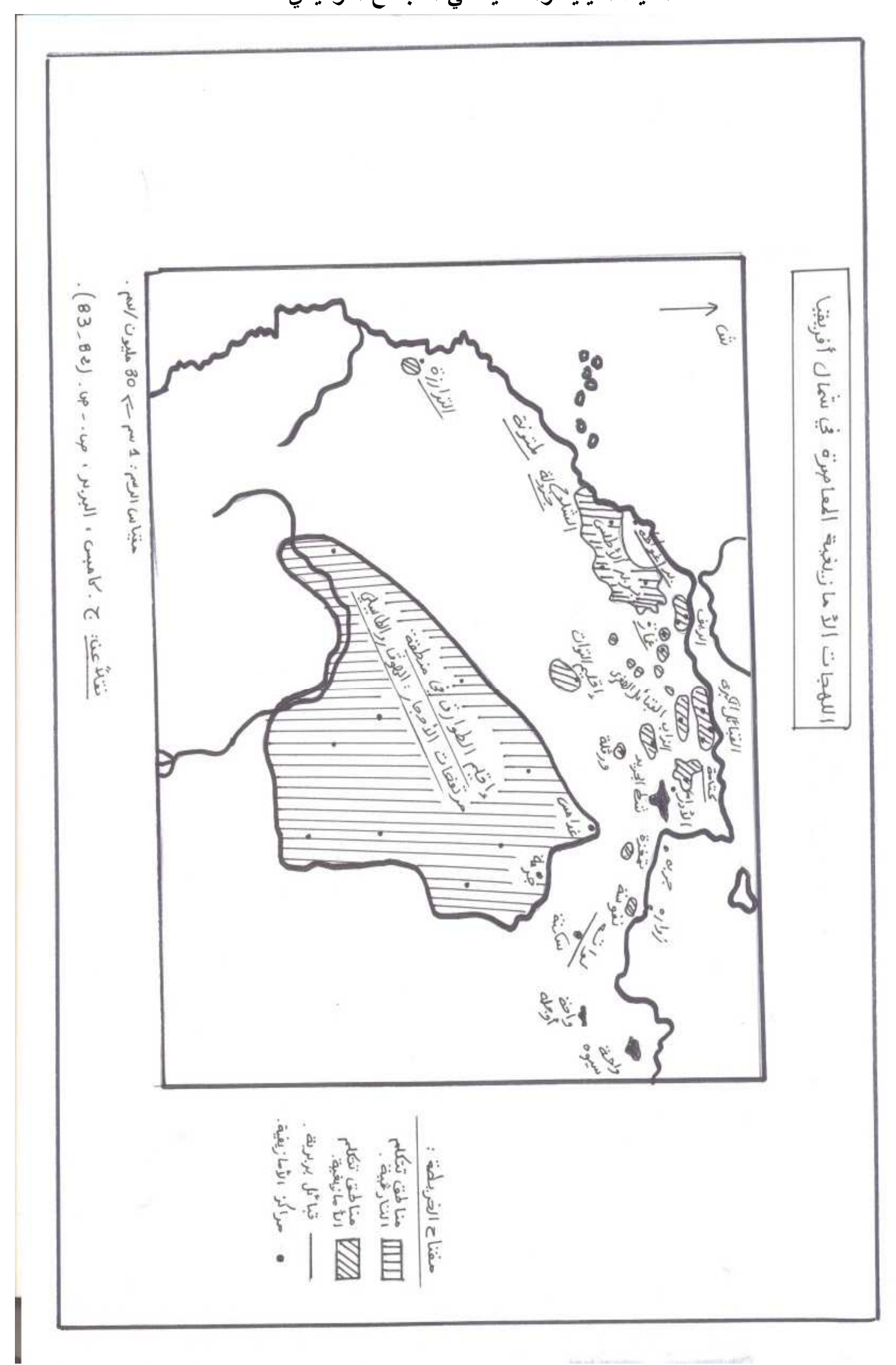
<ins>نقلا عن</ins> : محمد مختار العرباوي ، البربر عرب قدامى ، ج. 2 ،
ط. 2 ، مطبعة فن الطباعة ، تونس ، 2000 ، ص. د.ترقيم .

| الحروف العربية | الحروف الفينيقية | حروف التيفيناغ | حروف المسند | الحروف النوبية | نقوش طور سيناء | الحروف اللحيانية | الحروف الثمودية | الحروف الصفوية | الحروف الآرامية | الحروف السريانية | الحروف الكلدانية | الحروف النبطية | حروف الاسترنجيلية | الحروف العبرية | الحروف العفرية | عبري مربع | عبري عادي | مصري مقدس | مصري الثقافية | مصري العامة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ب | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ت | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ث | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ج | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ح | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| خ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| د | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ذ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ر | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ز | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| س | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ش | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ص | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ض | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ط | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ظ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ع | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| غ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ف | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ق | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ك | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ل | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| م | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ن | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| هـ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| و | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| ي | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | |

**الشكل رقم ( 73 ) :**

**جدول مقارن للتيفيناغية مع الخطوط الكتابية القديمة**

**نقلا عن : محمد مختار العرباوي ، المرجع السابق ،ص. د.ترقيم .**



**الخريطة رقم ( 20 )**

## رابعاً – النُّقوش اللوبية وأهميتها الحضارية

### 1– ماهية النقوش اللوبية

النقوش اللوبية هي كتابات سُجِّلَت على نصبٍ حجريةٍ دينية جنائزية ، تـضمنت إلى جانب النصوص الكتابية رموزا وأشكالا تصويرية ، وهي تشبه النقوش البونية في طريقة التنفيذ .[1]

اكتشفت النقوش اللوبية من طرف بعض العسكريين والمهتمين بدراسة التاريخ والآثار من الأوروبيين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس والمغرب الأقصى و أشهر من اهتم بدراستها و تحليل مضامينها : ( جيزينيوس – ***Gesenius***) و( الجنرال جوداس – ***Judas*** ) و (الضابط جوزيف هاليفي – ***J. Halevy*** ) و( الجنرال فيدارب – *Faidherbe* )[2] و( الطبيب فكتور روبو– ***Reboud*** )[3]و ( الضابط مينهوف – ***Meinhof*** ) و ( اللغوي ألفريد دي سولسي – ***Alfred de Saulcy***)[4] و ( الأب جان شابو – ***Abbée Chabot***)[5] و ( جورج مارسي – ***G.Marcy*** ) .[6]

تعد المصدر المادي الأول الذي يؤكد أن المغاربة القدماء قد عبَّروا عن لغتهم المحلية برموز كتابية ،[7] هذا وقد جمعت وصنفت النقوش المكتشفة فيما بين ( 1837 – 1940 ) في ديوان النقوش اللوبية للأب شابو الذي درس 1125 نقش دراسة تاريخية ولغوية متميزة جمع فيها مختلف أعمال الباحثين الذين سبقوه ، فكان ديوانه المصدر الأهم في دراسة النقوش اللوبية .[8]

---

( 1 ) محمد الخير أورفه لي ، " أسلوب الجرد في منهجية البحث الأثري – نموذج الأنصاب –" ، أعمال الملتقى الثالث للبحث والدراسات التاريخية ، المسيلة ، 1995 ، ص. 58 .

2 ) *- Faidherbe , Op. – Cit. , P. 4.*

3 *- Reboud , Op.- Cit. , P. 8*

4 *- A. De Saulcy , " Lettre sur une inscription bilingue de Dougga " , J.Asia. , 1843 , P . 86.*

5 *- Chabot , Op.-Cit. , P . 4.*

(6 ) *-Georges Marcy , Les inscriptions Libyques Bilingues de l'Afrique du Nord , imp. Nationale , Paris , 1936 , P . 1 .*

( 7) يوجد مصدر ثان لا يقل أهمية عن النقوش وهو : الفخار حيث تم العثور في تيديس على جرة فخارية تحتوي على بقايا عظمية حللت بواسطة الكربون 14 وتعود إلى حوالي 250 ق.م ، وتضمنت زخارفها رموز كتابية لوبية ملونة ، كما عثر على جرة في مقبرة برشقون تحمل علامة لوبية وتعود إلى القرن الرابع ق.م ، وهذا ما يثبت أن الرموز الكتابية اللوبية كانت متداولة قبل قيام المملكة النوميدية بكثير . ***للاستزادة أنظر***: *- Lionel Galand , " Le libyque et* les Tifinaghs ", *éd.CNRS, Paris ,2006, P. 8.*

( 8) ***للمزيد من المعلومات أنظر*** : *- J.B.Chabot , Op. – Cit , P . 03.*

## 2 – الحياة الاجتماعية من خلال مضامين النقوش

احتوت النقوش اللوبية التي تعود إلى فترة القرن الثاني ق.م على معلومات هامة أماطت اللثام على الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية للمجتمع النوميدي في مجال الدين واللغة ، وقد استطاع المؤرخون معرفة بعض أسماء الأعلام ومكانتهم الإدارية والعسكرية .

### أ – أسماء الأعلام

إن أبرز أسماء الأعلام كانت خلال فترة ازدهار حكم المملكة النوميدية هي أسماء ذات طابع محلي خالص ، وأغلبها أسماء رجال ، مثل : " مسيرن ، منكده ، مسوه " و أسماء كثير أخرى. *( انظر الشكل رقم ( 74 ) . ص .352 )*

كما توجد أيضاً أسماء أعلام لوبية متأثرة بنمط أسماء الأعلام البونية مثل : " شنك ، تنكو ، عريش ، عنكان ، عطيبان " . [1]

وهكذا ، فمن خلال دراسة أسماء الأعلام في مجموعة النقوش اللوبية ، نجد أن النوميديين قد عملوا على الحفاظ على الهوية اللوبية للمتوفين ، وذلك عن طريق تدوين أسمائهم المحلية على شواهد قبورهم التي تعد معبرا لانتقالهم إلى الحياة الأخرى .

### ب – النسب

لا يخلُ نقش لوبي من إشارة إلى نسب المتوفي وأحيانا إلى القبيلة التي ينتمي إليها ، بدءا من النقوش المزدوجة لوبية– بونية ، ووصولا بالنقوش وحيدة الكتابة .

فمثلا بالنسبة لنسب المتوفي : احتوى نقش دوقة الأول على الأنساب الآتية :

" عطيبان بن يفمتاح بن فلو " و " أباريس بن عبد عشترت " و " زمر بن عطيبان " ، مما يعني أن الشخص ينسب لأبيه وجده في ما لا يدع أي مجال للشك بأن الأسرة كانت أبوية . [2]

أما في نقش دوقة الثاني ، فنجد نسب العاهل النوميدي على النحو الآتي : " مسنسن بن جايا بن زلالسن " ، كما نجد أيضا نسب الأشخاص إلى الأب مثل " زمر بن مسنف بن شمن " .

(1) - *J.B.Chabot , Op. – Cit , P. XV.*
(2) - *Faidherbe , Op. – Cit , P . 53 .*

**الشكل رقم ( 74): أسماء الأعلام الأكثر تداولا في النقوش اللوبية**

| الإسم باللوبية | الترجمة العربية | الإسم بالعربية | عدد المرات التي ذكر فيها |
|---|---|---|---|
| [illegible] | س<br>ن<br>ب | بنس | 226 |
| [illegible] | هـ<br>و<br>س<br>م | مسوه | 87 |
| [illegible] | هـ<br>ص<br>ر | رصه | 79 |
| [illegible] | هـ<br>ر<br>ك<br>س<br>م | مسكره | 62 |
| [illegible] | هـ<br>د<br>ك<br>ن<br>م | منكده | 41 |
| [illegible] | هـ<br>ب<br>د<br>ز | نزدبه | 22 |

| الإسم باللوبية | الترجمة العربية | الإسم بالعربية | عدد المرات التي ذكر فيها |
|---|---|---|---|
| [illegible] | هـ<br>م<br>ر<br>د<br>ن<br>ن | نندرمه | 14 |
| [illegible] | هـ<br>ي<br>ز<br>ف<br>ن | نفزيه | 12 |
| [illegible] | هـ<br>ي<br>ب<br>ن<br>ن | ننبيه | 11 |
| [illegible] | ن<br>ر<br>ي<br>س<br>م | مسيرن | 10 |

[1]

[1] J., B., Chabot , op-cit ., P . XV

مما سبق نجد أن النقوش تؤيد صحة اسم الملك مسنسن المذكورة في العملة التي سكت في عهده ، وربما أيضا قيمتها الصوتية دون أحرف متحركة .

أما بالنسبة للقبيلة التي بنت الضريح النوميدي ، فقد ذكر في نقش دوقة الثاني " سكان بني فشن " وهي قبيلة كانت تقطن مدينة " تبجج " أي دوقة في عهد الملك مكوسن بن مسنسن .[1]

هذا وقد ذكرت النقوش اللوبية أسماء قبائل نوميدية ذات أصول محلية هما قبيلتي : " ندرمة " و " مسكره " ، اللتان استوطنتا إقليم هيبون وانتشرتا عبر ربوعها .

تجدر الإشارة إلى أن هذين الاسمين اسما قبيلتين ، وليسا من أسماء الأعلام ، ولم يرد غيرهما من قبائل في النقوش المكتشفة .

ذلك أنه عند التنقيب الأثري الذي قام به فيدارب و روبو عثرا على مجموعة من النقوش اللوبية في مكان واحد ، ولعل هذا دليل على وجود مقبرة جماعية لأسرة واحدة من قبيلة واحدة ، أو لأبناء عمومة من قبيلة واحدة ، وكان هذا في مقبرة شعبة المكوس بوادي الشافية في الطارف بالجزائر، كما تكرر اسم " ندرمه " واسم " مسكره " الذي وجد في جميع النقوش اللوبية في مقبرة وادي القنطرة في جبال القطار بالطارف أيضا ، وهذا المكان سوف يظل محافظا على إنتاج النقوش حتى فترة القرن الخامس للميلاد .

**خلاصة لما سبق** ، فإن الباحث في هذا الميدان يجد أن النصوص اللوبية لم تحتو على أكثر من الإشارة إلى نسب المتوفي ، و لذلك فإنه يتعين أن نعتبرها الإشعاع الأول الذي أفادنا بوجود كتابة للإنسان المغاربي القديم في ظل مناخ سيطرت عليه الإمبراطورية الرومانية ، فكانت بمثابة ردة الفعل الصامدة في وجه الاحتلال كما سيرد لاحقا .

---

(1) - *J.B. Chabot , Op. – Cit . , P . 03 .*

# الباب الرابع

# المجتمع المغاربي القديم خلال مرحلة الاحتلال الروماني

**الفصل الأول**

**النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني**

**الفصل الثاني**

**الحياة الاجتماعية في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني**

**الفصل الثالث**

**الديانة ووظائفها في المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني**

**الفصل الرابع**

**ثقافة ولغة المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني**

**وتطور تركيبته الاجتماعية خلال القرن السادس للميلاد**

# الفصل الأول

# النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني

أولا : النسيج الاجتماعي في بداية الاحتلال الروماني (46ق.م – 40 م )

ثانياً: مكانة المجتمع المغاربي القديم ضمن منظومة قوانين المرحلة الإمبراطورية الأولى .

ثالثاً : التراتب الاجتماعي وتطور الطبقية في المرحلة الإمبراطورية الأولى

رابعاً : التركيبة الاجتماعية في العهدين الإمبراطوريين الثاني والثالث.

أصبح النسيج الاجتماعي في المغرب القديم متباين العناصر العرقية بعد الاحتلال الروماني ، فبعد سلسلة من التغيرات والتحولات السياسية والعسكرية ، تأثرت بنية المجتمع المحلي بعد أن كان مجتمعا ينعم أفراده باستقلالهم الذاتي ، أضحوا مواطنين مهمشين و مسيطرا عليهم .

ساد أثناء تلك الفترة مصطلح : " المجتمع الأفريقي " للدلالة على السكان المحليين ، في حين شكل الوافدون منذ القرن الأول للميلاد طبقات ضمن المجتمع المغاربي القديم ذي المفهوم الأشمل والأوسع للنسيج الاجتماعي في العهد الروماني .[1]
***( انظر الخريطة رقم ( 21 ) . ص .357 )***

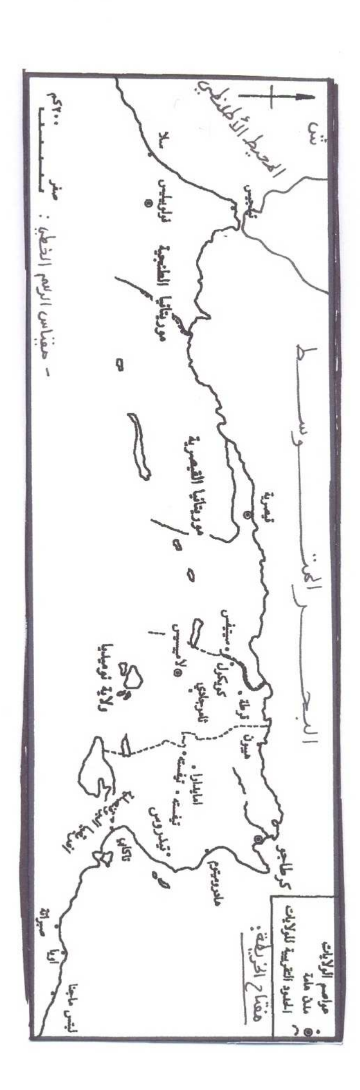
## أولا – النسيج الاجتماعي في بداية الاحتلال الروماني (46ق.م – 40 م )

### 1 – وضعية المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني

لا يمكن دراسة تاريخ المجتمع المغاربي القديم دون التعرض للفترات السياسية الكبرى التي أثرت في تطوراته بمجموعة القوانين الصادرة تجاهه ، وعليه فإن الدارس للتاريخ الاجتماعي لا بد له و أن يتعرف على تقسيمات المؤرخين لتاريخ بلاد المغرب القديم في تلك الفترة ، وذلك بناءً على فترات الحكم الكبرى التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية وما صاحبها من تغييرات جذرية على المستوى الإداري والسياسي ، فكما ساد مفهوم بلاد لوبه ، ساد أيضا مفهوم أفريقيا .

---

( 1 ) ***المجتمع الأفريقي جزء من المجتمع المغاربي القديم*** : ما لبث المفهوم الشامل للمجتمع اللوبي أن تغير عند المؤرخين من مجتمع واحد مترامي الأطراف ، إلى مجتمعات انقسامية فهناك المجتمع القرطاجي و المجتمع النوميدي وغيرهما منذ الانقسام الذي حصل في المجتمع اللوبي خلال مرحلة الممالك المحلية المستقلة أثناء القرن الثالث ق.م. لتتواصل عملية تغير المفاهيم أثناء الاحتلال الروماني على يد المؤرخين الرومان ، حيث أطلقوا عليه تسمية " المجتمع الأفريقي " . وهذه التسمية ترجع لعوامل عديدة لعل أهمها على الإطلاق : تحول السواد الأعظم من السكان إلى العمل الزراعي ، هذا النشاط الذي جعل النمو السكاني للسكان يتضاعف بشكل مهول بسبب الاستقرار في الأرض ، فعني بالأفريقيين عنصر المغاربة القدماء من جموع المحليين النوميديين و الموريين ، أما الوافدون إثر الاحتلال الروماني فشكلوا طبقات لها مميزاتها الخاصة ، ولذلك فإن مفهوم المجتمع المغاربي القديم أشمل وأعم من المجتمع الأفريقي .



**الخريطة رقم ( 21) :**

**مناطق انتشار المجتمع المغاربي القديم أثناء الاحتلال الروماني**

**نقلا عن : عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 477.**

أصبحت نوميديا و موريتانيا تدلان على كيانات متعددة مثل موريتانيا الطنجية والقيصرية ، والجدير بالذكر أن تلك التغييرات قامت بها الشخصيات الشهيرة من الحكام وقواد الجيش في روما منهم مثل قيصر و أوغسطس أوكتافيوس وسولا .

لقد تأثر بتلك التغييرات المجتمع المغاربي القديم أيما تأثر بسبب القوانين التي أصدرها الأباطرة الرومان لكبح ردود أفعالهم الوطنية ، ويمكن تحديد الملامح البارزة للمجتمع المغاربي القديم عبر المراحل الثلاثة التي مر بها تاريخ الإمبراطورية الرومانية ، وسنحاول تتبع المظاهر السوسيولوجية من خلال أطرها التاريخية كما سيأتي لاحقاً .

## أ – **مراحل تاريخ المجتمع المغاربي القديم في العهد الروماني**

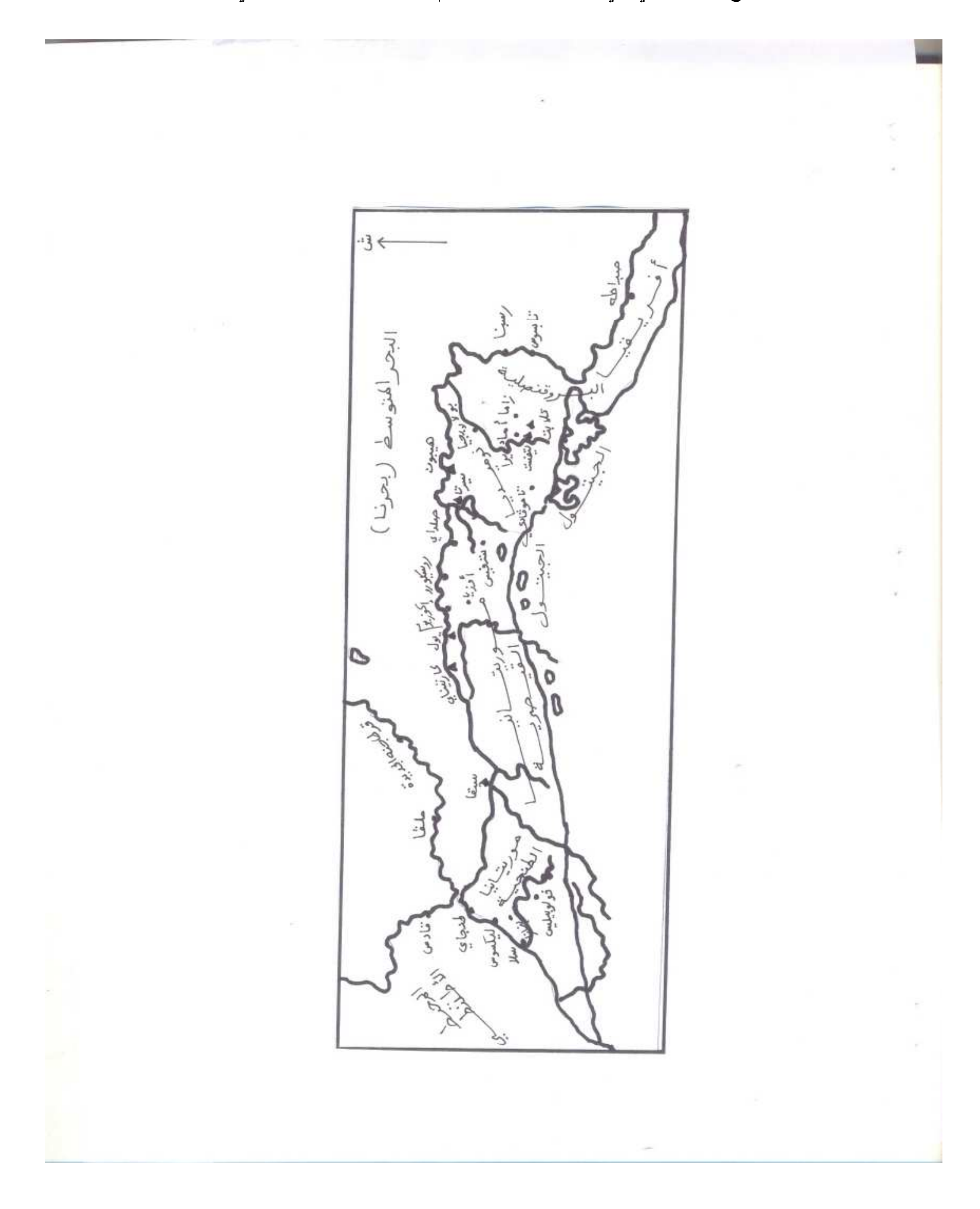
### – **المرحلة الأولى**

من الناحية السياسية ، عرفت المرحلة الأولى بمرحلة بداية الاحتلال الروماني ، وامتدت تلك الفترة من سقوط قرطاجة 146 ق.م إلى سقوط موريتانيا 40 م وانتهاء حكم الممالك النوميدية والموريتانية بعد حكم بطليموس ابن يوبا الثاني ملك موريتانيا ، و قد تزامنت تلك الأحداث مع نهاية مرحلة الجمهورية وصولا إلى عهد أوكتافيوس أغسطس ، ومن ثم الإعلان عن الإمبراطورية حوالي 29 ق.م .

أما من الناحية الاجتماعية فقد كانت تلك المرحلة تتميز بندرة المعلومات المتعلقة بالوضعية الاجتماعية للمغاربة القدماء ، مما يجعل البحث السوسيوتاريخي فيها أمرا صعبا ، ذلك أن الهياكل التشريعية والإدارية الرومانية في المغرب القديم لم تكن واضحة المعالم إلا منذ القرن الثاني للميلاد . *( انظر الخريطة رقم (22 ) . ص . 359 )*

### – **المرحلة الثانية**

من الناحية السياسية ، عرفت المرحلة الثانية من الاحتلال الروماني بمرحلة الاستيطان الروماني ، الذي استمر طوال المرحلة الإمبراطورية الأولى ، وذلك بدءا من حكم أوكتافيوس أغسطس سنة 29 ق.م الإمبراطورية الرومانية وإلى غاية حكم




**<u>الخريطة رقم ( 22 ) :</u>**

**المغرب القديم أثناء القرن الثاني للميلاد خلال الاحتلال الروماني**

**<u>نقلا عن</u> : Serge Lancel , Op.-Cit., P. 247 -**

.

الإمبراطور أوريليوس كاروسيوس سنة 283 م [1] ، الذي تميز عهده بالازدهار الاقتصادي والعسكري الروماني في المغرب القديم .

أما من الناحية الاجتماعية ، فقد أفردت النصوص القديمة لتلك المرحلة حيزا متواضعا ، مقارنة بالتاريخ العسكري في إطار التعرض للحملات الرومانية على أفريقيا ، كما أن الشواهد التاريخية اللاتينية متوفرة بكثرة ويعكس معظمها جوانب من الحياة الاقتصادية للمغاربة القدماء .[2]

- **المرحلة الثالثة**

من الناحية السياسية ، عرفت المرحلة الثالثة بمرحلة استمرار الاستيطان في بلاد المغرب القديم ، والذي استمر طوال المرحلة الإمبراطورية الثانية من 284 م التي تمثل حكم الإمبراطور دقلديانوس ، ووصولا بفترة حكم ثيودوسيوس الأول سنة 395 م ، وكذا من حكم هونوريوس سنة 395 م و إلى حكم روملوس أوغسطس 476 م ، وقد تميزت فترة حكمهما بالضعف والانحطاط .

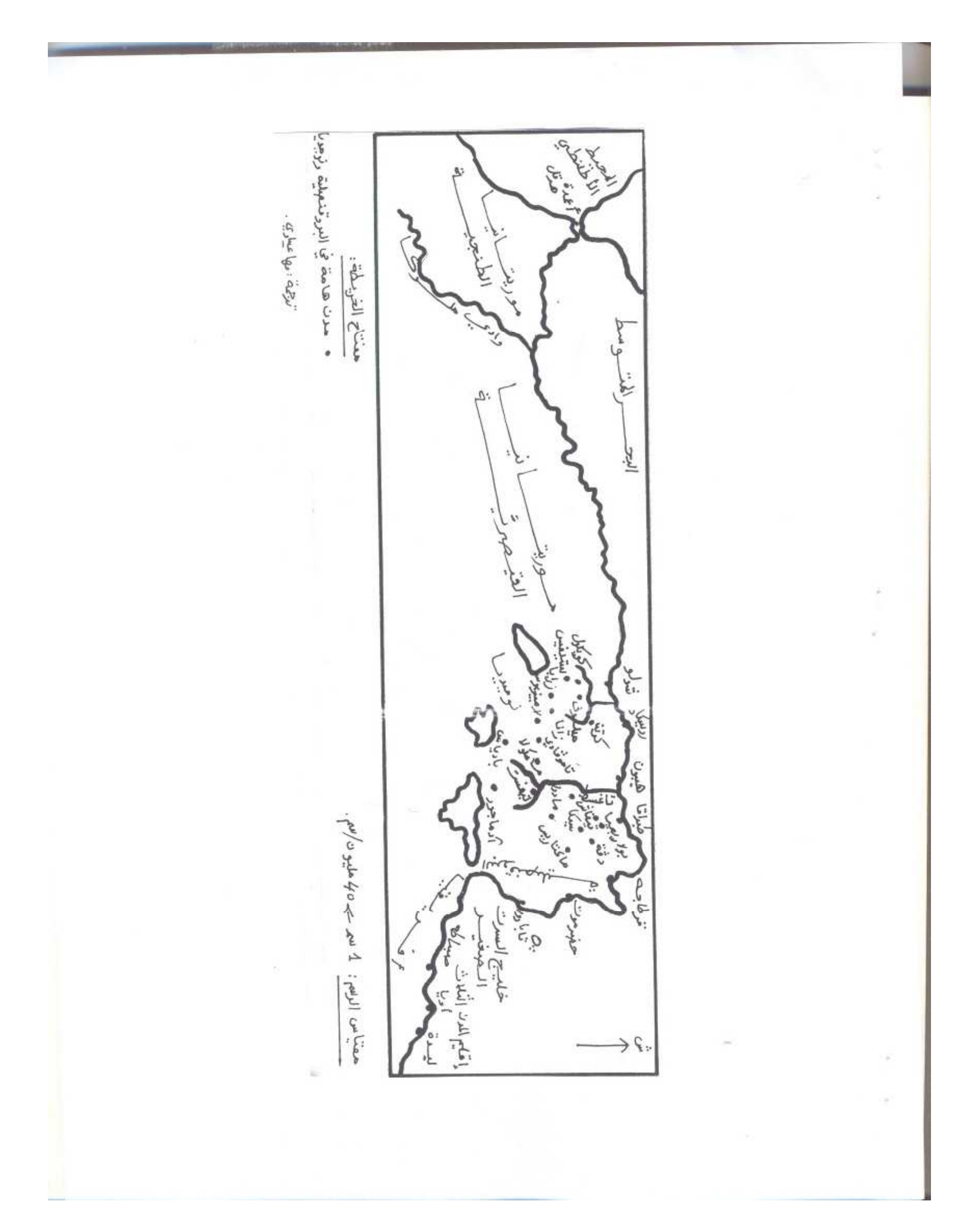
أما المتتبع للصورة الاجتماعية لتلك الفترة يجد بأن تلك المرحلة قد شهدت تحول ديانة المجتمع من الوثنية التعددية إلى المسيحي التوحيدية ، وهو أهم تغيير مسَّ المجتمع المغاربي القديم في منظومته القِيَمِيَّة. ***( انظر الخريطة رقم (23 ) . ص . 361 )***

على العموم ، فخلال فترة الاحتلال الروماني للمغرب القديم يمكن تقسيم النسيج الاجتماعي إلى صنفين كبريين هما :

---

[1] يختلف المؤرخون حول تحديد نهاية فترة المرحلة الإمبراطورية الأولى بالنظر إلى أحداث المغرب القديم ، فيحددها المؤرخون الأوروبيون من الجيل الأول والثاني بحكم جورديانوس الثالث ( 244 م ) ، وجيل المؤرخين الثالث بحكم أوريليوس كاروسيوس ( 283 م ) ، أما مؤرخو المدرسة المشرقية والمغاربية فإنهم يجمعون على حكم جورديانوس الثالث . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : شارل أندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص . 175 ؛ أندريه إيمار وجانين أوبواييه ، تاريخ الحضارات العام ، ج. 2 – روما وإمبراطوريتها – تر : فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، ط. 2 ، منشورات عويدات ، 1986 ، ص. ص. (261 ، 523، 663 ) ، حسين الشيخ ، الرومان ، ط.1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993 ، ص. ص. ( 190 – 193 ) ؛ محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص . 191 .

[2] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا ( 146 ق. م – 40 م ) ، ط . 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص . 85 .



**الخريطة رقم (23 ) :**

| |
|---|
| **أهم المدن في أفريقيا البروقنصلية ونوميديا**<br>**خلال الاحتلال الروماني أواسط القرن الثالث للميلاد** |

نقلا عن : **-Serge Lancel ,Op.-Cit.,P.248.**

- **الصنف الأول**

تكوَّن من مجتمعات الحواضر الكبرى من السكان المدنيين ومعظمهم من أصول غير محلية ، قطنوا المدن الكبرى مثل صبراتة و طرابلس و كذا في أفريقيا البروقنصلية مثل قرطاجة ، وهؤلاء هضموا الوجود الروماني ورحبوا بقوانينه.

- **الصنف الثاني**

تكون من أبناء المجتمعات الانقسامية القاطنين في المناطق الداخلية من أبناء القبائل النوميدية و المورية .

لكن السؤال المطروح هنا: كيف كانت أوضاع المجتمع المحلي في مرحلة نهاية الجمهورية ؟

## 2- وضعية النوميديين في بداية الاحتلال

### أ – أثر الاحتلال الروماني على النوميديين

بعد وفاة يوغرطة انقسمت جموع القبائل المغاربية ، وخلال الفترة الممتدة بين ( 104 ق.م – 40 م ) ، أي منذ الانقسام إلى مملكة نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية ومملكة موريتانيا ، حكم بوخوس موريتانيا ونوميديا الغربية حوالي 104 ق.م مستميلا قبائله بالقوة ، وبعد وفاته لم يبق له عقب ، فسيطر أوكتافيوس على موريتانيا دون أن يلحقها رسميا بممالكه .[1] وهكذا لاحت بوادر انتهاء نظام الحكم النوميدي القديم الذي كان قائما على أعراف مملكة مسنسن .[2]

خلال تلك الفترة التي تناهز نصف قرن ونيف ، كان التحالف السياسي بين نوميديا وموريتانيا قد انهار بسبب انفصام عرى الاتحاد القبلي الاجتماعي – باستثناء

[1] في المقابل حكم غودة فهمبصال الثاني (106 ق.م – 60 ق.م ) في نوميديا وتلاه يوبا الأول ( 60 ق.م – 46 ق.م ) في نوميديا الشرقية والذي عرف عنه محاولاته لاستقطاب قبائل الماصيل واستمالة جموعهم . أما مملكة نوميديا الغربية فقد حكمها : حرباص ( 108 ق.م – 81 ق.م )، و ماسينيسان الثاني ( 81 ق.م – 48 ق.م ) ، و أرابيون ( 60 ق.م – 40 ق.م ) ، واعتبرت فترة حكم يوبا الأول حافلة بالأحداث والتطورات على المستوى الاجتماعي ،خاصة إذا علمنا من المؤرخين أن يوبا الأول قد انقلب عليه أنصاره ، فلماذا يتخلى سكان زاما عليه ؟ ولماذا ينتحر إذا صدقنا فعلا تلك الرواية ؟ و كيف كان الانقلاب في موقف السكان من قائدهم ؟

[2] - *J. Mazard , Op. – Cit . , P . 28 .*

ثورة تاكفاريناس – ، إذ أن القبائل الماصيلية المتحالفة مع الكيان السياسي النوميدي الشرقي الحاكم كانت سببا في تضحية يوبا الأول بنفسه بعد فشله أمام الرومان .[1]

أما القبائل الماصيصيلية فكانت تحاول العودة إلى الحكم الشامل ودليل ذلك رفض سيادة بوخوس على إقليمها ، أما البلاد المورية فقد هادنت الرومان .

**ب- الوضعية الاجتماعية للنوميديين في عهد يوبا الثاني**

كانت الأوضاع الاجتماعية للمغاربة القدماء في عهد كل من يوبا الثاني ( 25 ق.م – 23 م ) وابنه بطليموس ( 23 م- 40 م ) مضطربة ، حيث كان الاهتمام محصورا في الطبقة الأرستوقراطية الآخذة بمظاهر الثقافة الرومانية .

أما مجتمعات المناطق الداخلية فكانت مهمشة ومقصاة ومصادرة أراضيها ، ولعل هذه الأمور كانت سببا كافيا لأن يكون وقود المقاومات رغم انتهائها لصالح الرومان ولا أدل على ذلك من مقاومتي الجيتول سنة 6 ق.م ، ومقاومة تاكفاريناس ما بين ( 17م- 24 م ) التي شارك فيها النوميديون من الماصيل .

لقد كانت وضعيتهم الاجتماعية غير مستقرة ، لأنهم خضعوا لإدارة القادة الرومان ، فكانوا محرومين من الحقوق المدنية التي تمكنهم من الرقي الاجتماعي والاندماج في إحدى صفتي المواطنة ، كونهم افتقدوا لأهم شرط يخول لهم اكتساب المواطنة ألا وهو " ملكية الأرض " ، إذ أن الملكية شرط أساسي للمواطنة .[2]

إلا أن أهم نتيجة مباشرة للاحتلال الروماني بعد السيطرة السياسية هو الشروع في السيطرة على السكان مما أدى إلى تغير المجتمع من قبلي إلى مدني ، وقد احتاج الأمر قرابة قرن من الزمان .

---

[1] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية ... ، ص . 132 ، هـ (1) . لقد اعتبرت مقاومة يوبا الأول أول المقاومات المحلية الرافضة لوجود الاحتلال الروماني حتى أن قيصر أفرد لها حيزا في مذكراته ، لكن لم يتناول سوى التاريخ العسكري ليوبا ، والمتتبع لشخصية يوبا في المصادر يستطيع أن يتلمس قدرته على حشد شعبه من الماصيل لمساندته وتجنيدهم في فرق الخيالة . ***للمزيد من المعلومات أنظر*** : يوليوس قيصر ، حرب إفريقيه ( 47.46ق.م ) ، تر : محمد الهادي حارش ، ط.1 ، دار هومة الجزائر ، 2000 ، فقـ : V ، ص . 11 و فقـ : LXXIV ، ص . 52 .

[2] شافية شارن وآخرون ، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص. 256 .

فخلال الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد تتابعت انتصارات الجيش الروماني في المغرب القديم على مختلف ثورات المنطقة مما يدل على أن سكان المغرب القديم لم يخضعوا للتواجد الروماني ، وكانت مقاومة تاكفاريناس في عهد الإمبراطور تيباريوس أشهر مقاومة اجتماعية منظمة قادتها شخصية فذة حاكت شخصية يوغرطة من حيث القوة والحنكة .[1]

## 3 – مقاومة تاكفاريناس وآثارها الاجتماعية

بعد أن سيطر الرومان على نوميديا بإقامة الفرقة الأوغسطية الثالثة في أماديرا ( حيدرة بتونس حاليا )[2]، أنشؤوا الطريق الرابط بين كابسا وتيفست ، ففصلت هذه الطريق بين مواطن القبائل المتحالفة ، وتمثلت في جموع قبائل الموزولامي ( الموزولامي ) الذين انقسموا إلى شطرين شرقيين وغربيين ، وكذا الحال بالنسبة للجيتوليين .

أمام تلك الحواجز ثارت جموع قبائل الموزولامي[3] الذين كان لهم دوراً كبيراً في حرب يوغرطة على الرومان بزعامة شاب عرف بتاكفاريناس ( ***Tacfarinas*** ) ، كان مدربا تدريبا عسكريا رومانيا ، قام سنة 17 م بأول معركة ضد القوات الرومانية بقيادة كاميليوس ماركوس لكن هذا الأخير انتصر عليه .[4]

نظرا نتيجة انتشار ثورة تاكفاريناس ، اختار الإمبراطور الروماني تيباريوس الضابط بلازيوس ليكون قائدا عاما للجيش الروماني المتوجه للقاء القوات النوميدية في المغرب القديم ، غير أنه لم يكن يعرف أن النوميديين المحاربين كانوا قد تلقوا تكوينا جيدا في حرب الصحراء وفنونها القتالية ، وأنهم قد عمدوا على تغيير الاستراتيجية الحربية القديمة التي حاربوا بها زمن يوبا الأول ، وذلك بالعودة إلى حرب العصابات ، وقد ساندهم فيها تحالف كبير من جموع الجرميين ، إذ أن تاكفاريناس عمل على تهيئة

---

[1] شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق ، ص . 251 .

[2] حول الفرقة الأوغسطية الثالثة ، *أنظر* : - *Yann Le Bohec , Troisième Légion Auguste , éd. C.N.R.S., Paris , 1989 , 485p.*

[3] - *Nacéra Benseddik , Les Troupes auxiliaires de l'Armée Romaine en Maurétanie Cesarienne sous le haut Empire , éd. S.N.E.D., Alger , 1980 , 58 .*

[4] - *Ouarda Himeur-Ensighaoui , Ils ont défié L'Empire( Juba 1er , Tacfarinas , Firmus et Gildon ) , 1ère éd. , Casbah Editions ,Alger , 2009 , P.-P. (138- 140).*

جيشه من خلال تعبئة نفسية مفادها أن الكثير من الشعوب قد تصدت للرومان وحررت بلادها ، وأن عليهم أن يخوضوا مثلهم الحرب .

التقى تاكفاريناس والقائد الروماني الجديد كورنيليوس دولابيلا الذي سرعان مـا عوض بلازيوس [1] لكن ذلك الأخير كبد روما خسائر جمة في تلك الحرب ليؤول زمام الأمور إلى قائد جديد هو دولابيلا .

من خلال ما سبق نجد أن ثورة تاكفاريناس أثبتت أن القبائل النوميدية والمورية قد تجاوزت خلافاتها في سبيل إخراج الرومان إلا أنها لم تنتصر مما جعلها تقع تحـت مراقبة الفرقة الأوغسطية الثالثة .

## أ – نتائج مقاومة تاكفاريناس

حسب المؤرخ اللاتيني تاكيتوس في مؤلفه الحوليات – الذي تنـاول أخبارهـا بتفصيل كامل – [2] ، فإن المتمعِّن في مطالب ثورة تاكفاريناس ، يجد بأنهـا لا تعكـس سوى مطالب السكان الذين تعرضوا لمصادرة أراضيهم الزراعيـة ومـراعيهم بعـد طردهم إلى المناطق الفقيرة في جنوب نوميديا ، حيث تقلصت حدود المنطقة التي كانت تتنقل فيها القبائل الماصيلية ، بعد أن خرَّب الرومان حقول النوميـديين المـستقرين ، وأجبروهم على الفرار إلى مناطق أقل خصوبة .

لقد سيطر الرومان على الممتلكات الضخمة للنوميديين ، أما السكان الريفيـون فأصبحوا فقراء جدا و نزحوا باتجاه المناطق السهبية و على تخوم الصحراء . و صار أملهم الوحيد للخروج من أوضاعهم المزرية المقاومة المسلحة بهدف استعادة أراضيهم [3] .

---

[1] ***القائد بلازيوس*** : قنصل روماني كلفه الإمبراطور تيبريوس بالقضاء على مقاومة تاكفاريناس ، اعتمد على حرب الوحدات الصغيرة كخطة تكتيكية للقضاء على تاكفاريناس . **للمزيد من المعلومات انظر** : محمد الصغير غانم ، بعض مـن ملامـح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي ( ثورة تاكفاريناس نموذجاً ) ، حولية المؤرخ ، ع : 1 ، الجزائر ، 2002 ، ص . ص. ( 21–22 ) .

[2] *- Tacite , Annales , Livre III – Règnes de Tibère et de Caius –Para. N: XX , Trad . par : J . H . Dotteville , éd . Imp. Et Libr . Froullé , Paris , 1793 , P.-P. ( 441 – 443 ) . Sur le site web : www.gallica.bnf.fr. Le : 14 / 08/ 2009 .*

[3] *- Ouarda Himeur-Ensighaoui , Op.-Cit. , P. P. ( 154 -155 ) .*

كما قامت السلطة الرومانية – آنذاك – في بداية الحكم الإمبراطوري باستغلال المغرب القديم زراعيا ، و تندر المعلومات حول وضعية المغاربة الاجتماعية الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الاحتلال طوال تلك الفترة .

## ثانياً– **مكانة المجتمع المغاربي القديم ضمن منظومة قوانين العهد الإمبراطوري الأول**

### 1 – **القوانين و التشريعات الرومانية المنظمة للمجتمع المغاربي القديم**

#### أ – **طبيعة القوانين الاجتماعية**

لم تعط السلطة المركزية – بادئ الأمر – في روما لحكام الولايات صلاحيات تشريعية تسمح لهم بإصدار قوانين تتماشى والظروف التي يعاينوها عن كثب في المغرب القديم ، مما يسمح لهم بأن يدرسوا حالة السكان ويحددوا لكل طبقة قوانين للتعامل معها .

لقد كان حكام الولايات المؤقتون يتصرفون وفقا لما يتماشى والمعطيات التي تواجههم بالسكان ، ولم يكن هناك قانونا خاصا بهم ، إذ أن كل قائد روماني غير ملزم بسياسة من سبقه .[1]

هكذا لم تول التشريعات الرومانية اهتماما بسكان بلاد المغرب القديم من حيث تحديد أوضاعهم القانونية وطبقاتهم الاجتماعية ونشاطاتهم الحرفية ولغة المعاملات الرسمية والتجارية ، على العكس من ذلك فقد كانت تعتبرهم مستسلمين أرقاء تابعين لها ، وإن الموالين لها الذين يحظون بثقة الإدارة الرومانية هم فقط سكان المدن ، و أولئك إذا ما قورن تعدادهم بسكان الأرياف فقد كانوا يمثلون فئة قليلة من المجتمع المغاربي القديم .

كما لم تكن الإدارة الرومانية لتعير السكان اهتمامها فمثلا إن القانون الزراعي الذي صدر سنة 111 ق.م – والمتزامن مع مقاومة يوغرطة – لم يتضمن أي إشارة للتعامل مع السكان إذ لم يتعد حدود إعادة توزيع الملكيات الزراعية.[2]

[1] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ... ، ص . 87 .
[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

إلا أنه وبعد مقاومة تاكفاريناس بدأ السكان يخضعون لجملة من القوانين المنظمة لسير العلاقة بينهم وبين الرومان .

لقد قدمت الإدارة تسهيلات قانونية تضمن التواصل بينها وبين بعض المغاربة ، وذلك بهدف تدعيم الاستيطان الروماني وتغلغله في المنطقة ، مما سمح بظهور طبقة أرستقراطية محلية في المدن ، وقد عرفت تلك الطبقة بتواصلها المصلحي بروما وبولائها التام للسلطة الرومانية . [1]

ب – **<u>أهم القوانين الصادرة في عهد الأسرة اليوليوكلاودية</u>**

سيطرت روما على أفريقيا ضمن الأقاليم التي استعمرتها ، حائزة عليها بطريقة وضع اليد ، فأصبحت هذه الأراضي في البداية ملكاً للأفراد الحائزين عليها فلهم حق الانتفاع بها واستغلالها والتصرف فيها مما يعطي صاحب اليد حقا مساوٍ لحق الملكية .[2]

امتازت – في البداية – الأراضي الإقليمية في المغرب القديم أنها خضعت للضريبة العقارية ، فلا تنتقل ملكيتها بطريق نقل الملكية المقرر بالقانون المدني الروماني ، وإنما بطريقة نقل الملكية التابع لقانون الشعب ( ***Jus Gentis*** ) .[3]

ذلك أن روما عندما تنتصر في الحرب تعتبر المغلوبين مستسلمين ، بحيث يصبح لها الحق في التصرف في الأشخاص والقلاع والأراضي والممتلكات والبيوت والمعابد والآلهة أي تسيطر على جميع مقومات ثقافة المغلوب . [4]

كانت القوانين التي طبقت في المغرب القديم في عهد الأسرة اليوليو كلاودية ( 14 م – 69 م ) [1] ، جوهرها مستمد من " قوانين الألواح 12 " الشهيرة ، وهي تشريعات الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعدّل باستمرار من طرف الأباطرة .

---

[1] شافية شارن وآخرون ، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة ، ص . 253 .

[2] في إطار حيازة الملكية عن طريق سياسة وضع اليد ، *<u>أنظر :</u>* - *Edmond Vermond , La possession en Droit Romain , éd. Larose , Paris , 1895, P . 340.*

[3] محمد عبد المنعم بدر ، القانون الروماني ، ج . 2 ، ط . 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1938 ، ص . 146 . **<u>متاح على الرابط</u>** : <u>www.al-mostafa.com</u> ، تاريخ الرفع : 2008/09/21.

[4] محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية ... ، ص . 170 .

هكذا كان أوكتافيوس أغسطس ( 27 ق.م – 14 م ) أول من شجع أفراد جيشه على الاستيطان في المغرب القديم ومنحهم امتيازات ورواتب وتعويضات مرتفعة وحثهم على إرسال خيرات المنطقة إلى خزائن روما .[2]

كما كان المغاربة القدماء عند أوغسطس أوكتافيوس خارج الترتيب الاجتماعي المعترف به من طرفه . أولا لأنهم كانوا في عداد المستسلمين ، وثانيا لأن قوانين درجة المواطنة الرومانية لا تعنيهم – في هذه الفترة – فهي مقتصرة على طبقة جديدة في المجتمع الروماني تحصل من خلال اكتسابها على امتيازات لترتقي إلى طبقة أعلى ، ولذلك يجب عليها تقديم أموال طائلة عسر على الغالبية تأمينها من أبناء مجتمع الحواضر الكبرى المستقرين سابقاً ، ولم يتمكن منها سوى أفراد الجيش من الفرقة الأوغسطية .

لم يكن لدى أوغسطس أدنى اهتمام بأوضاع المغاربة القدماء ، إذ ظلوا عرضة للتصرفات المتقلبة المزاج له ولغيره من الأباطرة الأوائل الرومان وكذلك لحكام الولايات ، لكنهم اتفقوا جميعا على استغلال السكان أبشع استغلال .

أما خليفته تيبريوس ( 14 م – 37 م )[3] فقد سار على نهج والده ، إذ عمل على استقرار الجيش الروماني في المستعمرات بأن منحه امتيازات إضافية عما كان عليه سابقا ، ونظم عملية جباية الضرائب ولم يفرض ضرائب جديدة على سكان المستعمرات ، وقد مسَّ ذلك بالضرورة المغرب القديم .[4]

---

[1] هناك من المؤرخين من يفصلون في تقسيم تاريخ المغرب في العهد الإمبراطوري الأول إلى أربعة أسرات هي : الأسرة اليوليوكلاودية ، والأسرة الفلافية والأسرة الأنطونية والأسرة السيفيرية . ***أنظر***: محمود إبراهيم السعدني ، حضارة الرومان ، ط. 1 ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 1998 ، ص . ص . ( 157 – 158 ) .

[2] ابراهيم أيوب ، التاريخ الروماني ، ط . 1 ، المؤسسة العربية الحديثة ، بيروت ، 1996 ، ص . 250 .

[3] ***تيبريوس ( Tiberius)*** : ثاني إمبراطور روماني ، ولد في 42/11/16 ق.م ، من والد سليل الأسرة اليوليوكلاودية كان قائدا لأسطول قيصر ومن كبار كهنة الديانة الأولمبية ، تقى تعليمه في قصر أغسطس أوكتافيوس الذي كان زوج أمه ، وهو وفقا للأعراف الرومانية ابنه بالتبني ، اعتمد في سياسته الخارجية على إعلان عهد السلام الروماني وتحولت الأمبراطورية في عهده تماما من الحكم الجمهوري إلى الحكم الإمبراطوري المطلق . ***للمزيد من المعلومات أنظر***: أشرف صالح محمد سيد ، تيبريوس ( 42 ق.م – 37 م ) ، ط. 1 ، شركة الكتاب العربي ، بيروت ، 2008 ، ص. ص. ( 10 – 25 ) . ***متاح على الرابط*** : www.arabicebook.com ، تاريخ الرفع : 12 /01/ 2009 .

[4] المرجع نفسه ، ص . 33 .

**ج – طبيعة القوانين الاجتماعية الصادرة في عهد الأسرة الفلافية**

في عهد الأسرة الفلافية ( 69 م – 98 م ) ، اعتبر الإمبراطور فاسباسيان ( Vespasien) الذي حكم عرش الإمبراطورية فيما بين ( 69 م – 79 م ) أول من اعترف بطبقة الفرسان من ضمن الطبقات النبيلة ، و تبعا لتعديلات الأباطرة القانونية – فيما تعارف عليه بالإصلاحات – نما القانون الروماني وتطوَّر عبر التاريخ ليضمن السير الحسن للولايات ، حيث عمل المشرِّع الروماني على تطبيق نظام عالمي موحد – في منظوره – يهدف لنشر العدالة.

لقد كانت القوانين المطبقة في المستعمرات رومانيةً قلباً وقالباً ، قضت بالضرورة الاعترافَ بأهمية ما أقره العرف وجرت عليه العادات والتقاليد عند غير الرومان من الشعوب والأمم .

على كل ، كان في وسع الحاكم أن يتخفَّف من حرفية القانون ، وذلك بالاستناد إلى العادات المحلية كما يفسرها أهلها ، وبناءً عليه كانت القوانين المطبقة في المغرب القديم تراعي بعض الأعراف .

– **هادريانوس و موقفه من المجتمع المغاربي القديم**

برَّر المشرع الروماني بعض الاختلالات الصادرة في قوانينه بالمبدأ القانوني الآتي : " إن العادة هي أفضل مفسر للقانون " ، وبناء عليه قام الأباطرة بمراعاة أعراف كل منطقة مستعمرة . [1]

وبناء عليه ، فمن القوانين الشهيرة التي نظرت في مسألة العادة و حسنت من الوضعية الاجتماعية عن طريق التغييرات الاقتصادية هي قوانين الإمبراطور هادريانوس ( 117 م – 138 م ) [2] الذي أعاد تطبيق قانون القبائل إلى التداول لما

---

[1] تشارلز وورث ، الإمبراطورية الرومانية ، تر : رمزي جرجس عبده ، منشورات مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 1999 ، ص . ص. ( 30 – 31 ) .

[2] ***الإمبراطور هادريانوس***: كان الإمبراطور الرابع عشر في سلسلة الأباطرة الرومان ، حكم خلال المرحلة الإمبراطورية الأولى ، وكان مهتما بأمور المستعمرات الرومانية وخاصة المغرب القديم لما لمسه من خيرات اقتصادية وفيرة تسد حاجة الجيوش الرومانية ، وضع عدة قوانين إصلاحية وعاين عن كثب أحوال الفرقة الأوغسطية الثالثة في منطقة الأوراس ومدى نجاح سياسة الكنترة في الإقليم ، قد عدة خطابات حماسية ووعظية لجنود الفرقة أبرز من خلالها سياسة روما في استنزاف المنطقة اقتصاديا ، لديه قانون شهير يعرف بقانون ماباليا سيغا . **للمزيد من المعلومات انظر:**

- *Yann Le Bohec , Les discours d’Hadrien à l’armée d’ Afrique , édit. Yann Le Bohec , Paris , 2003 , P. 130.*

لمسه من أوضاع مزرية للمغاربة القدماء بعد رحلته الشهيرة إلى المنطقة في صيف سنة 128 للميلاد حيث عاين عن كثب الأحوال الاجتماعية سالكا الطريق ما بين قرطاجة وتيفست ، كما مال إلى حماية الفقراء والضعفاء من بطش الأغنياء الأقوياء ، والنظر في الفوارق الطبقية ، ومحاولته للتخفيف من حدتها .[1]

*( انظر الخريطة رقم (24) . ص . 371 )*

مما سبق يمكن أن نلاحظ أن القوانين الرومانية في بداية الاحتلال كانت غير مهتمة بتنظيم علاقتها مع سكان المغرب القديم ، حيث أنها كانت تقوم على مبدأ التعامل مع فئة اجتماعية تجد فيها الموالاة ، وهكذا حق لسكان المدن الارتقاء للوصول إلى أعلى درجة في سلم المواطنة الرومانية إذا ما ثبت ولاؤهم لروما.[2]

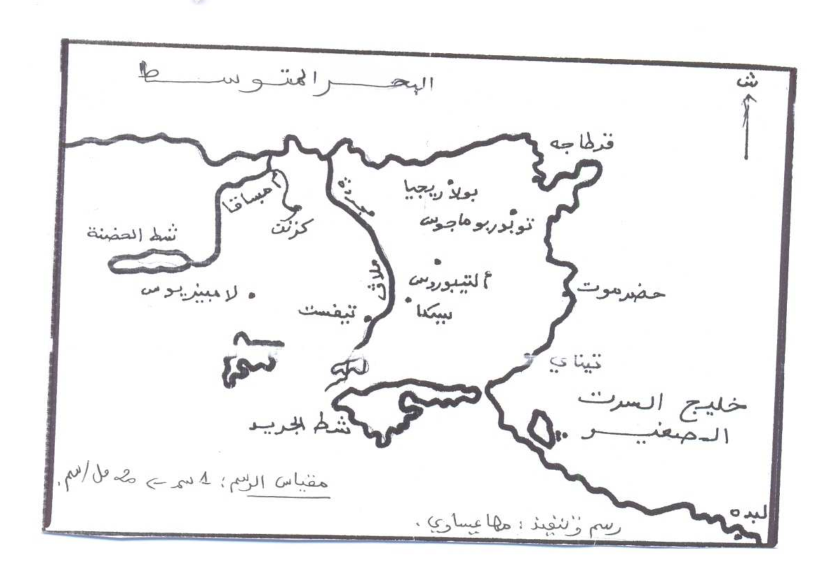
أما النوميديين والموريين فليس مهما شأنهم ، وما يهم الإدارة الرومانية هو أن تشملهم القوانين الضريبية المجحفة ، ذلك أن النوميديين والموريين والجيتوليين كانوا يعتبرون خارج الإطار القانوني الروماني ، ذلك الذي لم يكن يعتبر سوى الرومان مواطنين ، و ذلك ما تسبب بخلق مشكلة اجتماعية أخرى بعد تسوية وضعية سكان المدن ، ألا وهي تسوية وضعية الكثير من الأثرياء المحليين الذين لم تكن لهم امتيازات كتلك التي للمواطنين الرومان ، مما جعل الإدارة الرومانية تفكر في استمالة أولئك أيضا .[3]

---

[1] في مسألة قوانين الأحوال الشخصية الرومانية ،*أنظر* : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مج .3 ، ص. ص. ( 427-430) . *عن* : www.al-mostafa.com ، تاريخ الرفع : 2009/01/12.

[2] شافية شارن و آخرون ، المرجع السابق ، ص . 254 .

[3] محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية ... ، ص . 172 ؛ - *Marcel Benabou , La résistance Africaine à la Romanisation , éd.Maspéro et l'Univérsité de Paris-Sorbonne , Paris, 1976 ,P.P.(176-180.*




<u>الخريطة رقم ( 24 ) :</u>

| أهم المدن النوميدية التي مستها إصلاحات هادريانوس |
| --- |

- Yann Le Bohec , Op.-Cit., P.IV. : <u>نقلا عن</u>

هكذا نجد أنه على الرغم من أن المشرع الروماني قد أولى مكانة كبيرة للتشريعات الاجتماعية إلا أن حظ الشعوب المستعمرة كان ضئيلا جدا إلى درجة يصعب معها تحديد وضعية المغاربة القدماء في ظل منظومة القوانين الرومانية إلى نهاية العهد الإمبراطوري في عهد حكم أسرة السيفيريين .[1] <u>( انظر الشكل رقم ( 75 ). ص 373.)</u>

**2 – <u>تطور القوانين الاجتماعية الصادرة في عهد الأسرة السيفيرية</u>**

**أ – <u>طبيعة القوانين الاجتماعية السيفيرية</u>**

صدرت في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس ( 193 م – 211 م ) مجموعة من القوانين المنظمة للطبقات الاجتماعية ، حيث رفعت من شأن الطبقات المتوسطة مثل طبقة الفرسان ، والتي أصبح جلها من السكان المحليين .

بالمقابل فإن تلك القوانين قامت بتقييد الطبقة الأرستوقراطية بمجموعة من الضوابط والحدود التي تحول دون إطلاق صلاحياتهم على الطبقات الدنيا ، ولعل ذلك راجع إلى أن سبتيموس نفسه كان من طبقة الفرسان ، كما كان أفريقي الأصل عارفاً بطبيعة التعامل بين أفراد المجتمع .

نتيجة لذلك أعاد سبتيموس سيفيروس و أسرته النظر في أحوال سكان الحواضر الكبرى ، أما سكان المناطق الداخلية والبدو فإنه قد طردهم إلى الجنوب .

ولئن كانت السياسة الاجتماعية السابقة قد قامت على مبدأ الارتقاء من درجة إلى درجة في السلم الاجتماعي بناء على الثروة ، فإن هذا الأمر زال مع الأباطرة السويرين وخاصة في عهد كراكلا ( 211 م – 217 م ) الذي أصدر مرسومه الشهير سنة 212 م ، وانتهج سيرة والده وسياسته في التعامل مع أبناء بلاد المغرب القديم .[2]

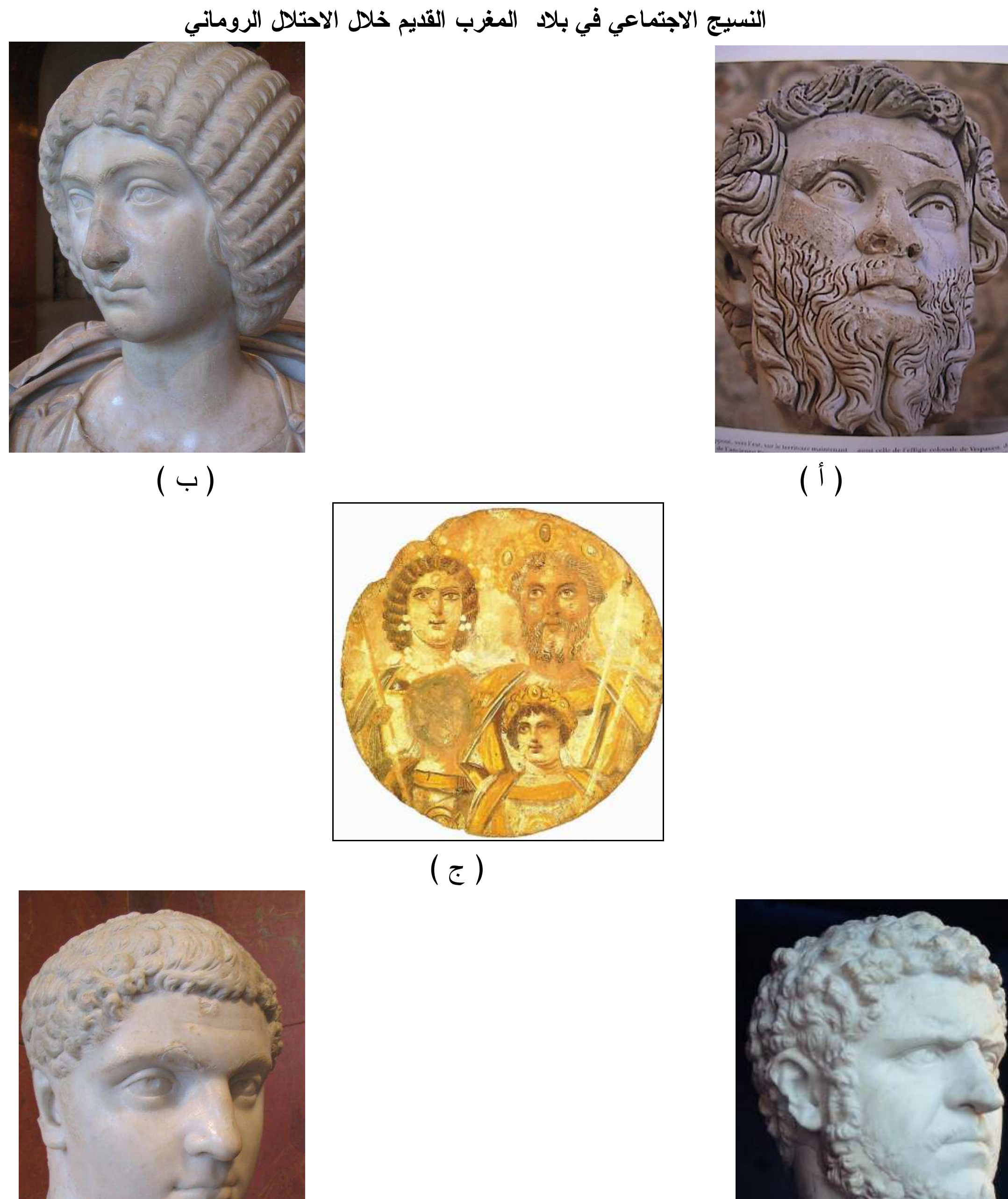
**ب – <u>مرسوم كراكلا 212 م و أثره على المغاربة القدماء</u>**

نصَّ المرسوم على اعتبار جميع سكان المغرب القديم مواطنين رومان ، ولئن كان الظاهر من ذلك المرسوم هو حماية حقوق الجميع ، فإن مراميه البعيدة هو

---

[1] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ... ، ص . 87 .

[2] - *Marcel Benabou,Op.-Cit. , P . 185 .*



( ب ) ( أ )

( ج )

( هـ ) ( د )

الشكل رقم ( 75 ) : أفراد الأسرة الحاكمة السيفيرية

( أ ) : رأس تمثال للإمبراطور سبتيموس سيفيروس من متحف جميلة .
( ب ) : تمـثال لـزوجة سـبتيموس جـوليا دومـنا بملامح فينيقية .
( ج ) : ميـدالية تـحمل صورة للأسـرة السـويـريـة .
( د ) : رأس تمثال للإمبراطور كراكلا بمـلامـح حازمة .
( هـ ) : جيتا شقيق كراكلا محفوظ في متحف اللوفر بباريس .

نقلا عن : ( أ ) : *Serge Lancel , L'Algérie Antique , P.192.* ، *( ب ، د ) : www.livius.org* ،
*( ج ) : www.ancienhistory.com* ، *( هـ ) : www.muséelouvre.fr* .

إخضاع الجميع للضريبة ووجوب دفعها ، وبالتالي تبسيط عمل الإدارة عن طريق إحلال فكرة المساواة .[1]

أما الفئة الاجتماعية التي لم تنعم بتطبيق هذا القانون ، فكانت فئة الفلاحين من سكان الريف والتخوم الصحراوية .[2]

مما يعني أن السكان المحليين الأحرار كانوا مستبعدين عن روح قوانين المساواة التي مست الطبقة الأرستوقراطية من أصل روماني وغير روماني على حد السواء ، وإسباغ حق المواطنة الإيطالية على الأثرياء .

أبرز مرسوم كراكلا درجات المواطنة في المفهوم الروماني ، وهي تنطبق على سكان المغرب القديم أيضا ، وكانت على النحو الآتي :

– **مواطنة لاتينية**

حقوق حاملها أقل قيمة من حقوق المواطن الروماني ، حيث منحت لبعض الشعوب الحليفة في إيطاليا ، ثم عممت على باقي الولايات التي استوطنت بها جماعات لاتينية .

– **مواطنة رومانية**

منحت لحامليها جميع الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حملها المواطن الروماني ، وكانت في بدايتها حكرا على فئة قليلة ممن يعود أصلهم إلى مدينة روما نفسها ، ثم اتسع نطاقها ليأخذ صبغة قانونية يمكن أن تكون لذوي النفوذ من الطبقة الأرستوقراطية ،[3] وبذلك اعتبر مرسوم كراكلا من أشهر القوانين الاجتماعية التي ظهرت في عهد الإمبراطورية الرومانية ، وقد كانت له عدة دوافع من أهمها :

1/ازدياد عدد المواطنين خاصة في بلاد المغرب القديم .

2/انتظام المغاربة القدماء في دفع الضرائب .

3/معرفة كراكلا بظروف الغبن الممارسة على الأثرياء من المغاربة القدماء وحرمانهم من الكثير من المزايا التي كان يتمتع بها مواطنون أجانب .

---

[1] أندريه إيمار وجانين أوبوابيه ، المرجع السابق ، ص . 601 .

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 221 .

[3] تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص . 94 .

4/ إن كراكلا من أصول أفريقية ، فقد تحزب لبني جنسه.

- **نموذج عن رد الفعل المغاربي على المرسوم**

لقد ساعد المرسوم على ارتياح الكثيرين من المغاربة القدماء ، إلى درجة أن بعضهم قد حاول رد الجميل من خلال نشاطات مختلفة مثل تشييد بعض البناءات العمومية ، وكمثال على ذلك فقد أنشأ سكان تيفست قوس نصر حمل اسم كراكلا ، وحفر على كل وجه من واجهاته الأربع نَوْطٌ ( ميدالية ) تمثل فردا من أفراد أسرة كراكلا الحاكمة وخاصة والدته جوليا دومنا . *( أنظر الشكل رقم ( 76 ) ، ص . 376 )*

كما احتوى الجدار الشرقي لقوس النصر المقام على شرف كركلا على نص مكتوب باللاتينية ، يروي هبة قائد عسكري أصبح مواطنا كامل الحقوق لثروته إلى أخويه .[1] وعلى العموم ، لا يزال ذلك النص النقوشي مخلدا ضمن المعلم الأثري ، ويحظى بأهمية لدى الباحثين لما احتواه من معلومات حول بعض الأنماط السلوكية السائدة – آنذاك – عند المواطنين التيفستيين – وسيرد ذكره بالتفصيل لاحقا – .[2]

## ثالثاً – التراتب الاجتماعي وتطور الطبقية في المرحلة الإمبراطورية الأولى

### 1 – التراتب والطبقية في بداية المرحلة الإمبراطورية

حدث انقلاب في تركيبة المجتمع المغاربي القديم في بداية الاحتلال الروماني فخلال القرن الأول ق.م لم يعد النوميديون والموريون هم أسياد مدنهم في كرتن ودوقة وكالاما وسيغا ، بل إن التراتب الاجتماعي في المغرب القديم أصبح خاضعا إلى طبيعة نظام الاحتلال الروماني ، وذلك منذ عهد أوكتافيوس أغسطس .

#### أ- ظهور الطبقية في المغرب القديم

أفرزت القوانين الرومانية طبقة أرستوقراطية بنوعين ، ففي البداية كانت الطبقة الأرستوقراطية من أصول رومانية ، وبعد فترة تشكلت طبقة أرستوقراطية مغاربية ، وكلاهما تخضعان لتطبيق قوانين الهيئات والجماعات في روما .[3]

---

[1]. *- Serre De Roch , Tebessa ( Antique Thévéste ) , Imp. Officielle , Alger , 1952 , P.37*

[2] *- Ibid , P . 36.*

[3] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 134 .



( أ )



( ب )



( ج )

الشكل رقم ( 76 ) : قوس النصر كراكلا بتبسة

( أ ) : الواجهة الشمالية الرئيسية لقوس النصر كراكلا .

( ب ) : الواجهة الغربية لقوس النصر ، ويظهر في أعلى القوس إفريز و نقش بارز لجوليا دومنا .

( ج ) : ميدالية تضم نقشاً بارزاً يمثل وجه السيدة جوليا دومنا ترتدي التاج الملكي ويمكن ملاحظة ملامحها وتصفيف شعرها وثوبها وقلادتها ، وأسفلها النسر رمز الفرقة الأوغسطية الثالثة .

تصوير : الباحثة . بتاريخ : 2008/10/13.

أما عرقيا فقد كان سكان الولايات الأفريقية يتكونون من ثلاث مجموعات تختلف كل منها عن الأخرى في القوانين التي تحكمها ، وكذا في لغاتها وعاداتها وتقاليدها وهي :

- مجموعة المهاجرين الرومان المعروفين بالإيطاليين .
- مجموعة القرطاجيين .
- مجموعة اللوبيين ، بفرعيهما :
- **اللوبيون المستقرون** : هم الذين دمجوا الأنظمة والممارسات البونية في عاداتهم وتقاليدهم .
- **اللوبيون البدو**: هم الذين انحصروا تماماً في مناطق محددة وأبعدوا من أقاليمهم إلى أقاليم أقل خصوبة .[1]

هكذا نستنتج أن المجتمع المغاربي القديم المعترف به عند الإدارة الرومانية هو تلك الطبقة المساندة لها ، و حسب معيار الغنى والفقر فإن الطبقة الأرستوقراطية هي الطبقة الأولى وتمثل قمة الهرم السكاني ، وطبقة العامة هي الطبقة الثانية والتي تمثل جسم الهرم ، أما الطبقة الثالثة فهي قاعدة الهرم وكانت تمثل العبيد ، وبذلك فإن السواد الأعظم من المجتمع كان مهمشا ومقصى خلال مرحلة الاحتلال الروماني .

**ب – أصناف الطبقات**

**– الطبقة الأرستوقراطية ذات الأصول الرومانية المغاربية**

شكل المنتمون إليها فئة قليلة ، كانوا مالكي للأراضي والعقارات ، ومستواهم المادي جيد مما سمح لهم بمشاركة الرومان في بعض مظاهر حياتهم الباذخة ، وقد اعتنت الإدارة الرومانية بهذه الفئة ووجدت فيها ضالتها التي مكنتها من ترسيخ وجودها بالمنطقة ، وقد منحتها فرصة الثراء المادي والارتقاء الاجتماعي للوصول إلى المواطنة الرومانية .[2]

---

[1] مجموعة من الباحثين ، تاريخ أفريقيا العام ، مج . 2 ، – حضارات أفريقيا القديمة – ، عمار محجوبي ، ج. 19 – العصر الروماني وما بعده في شمال أفريقيا – ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985 ، 503 . *متاح على الرابط* : www.4shared.com ، تاريخ الرفع : 2007/07/22.

[2] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ... ، ص . 95 .

هكذا سمحت المواطنة للمغاربة القدماء بالمشاركة في الحياة السياسية الرومانية ففي عهد الإمبراطور " كومودوس " وصل عدد الضباط الأفارقة المتقلدين منصب " بروكيراتور " ثلاثة عشر.

– **طبقة العامة**

شكلت تلك الطبقة السواد الأعظم من المجتمع المغاربي القديم ، حيث اتسم المنتمون إليها بالطابع الريفي ، وانقسمت تلك الطبقة البسيطة في تركيبها إلى قسمين تبعا للمهنة العسكرية التي ربطتهما بالاحتلال – آنذاك – وهما طبقة الريفيين وطبقة المهادنين .

– **الريفيون**

هم أولئك السكان الذين كانوا يتكونون من المزارعين والرعاة ، ساكنو البوادي ومناطق المراعي والمناطق الداخلية والتخوم الصحراوية ، خضعوا للرومان ، و مواطنهم قريبة من المراكز العسكرية كاللِّيمس والحصون والقلاع ومستوطنات قدماء الجند .

لقد عمل بعض الريفيين في المستعمرات الفلاحية الكبرى ، واعتزل بعضهم في الجبال رافضين الاندماج بالرومان ، وقد كانت مواطنهم معاقل المقاومات ضد الوجود الروماني .[1] وكان جموع الفلاحين من الأحرار وأحرار المزارع وأصحاب الحرف البسيطة في نظر سكان المدن محتقرين.

– **المهادنون**

هم السكان المضطرون للهدنة و التصالح المؤقت ، تحت ضغط الظروف غير المتكافئة مع الجيش الروماني ، بسبب وقوع أراضيهم في نطاق قوة الرومان ، و انكسارهم المتواصل أمام ضرباته ، وقد كان معظمهم متمركزا في المناطق الحدودية للمقاطعات للبلديات الرومانية .[2]

– **طبقة العبيد**

[1] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 135 .

[2] محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ... ، ص . 95 .

كانوا يتواجدون بأعداد هائلة في مزارع النبلاء ، حيث كان أولئك يعملون خدما في بيوت المدن ، وكانوا يعتبرون أفضل حالا من عبيد المزارع الذين كانوا ينهكون في الأعمال الزراعية الشاقة ، وعلى العموم لم يكن للعبيد شأن أو مكانة تذكر في الحياة الاجتماعية ، فللسيد المالك حق تملك الرقاب وممارسة ما يشاء على عبده. [1]

## 2 – الطبقة الأرستوقراطية في المرحلة الإمبراطورية الأولى

سعت روما إلى استمالة أبناء المجتمع المدني من أجل تحقيق أهدافها الكبرى ، ولأن خضوع هؤلاء للإدارة الرومانية كان قويا فقد امتد إلى هويتهم بسبب نشر الثقافة الرومانية عن طريق محو مظاهر الثقافة المحلية كاللغة ، وإحلال اللغة والكتابة اللاتينية بديلا رسميا مناسبا يسهل التواصل بين جميع الأطراف ، فكان الاهتمام منصبا على النبلاء والفرسان .

أما الريفيون فلم يكن شأنهم يهمُّها ، لكونها كانت ترى فيهم منغصا مستمرا يؤرق أمنها ، ومن دواعي استقرارها في المنطقة تقييدهم بالقوانين وقمعهم متى سنحت لها الفرصة لذلك ، وعليه فقد اتبعت معهم أسلوب التطويق والمراقبة المستمرة بالمنشآت العسكرية .[2] و لذلك كان الأمر يحتاج إلى فترة طويلة و إلى قوانين صارمة ، وقد تحقق ذلك بواسطة قانون المواطنة .

### أ – ظهور طبقة الفرسان

إن ظهور نخبة في المجتمع المغاربي القديم ، كان يعني بالضرورة محاولة هذه الفئة المشاركة في الحياة السياسية والإدارية في البلديات في المغرب القديم لما تقدمه المناصب السياسية من نفوذ وأبهة وعظمة تزيد من قوة الأرستوقراطيين ( هونيستوريوس ) الذين كانوا أيضا ينقسمون بدورهم إلى عدة فئات ، فهناك الأرستوقراطيين الملاك ، و الفرسان ، وذوي الثراء المعتدل .

---

[1] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 134 .

[2] شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق ، ص . 258 .

هكذا توجه النبلاء لسناتورات مدنهم ، ولكي يكون الفرد سناتور لا بد وأن يكون ثريا جدا ، وأن يدفع مبلغا من المال مقداره مليون سسترس [1]، و بعدها يقبل في خدمة الدولة ، فيندرج ضمن طبقة الحاصلين على الشرف ( كورسوس هونوروم ) ، ثم كان يتدرج بعدها في المناصب بدءاً بمنصب الخازن ( كستور ) ثم وصولا بالمحكمة ، ولم يكن سهلا على مغاربي أن يرتقي نحو تلك المناصب .[2]

ب – **<u>طبقة الفرسان وخصائصها في المغرب القديم</u>**

تشكلت تلك الطبقة خلال الاحتلال الروماني من أفراد جندوا في الجيش الروماني ، قدموا خدمات جليلة للإمبراطورية الرومانية فكافأتهم إلى جانب ما منحتهم إياه من المال مكافأة معنوية وتتمثل في منحهم لقبا شريفاً وترفيعاً في الطبقة الاجتماعية وكان أول فارس أفريقي تحصل على الخاتم الذهبي لتيبريوس وهو رمز الانضمام لطبقة الفرسان كان من مدينة موستي ( الكريِّب بتونس حاليا ) .[3]

إنه لكي يحصل الفرسان على مناصب تخوِّلهم الولوج في عالم الأرستقراطيين ، فعليه أن يدفع حوالي 400 ألف سسترس وخدمة عسكرية لمدة تسع سنوات كي يكون الفرد منهم فارسا من الدرجة الثالثة .

وهكذا كلما ترقى الفارس في وظيفته العسكرية ازدادت مكانته الاجتماعية ، فهناك من يكون ضابطا في كتيبة ثم في فيلق ، ومواظبا على دفع الضرائب السنوية وتقدر بحوالي 600 ألف سسترس في السنة ، فذاك كان يعد فارسا نبيلا من الدرجة الأولى .[4] *<u>( انظر الشكل رقم ( 77) . ص . 381 )</u>*

رغم معرفتنا ببعض الشروط اللازمة على الأفارقة لشغل مناصب عليا ، فإن المعلومات في هذا المجال قليلة جدا .

هذا وقد سجلت المصادر النقوشية أن النبلاء والفرسان كانوا يمثلون الطبقة الأرستوقراطية النخبوية ، ودليل ذلك أن أول أفريقي كان قد تحصل على رتبة سناتو

---

[1] ***<u>سسترس ( Sesters )</u>*** : هي العملة الرسمية الرومانية ، ساد تداولها في بلاد المغرب القديم ،

[2] - *Yann le Bohec , Histoire de l'Afrique Romaine ( 146 av. J.C. – 439 ap. J.C. ) , 1ère éd. , éd. Picard , Paris , 2005 , P . 155 .*

[3] عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 504 .

[4] - *Yann Le Bohec , Op.-Cit. , P . 156 .*




(أ)




( ب )



( ج )

<u>الشكل رقم ( 75)</u> : نصب تحمل نقوشاً للقرسان من متحفي شرشال وتيبازا

( أ ) : نصب يحتوي على إفريز به شكل الهلال والقرص رمزا بعل حمون وتانيت ، ونص لاتيني متكون من أربعة أسطر يتناول حياة الفارس الذي نقشت صورته في أسفل النقش ، يحمل رمحا

( ب ) : نصب جنائزي لفارس يحمل قوسا ويمتطي حصانا في حالة العدو .

( ج ) : نصب يمثل فارسا يحمل رمحاً وتبدو ملابسه مثل بقية ملابس الجيش الروماني .

<u>نقلا عن</u> : *N.Benseddik , Op.-Cit., p.p. (288-289)*. -

( عضو مجلس شيوخ ) فارس يدعى ( أوريليوس باكتيميوس ) وهو من أصل كرتي حصل على ذلك المنصب في عهد الإمبراطور فسباسيان . [1]

**ج - <u>الفرسان الأفارقة في ضوء النقوش اللاتينية</u>**

قدمت لنا دراسة أسماء الأعلام في النقوش اللاتينية معلومات جمة عن طبقة الفرسان والمزايا التي حظوا بها من طرف إدارة الاحتلال الروماني ، و خلال القرن الأول للميلاد ، قدمت النقوش أسماء خمسة سناتور من أصل أفريقي .

أما في القرن الثاني للميلاد فقد سجلت لنا النقوش أسماء 42 سناتور ، وبلغ أوجه في عهد السيفيريين 89 سناتور ، حيث احتل المغاربة القدماء 26 بالمائة من المناصب العليا .

هذا وقد تطور الأمر في عهد تراجانوس ( 98 م – 117 م ) الذي منح رجلا من خيرة أشراف الرجال يدعى لوسيوس كويتوس منصب سناتور .

وكذا في عهد ماركوس أوريليوس ( 161 م – 180 م ) ، الذي منح معلمه فرونتونيوس السرتي منصبا سياسيا .

وهكذا ارتقت طبقة الفرسان من طبقة العامة إلى طبقة النبلاء وتزايد سعيهم إلى هاته المناصب لتوطيد وجودهم في المغرب القديم .

هذا و حسب المسح الأثري الخاص بوثائق الفرقة الأوغسطية الثالثة ، سجل الأثريون المعاصرون المئات من أسماء أعلام لفرسان شغلوا وظائف ليجاتوس و بروبريتور في بلاد المغرب القديم [2] ، فمثلا كان هناك حوالي 68 فارس ارتقى إلى منصب سناتور ، و تجدر الإشارة إلى أن كل أولئك كانوا من أصل نوميدي– ثلثيهم قادمون من كرتن ، ومن تبقى فمن المور .

كما حاولت الإدارة الرومانية أن تعمل بمبدأ العرف مع النوميديين ، فأطلقت عليهم أسماء لاتينية حافظت من خلالها على الامتداد السلالي لكل فرد من قبيلته ، مث الأسماء التالية لفرسان خدموا في الجيش ونذكر منهم سابينوس بارباروس( 116 م )

---

[1] - *Géza Alfoldy , Histoire sociale de Rome , Trad. Par : Emile Evrard , éd. Picard , Paris , 1991 , P . 133 .*

[2] ليجاتوس : قائد يعين من الإمبراطور بنفسه ، أما البروبريتور : قاض مخول من الإدارة الرومانية .

و براستينا موزاليموس ( 143 م ) .[1]

**نستنتج** من تلك الإحصاءات أن الإدارة الرومانية كانت قد سعت جاهدة لاستمالة النومديين في صفوف جيشها خاصة بعد مقاومة تاكفاريناس ، وذلك كي لا تقوم قائمة جديدة للنوميديين من أجل استعادة أراضيهم .

أما في البروقنصلية ، فقد اتبعت الإدارة الرومانية أسلوب حصر الوظائف في بعض الأسر الأرستقراطية التي أثبتت لها الولاء المطلق ، مثل : أسرة أنيكوس ( Anicii ) وأسرة أراديوس (Aradii ) وأسرة سبتيموس ( Septimii ) ، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم العثور على أسماء تلك الأسر في أكثر من 45 موقع أثري مختلف في الإقليم ، 14 منها مدن تجارية ساحلية والأخرى مدن داخلية زراعية خاصة بإنتاج الحبوب .[2]

هكذا وقد تسارعت عملية الانتماء إلى طبقة الفرسان في ما بين فترتي حكم الإمبراطورين هادريانوس و ماركوس أوريليوس ، إلى أن كان عهد الإمبراطور كومودوس ( 180 م – 192 م ) الذي أوقف تلك العملية ، فلم ينادِ أي أفريقي لمثل ذلك المنصب القيادي ، واستمر على قراره حتى فترة حكم الأسرة السيفيرية .

### د - <u>الفرسان في عهد الأسرة السيفيرية</u>

أصبح الفرسان يحصلون بسهولة تامة على لقب النبيل ( ***Notable*** ) ، للتفريق بينه وبين الشريف بالنسب ( ***Noble*** ) ، ولا يتورعون في تدوينه على نقوشهم لإبراز وتخليد مكانتهم الاجتماعية .

وفي هذا الصدد عثر في مدينة توبورسيكوم بور ( تبرسق حاليا بتونس ) على نقيشة جنائزية دوِّن فيها ما مضمونه : " **لروح الألهة المقدسة ، أنا يورينيوس جيزينتيوس ، عشت فارسا ، وأنتمي لطبقة النبلاء** " ، وتعود إلى نهاية القرن الثاني للميلاد .[3]

---

1 - *Yann le Bohec , Op. – Cit . , P . 95*

2 - *Yann Le Bohec , Op.-Cit. , P . 156 .*

3 - *Christophe Badel , " Le thème de la (Nobilitas ) dans l' épigraphie latine (I^er^-Veme . Siècle ) , N: 114 , T : 2 , éd. M.E.R.F.Ant. , Rome , 2002 , P.973.*

أما سبتيموس سيفيروس فكان يدرك أهمية الفرسان وولائهم في حالة ما إذا تمت ترقيتهم إلى فئة المواطنين وإن كان ذلك بصورة إدارية ، رغم ذلك ظلوا في نظر الأرستقراطية الرومانية من طبقة العامة مهما ارتقوا وظيفيا وماديا ، ولذلك منح سبتيموس حق الانضمام بسهولة ويسر إلى طبقة الأشراف المحليين ، وكذا وصول بعضهم إلى مجلس الشيوخ في روما لتدعيم صفه ، كما أنه منح حق الارتقاء إلى الطبقة الأرستقراطية لا سيما للمثقفين ثقافة هلينية ولاتينية ، ومن لديهم ملكيات خارج حدود مدينتهم كرجال لهم ورشات صناعة الفخار والتجار الزراعيون .*(انظر الشكل رقم (78) . ص .385 )*

مما سبق نجد أن نفوذ طبقة الأشراف قد ازداد كثيرا ، حيث سيطروا على مختلف الوظائف البلدية في قوات حفظ النظام العام والبناء العمومي ، وكذا تنظيم حركة الأسواق وتسيير المحاكم ، واقتسموا النشاطات فيما بينهم ، فكانوا يستميلون العامة في وقت الانتخابات ويغدقون عليهم ، ورغم أن السواد الأعظم من طبقة العامة لا ينتخب ، إلا أن هذا كان يتم على مستوى المدن الداخلية .[1]

**هـ – صورة عن وضعية الأشراف النوميديين خلال القرن 2 م من خلال النقوش**

أفادتنا النقوش اللاتينية المنتشرة في بلاد المغرب القديم بنماذج عديدة عن الأسر النوميدية التي ترومنت ، وخاصة حول ترقية الأفراد من طبقة إلى أخرى بفعل التسهيلات التي سنَّتها قوانين هادريانوس ، ومن أهم النقوش التي عثر عليها نقش كيليوم و تاموقادي .

**– نقيشة كيليوم**

تم العثور على نقيشة القصرين ( فلافيي كيليوم ) التي تذكر أن كبار هذه الأسرة النوميدية قد حصلوا على حق المواطنة الرومانية في عهد الفلافيين ، و أنهم يدينون

[1] - *M.G. Jarette , " An Album of the Equesterians from North Africa" , Epigraphische Studien , V : IX , 1972 , P . P. ( 146 – 231 ) .*



الشكل رقم ( 78) :

جداريات فسيفسائية تبين ملامح أسرة أفريقية نبيلة من القرن الثاني للميلاد

نقلا عن : -Serge Lancel , Op.-Cit., P. 122.

بالوثنية ، وقد حصلوا على ثروتهم من مزارع الكروم – وهذا نادر جدا في أفريقيا وقتذاك – و كان ذلك في الثلث الثاني من القرن الثاني للميلاد .

ولإبراز العظمة التي وصلوا إليها قاموا ببناء ضريح يحتوي على أربعة نقوش جنائزية ونصان من الشعر المنظوم بدقة ، وقد أظهروا احترامهم للثقافة اللاتينية بفهمهم واستيعابهم لها والأخذ بقواعدها .[1]

**– نقيشة ماكتاريس**

عثر على نصٍّ وجد على معلم جنائزي في ماكتاريس ، يروي حياة أسرة حصاد يدعى أوريليوس كان يعيش مع أسرته المتكونة من زوجته كايزيليا نامينا ، و ابنه موليسيوس ماكسيموس ، وشخص آخر اسمه نامتامو ، وكيف أنه قد عاش في الفقر والحاجة .

في كل سنة كان يعمل أجيراً بساعديه القويين في مزارع السهول العليا ، وخاصة في وقت الحصاد ، واستطاع بفضل تفانيه في العمل أن يحوز رضى رئيسه الذي رقاه إلى رتبة رئيس المزارعين ، وبفضل مدخراته استطاع أن يشتري ضيعة ( دومان ) وبها بيت ، وبفضل ثروته وسمعته الطيبة بين الناس تمكن أن يدخل في دائرة السنات بمدينته .[2]

من هذا النص نستنتج أنه بالإمكان الانتقال من طبقة إلى أخرى ، بفضل المجهود الشخصي والمثابرة المتواصلة .

**– نقيشة تاموقادي**

تعكس وثيقة تاموقادي[3] صورة جلية عن الهرم الاجتماعي الذي كان يندرج ضمنه سكان المدن ، وهي عبارة عن نص لاتيني عثر عليه في المدينة كان يزين فيها واجهة المجلس البلدي ، ويحتوي على سجل من أسماء الأعلام ورتبهم ومكانتهم المرموقة في المجتمع ، وهم أربعة طبقات فرعية من القمة إلى القاعدة : الأشراف

---

1 - *Yann Le Bohec , Op. – Cit . , P . 158 .*

2 - *J.M.Lassère , Les Flavii du Cillium , éd. Collections d' Ecole Française de Rome , T : 169 , P . 260 . Sur le site web : www.publications.école-française.it .Le : 06/09/2009.*

3 ***تاموقادي*** : تسمية ذات أصول نوميدية وتعني : مدينة الخير ، ذلك لأنها تقع في سهل خصيب يمتد ما بين التخوم الأوراسية الشمالية وصولا بسهل مسكيانة . ***انظر*** : *-René Cagnat , Carthage Timgad Tebessa , Librairie Renouard et Laurens éditeurs , Paris , 1927 , 46.*

و الفرسان ثم الكهنة والحكام الإداريون .[1]

نستنتج أن نقيشة تاموقادي قد بينت بوضوح الطبقات الاجتماعية التي كانت سائدة خلال القرن الثاني للميلاد ، كما تجدر الإشارة إلى وجود نقوش كثيرة في نوميديا تتناول حياة الفرسان مثل نقش لامبيزيوس . *( انظر الشكل رقم ( 79 ) . ص .388 ) .*

هكذا نجد أن النقوش اللاتينية قد ساعدتنا كثيرا في معرفة بعض التفاصيل المتعلقة بالجانب الاجتماعي ، ومن ذلك أسماء أعلام بعض الفئات الاجتماعية ، وسني حكمها ، و كذا مساهمتها في الحياة السياسية في كل مدينة من المدن المنتشرة في إقليم البروقنصلية أو نوميديا .

**3- طبقة العامة**

**أ - خصائص طبقة العامة**

كانت طبقة العامة تتكون من الأفارقة الفقراء ، وهم الغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب القديم ، وهي غير معروفة جيدا في المصادر ، ذلك لأن أفرادها لم يمتلكوا الوسائل المالية الضرورية التي تؤرخ لهم ، ولم يبنوا آثارا تخلد لذكراهم .

تميزت طبقة الفقراء بكون خصوصيتها الحضارية محدودة ، إذ أن الوثائق الأثرية اللاتينية المتعلقة بالعامة قليلة أيضا ، خلال تلك الفترة كتب النوميديون باللوبية الشرقية نصوصا مقتضبة و ذات طابع جنائزي .

لقد أطلق على مساكن العامة اسم " مابالبا " ، وكانت أكواخ تحيط بالمدينة كما هو الحال في قيصرية ، وقد درس الأثريون المابالبا ولكنهم لم يتمكنوا من استنتاج حقائق تاريخية كثيرة ، ذلك أن المخلفات الأثرية لطبقة العامة كانت متعلقة فقط بالأثاث الجنائزي الذي اكتشف في المكان .

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . ص . ( 223 – 225 ) .




<u>الشكل رقم ( 79 )</u> :

نصب جنائزي من لامبيزيوس لفارس اسمه يوليوس فورتوناتوس ، كان جنديا في الفرقة الأوغسطية الثالثة ، مات عن عمر 28 سنة .

<u>نقلا عن</u> : -Serge Lancel , Op.-Cit. , P. 120.

كما كانت تعرف مساكنهم باللاتينية باسم كازيس وقد كان العامة يحيــون حيــاة على النمط البوني – النوميدي ، ولم تمسهم كثيرا الحضارة اللاتينية كمــا هــو شــأن الأرستوقراطيين .[1]

على العموم ، فقد كان العامة يعيشون وضعية مأساوية ، كما كانوا يمثلون قــوة لا يستهان بها في الزراعة ، وكانوا يعيشون من عملهم البسيط .

**ب- نشاطات طبقة العامة**

حظي بعض العامة بنوع من الحماية التي كان يؤمنها لهم مستخدميهم ، إذ كــان المجتمع الأرستوقراطي قاسيا وفظ المعاملة مع الضعفاء ، وقد أمكن معرفــة بعــض الأشخاص من خلال مهنهم ، حيث كان بعضهم يعملون جنوداً ، بينما الخدمة العسكرية واجبة عليهم وفقاً لقوانين الإمبراطورية العليا .

إن الواجب العسكري كان يحتاج إلى أرضية من الشباب الذين كانوا يقضون خمس وعشرين سنة في الخدمة العسكرية ، وبالمقابل يستفيدون من مزايــا كثيــرة كالهبــات والهدايا ، والراتب الجيد والراتب التقاعدي المضمون الذي يؤمن له حياة أسرته بعــد انتهاء سني عمله في الجيش .

فمثلا : إنَّ قائد المجموعة كان يتقاضى فــي عهــد أوكتــافيوس أغــسطس 900 سسترس شهريا ، وفي عهد سبتيموس ارتفع إلى 2400 سسترس ، أما في عهد كراكلا فقد بلغ ذروته حيث وصل إلى حوالي 3600 سسترس .[2]

كما كان صغار التجار يصنفون ضمن طبقة العامة ، وقد خلفت الآثار لنا شــيئا عنهم ، فهناك اتحاد الحدادين واتحاد الفخارين .

أما البروليتاريا الريفية العاملة في المزارع فكانت مدقعة الفقر لا تجيد ســوى خدمة الأرض ، لأن الاحتلال جعلهم أجراء في ممتلكاتهم ، وغالبا ما صورتهم نقــوش الفسيفساء عاملين في الأرض . ***( أنظر الشكل رقم (80 ) ، ص . 390 )***

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات .... ، ص . 174 .

[2] - *Yann Le Bohec , Op. – Cit . , P . P. (158- 159 ) .*


( أ )


( ب )


( ج )

الشكل رقم ( 80 ) : الحياة في الريف من خلال رسوم الفسيفساء

| |
|---|
| ( أ ) : مشهد يصور عملية حراثة الأرض . |
| ( ب ) : مشهد يمثل كيفية ذبح الخراف . |
| ( ج ) : مشهد يمثل صيد الحيوانات البرية وقطاف العنب . |

نقلا عن : -Serge Lancel , Op.-Cit. , P.145.

في طبقة العامة كان المدني النوميدي الفقير لا يعامل بـالتوازي مـع المـدني الأجنبي الفقير – من غير الرومان الذين لم يكونوا فقراء – ، هذا ولم يحصل العامـة على المواطنة إلا في عهد كراكلا أي أنهم انتظروا طويلاً حتى بدايـة القـرن الثالـث للميلاد .[1]

## 4- طبقة العبيد و الطبقة الهامشية وخصائصهما

كانوا يمثلون 10 بالمائة من مجموع السكان ، المعتقون منهم ممن حـصلوا علـى قوانين رقّتهم إلى الفئة المعدمة من طبقة العامة ، وهناك الكثيرون رفضوا الانـصياع للأوامر الإمبراطورية فسيقوا عبيداً .

كان هناك الكثير من الأحرار صيَّرهم الاحتلال عبيدا ، وخاصـة فـي المـدن الداخلية الثائرة وهي : أماديرا وهيبون وتيفست و تاموقادي وبنازا ، حيث ظهر فـي تشريعات هادريانوس التفاتة رحيمة من المشرِّع ، تضمنت شعوراً إنسانياً عميقاً علـى طبقة العبيد ، ففي روما على سبيل المثال إذا مرض العبد طرحه سيده في معبـد إلـه الطب إسكولابيوس فإن شفي هناك أعتقه السيد بعد أن كان في وقت سابق يلقى طعاماً للسباع ، و قد انتشر هذا التقليد في المستعمرات الرومانية .[2]

كما أصدر هادريانوس قانوناً يقضي بتوقيع عقوبة الإعدام على أي سيد يثبت أنـه قتل عبدا لمجرد المتعة .[3]

كما حرم الإمبراطور هادريانوس بيع الصبيان والفتيات من العبيد للعمل في البغاء .[4]

---

[1] -Ibid., P.159.

[2] تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 88 –89 ) .

[3] يستثنى هنا قتل العبيد أثناء المصارعة في المسارح والمدرجات ، ذلك أنها تندرج ضمن ألعاب التسلية ، والمقصود هنا أنـه كان يؤتى بعبد في الضيعة أو الفيلا فينكل به دون أن يكون قد ارتكب ذنبا يذكر ، فيقتل موثقا أمام أصحابه وسـط التهلـيلات ودون أن يستطيع الدفاع عن نفسه .

[4] تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص . 89 .

**أ – الطبقة السفلى**

كانت تتكون من نهاية الهرم الاجتماعي وشملت الفئة الخطيرة والقبائل البدوية :

فأما الفئة الأولى في تلك الطبقة ، فكانت جماعة يطلق عليها " الطبقـــة الخطيــرة " وهم الذين كانوا من الأحرار الذين اتخذوا من الجبال مراكز للإغارة علـــى المراكـــز الرومانية . [1]

مما سبق نستنتج أن أفراد الفئة التي أطلقت عليها المصادر بالطبقة الخطيرة ، لـــم يكونوا سوى أولئك المقاومين الثائرين على الوجود الروماني ، الذين يقومـــون دائمـــا بالمقاومات ، ولذلك اعتبرهم المشرع الروماني ضمن الفئـــات الخطيـــرة علـــى أمـــن واستقرار الوجود الروماني بالمنطقة ، وغالبا ما وصفتهم النصوص بالمتمردين وقطاع الطرق وليس ذلك بغريب على الرومان الذين وصفوا النوميديين منذ أقـــدم العـــصور بالهمجية والوحشية .

**ب – الفئات الاجتماعية الهامشية**

رغم معرفتنا ببعض الطبقات لكن هناك الكثير مما لا نزال نجهلـــه ، فمـــثلا : إن هناك فئة السحرة والكاهنات من الذين يمتلكون قوى خارقة ويعرفون في الفلك ، وهناك أيضا طبقة البغيّ والمشردين والمصارعون الهاربون وكانوا يـــشكلون خطـــرا علـــى السكان .

مما ترويه المصادر الأدبية ذلك المثال القائل : " أتريد نهايتي مثـــل داتـــوس ؟ " ومضرب المثل : أنَّه في سنة 152 م كان هناك ثري اسمه نوتيـــوس داتـــوس وكـــان ضابطا قديما من طبقة الفرسان وعرف عنه ظلمه واستبداده في قرطاجه وما حولهـــا ، فتربص به المشردون والمصارعون الفارون ، فسلبوه كل ما يملـــك وتركـــوه مفلـــسا وعاريا .[2]

---

[1] - *Yann Le Bohec , Op. – Cit ., P. 161 .*
[2] - *Ibid , P . 162.*

هذا وقد ذكر المؤرخ يان لوبويك أنه خلال القرن الثالث للميلاد ، و في الرسالة 62 للقديس سيبيريانوس ( ***St. Cyprian*** ) التي كتبها فيما بين ( 248 م – 258 م ) أنه في سنة 252 م سجل ارتفاع في الخطف مع طلب الفدية من طرف المشردين .[1]

**ج – <u>مجموعة القبائل البدوية</u>**

هي فئة خاصة ، كانت عبارة عن قبائل مختلفة ذكرتها النصوص القديمة ككتابات المؤرخ أميانوس مارسولانوس والتي ترجمها المؤرخ ديزانج موضحا من خلالها نمط معيشة تلك القبائل .

على العموم ، فقد اتسمت تلك القبائل بنمطٍ متواضعٍ ، وكانت بعيدة عن أطر الحياة المستقرة في المدن .

تشمل القبائل المشار إليها آنفاً الفاروزيون (***Pharosiens*** ) في الجنوب الغربي ، والجرميون في الجنوب الشرقي ــ وتضمنت كل مجموعة كبرى قبائل عديدة اشتهرت بتاريخ المقاومة ضد الاستعمار الروماني ومنها قبائل البقواط (**Baquates**) والبوار ( **Bavares**) وقبائل الحلف الخماسي (**Quinque Gentiani**) [2] ، وكانت تعتبر استمرارية لجموع القبائل اللوبية فيما وراء بحيرة تريتونيس .

مما سبق نجد أن الطبقية في العهد الإمبراطوري ، كانت قد أخذت في التشكل والانتظام ، حيث ساد المفهوم المدني للمجتمع ، وازداد استقرارا خلال العهد الإمبراطوري الثاني .

## <u>رابعاً – التركيبة الاجتماعية في العهدين الإمبراطوريين الثاني والثالث</u>

### 1– <u>طبقات المجتمع وخصائصها</u>

بلغت سياسة الأباطرة الرومان أوجها خلال هذه الفترة من حيث توسيع نظام البلديات الرومانية في المغرب القديم في المناطق الوسطى والشرقية ، وهذا الإجراء أعطى فرصا أكبر للحصول على الحقوق المدنية لمن تتوفر فيهم شروط الانتفاع بها

---

1 - *Ibid , P . 163.*
2 - *J.Desanges , Op.-Cit. , P. , P. ( 47 , 67 ) .*

من النوميديين والموريين ، وانتشار البلديات بمختلف درجاتها القانونية ( رومانية ، لاتينية ، إيطالية ) لم يكن يعني أن سكانها على قدم المساواة قانونيا ، فكانت هناك الطبقات الآتية :

- العنصر الروماني : الحاكم إداريا وعسكريا .
- العنصر اللاتيني : هم الذين يتمتعون بمزايا المواطنة الإيطالية .[1]

هذا وقد عمل الإمبراطور دقلديانوس ( ديوكلتيانوس ) ( 284 م – 305 م ) على التقليل من الفوارق الاجتماعية ، من خلال إصدار قوانين إعادة مسح الأراضي على أساس وحدة قياسية جديدة هي اليوجوم ( Iugum ) مما أتاح للإمبراطورية جباية أكثر صرامة .

ففي سنة 301 م ، تمَّ فرض سعر موحد للسلع وكان أن انخفضت قيمة العملة ، وفي سنة 320 م ، ازدادت الشكاوى من الضرائب وتم استحداث نظام المكوس العينية ، لكن من الواضح أن هذا القانون كان يمس الفلاحين الصغار من أصول إيطالية ، ولم يكن المحليون معنيون به .[2]

أثناء تلك الأحداث كان المجتمع المغاربي القديم ينقسم إلى قسمين هما :

**أ- الطبقة الأرستوقراطية**

عرفت بطبقة الأثرياء ( ***Potentirs*** ) وهم المقتدرون ماديا ، و جلهم من سكان المدن، و كانوا ينقسمون إلى ثلاث طبقات فرعية هي :

**- طبقة النبلاء**

كانت تشمل فئة النبلاء والأشراف من علية القوم وينتمي إليها القائد العام للجيش وكبير الكهنة ومجمع الكهنة وعناصر سناتور المدينة والقاضي .

**- طبقة الملاك**

كانت تشمل فئة كبار الملاك للأراضي الزراعية ، وهم طبقة وسطى في الأثرياء ، يمتلكون الضياع الواسعة .

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 174 .

[2] تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 98 – 100 ) .

**- طبقة الفرسان**

هي الفئة الثالثة ، وكانت تتكون من الفرسان الذين حصلوا على الوسام ، أو لهم ملكيات زراعية أكثر من 6.5 هكتار على الأقل ، وقد ادمج الفرسان تماما في عهد قسطنطينوس الأول ( 324 م – 337 م ) في الطبقة العليا ، وأصبحوا يضاهون كبار الموظفين في المدن .

أما في عهد الإمبراطور الروماني جوليانوس ( 361 م – 363 م ) ، فقد احتوت مدينة تاموقادي على عشرة من السادة في المجلس البلدي من قدماء الجنود الذين وصلوا رتبة فارس واستفادوا من مزايا عديدة إداريا واقتصاديا ، ولم يكونوا يدفعون الضرائب ، واشتهرت من طبقة الفرسان " **عائلة فاليريوس** " التي كانت ثرية جدا ، كما شكلت طبقة الفرسان جمعيات أطلق عليها ( إيونيس ) تقدم دروساً في الرياضة القتالية لكي تعد الفتيان للوظائف العسكرية ، وقد عثر على ذلك في نقيشة بصلداي .[1]

وكان ملاك الأراضي في تلك الفترة يعيشون في المدن على دخل يأتيهم من ممتلكاتهم في الريف ، ولكنهم لا يعتبرون من سكان الأرياف ، ولم يكن لهم ارتباط بأرضه بل كان يفضل أسلوب الحياة الفارهة ، ولكي يجعل له اسما ومكانة مرموقين في المدينة ، فلا بد من المشاركة في البناءات العمومية و إغداق الأموال على ممثلي السلطة الرومانية في المنطقة .[2]

**ب – طبقة العامة**

حسب المؤرخ محمد البشير شنيتي نقلا عن المؤرخ ميخائيل روستوفتزف [3] أن طبقة العامة كانت قد انقسمت في المرحلة الإمبراطورية الثالثة وفقا لمعياري الغنى والفقر إلى قسمين هما :

– **الطبقة المتوسطة** : كانت تتكون من التجار والحرفيين .

---

1 - *Géza Alfoldy , Op. – Cit. , P . 199 .*

2 عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 505 .

3 محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 174 .

– **<u>الطبقة الفقيرة</u> :** كان تلك الطبقة تتكون من العنصر المحلي ، وهم المقيمون في المدينة ، ولا تشملهم مزايا القانون الروماني ولذلك يدعون بالغرباء ( الإنكولاي ) أي البعيدون عن روح القانون الروماني ، وكانوا يعيشون في الماباليا.

**<u>ج – سكان الأرياف</u>**

بلغ تعدادهم 70 بالمائة من مجموع السكان في المغرب القديم ، ثلثيهم تمركزوا في إقليم البروقنصلية و نوميديا ، وكانوا دائما تحت رحمة الملاك .

وقد خلفت لنا هاته الفترة آثارا كثيرة من النقوش اللاتينية ذات المواضيع الخاصة بالاقتصاد الزراعي والآلهة المحلية وأسماء الأعلام منها ما هو نوميدي الأصل وأخرى لأشخاص مترومنين ، وشواهد قبور بالمئات ونقوش جنائزية وفخار سيجيلي وعملات من نوع السسترس .

لقد أفادتنا تلك المخلفات كثيراً في علم آثار الريف بحيث أضاءت جوانب كثيرة عن حياة هؤلاء .[1]

مما سبق نجد أن ملامح الطبقية في المجتمع المغاربي القديم المدني قد اكتملت مظاهرها خلال تلك المرحلة ، وكان من الواضح أن هذه التركيبة لم تكن لتتغير لعقود قادمة ما دام الاحتلال الروماني موجودا ومسيطرا ، بل و مستميلا عن طريق المواطنة سكان المدن من أصول نوميدية و مورية .

أما الريفيون ، فقد حظوا بنصيب ليس الهدف منه سوى ضمان استمرارية الضرائب .

**2 – <u>الطبقات الاجتماعية في العهد الإمبراطوري الثالث</u>**

حدثت هناك تغييرات في الطبقات الاجتماعية منذ القرن الرابع للميلاد، فمنذ عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول ( 378 م – 395 م ) ، ظهرت إلى الوجود الطبقة المتوسطة مستقلة عن طبقة العامة ، وكان لها بعض الأموال التي ادخرتها من خلال أعمالها ونشاطاته الحرفية خاصة في المدن الداخلية في البروقنصلية .

---

[1] - *Alexandre Lézine , " Sur la population des villes Africaines " , Ant. Afr. , T : III , 1969 , P. P. (69 – 82 ), Sur le site web : http://site.univ-provence.fr.*

أما العبيد فلم يكن لهم شأن يذكر ، ورغم ذلك فقد كانت لهم مدخراتهم الخاصة التي يحظون بها من خلال عملهم في البيوت والمزارع .[1]

بمعنى أنه أصبح هناك ثلاث طبقات :

**1-الغنية الأرستقراطية .**

**2- البرجوازية المتوسطة** : من أهل الحرف .

3- **الفقيرة** : من الريفيين والعمال الأجراء البسطاء ، و شملت بدورها المعدمين من العبيد ، أما البدو الرحل فكان من الصعب إحصاؤهم نظرا لتنقلاتهم المستمرة .

خلال تلك الفترة ، عاش المجتمع المغاربي القديم في ظل انقسام طبقي كبير وجائر تجلَّى في استئثار الطبقة الأرستوقراطية المشكلة من المستوطنين الرومان والمترومنين بالامتيازات في جميع المجالات .[2]

ولم تكن المدينة حكرا على الطبقة الأرستوقراطية ، بل من الطبيعي أن يقوم على خدمتها طبقة العامة ، وهذه الأخيرة كانت طبقة مدنية أيضا تقطن المدن في شقها الفقير و شكلت قرابة 90 % من مجموع سكان المدن .[3]

وتجدر الإشارة إلى أن التغييرات التي أدت إلى إعادة التوازن في الطبقات الاجتماعية ، لم تكن من صنيع الأباطرة ، إذ سادت الأفكار الداعية إلى تقسيم الممتلكات بين الإخوة في الدين ، وهي الفكرة التي جاءت بها المسيحية .[4]

## 3- نشاطات المجتمع المغاربي القديم في العهد الروماني

### أ - نشاطات سكان المدن

امتازت البنية الاجتماعية لسكان المدن باعتمادها على الاقتصاد الريفي الذي كان أحد المصادر الأساسية لمعيشة أهل الحضر ، ذلك أن جل المؤرخين الأوروبيين الذي درسوا الحياة الاجتماعية في المغرب القديم خلال العهد الروماني وأهمهم : جان

[1] - *L. Poinssot , " Collier d' esclaves trouvé à Thelepte " , R. Af. , 1943 , P. P. ( 149 – 165 ) . Sur le site web : www.algérie-ancienne .com . Le : 16 / 10 / 2008 .*
[2] - *Yann Le Bohec , Op. – Cit ., P. 230.*
[3] *-Ibid. ,P. 231*
[4] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 269 .

ماري لاسير ( ***J.M.Lassère*** )[1] و كريستيان كورتوا (***Ch.Courtois***)[2] و شارل جلبرت بيكار( ***Ch.G.Picard***)[3] ، اعتمدوا على الرؤية الاجتماعية التي تميزت بهـا دراسـات المؤرخ هيرين في هذا المجال [4].

كذلك نجد من الرعيل الثالث وأهمهم ، جان قاسكو(Gascoux )، لوجلاي ( ***Le Glay*** ) ، ألفرد توتان ( ***Toutin*** ) ، سيرج لانسيل ( ***Lancel*** ) و يان لوبويك ( ***Le Bohec*** ) [5]، من اتفقوا على رأي روستوفتزف من أن المدينة لم تكن سوى طبقـة علوية أساسها الحياة الريفية الزراعية التي نمت وتطورت بفضل خصوبة الأرض.

بناءً على الدراسات الأثرية المعاصرة ، اعتبرت فئة الحضر قليلة العـدد فـي المغرب القديم مقارنة ببقية الفئات ، حيث كانوا يشكلون قبل الاحتلال فئة هامـة فـي المجتمع البوني اللوبي ، وخاصة في المدن الساحلية ، غيـر أن الاحـتلال الرومـاني وسياسة التوسع والاستيطان التي انتهجها كانت عاملا رئيـسيا فـي توسـيع خريطـة العمران وارتفاع نسبة الحياة الحضرية في المجتمع المغاربي القديم .

لقد تطورت الحياة المدنية بعد هجرة جموع الإيطاليين إلى المغرب القـديم فـي العهد الإمبراطوري الأول ، وأخذ الوافدون المعمرون ينظمون حياتهم علـى الطـراز الذي نشؤوا فيه في إيطاليا ، وحاكت نمط معيشتهم الطبقة المتمدنة مـن النوميـديين والموريين ، ووجدوا في أسلوب الحياة الرومانية ضالتهم للتطور والرفاهية .[6]

وقد عرفتنا لوحات الفسيفساء على بعض نشاطات هذه الطبقـة ، فكـان أصـحاب الضياع يمضون أيامهم في صيد الحيوانات المفترسة والرحلات الاسـتجمامية عنـدما

---

[1] *- J . M . Lassère , Ubique Populus ( Peuplement et mouvement de population dans l' Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de Dynastie des Sévères ) , éd . C.N.R.S. , Paris , 1977 , D'Après un compte rendu dans le site web : www.persee.fr . Le : 13/01/2009.*

[2] *- Christian Courtois , Les Vandales en Afrique ,Imprimerie Officielle , Paris , 1955 ,P.P.( 383-386) , D'Après le compte rendu du Jean Gagé : www.persee.fr . Le : 15/01/2009.*

[3] *-Ch.G.Picard , La civilisation de l'Afrique Romaine , Paris , 1959 , P.P.(793-799 ) , D'Après : le compte rendu de Raymond Chevallier : www.persee.fr , Le : 15/01/2009.*

[4] *- H.L.Heeren ,De la politique et du commerce des peuples de l'Antiquité ,T: III , 2ème éd. , Firmin Didot et Frères , Paris , 1836 .*

[5] ***يان لوبويـك*** : يعد من المؤرخين المعاصرين الذين اعتمدوا على علم الآثار في الألفية الثالثة والذين أخذوا بـالجنوح نحـو الدراسات الاجتماعية في ضوء الدراسات الثلاثية الأبعاد الجديدة ، إلى جانب كل من : جيزا ألفولـدي ( Géza Alfoldy) وفيليب لوفو ( Leveau ) وسابين لوفيفر ( Lefebvre) وماربيت ديفوس ( Devoos ) وبيـار مـوريزو ( Morizot) ، وهؤلاء من المتخصصين في تاريخ المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني .

[6] شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 218 – 219 ) .

يذهبون لضياعهم ، أما في المدينة فكانوا منشغلين في تسيير شؤونهم بفضل المناصب العليا التي كانوا يحتكرونها في مجلس البلدية ، وكانوا يتوارثون عضويته محتفظين بلقب الانتساب إليه ( ديكوريون ) ، هذا وقد أشرفوا على الوظائف العليا كجباية الضرائب والقضاء ، كما كانت ألعاب التسلية مخصصة للترفيه عنهم .[1]

**ب – نشاطات سكان الريف**

تشكل سكان الريف في المغرب القديم من عناصر بشرية كان بعضها في خدمة أراضي كبار الملاك في الضياع ، وقد جسدت لوحات الفسيفساء الريفية مناظر للحياة اليومية للعمال المنهمكين في الجني و الزرع أو العناية بالحيوانات ، وكانت ضواحي المدن وأقاليمها الزراعية غاصة بكثافة بشرية ريفية عالية ، ولا تزال آثارها منتشرة في ضواحي المدن الزراعية .[2]

وكانت الصورة العامة لسكان الريف ، هي أن جلهم لم يكونوا يملكون الأرض التي يحيون عليها ، بل كانوا يعملون أجراء في الأملاك الإمبراطورية ( السالتوس Saltus) ، وكان هناك أجراء موسميين ينزلون بجوار أراضي السالتوس طلبا للعمل في مواسم جني المحصول ، وكانت معيشتهم بدائية ومتواضعة ، فيها استمرارية لأسلوب معيشة النوميديين والبونيين ، فالمساكن عبارة عن أكواخ صغيرة ، والألبسة من الجلود والطعام من أبخس المنتوجات الزراعية كالشعير وجذور النباتات والألبان ، أما المنتوجات الفلاحية الجيدة فكانت تقدم على أنها الضريبة ، فالريفيون كانوا فقراء جدا .

أما النقوش الأثرية فقد حفظت لنا في عهد دقلديانوس أن الإصلاحات التي مست الريفيين من الفلاحين الصغار إنما جعلتهم من حيث وضعيتهم القانونية رقيقا في الأرض وأتباعا للسيد المالك الذي حملته قوانين الإمبراطورية مسؤولية جباية الضرائب وتحصيلها منهم .

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ، ص. ص. ( 221 – 223 ) .

[2] المرجع نفسه ، ص . 229 .

**ج – الريفيون النوميديون في الفترة الرومانية**

كانوا بعيدين عن تسامح تلك القوانين مما جعلهم يشكلون مجموعات ريفية متميزة عن مجتمع الريف الروماني ، حافظوا على لغتهم اللوبية والبونية ، وكتبوا نقائشهم باللوبية ، وتعاملوا مع الإدارة وأصحاب الأملاك عن طريق الوسيط ، لقد عاشوا عيشة بدائية ، فلم تكن لهم مدارس أو ساحات رياضية أو حلبات للمصارعة أو دور كتب ، وكل ما كان لهم : هيكل متواضع وآلهة محلية .[1]

لقد كانت الحياة الريفية كثيرة المطالب العملية خارج المنزل في الضيعة أو المزرعة ، وكانت الأعباء موزعة بين الأفراد القادرين على العمل من الأب و يصحبه أبناؤه ، وكان الأبناء يعملون تحت وصاية الأب وحكمته في تسيير شؤون عمل اليوم .
2

**د – نشاطات الجيتول والجرامنت واستمرارية التواصل البدوي**

إن المتتبع لعملية وراثة القبائل اللوبية بعضها بعضا ، يجد أن تلك المجموعات التي تحدث عنها المؤرخ الإغريقي هيرودوتس ، وتكتلت في ظروف غامضة إلى اتحادات نوميدية و مورية كبرى ، لم تستثن مجموعات التخوم الصحراوية ذات الطابع البدوي التي انتشرت على طول الحدود الجنوبية للمغرب القديم ، وهي تجمعات الجرامنت والجيتول ، و دراسة القبائل في البروقنصلية وموريتانيا القيصرية والطنجية تبين أن معظم تلك القبائل لم تختلط بعنصر الدخلاء . ***( انظر الخريطة رقم (25) . ص. 402 )***

تميزت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بمحافظتهم على مقوماتهم التاريخية والدينية و أعرافهم وعاداتهم ، وموقفهم من السيطرة الرومانية .[3]

هذا وقد اعتبرت جموع الجيتول قبائل قابلة للتحول من طابع الرعي والترحال والبداوة إلى طابع امتهان الزراعة والاستقرار ، فمنذ سنة ***80*** م قام القائد توليوس بومبونيانوس كابتو بضم أراضي من كرتن إلى الأملاك الرومانية ، وخاصة أراضي

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 234 . و: – *Christian Courtois , " St Augustin et le problème de survivance du Punique " , R. Af. , V : 94, 1950 , P . 170 . Sur le site web : www.algérie-ancienne.com . Le : 12 /01 / 2009 .*

( 1 ) تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص . 65 .

[3] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 235 .

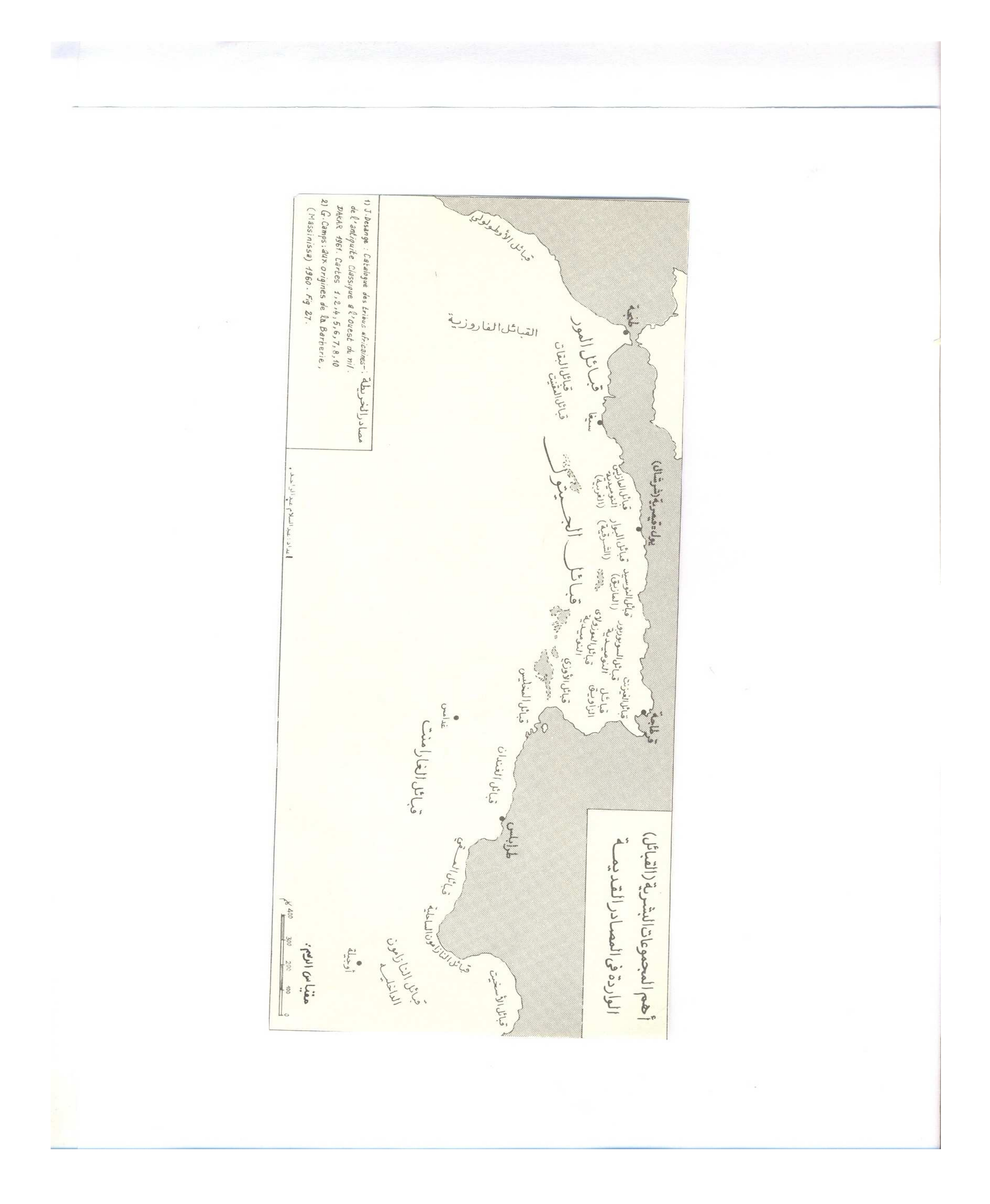
سبوربور ونسيف . فيما بين (*100م – 116 م*) فقدت قبائــل المــوزولامي والأوزونــي والكابسيتاني [1] التي كانت تقيم في مناطق السهوب إقطاعاتها الكبــرى ، وتــم رســم حدودها . حتى قبائل مناطق التخوم الصحراوية لم تسلم من السيطرة الرومانية حيــث بنت الليمس الصحراوي ، ولا أدل على ذلك من خط كابسا بسرياني بنقرين ( آد ماجور ) .[2]

---

[1] - *J . Desanges , Op. – Cit . , P . 85 .*

[2] ***للمزيد من المعلومات أنظر :*** *- Bosredon ,"Promenade Archéologique dans les environs de Tebessa " , Rec.de Cne.,V: XIX,1878 , P.P.(21-25 )*

.




**<u>الخريطة رقم (25) :</u>**

**توزيع القبائل في المغرب القديم**

**<u>نقلا عن</u> : محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، ص . 376.**

كما كان نمط معيشتهم المتمثل في الرعي بسيط جدا ، وقد عملت الإدارة الرومانية على الاستفادة منهم بالتوسع في مواطنهم ، ومع القرن 3 م تحول الكثير من الجيتول إلى فلاحين موسميين يشكلون فرق عمل متجولة تجوب البلاد بحثا عن العمل في حقول الزيتون والقمح .

هناك من جموع الجيتول من وقف الليمس الصحراوي في وجههم وحال دون انتقالهم للشمال فاختلطوا بالبدو الصحراويين من أسلاف الطوارق يذرعون الصحراء الكبرى جيئة وذهاباً ، و قد رابط الجيتول في التخوم الصحراوية إلى أن استطاعوا أن يشكلوا قوة لا يستهان بها في القرن الرابع للميلاد في عهد جورديانوس الثالث . [1]

***( انظر الخريطة رقم ( 26 ) . ص . 404 )***

## 4 – القوة الاجتماعية ونشاطاتها في نهاية المرحلة الرومانية

تجسدت في الفئات الفاعلة في المجتمع المغاربي القديم في الطبقة الوسطى ، فكان الكثير منهم ينضم إلى مجلس الأعيان البلدي ( الدِّيكوريون ) ليحظى ببعض الامتيازات الإدارية ، وبذلك كان لهم دور بارز في الحفاظ على مدنهم وحيويتها وتجميلها .

كانت نشاطات مجلس الأعيان البلدي مختلفة ، فكان ينظِّم المباريات المحلية ، و يقدِّم الطعام للفقراء ، كما رمَّم الأعضاء المباني في الساحة العامة ، وشاركوا في بناء التماثيل ، ودُورِ المحاكم والحمامات والمكاتب والمعابد على شرف الآلهة الرسمية والتقليدية ، فكان لهم عظيم الأثر في ترميم وتحسين العديد من المدن بالمغرب القديم .[2]

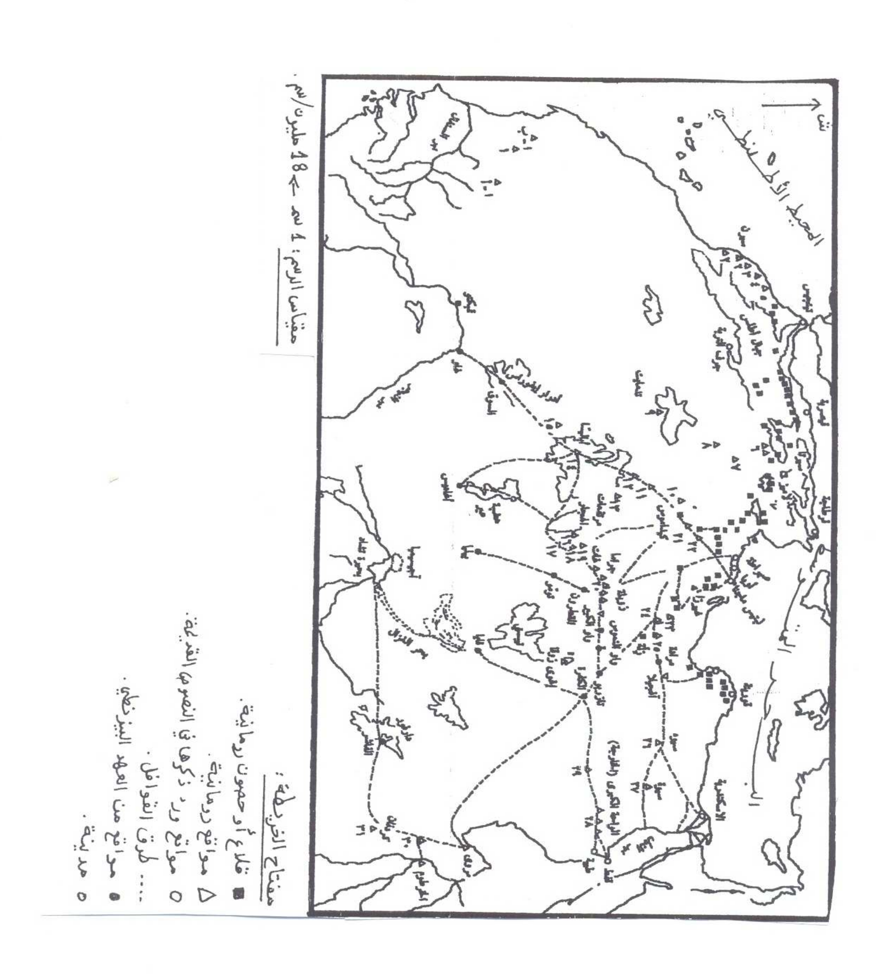
لقد كشفت التنقيبات عن وجود حركة عمرانية نشيطة خلال القرن الرابع للميلاد ، من حيث المنازل الفخمة واللوحات الفسيفسائية متقنة الصنع .

نلاحظ اختلاف النمط الاجتماعي للحياة المدنية كثيرا عما كان عليه في العهد الإمبراطوري الأول ، فالزراعة أصبحت هي المصدر الرئيسي للدخل عند كثير من الناس .

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 242 .

[2] عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 505 .



**<u>الخريطة رقم ( 26 ) :</u>**

**القوافل التجارية في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني**

**<u>نقلا عن :</u> بيار سلامة ، " من روما إلى الإسلام " – تاريخ أفريقيا العام – ، ص. 531.**

كما بدأ يحل محل الطبقة الوسطى مجموعة من الوجهاء من كبار ملاك الأراضي ، الذين جمعوا ثرواتهم بتصدير القمح والزيت من مزارعهم ، وتبوأ هؤلاء الرجال الأثرياء أعلى المناصب وأعادوا بناء المباني العمومية التي دمِّرت في القرن الثالث وأصلحوا مل لزم إصلاحه.

أما المناطق الريفية فكان من غير المعتاد أن يعيش كبار ملاك الأرض الأفارقة في ممتلكاتهم في عزلة عن المدن والحياة الباذخة ، ومع نهاية القرن الرابع للميلاد ، ظهرت بوادر الاتجاه نحو النمط الإقطاعي في الزراعة ، وأخذ مفهوم السيد الإقطاعي ( الدومينوس) يظهر كنموذج مستقل يحافظ على أراضيه و ممتلكاته ، وينظم قوة خاصة به ، ويدخل نظاما ضريبيا خاصا به .[1]

كان الخيار أمام السكان هو القبول بنوع من العلاقة الإقطاعية مع أصحاب الضياع المجاورة لضياعهم ، حيث تكيف الأباطرة مع هذه التغييرات الاجتماعية العميقة التي كانت ممهدة للعهد الإقطاعي في الفترة البيزنطية .

**وخلاصة لما سبق** ، يمكن أن **نستنتج** من الوجهة الاجتماعية ما يلي :

– تغير طبقات المجتمع المغاربي القديم من النمط القبلي إلى النمط المدني في المدن ، ذلك أن نوميديي المدن أضحوا طبقة أقل شأناً من طبقة الوافدين .

– ظهور طبقات اجتماعية جديدة في المدن يحكمها معياري الغنى و الفقر لا معيار النسب .

– ظهور طبقة الفرسان ، تلك الأخيرة التي كان لها دوراً كبيراً في الحياة السياسية والعسكرية ببلاد المغرب القديم .

– جنوح المغاربة القدماء في المرحلة الإمبراطورية الأولى نحو تقبل الوجود الروماني ، وذلك بعد مقاومة تاكفاريناس لمدة تربو على القرنين ، بسبب ما عانوه من تنكيل على يد الجيش الروماني .

– اختفاء المدن ذات المنشأ النوميدي تحت مدن جديدة بأبنية ومرافق عمومية رومانية الطراز لا تزال أطلالها مثلة للعيان إلى يومنا هذا .

[1] عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 506 .

# الفصل الثاني

# الحياة الاجتماعية في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني

**أولا – لمحة عن النمو الديمغرافي خلال الاحتلال الروماني.**
**ثانيا– الحياة اليومية للمجتمع المغاربي القديم .**
**ثالثاُ – النشاطات الاقتصادية في المجتمع الحضري والريفي.**

## أولا – لمحة عن النمو الديمغرافي خلال العهد الروماني

### 1– النمو والكثافة والتوزيع في المجتمع المغاربي القديم

#### أ– المصادر المادية الإحصائية لنمو عدد السكان في المغرب القديم

قدم بعض المؤرخين الاجتماعيين من المدرسة الأنجلوسكسونية تفصيلات دقيقة للوضعية الديمغرافية التي كان عليها السكان المحليون في المغرب القديم من حيث عدد السكان ونموهم وتوزيعهم ، لكنها لم تبتعد كثيرا عن دراسات المدرسة الفرنسية ، فمثلا فيما يتعلق بالجانب الصحي ذكر المؤرخ هوبكينز تفصيلات كثيرة عن الحالة الصحية للسكان ، واُستخلص أن أجسامهم كانت مرهقة جدا من الأعمال الشاقة التي يقومون بها خاصة في خدمة الأرض .[1]

أما فرضيات مؤرخي المدرسة الفرنسية وفي مقدمتهم كلا من جيلبرت بيكار وجان ماري لاسير [2] فإنها فرضيات قامت على الإحصاءات الأثرية لعدد السكان في القرنين الثالث والرابع للميلاد ، ولذلك كانت منطقية إلى حد كبير خاصة فيما تعلق بهرم الأعمار ونسب النمو .

كما أنه حسب المؤرخ ليزين ( Lézine ) فإن عدد سكان بلاد المغرب القديم قدر بحوالي 1.3 مليون نسمة .[3]

لقد كانت ظاهرة النمو الديمغرافي هي المشكلة الثالثة التي غرق فيها المغرب القديم بعد كل من الأزمة الاقتصادية المالية في عهد الإمبراطور( أوريليوس ماركوس ) ، وما انجر عنه من انخفاض في قيمة العملة الرومانية بسبب الحروب المتواصلة.[4]

لقد تركت لنا النقوش مئات الإشارات الموحية على تعداد السكان ، فمثلا : إن عدد الوفيات ما بين الولادة وسن الخامسة كان مرتفعاً وذلك لقلة الاعتناء الطبي ، وهناك ثلثي النقوش تدل على أن المتوفين كانوا في سن الكهولة ، وهناك من تجاوز سن المائة بسبب التحسن النسبي في الوضعية الصحية العامة للسكان .

---

1 - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P . 134.*
2 - *J . M . Lassére ,Op-Cit. , P 32.*
3 - *A. Lézine , Op . – Cit . , P. 72 .*
4 - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P . 134 .*

هذا وتقدم لنا النقوش نسب النمو في السكان من خلال أعمار وفاتهم مصنفين في ثلاثة مجموعات على النحو الآتي :

- الرجال : هم الأكثر عددا .
- النساء : من الحرائر وسيدات الطبقة الأرستقراطية .
- العبيد : ذكرهم نادر .

## ب- الكثافة السكانية

كانت الكثافة الديمغرافية في المدن مرتفعة ، وقد قدرها المؤرخون الاجتماعيون بحوالي (25 ن / كلم2 ) ، وأحصوا حوالي 250 مدينة بمتوسط تلك الكثافة ، أي بمجموع سكاني حضري قدر بنحو 2.5 مليون نسمة .

أما بقية أنحاء المدن فنسبة الكثافة كانت مرتفعة ، حيث وصلت إلى ( 30 ن / كلم 2 ) مثل قيصرية وتيبازا وتاموقادي وكويكول .

في حين أن مدنا أخرى كانت كثافتها منخفضة حيث وصلت – آنذاك – إلى (3 ن/ كلم2 ) وذلك في تلك المدن الواقعة على التخوم الصحراوية مثل مدينتي باجة وتيناي بتونس الحالية .[1]

## ج – توزيع السكان

قدَّر المؤرخون عدد سكان بلاد المغرب القديم بحوالي 5 مليون نسمة ، ثلثيهم في البروقنصلية ، وكانوا يتوزعون على مساحة 100 ألف / كلم2 ، ومعظمهم من الريفيين ، وفي ذلك الوسط قد تتجاوز الكثافة 100 ن / كلم2 .

يمكن استخلاص تلك النتائج من خلال الكمية الهائلة للآثار في الأرياف وخاصة النقوش ، حيث قدرت نسبة الريفيين بحوالي 70 بالمائة من مجموع السكان .[2]

كما قدرت نسبة النمو بحوالي 4 بالمائة بسبب الرخاء والرفاهية والتحضر بالانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار في المجتمع المدني ، وتوفر وسائل

---

1 - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P . 135 .*

2 - *Ibid , P . 136 .*

النظافة والصحة ، وفي المقابل ففي العهد الإمبراطوري الأول كان للهجرة من الريف إلى المدينة دوره ، بحيث غزت مساكن الفقراء كل ضواحي المدن الكبرى ، ولم يبق من آثارها سوى فخاريات لا توحي للدارسين بأكثر من استخداماتها .[1]

إنه في مثل تلك الظروف السابقة فمن الطبيعي أن عدد السكان قد يصل إلى 6 مليون نسمة ، أما توزيعهم فكان غير منتظم ، فمثلا إن إقليم دوقة المتكون من عشرة مدن كان عالي الكثافة بمتوسط 160 ن / كلم2 ، وأن أقاليم أخرى كانت منخفضة . [2] وقدر توزيعهم في القرن الثالث للميلاد كالآتي :

- إقليم البروقنصلية : 2.5 مل / ن .
- إقليم طرابلس : 0.5 مل / ن .
- نوميديا الشرقية : 1.5 مل / ن ، نوميديا الغربية : 1.5 مل / ن .
- الموريتانيتين : 0.5 مل / ن .[3]

أما متوسط الأعمار فكان 60 سنة ، وكان أبناء الطبقة الأرستقراطية أطول عمراً والرجال أطول عمرا من النساء لأن أولئك الأخيرات كنَّ أكثر عرضة للوفاة من الرجال بسبب الوضع .

## 2– تكوين الأسرة وخصائصها البنيوية في الأسرة المدنية

تعد الأسرة نواة التنظيم الاجتماعي ، وخلال فترة الاحتلال الروماني ، تضاءل مفهوم العائلة بسبب اختلاط المجتمع المحلي بأفراد جدد شكلوا المجتمع الوافد الذي أصبح يمثل النخبة بمجوع قيمه الواردة ، ومباركة المشرِّع الروماني لاستيطانه في المنطقة ، ليظهر مفهوم الأسرة الصغيرة .

لقد انقسم المجتمع المغاربي – آنذاك – إلى مجتمع مدني حضري ومجتمع ريفي وشبه بدوي ، وداخل كل قسم توجد تصنيفات فرعية ، فهناك الأسرة المدنية

---

[1] *- G . Marcy . " Les Mapalias " , Hesperis , T : XXIV , 1937 , P . 31 .*

[2] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 204 . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : *-Christian Courtois , Op-Cit. , P. 111 , Ch.G.Picard , Op.-Cit. , P.48.*

[3] المرجع نفسه ، ص . 205 . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : *- Ibid , P. 111 .*

المتحضرة في المدينة بفرعيها الثرية والبسيطة ، وهناك الأسرة الريفية الموسرة والأسرة الريفية الفقيرة .

## أ – مفهوم أسرة الطبقة الأرستقراطية من أصول رومانية

كان قوامها الأب الذي يعد حجر الزاوية في الأسرة ، ورئيسها ، وله مطلق السلطة السيادية على كل أعضائها الآخرين ، ولأن أفراد هذه الطبقة قد تعذر عليهم إحضار نساء رومانيات فمن المحتمل أنهم يكونوا قد اقترنوا بنساء حرائر أفريقيات ، ولذلك لم يعترف بالأسر الهجينة من طرف المشرع الروماني ، حيث كان طلب المواطنة متواصلا من طرف هؤلاء منذ عهد قيصر ، ولم يحدث أن حصلوا عليه لمجرد أن الأب روماني ، إلا في نهاية العهد الإمبراطوري الأول .[1]

حاول هذا النمط من الأسر محاكاة نمط المعيشة في روما ، فالأب كان سلطته تعرف بمانوس أي سلطة وضع اليد بحق الزواج على الزوجة ، وحق الأبوَّة على الأبناء ، وحق امتلاك العبد فهو سيده ، وكان هذا في العرف الروماني للعائلات النبيلة ، أن تكون سلطة " مانوس" بمثابة القانون الداخلي الواجب النفاذ والساري على الجميع احتراما للتقاليد الجماعية . [2]

وكانت الأسرة في الطبقة النبيلة تتكون من الأسرة النبيلة التي تضم الأم والأبناء ، ثم العبيد وأسرهم ، وأسر فقيرة من الأحرار يعيش أفرادها على الأسرة النبيلة بصفة تابعين و الندماء .

كما كانت الأم هي السيدة الرئيسة في المنزل أولا ، والزوجة ثانيا ، ذلك أن حقها القانوني محفوظ بموجب عقد الزواج ، ولها مهام وواجبات اجتماعية في تسيير شؤون البيت ، ولها واجبات دينية تجاه الآلهة ، وكان من غير الضروري أن تحصل على لقب " النبالة " إذ كانت تلك المرتبة مقتصرة على الرجال ، حيث تحصل عليه الزوجة تلقائيا من خلال زوجها .[3]

---

[1] *- Yann Le Bohec , Op.-Cit. , P. 135.*

[2] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 62 .

[3] *- J. Le Gall , " Un critère de différenciation sociale ( La situation de la femme )" , Recherches sur les structures sociale dans l'antiquité classique , éd. Caen , Paris , 1970 , P. P . ( 281- 282 ) .*

أضف إلى ذلك أن الأبناء كانوا يتلقون التعليم ، والبنات لا يخرجن من البيت إلا نادراً ، أما العبيد فكانوا فاقدي الحرية ، لا يمكنهم أن يستعيدوها إلا إذا أعتقوا وإن كانوا من الذين استعبدوا بسبب كثرة الديون فإنهم يستعيدون حريتهم بمجرد تسديدها .[1]

## ب- الزواج وأركانه في الأسرة المغاربية الأرستقراطية ( المترومنة )

كان قانون يوليوس قيصر في الأحوال الشخصية والزواج مطبقا في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني ، واستقر العمل به خلال المرحلة الإمبراطورية الأولى ، وقد ذكر الأديب النوميدي المترومن أبوليوس المادوري[2] أن تكاليف الزواج كانت مرهقة وخاصة بالنسبة للطبقة الأرستقراطية ، فيما يلي :

" إن السبب في عقد قراني ببودنتلا في ضيعة بالضاحية بدلا من المدينة كيلا نبذِّر 50 ألف آس في الأكل ، وقانون يزليوس عن ترتيبات الزواج لا يحظر ذلك بهذا النحو " لا تتزوج في ضيعة " ، بل إن شئت الحق فالزواج أكثر يُمناً في الضيعة منه في المدينة على أرض معطاء منه على أرض عقيم ، لأنها حتماً ستكون أمًّا من تتزوج في حضن أمٍّ ولود وتنام عروساً في ظل الدردار " .[3]

وكان زواج أبناء هذا الطبقة بقسميها الأشراف والنبلاء وكبار ملاك الأراضي يتم بانتقال العصمة للزوج بعد الزواج بحكم القانون الاجتماعي " مانوس " ، إذ يصبح هو صاحب السلطة العليا على المرأة أن ولاستيفاء الزواج يجب أن تلازمه مراسيم خاصة هي لإقامة حفل ديني في المعبد ، وحضور عشرة شهود على الأقل وأحد كبار كهنة المعبد لمباركة الزواج ، بتلاوة عبارات مقدسة ، على ألا يقل سن الرجل عن الرابعة عشرة والمرأة عن سن الثانية عشر .[4]

---

[1] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 62 – 63 ) .

[2] ***لوكيوس أبوليوس المادوري*** : ولد سنة 125 م بمادور ، ودرس بقرطاجة ، كتب بلغة لاتينية رفيعة عدة مؤلفات تعكس الواقع الاجتماعي المعيش في المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول ، اتسمت كتاباته بمتانة الأسلوب والسلاسة في اللغة ، مات سنة 170م . **للمزيد من المعلومات انظر** : لوكيوس أبوليوس ، التحولات ، تر : عمار الجلاصي ، منشورات تامغنست ، طرابلس ، 2000 ، ص . 3. **متاح على الرابط** : www.tawalt.com ، تاريخ الرفع : 14 / 04 / 2007 .

[3] لوكيوس أبوليوس ، المرافعة ( دفاع صبراطة ) ، ج . 1 ، فق . : 88 ، تر : عمار الجلاصي ، منشورات تامغنست ، طرابلس ، 2001 ، ص . 105 . متاح على الرابط : www.tawalt.com ، تاريخ الرفع : 14 / 04 / 2007 .

[4] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 188 .

تمكن الأثريون من معرفة الكثير حول وضعية المرأة النبيلة في المدينة ، ففي دوقة تم إحصاء 21 فتاة متزوجة من أصل 136 فتاة من قائمة مستخرجة من نقوش دوقة الجنائزية ، و45 فتاة متزوجة من أصل 227 فتاة في سيكا .

أما في مادور فكانت نسبة الزواج مرتفعة حيث تم إحصاء 113 حالة لفتاة من أصل 149 فتاة كانت في سن الزواج .[1]

**- شروط عقد الزواج**

كانت قسيمة الزواج في المدن تنص على:

1/ تسجيل وقائع الزواج .

2/ شروط قبول كل طرف للآخر .

3/ المهر يقدَّم نقداً معجَّلا أو مؤجَّلا . وفي ذلك قال أبوليوس :

" استبعد غرمائي جمال زوجتي وسنّها ونسبوا لي خسَّة طلبها زوجةً بدافع الطمع في مالها ، وللردّ على هذه المزاعم ، ففي قسيمة الزواج كل ما نصَّ عليه العقد من الوقائع الحاضرة والشروط المستقبلية ، فالمال المتواضع الذي مَهَرْتُ به هذه الموسرة لم يقدم نقداً بل اُحتسب ديناً فقط ، وتم الزواج على أساس هذا الشرط : إن تتوفَّ دون أن تخلف عقبا من صلبي يبق المهر كاملا عند ابنيها بنتيوس وبودنس ، لكن إن أتاها الأجل وقد خلفت ابنا أو بنتاً ، فعند ذلك يؤول قسم من المهر إلى الولد المتأخر والباقي إلى السابقين " .[2]

وقد قدر المهر عند الأشراف بحوالي 300 ألف آس .

**- أنماط الزواج**

كان هناك نمطان من الزواج :

- **الأول** : كان يتم بمجرد تحقق سلطة الزوج على الزوجة عندما تعلن المرأة موافقتها ، و من الواجب أن يحضره خمسة شهود على الأقل ، ولا يلزم أي طرف بإقامة احتفال ديني .[3]

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص. 206 .

[2] لوكيوس أبوليوس ، المصدر السابق ، ص . ص . ( 107 – 108 ) .

[3] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 188 .

– الثاني : ويعد أبسط أنماط الزواج ، وكان يقوم على اتفاق الـزوجين بـأن يعاشـر أحدهما الآخر برضاه في ضوء حقوق وأعراف مساوية لحقوق الطرفين لمدة لا تقـل عن ثلاثة أيام .[1]

**ج – عقد الميلاد وحفظ النسب**

كان الأب يصرِّح بمواليده ويقيدون في دار السجلات العامة بالمدينة ، وقد أكـد أبوليوس على دقة العملية قائلا :

***" في مسألة عمر بودنتيلا ( زوجته ) التي كذبوا ( أي غرماؤه ) أنني تزوجتها في الستين ، فقد صرَّح أبوها بميلاد ابنته على عادة بقية سكان المدينة ، وسجلات ميلادها محفوظة جزء في دار السجلات العامة وجزء بالبيت ، وستعرض تلك الوثائق ليُتعرَّف من على الخـواتيم المبصومة عليها واسم القاضيين في ذلك التاريخ فهي لا تتجاوز الأربعين " .***[2]

وهذا دليل على أنه كان للأفراد عقود ميلاد موثقة .

أما في حفظ النسب فمثلما كان الأب يعهد بتقييم مواليده في الـسجل البلـدي ، كذلك فإنه إن توفي رضيع له أو ابن صغير عمد لنقش شاهدة قبر تحمل اسمه ونـسبه وعمره عند الوفاة ، و أمكن هذا الفعل الآثاريون من إحصاء دقيق لهرم الأعمار فـي كل منطقة من خلال المقابر المكتشفة في كل مدينة بالمغرب القديم ، كما تزخر حدائق المتاحف بنواويس من مختلف الأحجام الكثير منها في حجم أطفال صـغار، و كثـرة النواويس الصغيرة تدل على احترام المتوفي الصغير .[3]

**د– الطلاق وفك الرابطة الزوجية**

كان الطلاق معروفا ونسبته أكثر في طبقة العامة منه في الطبقة الأرسـتقراطية الت يكانت تخشى ضياع الأموال التي يمتلكها الزوج بحكم " مـانوس " ، ولكـن فـي القرن الثالث ازدادت نسب الانفصال بسبب شيوع الثقافة اللاتينية بين أبناء هذه الطبقـة

---

[1] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 188 .

[2] المصدر نفسه ، فق : 89 ، ص . 105 .

[3] يوجد في متحف مينارف بتبسة مجسم مومياء رضيع عمره ثلاثة أشهر عثر عليه في البازيليكا ، وهو نموذج فريد من نوعه في المغرب القديم ، وقد رمم كما رممت مجسمات بومبي ، حيث صب فيه الجص ، ويظهر القالب طفلا مقمطا بكامل ملامح وجهه الملائكي عند وفاته ، وهو حاليا محفوظ في الخزانة رقم (2) بالمتحف ويحظى بعناية فائقة من قبل القـائمين هنـاك . زيارة ميدانية بتاريخ : 2009/09/28 .

الذين استساغوا التقاليد الاجتماعية الرومانية وخاصة فيما يتعلق بالمرأة وحريتها وفي هذا الصدد ذكر ترتيليانوس ما يلي : " صار الطلاق شائعا كما لو كان ثمرة الزواج المرجوة " .[1]

والعبارة واضحة وتعكس في مضمونها السبب في إقبال النساء على المسيحية وذلك لما تحمله من قيم إنسانية رفيعة المعاني تصبو بالمراة عن نظرة الرجل إليها والمنحصرة في المتعة .

أما في أسباب الطلاق ، فلم تذكر الخيانة الزوجية كسبب وجيه في الطلاق ، بل من الأسباب التي تترك فيها الزوجة انها إذا كانت مشاكسة أو ضيقة الصدر لا تقوى على احتمال زوجها أو فظة المعاملة كونها لم تتلق تعليما هلينيا ، أو إن صدر منها سلوك مشين بالزوج كالسرقة ، ويعني هذا أنه على المرأة أن تراعي قواعد الأخلاق الحميدة وتلتزم بها .[2]

**<u>3- الأسرة الريفية</u>**

كانت الأسرة الريفية تجابه صعوبات جمة لتأمين الطعام للأبناء ، ومتوسط عدد أفراد الأسرة طفلان ، ولذلك لجأ الرجال إلى تعدد الزوجات بهدف إنجاب أكبر عدد من الأبناء كي يساعدونه في شؤون الحقل .

كانت مسألة التعدد هذا على خلاف ما كان في المدينة بفعل التأثيرات المتوسطية والتقاليد الوافدة الجديدة ، كما أن 60 بالمائة من النقوش اللاتينية تذكر دائما زوجة واحدة رئيسية ، فالرجل كان يتزوج عادة امرأة واحدة ، وغالبا ما تكون الفتاة بالغة ، أما أطفال العلاقات المحرمة فكان غير معترف بهم .[3]

---

[1] ترتيليانوس كوينتوس سيتيموس ، المنافحة ( دفاع عن التوحيد ) ، ط . 1 ، تر : عمار الجلاصي ، طرابلس ، 2001 ، ص . 23 . متاح على الرابط : www.tawalt.com ، تاريخ الرفع : 2007/04/18 .

[2] لوكيوس أبوليوس ، المصدر السابق ، ص . 109 . وللاستزادة حول الزواج والطلاق في العائلة الرومانية أنظر :
- *Alcée Durrieux , Du Divoorce et de la séparation de corps ( depuis leur origine jusqu'à nos jours ) , Librairie Germer Baillière , Paris , 1881 , P . 40.*

[3] - *Rob Ettienne , " Démographie et Epigraphie " , Atti del 3 Congresso internazionale di Epigraphia , 1957 , Rome , P. P . ( 81 – 97 ) .*

كما كان سن الزواج مبكرا عند الفتاة الريفية إذ لم يكن يختلف عن سن الزواج في المدن ، وذلك نظرا لاستعجال المجتمعات التقليدية في تزويج الأبناء صغار السن [1].

ولأن الأسر الريفية شجعت الإنجاب فقد ازداد عددهم بشكل مهول وخاصة في ضياع و أرياف المناطق الداخلية والتخوم الصحراوية ، وأدى التكاثر إلى وجود عائلات وأسر كثيرة الأفراد لكنها فقيرة وعاجزة في أغلب الأحيان عن إعالتهم ، مما أدى إلى انتشار طبقة المشردين وهي من الأطفال الفقراء .[2]

**أ- شروط عقد الزواج**

**- العذرية**

كان النوميديون قوما محافظين على عذرية الفتاة ، بحيث اعتبروا البكارة شرطا أساسيا عند الزواج .

لقد أشاد أبوليوس بهذه الفضيلة لدى المرأة في الفقرة الآتية موحيا بما تنطوي عليه عاداته وأعرافه النوميدية التي نشأ في كنفها :

" **العذراء الحسناء حتى لو كانت في منتهى الفقر تحتاج إلى مهر وافر ، وتحمل لا محالة إلى زوجها براءة سجيتها وزهرة شبابها ، والبكارة ميزةٌ قيِّمةٌ يثمِّنها كل الأزواج ، كما هو مشروع وموافق للعرف فما تتلق من شيء مهرا تستطيع متى شئتَ وكيلا تظل مرتهنا أن ترده كاملا مثلما استلمته : تسدد المال وترجع العبيد وتخلي البيت وتنسحب من العقار ، البكارة وحدها يتعذر إعادتها إذا تسلَّمتها من بين كل مقومات المهر تبقى عند الزوج إلى الأبد** " .[3]

**- القيم السلوكية الاجتماعية عند المرأة**

كان على المرأة أن تلتزم بالأخلاق الحميدة التي تبعدها وتميزها عن أخلاق الرجال ، فمثلا كان من المحرم على الزوجة أن تشرب الخمر .

---

[1] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 207 .

[2] المرجع نفسه ، ص . 210 .

[3] لوكيوس أبوليوس ، المصدر السابق ، ص . 109 .

مما ذكره ترتيليانوس على عاقبة احتساء المرأة الشراب أن ربة بيتٍ أزهق زوجها روحها جوعاً ، لأنها فتحت– فقط – مخزن النبيذ فكيف باحتسائه ؟

كانت تلك العادة – في حقيقة الأمر – قرطاجية ، حيث كان ذوي المناصب العليا لا يشربون الخمر لئلا تؤثر على قراراتهم ، ومن الواضح أنها عادة قديمة إذ ليس من المستحب أن تحتسي المرأة الشراب ، وكان يعهد إلى عادة استنشاق فم المرأة لمعرفة ما إذا تذوقت الخمور .[1]

أما **الإجهاض** ، فكان فعلا مقيتا في العرف الاجتماعي ، لكن لم يوجد قانون يحرمه ، لكنه في ما بعد أصبح فعلا محرما عند النصارى ، وقد أكد ترتيليانوس ذلك بما يلي :

" **عندنا قتل النفس محرم إلى الأبد فلا يحل لنا إسقاط الجنين من رحم أمه وهو لم يزل في طور التكوين من الدم ، لأنه تعجيل بالقتل ولا فرق بين انتزاع نفَس الوليد وإعدام كائن في طريقه إلى الميلاد** " .[2]

كما أن هناك فرقا كبيرا بين امرأة الطبقة الأرستقراطية وامرأة العامة ، فالأولى من نخبة سناتورية حاكمة ، أما الثانية فهي صانعة ونساجة ، ومن أدنى منها توجد الريفية . وبالتالي ، فإن قيم امرأة المدينة عموما ليست نفسها قيم امرأة الريف .[3]

## ب– حفظ النسب في مجلس القبيلة في طبقة العامة

من خلال دراسة أسماء الأعلام كان هناك مجلس يتكون من الكبار الذين يفصلون في المنازعات ويدرسون أحوال العشيرة ، وهذا الأمر كان مقتصرا على طبقة الأشراف من الفرسان [4] ، ولعل ذلك شمل أيضاً الأسرة ذات الأصول اللوبية نوميدية كانت أو مورية ثم ترومنت .

---

[1] لوكيوس أبوليوس ، المصدر السابق ، ص . 23 .

[2] ترتيليانوس ، المصدر السابق ، ج . 2 ، ص . 30 .

[3] - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P. 192 .*

[4] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص .189 .

## ثانيا- الحياة اليومية

### 1- الألبسة و أنواعها

احتفظت لنا التماثيل واللوحات الفسيفسائية بنماذج وصور واضحة المعالم عن أنواع الألبسة التي كان يرتديها الناس في المغرب القديم .

فلباس المرأة كان ثوبا طويلا يغطي كامل جسمها وفي الوقت نفسه يبين قوامها ويعرف بثوب ( الستولا Stola) وهو ثوب طويل إلى أخمص القدمين وبكمين قصيرين ، ويشد بحزامٍ إلى الخصر ، وتحته رداء هو البالا مصنوع في أجود أنواعه من الصوف .وكانوا ينتعلون الصنادل وحذاء الكاكي الذي يغطي كامل القدم . [1]

( أنظر الشكل رقم (81 ) ، ص . 418 )

أما الرجال فقد كانوا يرتدون العباءة المعروفة باللاتينية ( توجا Toja ) ، وهي قطعة قماش على هيئة شبه دائرة طولها 18 قدم وعرضها 7 أقدام ، ويلبسها بعد طيها عدة مرات بدءاً من كتفه الأيسر مرتدياً تحتها قميصا ، وكذلك يلبسها الفتيان والشباب ، وكانت الأثواب الرفيعة مصنوعة من الصوف الذي تتقن النسوة صناعته ، وهو من مميزات ربة البيت أن تكون غازلة للصوف ، متقنة صناعة النسيج .[2]

( أنظر الشكلان رقم ( 82 ، 83 ) ، ص . 419، 420 )

إضافة إلى ما سبق كان الرجال أيضا يلبسون المنسوجات القرطاجية لإبراز البذخ لما فيها من جودة الصناعة ، وعندما كانت المرأة تخرج ترتدي لباسا يغطي أعلى جسمها ، وهو امتداد لفستان الباليوم الهليني الذي كان يرتدى عند حضور ألعاب التسلية .[3]

أما في القرون اللاحقة سجل على الطبقة الأرستقراطية قلة اهتمامها بالتستّر ، وفي هذا الصدد ذكر ترتيليانوس ما يلي :

---

[1] علي عكاشة وآخرون ، اليونان والرومان ، ط. 1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، عَمَّان ، 1999 ، ص . 231 .
[2] إبراهيم أيوب ، المرجع السابق ، ص . 93 .
[3] أحمد عثمان ، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989 ، ص . 34 .



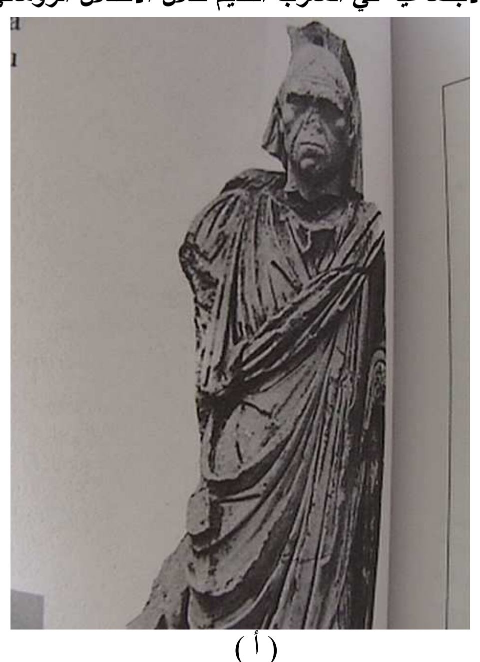
( أ )　( ب )

( ج )　( د )

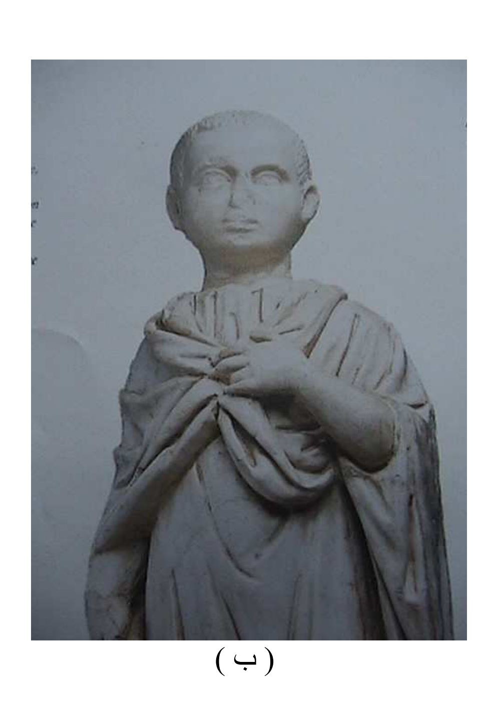
**<u>الشكل رقم ( 81 ) : نماذج من لباس الستولا عند المرأة</u>**

| |
|---|
| **( أ ) : النصف العلوي لتمثال من الرخام لجميلة الجميلات مزدان بغطاء للرأس .** |
| **( ب ) : النصف السفلي لجميلة الجميلات يبرز من خلاله طبقات ثوب الستولا وانسداله حتى أخمص القدمين** |
| **( ج ) : نموذج آخر لثوب الستولا في نموذج الآلهة مينرفا، يبدو أكثر تفصيلا للجزء العلوي من الجسم .** |
| **( د ) : نموذج آخر لثوب الستولا في تمثال من الرخام لسيدة ربطته على الكتفين .** |

<u>نقلا عن</u> : **-Serge Lancel , Op.-Cit.**



( أ )



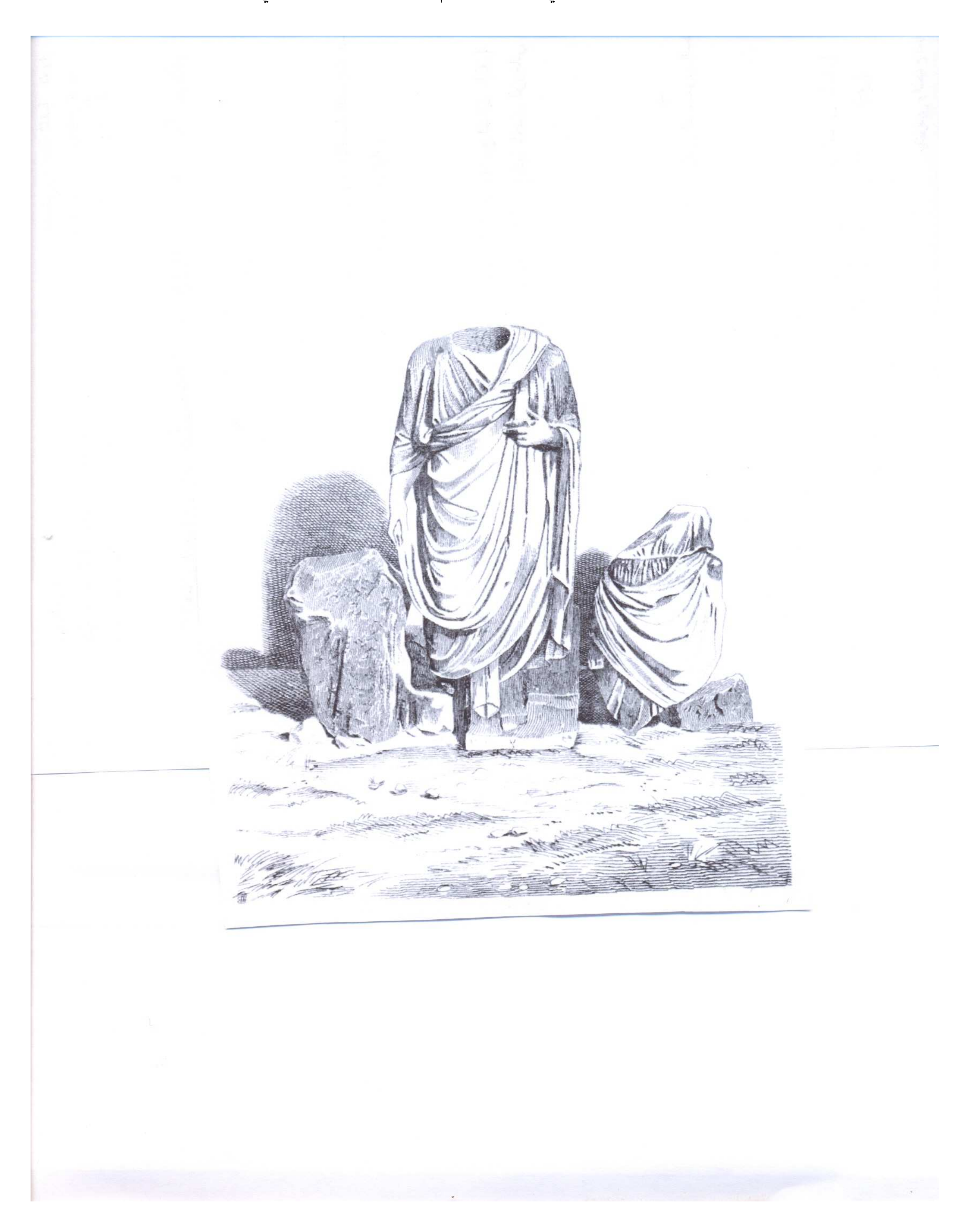
( ب )

الشكل رقم ( 82 ) : لباس التوجا عند الرجال ببلاد المغرب القديم

( أ ) : تمثال نادر لمواطن نوميدي يرتدي لباس النبلاء في دوقة ، يربطه إلى الكتف ، ويعود لمنتصف القرن الثالث للميلاد .

( ب ) : لباس التوجا عند الأطفال في تمثال رخامي للقديس أوغسطينوس.

نقلا عن : **-Yann Le Bohec , Op.-Cit., P.xxxv.**



**الشكل رقم ( 83 ) :**

**تماثيل رخامية من تبورسيكوم نوميداروم تمثل أعيان البلدية يرتدون التوجا**

نقلا عن : **-Abel Farges , "Statues de Marbre à Khemissa " , Rec. de Cne., V:XIX, P.307.**

**" اندثرت تشريعات الأجداد التي كانت تدعو إلى الاحتشام والاعتدال في الطبقة الأرستقراطية ، فلم يعد هناك فرق بين لباس السيدات والمومسات ، وغابت أيام كانت الواحدة منهن لا تعرف ذهباً سوى الخاتم الذي نذرها به خطيبها قبل الزواج ".**[1]

## 2 – الأطعمة و أصنافها

كانت نوعية الطعام مرتبطة بالإنتاج الزراعي ، وقد اشتهرت أراضي بلاد المغرب القديم باستمرارية الإنتاج النوميدي والموري الذي كانت عليه هاتين المملكتين قبل الاحتلال ، ألا وهو إنتاج القمح الصلب ذي النوعية الجيدة ، والزيتون ومشتقاته .

أما الكروم فكانت الزراعة الأكثر انتشارا ، حيث استفاد منها الرومان تجاريا ، على غرار القمح الذي كان يوجه إلى روما منذ العهد الإمبراطوري الأول .

وفي هذا الصدد ، ذكر المؤرخ ول ديورانت أن القمح في روما كان يوزع مجانا في عهد أوكتافيوس ، وعلى كل فإن الطبقة الأرستقراطية كانت تستفيد من حصة قمحها في الاستهلاك المنزلي وخاصة بالنسبة لكبار الملاك .[2]

أما سكان الأرياف من الأجراء فكانوا يحصلون على قمح نهاية الحصاد وهو غالبا رديء النوعية ، أما القبائل المهجرة والصحراوية فكانت تحصل عليه بصعوبة خلال موسم الحصاد وأحيانا تغير على حقول كبار المعمرين الرومان لتجمع غذاءها ، فيتناولون بعد طحنه وتحويله إلى سميد .

وقد تناول سكان الأرياف أيضا الزيتون والزيت المستخلص منه ، فكانت الطبقة الأرستقراطية إلى جانب تناوله تستفيد منه في الخصائص التجميلية ، والريفيون يستهلكونه مع الدقيق لسد احتياجاتهم الغذائية ، وقد اهتم البدو أيضا بالزيتون لأنه مكنهم من إيجاد فرص عمل والاستقرار في المناطق السهبية والتخوم الصحراوية .

حسب بعض المؤرخين الاقتصاديين والأنثروبولوجيين وفي مقدمتهم ستيفان جزال [3] ، فإن المائدة لم تتغير مكوناتها بين أبناء المجتمع المحلي إلى غاية الآن ،

---

[1] ترتيليانوس ، المصدر السابق ، ص . 22 .

[2] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مج.3 ، ج.3 – الثورة 145–30ق.م – ، ص . 236. **متاح على الرابط :** www.al-mostafa.com ، تاريخ الرفع : 2008/08/03.

[3] - *St.Gsell, H.A.A.N., T : VI , P.P. ( 5 - 7 ) .*

فالدقيق والزيتون كانا الطعامان الرئيسيان ، ولحوم الضأن و الطيور والأسماك ، بالإضافة إلى الحمضيات و التي تزدان بها مواضيع اللوحات الفسيفسائية .

**- عمل المرأة**

لئن حفلت النقوش بأسماء أعلام لنساء مسهن الترومن الإداري ، فإن المصادر تبقى صامتة حول معظم الأنشطة النسوية ببلاد المغرب القديم ، لكن ذلك لا ينفي وجود نساء مارسن بعض الأنشطة الاقتصادية مثل : السيدة أوزنوفة الملقبة بأونووي أي العطوفة زوجة الملك الموري بوغود التي كانت تتاجر بخشب العقصية وكانت تمتلك فرقة من عازفات الناي تؤجرها في تنشيط الحفلات التي يقيمها السادة .

وقد أشار نقش عثر عليه في عين مشيرة قرب قسنطينة إلى ضيعة لسيدة تدعى " أنطونيا ساتورنينا " أقامت في ضيعتها سوقاً أسبوعية ، ويدلنا نقش آخر على امتلاك سيدة تدعى " كيليا ماكسيميا " لضيعة بعين التين قرب ميلة .[1]

وقد تناولت وثيقة لاماصبا ( مروانة حاليا ) بعض المهن للنساء كالسيدة " بيتيليا " التي كانت بائعة متجولة من فاسمبوس ( مرسط بتبسة ) ، وصافيديا بائعة الخبز من كاستيليوم كيلتيانوم ( بني ولبان ) ، و دوناتة صانعة الطبل من سطيف ، وإيميليا بائعة الفول من سيرتا ، وكورنيليا فورموزة من تيبيليس ( عنونة حاليا) .[2]

## 3- مساكن المدينة والمجتمع الحضري

### أ - أنواع المساكن بحسب طُرُز البناء

شهدت مدن وأرياف المغرب القديم بناء منازل متنوعة في العهدالروماني،ونميز بحسب الطبقات :

**- الدوموس**

هي منازل المدن ، ذات طرز هلينية ، تتكون من طابق واحد ومجموعة غرف ومخازن تحيط بالساحة الداخلية .

**- الفيلات**

---

[1] خديجة منصوري ، المرجع السابق ، ص .ص. ( 280 – 281 ) .

[2] المرجع نفسه ، ص. 282 .

عرفت بالقصور الريفية ، شهدت على ذلك بقايا الفسيفساء التي عثر عليها في أرضية المنازل الممتدة عبر العصور، والتي كان يقطنها كبار ملاك الأراضي ، و تعكس حياة الطبقة الأرستقراطية من الرومان ، و كانت هذه عبارة عن منازل كبرى واسعة الأرجاء ، تزينها أقواس وأبراج وتتوسطها ساحة داخلية وتحيط بها حديقة ، وفي نهاية المنزل يتوضّع اسطبل وغرف الخدم والعبيد .

**- الأكواخ**

هي مساكن أبناء المجتمع المحلي من الطبقة الفقيرة التي خدمت الأرض والطبقة الغنية والمترومنة ، وتصنع من مواد قابلة للفناء ولذلك لم يبق منها ما يدلنا على آثارها ونمط بنائها .[1]

**- المقابر**

صنَّف الأثريون المقابر على أنها منازل الحياة الأخرى لما أولاها الإنسان القديم من اهتمام ، إذ كانت تعد من المباني الأحسن احتفاظا بشكلها ، وتوجد غالباً خارج المدن ، ولا أدل على ذلك من مدينة الموتى قرب تيبازا ، والتي تعد بمثابة متحف مفتوح للبناء الجنائزي بسبب تنوع القبور والمدافن ، فمن اللحد البسيط تحت القرميد وصولا بالضريح متعدد الطوابق مما يعكس بصورة جيدة الفوارق الاجتماعية في أفريقيا خلال الاحتلال الروماني .[2]

وهكذا فإن أكواخ السكان المحليين كانت في بدايتها خياما ، فعندما كوَّن النوميديون والمور اتحادات قبلية كانوا يعيشون في الخيام ، ثم أدى التحول التدريجي للمجتمع المدني إلى استقرار أولئك السكان في تمركزات حضرية ، أفادت شواهدها بأن احوالهم أصبحت أفضل بكثير من الناحية الاقتصادية .

---

[1] شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق ، ص. 224 .

[2] منير بوشناقي ، المدن القديمة في الجزائر ، ط . 1 ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، 1978 ، ص . 104 .

**ب – أنواع المساكن بحسب الطبقات الاجتماعية ( المنزل الأرستقراطي أنموذجا)**

**– منازل الخاصة بالطبقة الأرستقراطية**

كانت المساحة التي تشغلها المنازل الخاصة بالطبقة الأرستقراطية الرومانية في المدينة أكبر بكثير من المساحة التي تحتلها المباني العمومية ، ويبدو أن السكن القديم لم تتم دراسته سوى من خلال الزخارف المعمارية التي تضمنتها بعض المساحات فيـــه ، ونتيجة لذلك فإن منازل الطبقة المشار إليها آنفاً هي التي حظيت بالدراســـة والكـــشف الأثري ، في حين أن الآلاف من بيوت العامة لم تجلب انتباه الأثريين لندرة آثارها .

أما فيما يخص المنزل اللوبي النوميدي ، فلا تقدم لنا الآثار الموجودة الكثيـــر ، ما عدا آثار كركوان البونية [1]التي تعد المدينة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي المحلـــي الذي لم تمسه الرومنة .

من خلال متابعة تلك الآثار، أمكن التأكد من أن النوميديين ونظرا لتبنيهم الثقافة البونية كانوا يعرفون طُرُز المنازل ذات الأروقة المعمدة ، أي المنازل التي تتوســطها حديقة مركزية تحيط بها الغرف ، وشاع هذه النمط من البناء منذ القرن الرابـــع ق .م .[2]

**– تصميم المنزل الأرستقراطي**

عُمِّمَ ذلك التصميم على مختلف المباني الخاصة في العصر الروماني ، والمنزل يختلف نماذجه وتنوع مواد بنائه إنما يقد م صورة تعكس الاســـتقرار والثبـــات للحكـــم السائد ، بحيث أنه عندما كان يصمم فإنه من الطبيعي أن يراعي الظـــروف المناخيـــة والمتطلبات الاجتماعية لساكنيه .

وكانت المنازل تقع على جانبي الطريق ويتقدمها رواق بـــه أعمدة ، والمدخل يكون غاية في الإتقان ويتصل ببهو قبل الوصول إلى الفناء الذي كان يـــزود الغـــرف بالضياء والهواء .

أما المنزل الأفريقي عموما يعكس طبقة سكانه ، ذلك أن الزخارف الفسيفسائية وجدران الرخام والأحواض و النافورات وحنفيات المياه كلها دلالة علـــى أن المنـــزل

---

[1] **آثار كركوان البونية** : مدينة تقع شمال قليبية احتوت على آثار هائلة عن حياة المجتمع البوني .

[2] منير بوشناقي ، المرجع السابق ، ص . 98 .

لأفرادٍ من الطبقة الغنية ،[1] وكمثال على ذلك دار الفارس بلوتيوس فوستوس المكنى بسيرتيوس في تاموقادي التي بناها على حسابه الخاص غرب المدينة وتقدر مساحتها ب2500 م2 ، وكانت تغطي حيز منازل صغيرة عديدة ( إنسولاي ) وواجهتها تطل على الطريق الرئيس الشمالي الجنوبي ( الكاردو ماكسيموس ) [2].

## 4- توزيع المجتمع الحضري في المدينة

كان تخطيط المدن وتعميرها موجودا قبل الوجود الروماني ، ذلك أن المدن المحصنة القديمة ( أوبيدا ) كانت نوميدية داخلية ، استغلها الرومان لاحقا لإقامة وتركيز قوتهم وسلطتهم الاستعمارية .

والملاحظ أن المدن المغاربية خلال فترة الاحتلال الروماني نوعان هما :

- **الأول** : مدن أسسها الرومان وهي قليلة العدد مثل تيمقاد وكويكول .
- **الثاني** : مدن كانت موجودة منذ المرحلة البونية مثل هيبون و سيرتا ، بنى الرومان فوقها وحولها ، وبذلك بقيت آثارهم هي السائدة .

وعلى العموم ، فقدت تلك المدن الكثير من آثارها الاجتماعية البونية ، نظرا لانبهار و اعتناء الأثريين بالبحث عن الفسيفساء والنقوش الإمبراطورية الرومانية ، وزخارف الطبقة الأرستقراطية ، وبالتالي فما يوجد من تاريخ المدن في العهد الروماني ليس سوى صورة عاكسة لطبقة اجتماعية واحدة هي الطبقة الغنية .

تعد ظاهرة التخطيط العمراني الحضري ظاهرة قديمة وتمثل وثيقة ثمينة في يد المؤرخ لما تكتنفه مبانيها من أهمية في فهم واستيعاب التاريخ الاجتماعي ، والمناظر المدنية غالبا ما يشار إليها كوحدات مستقلة فكل مدينة تحكي تاريخا عموديا مميزا لها عن الأخرى .

الملاحظ أيضا أنه رغم الكم الهائل من المدن المغاربية لكن لا يمكن تكوين صورة كافية عن الظواهر الاجتماعية داخل المدن القديمة كأوقات الأزمات وفترات الازدهار ، وأن دراسة الزخرفة الخارجية لمنازل الطبقة الغنية أو المباني العمومية

---

[1] منير بوشناقي ، المرجع السابق ، ص . 101 .

[2] المرجع نفسه ، ص . ص . ( 103 – 105 ) .

تظل قاصرة عن إفادتنا بجزء هام من التاريخ الاجتماعي الذي يكون قد اهمل من خلال إهمال الآثار الخاصة به .[1]

لقد كانت الغلبة في الاستقرار للطبقة الأرستقراطية في المدن الساحلية التجارية مثل قرطاجة ولبدة ونيكة و هيبوريجيوس وصلداي و إيجيلجيلي و قيصرية وتيبازة و طنجة و فولوبيليس ، وكانت حياتها حياة باذخة و يشهد على ذلك كم الآثار الهائل الذي خلفته تلك المدن والتي تعود إلى كامل فترات الاحتلال الروماني .

أما المدن الداخلية الريفية كدوقة وماكتاريس وكويكول و سيكا وكرتن وتيفست و تيبليس وتوبورسيكوم نوميداروم ، فكانت نسبة الأرستقراطيين أقل مقارنة بالسكان الريفيين ، في الوقت الذي كانت فيه المدن العسكرية ذات أغلبية أرستقراطية عسكرية كتاموقادي ولامبيزيوس .[2]

## أ – واقع المجتمع المغاربي المحلي

يعد واقع حياة السكان المحليين في المدينة من الإشكالات المعقدة في تاريخ المغرب القديم ، وخاصة إذا ما ارتبط بمسألة النظم القانونية التي سيَّرت المدن في البروقنصلية ونوميديا خلال القرن الثالث للميلاد.

ذلك أن الصراع الاجتماعي كان قائما حول اللهث نحو الحصول على المواطنة فباستثناء الرجال البالغين الأحرار الذين ينتمون إلى أب متمتع بحق المواطنة الرومانية مصرح بأبوته له ، كانوا في نظر المشرِّع الروماني مواطنون فإن الشغل الشاغل للجميع كان التمتع بالمواطنة ،[3] وقد كان الفرد المغاربي الحر لا يستطيع أن يصبح مواطنا رومانيا إلا إذا بلغ سن الرشد ، وأن يكون غير مدان ، أما المرأة فهي معفاة من المسؤولية المدنية نظرا لمكانتها الاجتماعية المرموقة .

وهكذا فإن الواقع المعيشي للمجتمع المترومن كان أبعد بكثير عن واقع الريفيين.

[1] منير بوشناقي ، المرجع السابق ، ص . 106 .

[2] -Marcel Benabou , Op.-Cit. , P.P. ( 406-407).

[3] - Ibid , P. P. ( 412 – 413 ) .

## ب- الحياة الاجتماعية في المدينة ( تيفست أنموذجا )

تعد مدينة تيفست ذات أصول لوبية ، وقد ذكرها المؤرخ ديودوروس الصقلي في مؤلفاته ، فقال بأنها موجودة منذ أواسط القرن الثالث ق.م ،[1] وعندما حلّ الرومان بالمدينة غيروا الكثير من ملامحها المحلية ، وكان ذلك قبل الفترة الرومانية .

- **تيفست الرومانية**

كانت الفرقة الأوغسطية الثالثة قد انتقلت سنة 75 للميلاد بأمر من الإمبراطور فسباسيان إلى تيفست ،[2] وكي تضمن الضغط على قبائل المزالمة المقاومين لجأت إلى بناء مدينة هدفها القريب السيطرة العسكرية ، والبعيد الاستغلال الاقتصادي و ترسيخ القيم والثقافة الرومانية وسط المقاومين مما يجعلهم نهائيا يتخلون عن فكرة مقاومة الوجود الروماني . وشرعت الفرقة في بناء المدينة وسلسلة من الطرق التجارية الرابطة بين تيفست والمدن التجارية الكبرى كقرطاجة وهيبون . [3] ***( انظر الخريطة رقم ( 27 ) . ص. 428 )***

هكذا فإنه منذ القرن الأول للميلاد ، اعتبرت تيفست مدينة رومانية ، حيث احتوت على مرافق اجتماعية عديدة أخفت ملامح الحضارة البونية ، واستدعى استقرار القوانين أن تكون المدينة لاتينية ، لأنه كانت مستوفية لمظاهر اللَّتْيَنَة – حسب شروطها العامة التي طبقت في جميع الولايات الرومانية – من حيث :

1/اكتساب حق المواطنة الرومانية (**Civitas** ) .

2/حق التجارة والتعامل في الأسواق .

3/حق ممارسة الحقوق المدنية(**Iuna Publica** ) في : التمثيل البلدي والتوظيف والاقتراع و التقاضي .4/حق الزواج بسيدة رومانية وحق الأولاد في الميراث . [4]

---

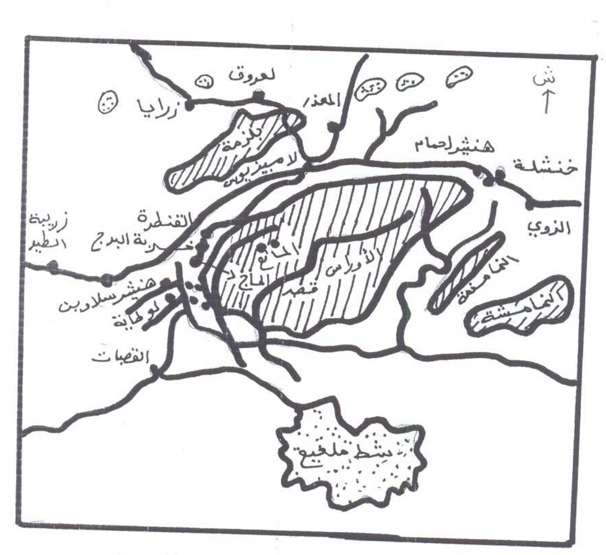
[1] تكمن أهمية تيفست التاريخية من حيث أنها مدينة لا تزال تحتفظ بمختلف المظاهر العمرانية الرومانية التي تعكس التباين الطبقي ، ذلك أن سكان الطبقة الأرستقراطية من المترمونين كانوا يعيشون قرب المرافق العمومية ، و البازليكا كانت تبعد بحوالي 600 متر عن التجمع الحضري ، أما السكان المحليون فكانوا يقطنون المناطق المحيطة بالمدينة منها المنطقة المعروفة حاليا بسيدي محمد الشريف ، والتي كانت تعتبر من مواطن القفصيين منذ مرحلة ما قبل التاريخ . ***للاستزادة أنظر*** :

*- G.Camps , Massinissa … , P. 42 ; Diodore de Sicile , Op.-Cit. Par. : XXIV.*

[2] *-René Cagnat , L'Afrique Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empreurs , Imprimerie Nationale et E.Leroux , Paris , 1913 , P. 140.*

[3] *- M.Moll , " Mémoire historique et Archéologique sur Tébessa(Théveste)et ses environs " , Rec.de Cne.,T: I , éd.Bastide-Challamel , Alger-Paris , ( 1858-1859) , P. 34.*

[4] محمود السعدني ، المرجع السابق ، ص . 85 .




مقياس الرسم: 1 سم = 10 مليون/سم .

مفتاح الخريطة :

سلاسل جبلية .

شطوط وسبخات .

حصون دفاعية (أسماء معاصرة) .

ترجمة : مها عيساوي .

**الخريطة رقم ( 27 ) :**

**المواقع الأثرية للفرقة الأوغسطية خلال القرن الأول للميلاد في منطقة أوراس النمامشة**

<u>نقلا عن</u> : **-Yann Le Bohec , Op.-Cit., P.IX.**

**- الحياة اليومية عند الطبقة الأرستقراطية في تيفست**

كانت المواطنون الرومان يمارسون التسلية الخاصة ، وكانت تضم عــروض المسرحيات وألعاب السيرك التي تتم في المدرجات ، وكذا مارســوا ســباق العربــات وألعاب المصارعة خاصة بين البشر ومصارعة الحيوانات فيما بينها وألعاب النرد . [1]

وقد بني المدرج في تيفست كي يفي بتلك الأغراض .[2] ***( أنظر الشكل رقم ( 84 ) ، ص . 430 )***

**- حق المواطنة في تيفست**

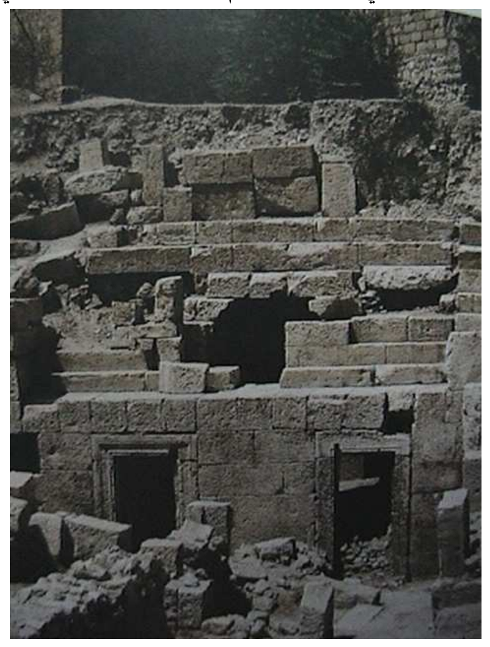
سنة 212 م ، منح الإمبراطور كراكلا حق المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية ، وعرفانا من أهالي تيفست شيدوا قوس نصر رباعي الوجوه ، تضمن نصا يعتــرف بالولاء والشكر لكراكلا ***( أنظر الشكل رقــم ( 85 ) ، ص . 431 )*** ، الذي قدم لأبناء المجتمع المغاربي القديم ترقية اجتماعية وسياسية للأفراد ، فالروماني بــالتجنس أصــبح مثــل الروماني بالولادة ، ولا فرق بينهما في تحمل أعباء المواطنة كواجب الخدمة العسكرية ودفع القسط العشريني من التركة ، فالوضع القانوني الجديد مكن سكان تيفــست مــن اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان والطبقة الأرستقراطية بعد أن منح الاسم الثلاثي

---

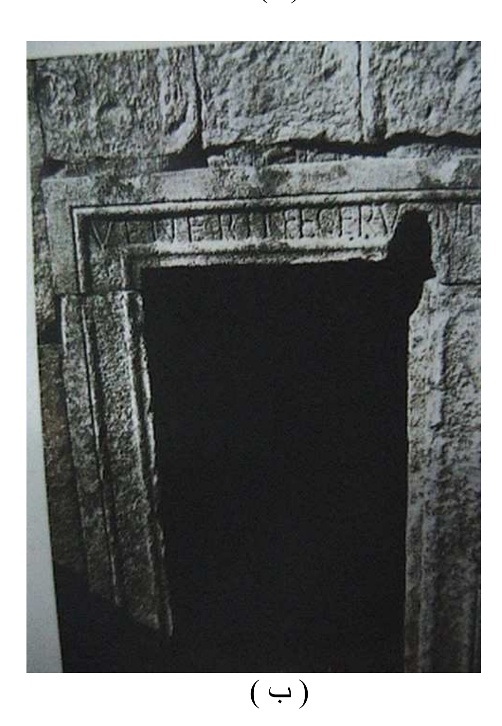
[1] علي عكاشة ، المرجع السابق ، ص . 231 .

[2] وضع الضابط مول و ألبير بالو و بوسريدون وهارون ديفيلفوس و بيار كاستيل – وهؤلاء جلهم من الضباط العسكريين – ثم محافظ متحف مينرف سيري دي روك دراسات أثرية وصفية وافية ، تعد مصادر لا غنى عنها حول آثار تيفست الرومانية . ***للمزيد من المعلومات انظر*** :

*- M.Moll , Op. – Cit. , P . P . ( 40-43 )* ; *A.Ballu , Tebessa , Lambèse , Timgad , éd.Berthaut Frères , Paris , 1894 , P. 12* ; *Bosredon , " Promenade Archéologique dans les environs de Tebessa " , Rec. De Cne. , V : XIX , 1878*; *Héron de Villefosse , " Tebessa et ses Monuments " ,Le tour du monde , Algérie , 1871,P. P. ( 1-22 )* ; *Pierre Castel,Tebessa ( Histoire et description d'un territoire Algérien ) , T : II , éd.Henry Paulin ,Paris , S.D.d'éd. , P.9.* ; *Serre de Roch , Op.-Cit. , P. 20.:*



( أ )



( ب )

**<u>الشكل رقم ( 84 )</u> : المدرج الدائري الروماني بتيفست**

| |
|---|
| **( أ ) : منظر داخلي للمدرج الروماني ، يبلغ قطر دائرته ( 52م ).** |
| **( ب ) : أحد البابين الرئيسيين للمدرج يفضي مباشرة إلى الساحة .** |

**-Serre De Roh , Tebessa Antique Theveste , P.20. : <u>نقلا عن</u>**




**<u>الشكل رقم ( 85 )</u> : نص المواطنة بترميم مشوه في تيفست**

| |
|---|
| **نص قوس النصر كراكلا المهدى من قبل قائد الفرقة الرابعة عشر المسماة جيميناي المعروف بكايوس كورنيليوس إيجريلياني ، من أثرياء تيفست إلى أخويه اللذين شملهما العطف بالمواطنة ، وعليهما أن يقدما الشكر بأن يهبا جزءا من ثروتهما للآلهة مينرفا .** |

**تصوير: الباحثة ، بتاريخ : 2008/04/13 ،  -Serre De Roch , Op.-Cit.,P.37**

المنصوص عليه في قانون الحالة المدنية الرومانية ، وأصبح له حــق التملــك وارتداء التوجا فخر اللباس الروماني .[1]

**- عشائر تيفست ( المزالمة أنموذجا )**

اعتبرت قبائل المزالمة[2] من القبائل اللوبية الأكثر ذكرا في المصادر الكتابية والمادية ، واقترنت بالمقاومة المسلحة في عهد تاكفاريناس ، وتواصلت انتفاضاته ضد الاحتلال الروماني أثناء ممارسته لإجراءات نزع الملكية قامت بتفكيك أوصال قبائل المزالمة التي امتدت مضاربها بين جنوب كرتن وجنوب الأوراس ، وكانت مواطن أغلبها مابين وادي الموثول [3] ومادور .[4] ***( أنظر الشكل رقم ( 86 ) ، ص . 433 )***

كانت قبائل المزالمة منقسمة إلى شمالية وجنوبية ، ومن أهم مواطنهــا منطقــة قسطل ( كيسة حاليا بتبسة ) وهي منطقة جبلية حولت الأراضي المحيطــة بهــا إلــى لاتيفونديا في العهد الإمبراطوري الأول .

كما اعتصم المزالمة ردحا طويلا من الزمن في جبل الدير ، إلا أنهم نزحــوا وجاوروا الجيتوليين الشماليين ، وتحولت أراضيهم إلى سالتوس . أما مــن بقــي مــن المزالمة المعروفين بالجوبول[5] فقد اختاروا صناعة الفخار كرد فعــل علــى رفــضهم للزراعة في أراضيهم المحتلة ، واستوطن جزء منهم في جبــل مــستيري ومارســوا الزراعة ، وقد تحولوا إلى نوميديين مستقرين .[6]

---

[1] محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع ... ، ص . ص . ( 273 – 247 ) .

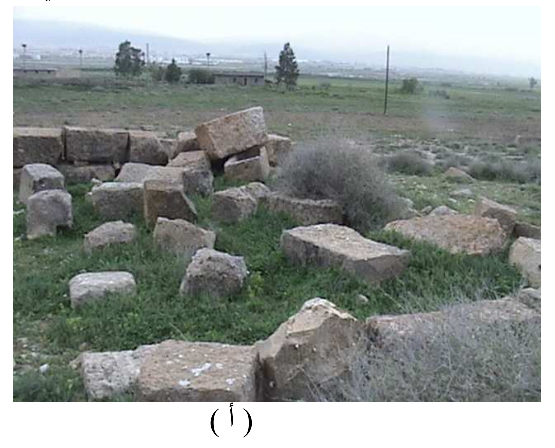
[2] ***المزالمة*** : وردت بصيغ عديدة في المصادر القديمة ، مثلا : موزولامي ، ميزولاني ، وقد تناولها المؤرخ جان ديزانج بالكثير من التحليل ، و أقترح ادراج المصطلح باللغة العربية على النحو الآتي " المزالمة " ، ما دام الاسم بالصيغة اللاتينية قد ورد في بعض النقوش الجنائزية موزولامي .

[3] ***واد المثول ( Muthule )*** : يعرف حاليا بواد ملاق ، من أهم الأودية في الشرق الجزائري ، ولا يزال يفيض بالمياه لحد الآن ، يقطع مدينة العوينات شمال تبسة ، و هو إلى جانب كل من وادي باجراداس (مجردة )وواد أمبساقا ( الريمال ) وواد الشافية من الوديان الكبيرة في إقليم نوميديا .

[4] *- J . Desanges , Catalogue des Tribus … , P. P. ( 117 – 120 ) .*

[5] *-Ibid , P . 97.*

[6] *- Gabriel Camps , Massinissa … , P . 156 .*


( أ )


( ب )

**الشكل رقم ( 84) :**

**مواقع المزالمة في أعالي جبال تيفست ( كيسة حالياً )**

**تصوير : الباحثة . بتاريخ : 2008/04/23.**

## ثالثاُ – النشاطات الاقتصادية في المجتمع الحضري والريفي

إذا كانت سياسة الإمبراطورية تتغير إلى حد النقيض تبعا لشخصية الأباطرة الحاكمين كأوكتافيوس وفسباسيان وهادريانوس وكراكلا ودقلديانوس وقسطنطين الأول ، فإن ملامح الحياة الاجتماعية والدينية ظلت تتغير بوتيرة بطيئة ، وفي الوقت نفسه كان التطور الاقتصادي سريعاً أكبر بكثير من التطور الاجتماعي .

وخلال العهد الروماني مارس المجتمع المغاربي المحلي والوافد نشاطات اقتصادية مكتملة الملامح – إلى حد كبير – خصوصا في المجال الزراعي .

### 1- النشاطات الزراعية

#### أ- توزيع الأراضي الزراعية و أهم القوانين المنظمة للأرض في المغرب القديم

عمل أوكتافيوس أغسطس على الموازنة بين مصالح الطبقات المتنافرة ، فقام بإصدار قوانين لحماية الأملاك الزراعية وتقسيمها ، ثم أتى من بعده تيبريوس الذي أصدر قانون الإصلاح الزراعي ثم قانون هادريانوس سنة 133 م [1]، وقانون قسطنطين الأول وكان الهدف من إصدار تلك التشريعات الزراعية تحقيق أكبر سيطرة ممكنة على المناطق الخصبة .

لذلك اختص المغرب القديم بقوانين منظمة لاستغلال المناطق الزراعية ، وقد عثر الأثريون على وثائق نقوشية خاصة بالمنطقة ، ولعل أشهرها مقتطفات من قانون مانكيا الضائع نصه والذي ظل العمل به حتى الفترة الواندالية ، وقد أبرزت ذلك ألواح ألبرتيني وهي عقود زراعية تفيد بطبيعة التعامل الزراعي .

وقد قسمت روما أراضي المغرب القديم الزراعية بناء على مجموع التعديلات القانونية إلى أربعة أقسام هي :

– **أراضي الإمبراطور** :كانت تتصف أراضي الامبراطور بالاستقلال التام عن سلطة المدن وعن الجهاز الإداري المركزي ، ويستفيد وحده من عائداتها التي تتجه لخزانته الخاصة .

---

[1] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 2 – 6 ) .

– **أراضي العائلات الأرستقراطية في المجتمع الروماني :** هي تلك الأراضي التي وصلت إلى العائلات الأرستقراطية عن طريق الحيازة ، وكانت معفاة من الضرائب .

– **أراضي البلديات :**غالبا ما كان ذلك النوع من الأراضي ملكاً لأسر الطبقة الأرستقراطية من الوافدين إلى شمال أفريقيا من أصول رومانية ، وكذلك من المغاربة المترومنين الحاصلين على المواطنة الرومانية .

– **أراضي العشائر من أصول لوبية**

كانت أراضي العشائر من أصول لوبية تشمل المراعي والأراضي الزراعية قليلة الخصوبة والواقعة في التخوم الصحراوية ، وهي ملك للقبائل الصحراوية وشبه البدوية ، وكان غير معترف بها في القانون الروماني ، مما جعلها قابلة للمصادرة حينما تسنح الفرصة لذلك كحدوث المقاومات وردود الفعل العسكرية و إعادة الكنترة وغيرها من الأسباب المؤدية لنزع الملكية . [1]

بناءً على ذلك التوزيع الجائر المشار إليه آنفاً ، كانت الطبقة الأرستقراطية لا سيما في المناطق الخصبة التي تعطي مردوداً جيداً هي المستأثرة بالأراضي الزراعية.

**ب- وضعية المزارع المغاربي القديم إبان الاحتلال الروماني**

كان معظم المغاربة القدماء من النوميديين والموريين أجراء ، حيث أن الفرد منهم لا يمتلك إلا قطعة أرض جدباء ذات مساحة ضيقة ، ذلك أن إجراءات المسح وسياسة الكنترة التي مارستها الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم ، أدت إلى انتزاع أراضيهم وحرمانهم من خيراتها .

أما الذين قاوموا التعديلات الزراعية وسياسة نزع الملكية وكافة أشكال الحيازة فكان مصيرهم المتابعة و الترحيل باتجاه الأراضي المجدبة في التخوم الصحراوية ، مثل : قبيلة المزالمة التي وصفها بلينوس بأنها " شعب كبير " .[2] لكنها تفرقت وتشتتت في المناطق السهبية المجدبة .[3]

[1] -*Ch.G.Picard , Op.-Cit., P.P.( 60-61).*
[2] - *Pline l' Ancien , T : V , P .30.*
[3] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 53 .

عمل المزارع النوميدي و الموري في أراضي المستثمرات الفلاحية الكبرى بمختلف أنواعها ، فخلال العهد الجمهوري عمل في أراضي اللاتيفونديا التي كانت عبارة عن ملكيات و مستثمرات تابعة للإمبراطور.

طوال القرون اللاحقة اُستغل الفرد النوميدي في أراضي السالتوس ، تلك المستثمرات الزراعية الكبرى التي كانت ملكا لأثرياء الطبقة الأرستقراطية والتي تربعت على أكبر المساحات الزراعية والرعوية في إقليمي نوميديا و البروقنصلية ، وهي في واقع الأمر أراضيهم التي انتزعت ملكيتهم عليها .

وفي هذا الصدد أشار بلينوس القديم أنه في عهد نيرون كان نصف أفريقيا في يد ستة ملاك للأراضي ، [1] فالمزارعون من السكان المحليين كانوا مستعبدين بحياتهم من طرف كبار ملاك الأراضي .

وكان معظمهم يعيش في قرى قريبة من السالتوس ، وقد كبرت هذه القرى لتصبح تجمعات أكبر عاشوا فيها وعرفت بالقلاع ( كاستيليوم ) ، كما كان الذين أشرفوا على نشاط المزارعين من طبقة الفرسان ، هذا ولم تكن للنوميديين حقوق بلدية لأنه لم يتأسس لهم إلا في العهد الإمبراطوري الثالث حيث ستتوفر القلاع على ظروف الحياة ويكون ذلك إيذانا بعهد الإقطاعية و الضيعات الكبرى التي سادت في فترة الاحتلال البيزنطي .[2]

## 2- النشاطات المهنية والحرفية

### أ – لمحة عن أنواع المهن والحرف

كوَّن الحرفيونمجموعات طبقية اجتماعية ضمت فئات مختلفة في الصناعة والتجارة والبناء .

فأما النشاطات الحرفية وخاصة صناعة الفخار فكانت مقتصرة على طبقة العامة وأما النشاطات المهنية الأخرى فكانت حكرا على الطبقة الأرستقراطية ، وولوج بعض من طبقة العامة فيها يعتبر اِخلالا بقيم المهنة .

---

[1] - *Pline l' Ancien , T : VI , P . 36 .*

[2] محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع ... ، ص . ص. ( 92 – 93 ) .

مثلاً : المحاماة عندما مارسها أبوليوس المادوري جلبت استنكار المنكفئين على ممارستها لأنه من أصول متواضعة ، وكان هناك أطباء ، وبعضهم كان ملازما لفرق الجيش ، ولهم رتبة ضابط وله الحق في التدرج في المنصب وقد يصل إلى رتبة فارس

كما كان الاستطباب يتم بواسطة الأعشاب ، وحسب المؤرخ يان لوبويك فمن أشهر أطباء المغرب القديم ي القرن الثالث للميلاد طبيب يدعى " جارجيليوس مارتياليس " في أوزيا ، الذي ألَّف كتابا حول فن التداوي بالأعشاب .

بالإضافة إلى ما سبق كان هناك المهندسون ومساحو الأراضي من العسكريين من أسلاف جيش الفرقة الأوغسطية الثالثة ، وكذلك المعلمون والكتاب المسرحيون مثل بلاوتيوس .[1]

في الواقع فإن تلك المهن لم تكن تحمل أية خصوصية مغاربية ، بل كانت جميعها ذات صبغة مترومنة ، إذ لم يكن يسمح بإظهار الثقافة المحلية ، ولعل ها من الأسباب التي جعلت اللغة اللوبية منحصرة في الريف .[2]

وقد تميزت بعض المدن بوجود منازل تحتوي على مرافق ملحقة لطحن الحبوب وعصر الزيتون وصناعة الأواني الفخارية .

إن ذلك الطراز من البناء كان يمثل طابعا عائليا في نوميديا وبخاصة في تيديس ومادور، حيث تحتوي الأولى على حي كامل لصناعة الفخاريات ، و هناك في مادور أحياء لعصر الزيتون .

هذا وتحتوي المعاصر على بلاطات حجرية كبيرة تحمل آثار أخدود دائري والأحواض المخصصة لاستقبال الزيت المعصور والكتل الحجرية التي كانت تستخدم كأثقال للعصارة لا تزال محفوظة بشكل جيد ، وكذلك كتل برونزية تعرف بالكاديكولا مما أمكن الباحثين من إعادة تشكيل عمليات عصر الزيتون .[3]

ومن أشهر المعاصر التي كانت تمثل مؤسسات اجتماعية قائمة بذاتها معصرة برزقال بتبسة . *( أنظر الشكل رقم ( 87 ) ، ص . 438 )*

---

[1] أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص . 42.

[2] - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P . 161 .*

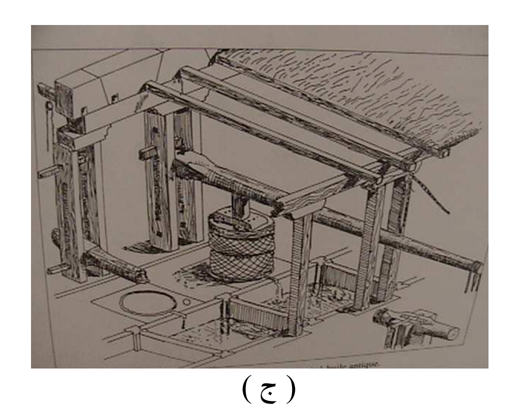
[3] - *Serge Lancel , L'Algérie Antique , éd.MENGES , Paris , 2003 , P.95.*



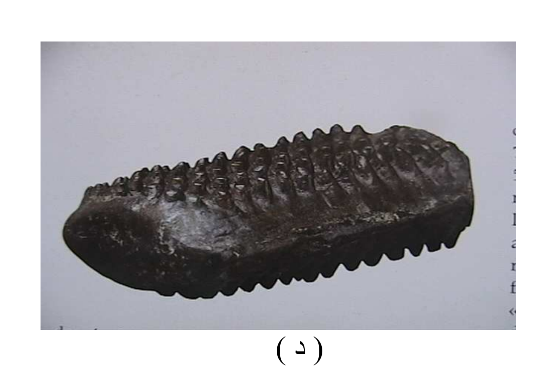
( أ )



( ب )



( ج )



( د )

**<u>الشكل رقم ( 85)</u> : معصرة الزيتون في برزقال**

**( أ ) : منظر عام للمعصرة التي تقع جنوب تبسة .**

**( ب ) : موقع المعصرة .**

**( ج ) : مخطط يبين الطريقة التقليدية في عصر الزيتون .**

**( د ) : " كاديكولا " آلة برونزية لعصر الزيتون محفوظة في متحف تيبازا .**

**<u>نقلا عن</u> : ( أ ، ب ) : تصوير الباحثة ، ( ج ) : -Yann Le Bohec , Op.-Cit., P.xxx.**

**( د ) : -Serge Lancel , Op.-Cit., P.90.**

تجدر الإشارة إلى أن هناك مؤسسات كثيرة شبيهة بها كانت قد بنيت في مادور و تيديس منذ العهد النوميدي ، وقد تم تطويرها في العهد الروماني ، وحاليا فإن الكثير من آثارها لم تبق سوى ملامحه العامة كما هو الحال في معصرة كويكول.

## ب – العملة واستخداماتها

ضربت العملة [1] في المغرب القديم على الطراز الروماني منذ عهد الإمبراطورية الأول ، فمثل كل المستعمرات الرومانية كانت القطع النقدية الرومانية التي يحتوي وجهها على صورة الإمبراطور وظهرها على رمز من رموزه ، هي العملة الرسمية في التبادل التجاري والأسواق الداخلية والخارجية ، وفي عهد تيبريوس كانت هناك ثلاثون مدينة في المغرب القديم تتعامل بالعملة الرومانية ، ذلك أن العملات السابقة للاحتلال لم تعد تنفع في التجارة .

أما المدن النوميدية فقد أزيل اسم سيرتا من عملتها ، لكن بعض المدن الداخلية ظل سكانه يتداولون العملة النوميدية في مطلع عهد الإمبراطورية الأول ، ويشهد على ذلك سك العملة في عهدي يوبا الثاني وبطليموس ، [2] _هذا و قد شاع استخدام العملة في المدن التجارية المهمة في موريتانيا الشرقية من كارتيناي إلى فولوبيليس .

كما أن انتشار العملة في المغرب القديم يعود إلى عهد أوغسطس أوكتافيوس في الوحدات والأوزان الآتية :

– الأوريوس (***Aureus***) : كان يسك من الذهب الخالص ، الذي شكل نسبة 99 بالمائة من وزنه ، ويقدر حاليا بنحو ( 7.92 غرام ) ويقدر بربع ليرة .

– الدينار الفضي ( ***Denier*** ) : يقدر بحوالي ( 3.86 غرام ) أي ( 25/1 من الأوريوس ) .

– السسترس ( ***Sesterce*** ) : وهو وحدة التعامل ويقدر بأربعة آس .

– الآس (***As*** ) : أقل قيمة في العملة ، كان يسك من مادة الأوريكالك وهي خليط من الحديد والزنك .

---

1. - *Anonyme , Money, Weights and Measures in Antiquity , D'après le site web : www.livius.org . Le . 30/01/2009.*
2. - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P . 133.*

لقد خففت أوزان العملة في عهد الإمبراطور نيرون ، وكذلك في عهد الأسـرة السيفيرية ، بسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية وزيادة نفقات البناءات العمومية.

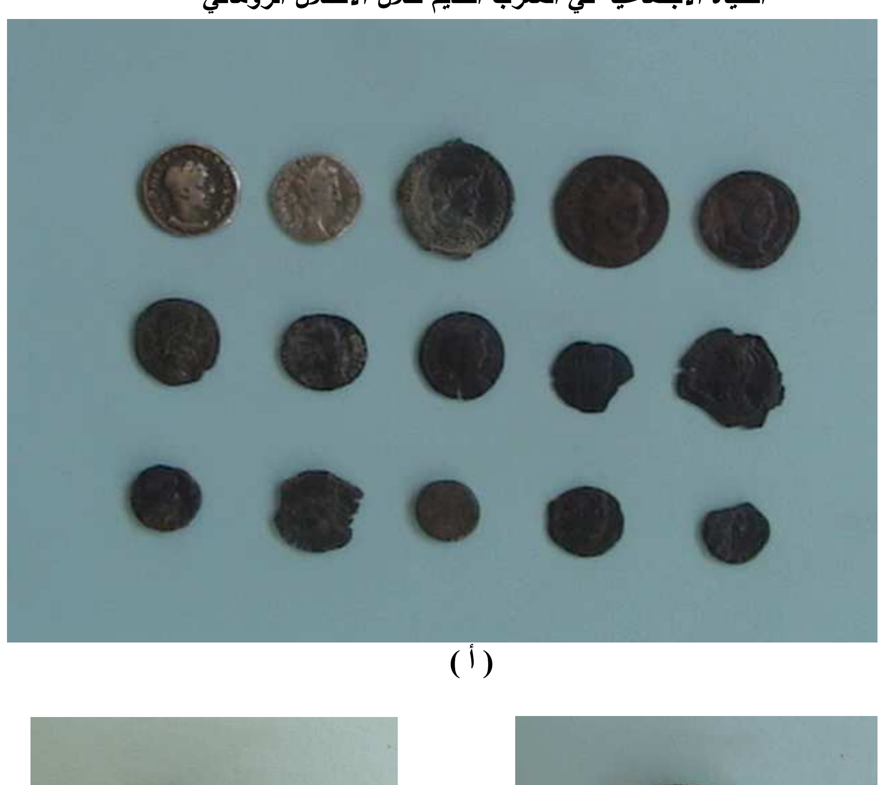
وقد تم اكتشاف الكثير من العملات في المغرب القديم ، مما جعلها مصدراً مـن المصادر الهامة لدراسة المنطقة ، حيث أن اكتشاف الكثير منها أوحى للأثريين بفداحة الضرائب المفروضة خلال القرنين الأول والثاني على السكان ، أما في القرن الثالـث للميلاد فبفضل احتكار الحكومة الرومانية لبيوت السك ، فقد زادت العملة .[1]

تجدر الإشارة إلى أنه قد تم العثور في كافة المواقع الأثرية ببلاد المغرب القديم الحضرية منها والريفية على الكثير من القطع النقدية التي تعود لفترات متفاوتة وبأوزان مختلفة ، بدءاً من الآس ووصولا بالدونيي . واحتوت على مناظر مختلفة ، فهناك صور لوجوه كصورة امرأة ، ومنها ما يمثل وجه الإمبراطور ، هذا و تزخر المدن ذات الآثار بالعملة ومنها مثلا تيفست . *( أنظر الشكل رقم ( 88 ) ، ص . 441 )*

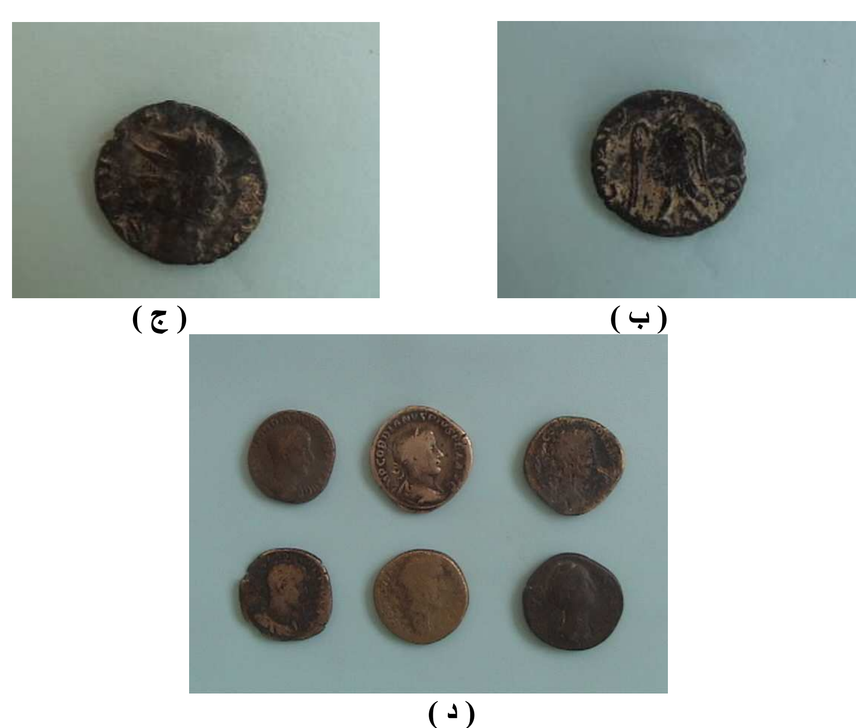
**نستنتج مما سبق** ، أن المجتمع المغاربي القديم خلال العهد الروماني كان أكثر نشاطا وحضورا في المصادر بنوعيها عنه في فترة الكيانات المحلية .

[1] - *Yann Le Bohec , Op . – Cit . , P .134.*

**الحياة الاجتماعية في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني**



**( أ )**



**( ب )** **( ج )**

**( د )**

**<u>الشكل رقم ( 88 )</u> : عملات رومانية تعود إلى المرحلة الإمبراطورية الأولى في تيفست**

| |
|---|
| **( أ ) : مجموعة عملات فضية وبرونزية من نوع سسترس وآس .**<br>**( ب ) : ظهر عملة عليه رمز الإمبراطورية الرومانية .**<br>**( ج ) : وجه عملة يعتقد أن عليها صورة الإله بوصيدون .**<br>**( د ) : عملات من فئة ديناريوس برونزي عليها وجه الإمبراطور جورديانوس الثالث ( 238–244 م ) ، الذي حكم إثر الأسرة السيفيرية .** |

**<u>تصوير</u> : الباحثة . مجموعة خاصة .**

# الفصل الثالث

# الديانة ووظائفها في المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني

أولا- تطورالديانة الوثنية في المغرب القديم خلال مرحلة الاحتلال الروماني
ثانيا – تأثير المسيحية في المجتمع المغاربي القديم
ثالثا - المذهب المسيحي الدوناتي و الثورة الاجتماعية

## أولا – تطور الديانة الوثنية في المغرب القديم خلال مرحلة الاحتلال الروماني

### 1 – التواصل الديني للمعبودات الوثنية

كانت خريطة انتشار الديانات في المغرب القديم في الفتـرة الرومانيـة معقـدة ومتداخلة ، ذلك أنه كانت توجد ديانات مختلفة الأصول فهناك عبادة الظواهر الطبيعية وعبادة آلهة ذات منشأ فينيقي [1] حيث أشار المؤرخ الإغريقـي هيـرودوتس إلـى أن المجتمع اللوبي كان قد قدس الظواهر الطبيعية و في مقدمتها الشمس والقمر والمياه و المغارات ، و ذلك لعجزه عن فهم تلك الظواهر الكونية .[2]

لقد عبد النوميديون الآلهة البونية وفي مقدمتها بعل حمون وتانيت ، وتفانوا في عبادتهما وذلك حتى دخول الإسلام ، إذ كانا المعبـودان الرئيـسيان المميـزان عنـد المغاربة القدماء .[3]

كما كان مجمع الآلهة البوني يحتوي على عدد قليل من الآلهة التـي اسـتمرت عبادتها أثناء الفترة الرومانية فإلى جانب الثنائي الكبير هناك الإلهة سـيريس [4] التـي عبدت إلى جانب عبادة الإمبراطور ، هذا الأخير الذي نفر من عبادته غالبية المجتمـع المغاربي القديم وذلك لما رأوه فيه من تكريس للوجود الروماني ، ولم تنتشر عبادته إلا في المدن وبين أفراد الطبقة الأرستقراطية من المـواطنين اللاتـين المـوالين للنظـام الروماني والمستفيدين منه وقد تمثل ذلك في فئة الحكام البلديين وكبار الملاك .[5]

كما تواصلت عبادة الآلهة الإغريقية [6] كالإله زيوس وبوصـيدون وتريتـونيس وأثينا [7]، وكذا الفينيقية مثل الإله ملقرط و أشمون ، وأيضا إله الطب إسكولابيوس .

---

[1] - *René Basset , Recherches sur les Réligions des Bérbères , éd. Ernest Leroux , Paris , 1910 , P. 11. Sur le site web : www.algérie-ancienne.com , le: 15/08/2008.*

[2] محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة ... ، ص . ص . ( 17 – 23 ) .

[3] المرجع نفسه ، ص. ص. ( 86 – 91 ) .

[4] عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 508 .

[5] شافية شارن ، المرجع السابق ، ص. 227 .

[6] كانت هناك عادات وتقاليد مشتركة بين اللوبيين وشعوب المتوسط وفي مقدمتهم الإغريق . راجع : *M.G.Olivier , Recherches sur l' Origine des Bérbères , Imprimerie Dagand , Bone , 1867 , P. 19.*

[7] الآلهة المذكورة تمثل كبار المعبودات الإغريقية فزيوس هو سيد الآلهة ، وبوصيدون وتريتونيس إلها البحر ، وأثينا إلهة الحكمة .

كان التأثير البوني في الأقاليم النوميدي راسخا وعميقا ، ذلك أن عبادة بعل حمون لم تكن لتتزعزع مكانتها في الفترة الرومانية، ولكن بتغييرات ظاهرية طفيفة تتمثل في وضع *تسمية* لاتينية جديدة له هي : الإله ساتورنيوس الأفريقي .[1] *(انظر الشكل رقم (89) . ص . 445 )*

أما الإلهة تانيت فقد أصبح اسمها جونو كايليستيس .[2]

والملاحظ في الديانة[3] المغاربية في الفترة الرومانية أن الرومنة لم تمس المنظومة الدينية السابقة ، وإنما اعتنق المغاربة القدماء الآلهة الرومانية وأخضعوها لتأثيرات محلية .

**أ- ديانة المجتمع المدني والعادات الجنائزية**

حرصت الطبقة الأرستوقراطية على تتبع عبادة الرومان ، حيث نبذت المعتقدات القديمة وعوَّضتها بآلهة رومانية في طليعتها الثالوث الكابيتولي .

كما قدسوا الإمبراطور وجعلوا عبادته فوق كل عبادة ، فله المكانة الأولى عندهم ، وتقدم له القرابين و الأضاحي ، وتقام له الاحتفالات والبناءات تخليدا لمناقبه و إشارة بالوفاء منهم للإمبراطور، فالقانون الروماني كان يحفظ حقوق الطبقة الأرستقراطية ويحمي أبناءها بموجب المواطنة فإن أولئك يردون الجميل بعبادة الإمبراطور وتقديسه .

كما آمنوا بالأرواح [4]ومنها لاريس وهي أرواح الأراضي الزراعية و أرواح الأسلاف الراحلين التي تظل حية تطوف بأماكن الإقامة لتبارك الأحفاد .

---

[1] -M. Le Glay , Saturne l'Africain , éd.Plon , Paris , 1961 , P.61..

[2] محمد الصغير غانم ، الملامح الباكرة ... ، ص . 112 .

[3] للمزيد حول الديانة في المغرب القديم ، *أنظر* : - G.Ch.Picard , Les réligions de l'Afrique Antique , éd . Hachette , Paris , 1954 , P.P.(30-61).

[4] ***الإيمان بالأرواح*** : اختلفت الآراء حولها ، ولكنها تعتبر أدنى من الآلهة ، وهي جزء من المعتقد القديم ، في صورة قوى خفية خارقة لها قدرات خلاقة في المرأة والرجل ، ولكنها لا ترق في وظائفها للآلهة ، والأرواح تعبر عن مستوى أساسي في الاعتقاد أكثر بدائية ولذلك يتناسب مع مستوى الإنسان الريفي . وهناك أرواح كثيرة عند الرومان اشتقت أسماؤها من العمليات الزراعية المختلفة مثل حرث الأرض وشق القنوات وبذر البذور وجني المحصول ولا وجود لها خارج نطاق كل عملية ، وهناك أرواح الأسرة المرتبطة بالحمل والولادة ، وتجدر الإشارة إلى أنها قد بقيت في وجود الديانة المسيحية لأنها مرتبطة بالأرض التي يتعامل معها الريفي فأصبح اسم ( الوثني ) يعني في واقع الحياة الاجتماعية في العهد الروماني ( الرجل الريفي ) . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : جفري بارندر ، المعتقدات الدينية عند الشعوب ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، ع : 173 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1993 ، ص. ص. ( 71- 73 ) .



( أ ) ( ب )

( ج ) ( د )

**<u>الشكل رقم ( 89 )</u> : أشكال الإله ساتورنيوس في النصب الجنائزية**

| |
|---|
| **( أ ) : ساتورنيوس متكئ داخل الإفريز .** |
| **( ب ) : ساتورنيوس و تانيت في نقش ببازليكا تيفست .** |
| **( ج ) : ساتورنيوس يحمل قرني كبش في نقش بمادور .** |
| **( د ) : ساتورنيوس في صورة شيخ ملتح وقور يحمل كبشاً .** |

<u>نقلا عن</u>: Serge Lancel , Op.-Cit.-

أما عن العادات الجنائزية فقد احتفظ المغاربة القـدماء بالخـصائص المميـزة لعقيدتهم المحلية ومن ذلك : طقوس الدفن وصناعة الفخار الجنائزي [1] ، كذلك الـصيغ التذكارية المثبتة في النقوش والتضحية بالاستبدال [2] والتي غالبا مـا حاكـت الـصيغ التقليدية المتعارف عليها منذ المرحلة البونية .

**ب – ديانة المجتمع الريفي**

اعتقد السكان أن زيادة عدد الآلهة ضمان لهم من بطش الرومان ، فأتوا علـى عبادة جميع الآلهة التي وجدوها أمامهم في المعابد ، وتشهد على ذلك الفسيفساء التـي صورت فيها مختلف المعبودات .[3]

كما آمنوا كذلك بالأرواح ومنها بناتيس وهي أرواح غرفة التموين والتخـزين ، حيث كانت تتجمع فيها ضرورات الحياة الريفية البسيطة من ألبان ولحوم ومحاصيل . [4] ولكنهم لم يرفعوها إلى مصاف الآلهة ، وقد حظيت بتأثير كبير في نفـوس الـسكان وفي حياة الأسر اليومية .

أما سكان القبائل المهجَّرة والتخوم الصحراوية فقد حـافظوا علـى معتقـداتهم القديمة من تقديس الظواهر الطبيعية والحيوانات المحلية ، واعتقدوا بالآلهة القرطاجية ، وازدادت حدة ذلك في المناطق الجبلية .

أما خلال القرن الخامس للميلاد ، فكان تعدُّد الآلهة معروفاً في القرى والأرياف رغم انتشار المسيحية وترسخ مبادئها ، إلا أن هذا لم يمنع السكان من الاعتقـاد بقـوة وسيطرة آلهتهم المحلية التي حاولوا جاهدين المحافظة عليها من الاندثار والنسيان بحكم أنها من موروث الأجداد .

---

[1] - *Henri Basset , " Les influences Puniques chez les Berbéres " , R..Afr., T: 62 , 1921 , P.350.*

[2] يقصد بذلك استبدال عادة حرق الأطفال التي كانت سائدة في قرطاجة أثناء الأزمات بعادة التضحية بكبش في نوميديا ، ***أنظر*** : محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 114 – 123 ) .

[3] - *Yann Le Bohec , Op . – Cit. , P . 247 .*

[4] تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص . 63 .

هكذا ، استمر بعض الريفيين من سكان أعالي الجبال في ممارسة بعض العادات الطقوسية البونية مثل ظاهرة القرابين والنذور ، وهكذا نجت بعض الآلهة المحلية من الاندثار ،[1] مثل الإله المحلي سوقن الذي ورد في نقيشة ماجيفا التي عثر عليها قرب تبسة .[2]

## 2 – مجمع الألهة المحلية في العهد الروماني

كان في كل مدينة معبد كابيتولي للثلاثي المعبود الشهير: ( جوبيتر ، جونون ، مينرفا ) ، مثل مدينة دوقة خلال الاحتلال الروماني ، ( *انظر الشكل رقم ( 90) . ص . 448* ) بالإضافة إلى آلهة أخرى منها : مارس ، باخوس ، و ميركوريوس .[3]

وخلال العهد الروماني ، لجأ المغاربة القدماء إلى التمسك بموروثهم العقدي البوني كردة فعل وصورة من صور مواجهة الاحتلال الروماني ،[4] حيث حافظ سكان المغرب القديم على عبادة ألهتهم المحلية منها الآلهة كايليستيس ، حيث وجد اسمها منقوشا بالحروف اللاتينية إلى جانب اسم إله لوبي هو باكاس وذلك خلال العهد الإمبراطوري الأول في كهف جبل طاية بقالمة .[5]

كما تم العثور على نقش بوني جديد بتونس يحمل اسم إله محلي هو جلو ولعله من أصول جيتولية ،كما أن نقش ماجيفا الذي عثر عليه في قصر البوم بتبسة يذكر خمسة آلهة محلية هي ( مازيدانيس ، ثيليلفاي ، سوقانيس ، يزدانيس ، مازيديس ) .[6]

لقد كشفت النقوش المكتشفة في نوميديا والتي تعود إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد بعض أسماء الآلهة المحلية والتي كانت تعرف بالآلهة المورية مما يوحي بأن عبادتها لم تكن مقتصرة على موريتانيا ، وإنما انتشرت وشاعت في نوميديا أيضاً[7] .

---

1 - *Yann Le Bohec , Op . – Cit. , P . 248 .*

2 -*St.Gsell , Atlas Archéologique de l'Algérie , F.28 , N.: 280, 2ème éd.,A.N.A.P.S.M.H., Alger , 1997 , P.12.*

3 تشارلز وورث ، المرجع السابق ، ص. 228 .

4 - *St. Gsell , H.A.A.N. , T : VI , P. 236 .*

5 - *Ibid , P. 136.*

6 - *M.Gustave Mercier , "Les Divinités Libyques " , Rec. De Cne. , 1900 , P.P.( 177-193).*

7 -*Yann Le Bohec , Op . – Cit. , P .137 .*




**الشكل رقم ( 87 ) :**

**المعبد الكابيتولي في دوقة المخصص لعبادة الثلاثي**

**( جوبيتر ، جونون ومينرفا )**

**نقلا عن : www.dougga.tu**

**تاريخ الرفع : 2008/12/13.**

هكذا ، ابتدع النوميديون آلهة محلية حظيت عندهم بعبادة واسعة النطـاق هـي الآلهة السبعة ، تلك الأخيرة التي كانت ترمز إلى الصلحاء السبعة الذين ظهروا خـلال العهد الإمبراطوري الثاني ووصل ذكرهم إلى المغرب القديم عن طريق المـسيحيين ، فأراد السكان تمجيدهم بالتخليد في النقوش ثم ما لبثوا أن عُبِدوا في القرون اللاحقة . [1]

هذا وقد حفرت أسماؤهم في نقش باجة باللاتينية على النحو الآتي : ( ماكورتا ، إيونام ، ماكورجوم ، ماتيلام ، بوشور ، فيتريتام ، فارسيسيما ) .[2]

تجدر الإشارة هنا إلى أن انتشار الديانة اليهودية كان محتشماً ومقتـصرا علـى مناطق نائية ، إذ لم يكن مرحبا بها من طرف المترومنين وكذلك بالنسبة للـريفيين .[3] ولعل ذلك مرده صرامة اليهود وتقوقعهم و قلة ممارستهم للتبشير .

**وعليه يمكن القول** إن المجتمع المغاربي القديم وإن ترومن إداريا ، إلا أنه لـم يترومن دينيا بل " أفرق " الديانة الرومانية وفق معطياته التي آمن بها منذ آلاف السنين . [4] إذ لم يكن للسيطرة الرومانية عمليا تأثير يؤدي إلى منع النوميـديين والمـوريين والجيتول من عبادة الآلهة المحلية .[5]

---

[1] ***الآلهة السبعة*** : أشارت بعض الدراسات إلى أن أصلهم في الموروث الشعبي المغاربي هم الرقود السبعة ، وهؤلاء فـي الرواية الدينية ليسوا سوى أهل الكهف الذين استيقظوا في عهد ثيودوسيوس ، ونظرا لإيمان المغاربة القدماء بـالأرواح فقـد كانوا يظنون أنهم يسكنون المغارات في أعالي الجبال . ***أنظر*** : أحمد علي المجذوب ، أهل الكهـف فـي التـوراه والإنجيـل والقرآن ، ط. 3 ، الدار المصرية اللبنانية للكتاب ، القاهرة ، 1998 ، ص. ص. ( 83 – 85 ) . *متـاح علـى الـرابط* : http://www.kotob.has.it ، تاريخ الزيارة : 18 /12/ 2009 .

[2] محمد الصغير غانم ، الملامح ... ، ص . 113 .

[3] *- Yann Le Bohec , " Les Juifs en Afrique Romaine " ,Ant.Afr. , T: 17 , 1981 , P.200.*

[4] *- Yann Le Bohec , Op. – Cit . , P. 188 .*

[5] *- G.Camps , " Les Numides et la civilisation Punique" , Ant.Afr. , 1979 , P.43.*

## ثانيا – تأثير المسيحية في المجتمع المغاربي القديم

### 1 – المسيحية والطبقية

إن الكيفية التي وصلت بها المسيحية إلى بلاد المغرب القديم ، لا تزال غامضة بسبب تعدد الروايات وعدم العثور على دليل أثري، يثبت صحة أيٍّ مـن الفرضـيات المطروحة من طرف المؤرخين الدينيين ومنهم بول مونصو وفرانسوا ديكريه . [1]

ومن المصادر الإسلامية ذكر عبد الرحمن بن خلدون [2] أن المسيحية قد بشَّر بها في المغرب القديم الحواريّ شمعون القناني ، وذكر ذلك في ديوان العبر علـى النحـو الآتي :

" ... وعند علماء النصارى ... بُعِثَ إلى أرض أفريقيا فلّيبوس ... وإلى أرض برقة والبربر بشمعون القناني [3] " .

لقد استقطبت المسيحية عند ظهورها الطبقة الدنيا من المجتمع ، وكان أول انتشارها في أوساط الريفيين ، حيث اعتنقتها بعض القبائل الجيتولية والمورية ، وفي هذا الصدد ذكر ترتيليانوس ما يلي :

" **حظيت الكنيسة بإقبال كبير من طرف الريفيين فهي دين الفطرة و أقرب إلى العقل من الشرك ، وقد وجدوا في تعاليم المسيحية ما يخفف من شقائهم في عالم تسوده سيطرة الاحتلال الروماني وبطشه** ".[4]

---

[1] *- Paul Monçeaux , Histoire litteraire de l'Afrique cheétienne ,éd. Leroux , Paris , 1901;*
*F.Decret , Christianisme en Afrique , éd.Hachette , Paris , 1996 , 304 pages.*

[2] عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم مـن ذوي السلطان الأكبر – ج . 2 ، تح : سهيل زكار وخليل شحادة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2000 ، ص . 173 .

[3] ***شمعون القنـاني*** : ورد في إنجيل متّى باسم سِمْعَان القانويّ ، وفي إنجيل لوقا بسمعان الغيور ، ولم يذكر في إنجيل يوحنا سوى سمعان بن يونا المعروف ببطرس وهو حواري آخر، ولم يذكر في إنجيل مرقس ، ولسنا نعرف أصـل تـسميته كمـا وردت عند ابن خلدون ، ولعل ذلك مرده خطأ النساخين . ***لمزيد من المعلومات أنظر*** : العهد الجديد لربنا ومخلـصنا يـسوع المسيح ، إنجيل متى ، الأصحاح:10 – إرسال الإثني عشر – ، ص .13 ؛ إنجيل لوقـا ، الأصـحاح :10 ، ص . 83 . ؛ إنجيل يوحنا ، الأصحاح : 01 – التلاميذ الأولون – ، ص. 121. ، إنجيل مـرقس ، ص.ص. ( 45-72) ، دار الكتـاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط.6 ، القاهرة ، 2004 .

[4] ترتيليانوس ، المصدر السابق ، ص . 78 . ( بتصرف ) .

أ – **مبادىء المسيحية ودورها في إعادة ترتيب الطبقات الاجتماعية**

كان من أهم مبادئ المسيحية : الأخوة والعدالة والمساواة ومواساة المحرومين والتضامن مع المظلومين ، وهي مبادئ تبناها المسيحيون في سير حياتهم اليومية فكان لها أثرها العميق على الضعفاء من أبناء الطبقة الفقيرة والمعدمة . [1]

لقد اعتنق المسيحية سكان بلاد المغرب القديم ، نتيجة إيمانهم بمضمون الديانة الجديدة التي دعت إلى الوحدانية ، والمساواة الاجتماعية والأخلاق السوية التي تعد مبادئ المسيحية فتدعو إلى ضرورة رعاية اليتامى وتربيتهم وإسعاف المرضى وإعالة المحتاجين وعائلاتهم ، مما خلق جوا من التسامح والتكافل بين أفراد الطبقات الفقيرة التي سارعت إلى اعتناق المسيحية بأعداد غفيرة .[2]

لقد أثرت مبادئ المسيحية [3] في مفهوم الطبقية الاجتماعية حيث نقضتها وغيَّرت فيها الكثير مما لا يتماشى ومصالح الطبقة الأرستقراطية التي رفضت المسيحية – بادئ الأمر– لكونها تجردها من مزايا عديدة كاعتبار الأرستقراطي نفسه في مرتبة أعلى من مرتبة المسيحي .

ولتعميق المفهوم فإن المسيحية قد كسرت النظرة الهرمية للبنية الاجتماعية والاقتصادية السائدة – آنذاك – بحيث كانت الطبقة الأرستقراطية سنداً قويا لسلطان القانون الوثني الذي كرسه الوجود الروماني بدءاً من عبادة الآلهة ووصولاً بعبادة الإمبراطور .[4]

هكذا كانت المسيحية عاملا مؤثرا في إعادة تنظيم الطبقات الاجتماعية ليس وفقا لمعيار الغنى والفقر ، وإنما وفقاً للمعيار الخُلُقي .

---

[1] رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا– بيروت ، 1975 ، ص.ص.( 13 – 15 ) .

[2] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 269 .

[3] ***مبادىء المسيحية*** : آمن بها الفقراء وقد ذكرتها الأناجيل ببعض التفصيل في صورة مواعظ ونصائح ، فوردت في إنجيل متى في الأصحاح الخامس فقرة التطويبات ، وكذلك في إنجيل لوقا في الأصحاح السادس في فقرة بركات وويلات .
***للمزيد من المعلومات انظر*** : العهد الجديد ، المصدر السابق ، ص. ، ص. ( 5 ، 83 ) .

[4] - *Yann Le Bohec , Op.- Cit. , P.187.*

**ب – موقف المجتمع الوثني من المسيحيين**

أنكر المجتمع المسيحي المغاربي عبادة الإمبراطور وتقديس الحاشية ، وركز جهوده على قدح وذم عبادة الإنسان للإنسان ، ودعا إلى ضرورة عبادة إله واحد فقط ، ولإنجاح ذلك عمد المؤمنون إلى شحذ الروح المعنوية عن طريق تقوية النفس ونشر مفاهيم العدل والإخاء ، وبذلك كان من السهولة بمكان تحطيم المقومات المعنوية للمجتمع الوثني عن طريق المناظرات .

كان أفراد المجتمع الوثني ينظرون إلى المسيحيين نظرة استعلائية ، فكانوا يفضلون الاستماع إلى الفلاسفة والخطباء على استماعهم لعظة مسيحي ، وهذا من باب الدونية التي ظلت تلازم المسيحي ليس من جهة أفكاره وكلماته ، وإنما من جهة وضعه الاجتماعي ، إذ كان من غير المقبول أن سيدا من الأشراف أو النبلاء يوقر بالإنصات عبداً خادماً عنده ، ضاربين بعرض الحائط آراء ترتيليانوس الداعية إلى المساواة من خلال مقولته هذه : " **أنت إنسان كالنصراني والنصراني إنسان مثلك** " . [1]

وهكذا شهد القرن الرابع للميلاد ، تحولات اجتماعية عميقة بسبب ظهور المسيحية التي شنت بما تدعو إليه في مبادئها حرباً على الطبقية ، وظهرت البازليكات الكبرى التي استقطبت المسيحيين إلى هياكلها ومنها بازليكا تيفست. *( انظر الشكل رقم (91 ، ص 453 )*

**2 – المسيحيون والموقف الرسمي للسلطة الرومانية**

التزم معتنقو المسيحية الأوائل الصمت والسرية تجنبا لإثارة السلطة الرومانية ، حيث كانوا يخشون اكتشاف رفضهم لعقيدة عبادة الإمبراطور . وكانوا يمارسون شعائرهم بحرص شديد بحيث يجتمع هؤلاء في كل مرة بمنزل مختلف عن سابقه ليتناقشوا ويتذاكروا وصايا المسيح .

[1] ترتيليانوس ، المصدر السابق ، فق : 8 ، ص. 23 .



( أ )



( ب )

**الشكل رقم ( 91) : بازليكا تيفست**

**( أ ) : الساحة الداخلية لبازليكا تيفست .**

**( ب ) : أعمدة الساحة الداخلية حيث تم إعدام القديسة كريسبينا سنة 305 م.**

**تصوير : الباحثة . بتاريخ : 2008/10/23.**

## أ- أنواع الاضطهاد في الطبقات الاجتماعية

اختلف تعامل السلطة الرومانية مع المسيحيين وفقا للطبقة التي كانوا ينتمون إليها ، كما اختلفت درجة العذاب الذي سوموا به .

ذكر ترتيليانوس أن المغاربة القدماء المسيحيين ، قد تعرضوا إلى وشايات اليهود [1] والوثنيين بهم ، مما جعلهم يتعرضون للأذى بسبب رفضهم لعبادة الإمبراطور ، واعتبرت فترة حكم الإمبراطور الروماني كومودوس فترة ازدهار انتشار التبشير بالمغرب القديم ، وزاد عدد المعتنقين وجهرهم بديانتهم ، مما ترتب عنه اضطهاد السلطة الرومانية لهم ، ليس بسبب تغيير الدين فقط ، وإنما لتهديد مصالحهم الاقتصادية في المنطقة . [2]

تعرض المسيحيون لأنواع من الاضطهاد من قِبَل الوثنيين قَبْل السلطة الرومانية ، وعلى سبيل المثال فإن السيدة بربيتوا ( Pérpetoua ) كانت من الشهداء الأوائل الذين زج بهم في حلبات المصارعة مع الحيوانات الضارية في توبوربومينوس ( طبرقة حاليا ) .[3]

لقد اعتبر عهد سبتيموس سيفيروس ذروة اضطهاد المسيحيين حيث كانوا يلقون إلى الوحوش الضارية في ألعاب السيرك والمدرجات . ورغم ما شاع عن فترة حكمه من أنها الفترة الذهبية للمغرب القديم فذلك مقصود به المخلفات العمرانية .

إذ أن الإصلاحات السيفيرية كانت وبالاً على طبقة العامة من المسيحيين وطبقة العبيد و طبقة الريفيين والبدو الذين طوقت أراضيهم بالليمس ، فالاستفادة من الحقوق السياسية والمدنية كانت حكراً على الطبقة الأرستقراطية .

---

[1] *اليهودية* : كانت منتشرة باحتشام في نوميديا حيث اعتنقها أشخاص مثل التاورة قرب سوق أهراس أما في البروقنصلية فكان انتشارها واسعا مثل قرطاجة ولمطة و جربة . *أنظر* : -Yann Le Bohec , " Les Juifs dans l'Afrique Romaine " , B.E.F.R. , 1981 , P.200.Et : M.Hadas-Lebel , " Les Juifs en Afrique Romaine " , éd. La communauté juive de Tunisie , Tunis , 1999 , P.P. ( 101 – 124 ) .

[2] محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 275 .

[3] روبين دانيال ، أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا ( دراسة تاريخية عن القرنين الأولين ) ، منشورات تامغناست ، 2000 ، ص. ص. ( 13 – 25 ) . *متاح على الرابط* : www.tawalt.com تاريخ الرفع : 10 /01 / 2007 .

لكن عهد خلفائه كان مختلفا حيث تسامح كراكلا مع المسيحيين ولم يضايقهم كثيرا كما فعل والده ، وكان عهد فاليريانوس ( 253م – 260م ) حافلا بالاضطهاد حيث أعدم أسقف قرطاجة القديس سبريانوس ( St.Cyprien ) سنة 258 م .[1]

أما في عهد دقلديانوس ، فقد وصل الاضطهاد ذروته ، حيث اعتبرت ديانة الإمبراطور هي الديانة الرسمية ، وعندما رفض المسيحيون ذلك نكَّل بهم أبشع تنكيل .

لقد كان المسيحيون ضد ظاهرة العنف التي كانت مجسدة في الجيش الروماني ، ولأن الكثير من الجنود قد تنصروا فإنهم أصبحوا يمثلون عناصر تمرد لرفضهم قرارات القتل و حرق الأبرياء ، و لعل أبرز مثال على ذلك ما قاله الجندي ماكسيميان سنة 295 م عندما اقتيد للخدمة العسكرية : " **لا يمكن أن أخدم في الجندية ، لا يمكن أن أعمل شرا فأنا مسيحي** " ، وكذلك السيدة كريسبينا التي استشهدت سنة 305 للميلاد في بازليكا تيفست .[2]

على كل ، لم يتوقف الاضطهاد إلا بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطينوس للمسيحية واعتبارها الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية إثر مرسوم ميلانو سنة 313 م .[3]

تبعا لذلك فقد اقتدت الطبقة الأرستوقراطية بالإمبراطور قسطنطينوس ، وأصبحت المسيحية منذ بداية القرن الرابع للميلاد دين المجتمع المدني الثري لا كما كانت في بداياتها دين العامة من الضعفاء والفقراء .

### ب- ظهور المجتمعات المسيحية المصغرة

بعد استقرت أوضاع الكنيسة في المغرب القديم ، ظهرت طبقة اجتماعية جديدة من رجال الدين المناصرين للمسيحية الرسمية ، ومنحتها السلطة الرومانية امتيازات عديدة أدت إلى استقرارها على المذهب الكاثوليكي .

---

[1] رؤوف شلبي ، المرجع السابق ، ص . 26 .

[2] *-Serge Lancel , Op.-Cit., P.145.*

[3] حظيت رواية اعتناق قسطنطينوس للمسيحية بدراسات كثيرة . ***أنظر*** – على سبيل المثال لا الحصر – : رأفت عبد الحميد ، الدولة و الكنيسة ، ج. 1 – قسطنطين– ، منشورات جامعة عين شمس ، ص. ص. ( 136–140).

في حين أن مسيحيي المغرب القديم ظلوا يتداولون فيما بينهم المبادئ المسيحية الأولى لكتاب العهد الجديد قبل التحريف ، غير آبهين بقرارات المجامع الدينية الكاثوليكية المحرَّفة ، فأدى ذلك إلى انقسام المسيحيين في المغرب القديم إلى قسمين :

- **الأول** : موال لسلطة الكنيسة الكاثوليكية .

- **الثاني** : معارض للنظام السياسي والاقتصادي السائد والذي عرف في تاريخ الكنيسة بالحركة الدوناتية .

هكذا ، انتشرت مجتمعات مسيحية صغيرة متناثرة في مدن أفريقية عديدة اعتبرتها الطبقة الأرستقراطية خطرا جسيما لا بد من متابعته والقضاء عليه .

## 3- المسيحية و تأثيرها في التراتب الاجتماعي

ناصرت الطبقة الأرستقراطية موقف السلطة – كعادتها – مما أدى إلى تغييرات عميقة في فهم جوهر العقيدة النصرانية ، حيث بدأت تختفي المعالم الأولى للمسيحية ليحل محلها طبقة متنصرة على الطراز الروماني .[1]

لقد أفقدت الطبقة الأرستقراطية بتملقها للسلطة الرومانية ، القيم المعنوية السامية للمسيحية ، بحيث أصبح الأرستقراطيون من رجال الدين ، وهؤلاء بدورهم ارتقوا أعلى المناصب الدينية ، وبدورهم فإن القساوسة والأساقفة صنفوا في الطبقة الأرستقراطية الثرية .

هذا التحول أدى إلى مناهضتها من طرف أبناء أسلافها الأوائل من الطبقات العامة المحرومة والعبيد والريفيين ، فنددوا باستمرار التعسف الروماني لهم تحت غطاء الكنيسة الرسمية ، وأدى هذا بدوره إلى ظهور الكنيسة الدوناتية .

### أ- الطبقة الأرستقراطية واعتناق المسيحية

لم يحل القرن الرابع للميلاد حتى كانت الطبقة الاجتماعية الأرستقراطية خاضعة للسلطة الرومانية ومتفانية في خدمتها على جميع المستويات وقد انقسمت هذه الفئات الموالية لثلاثة أقسام هي :

[1] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 282 .

1/ فئة الأشراف : كانوا من كبار الملاك والحكام البلديين .

2/ علية القوم من النبلاء : كانوا من ملاَّك الأراضي من أصحاب الضياع الكبرى أيضا ذات الطابع الإنتاجي المتنوع ، وتميز هؤلاء عن غيرهم بالموالاة المطلقة للسلطة الإمبراطورية ، وهم أسلاف طبقة الفرسان .

3/الفئة المتوسطة من برجوازية المدن : كانت فئة حديثة العهد بالأملاك ، ولم يكن لها نفوذ كبير حقيقي لأنها كانت فئة فقيرة في مرحلة سابقة .

واعتنق المسيحية رعيل من الأثرياء صاروا يقتطعون أجزاء من ثرواتهم لمساعدة الفقراء ، وقد أشار ترتيليانوس إلى أن النصارى الباكرين كانوا يقتسمون الممتلكات فيما بينهم ، وكل شيء يشتركون فيه ما عدا الزوجات .[1]

أما طبقة العامة فكانت تمثلها فئة اليد العاملة المتكونة من حرفيين بالحواضر ومزارعين بالأرياف ، و كانت تشكِّل القوة المنتجة الأولى في مجتمع ذلك العهد ، وقد تميزت هذه الفئة برفضها الضمني للاحتلال الروماني وكراهيتها للقوانين الرومانية المتعسفة في حقها .

**ب- المرأة و اعتناق المسيحية**

صاحب انتشار المسيحية ظهور صنف من النساء فضلن الحياة الدينية حتى وإن كان ذلك دون رغبة أوليائهن ، وهؤلاء يختلفن عن النساء القديسات اللواتي استشهدن أثناء الاضطهاد الديني ، و قد خدمن بوظيفة الراهبة و الشماسة ، وكانت ذات مكانة عند الأسقف ، ومن المهام التي أسندت عليها في الكنيسة الرومانية بالمغرب القديم مساعدة الفقراء ومعالجة المرضى و مراقبة الأرامل و القيام بدور الوسيط بين المسيحيات ورجال الكنيسة .[2]

تجدر الإشارة هنا إلى أن البازليكات كانت تستقبل الراهبات بصفة قاطنات دائمات لخدمة المسيحية ، وكان ببازليكا تيفست ملحق اجتماعي هو عبارة عن غرف صغيرة لإقامة الراهبات والإشراف على إعدادهن للحياة الدينية . ***( انظر الشكل رقم (92 ) . ص . 458 )***

---

[1] - *Stéphane Gsell , Op. – Cit . , T : VI , P . 407 .*

[2] خديجة منصوري ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 287 – 288 ) .



( أ )



( ب )



( ج )

الشكل رقم ( 92) : الكنيسة الداخلية ببازليكا تيفست

(أ ) : المدخل الرئيس للبازليكا يزينه باب الشرف .

( ب ) : الرواق الرئيسي في البازليكا حيث يفصل غرف الراهبات عن الحديقة ، أصبحت الآن أطلالا .

( ج ) : ملحق داخلي يمثل كنيسة القدسية كريسبينا في البازليكا.

تصوير : الباحثة .

## ثالثا – المذهب المسيحي الدوناتي و الثورة الاجتماعية

### 1- الدوناتية مذهب الطبقة الاجتماعية الدنيا

اختلفت آراء المؤرخين حول اعتبار الدوناتية[1] مذهب الطبقة الفقيرة المحرومة ، فالرأي الأول ، يذكر أنه في منتصف القرن الرابع الميلادي شهد المجتمع المغاربي القديم اضطرابات وقلاقل تمخضت من خلالها فكرة المعارضة للسيطرة الرومانية ، فكانت الدوناتية الممثل الشرعي والمعبِّر عن إرادة المقهورين ، حيث دافع الدوناتيون عن مذهبهم النصراني القائم على المبادئ المسيحية الأولى التي انتشر بها منذ قرنين سابقين في المغرب القديم الذي أثقلته الهوة الطبقية الفادحة والسيطرة العسكرية بواسطة خط اللِّيمس لينتهي الأمر بالسيطرة على المعتقد وهو ما رفضه الدوناتيون .[2]

وهكذا اعتنق المغاربة القدماء الدوناتية كتعبير عن رفضهم لظروف الحياة القاسية التي تضرروا منها بفعل الإدارة الرومانية ،[3] واعتبر مجمع كرتن الذي انعقد سنة 305 م الأرضية لظهور الدوناتية في المغرب القديم .[4]

لقد كان الدوناتيون يعتبرون أنفسهم ورثة المسيح ولا يعترفون بالكنيسة الرسمية ، فقد عانوا من الحصار الوظيفي وفرض الضرائب المجحفة عليهم ، وتطويقهم بالمراكز العسكرية والحصون الدفاعية ، وهذا ما ترتب عنه ضيق اجتماعي كبير مورس على طبقة الريفيين من المؤمنين بالمسيحية على المذهب الدوناتي .[5]

---

[1] هناك دراسات كثيرة تناولت أصل التسمية ونسبتها إلى مؤسسها دوناتوس لكن الغالب هو أن دوناتوس الثاني هو مؤسس المذهب . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : محمد البشير شنيتي ، التغيرات ... ، ص . 285 ؛– أندري ماندوز ، " القديس أوغسطين و الدوناتية " ، تر : محمد هناد ، أعمال الملتقى الدولي الأول للفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج.1 ، أفريل 2001 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003 ، ص . 153 .

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 298 .

[3] *- M.Meslin et P.Hadot , Apropos du Donatisme , Journal de Sociologie des Réligions , V: IV , N : I , 1957 , P. 143 . Sur le lien : www.persee.fr , Le : 18/08/2008.*

[4] ***للمزيد من المعلومات أنظر*** : *- Anonyme , Souvenirs de l’Ancienne église d'Afrique , Librairie Catholique de Perisse Frères , Paris-Lyon , 1863 , P.26.*

[5] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . ص. ( 296– 297 ) .

إنَّ أشهر الكنائس الدوناتية هي الكنائس النوميدية التي انتشرت في تيفست ومادور وباغاي ، وقد توبع مريدوها من طرف قساوسة الكنيسة الكاثوليكية وصودرت ممتلكاتهم .

من أهم رجال الدين الدوناتيين أسقف مدينة توليانوس ، و أسقف من سيرتا وضع مؤلفات عديدة لكنها ضاعت ولم يبق منها سوى إشارات تضمنتها الكتب الرسمية للمسيحية مثل رسائل أوغسطينوس .

إن المتمعن في التاريخ الديني في المغرب القديم يجد أن الدوناتية كانت أكثر من مجرد مذهب منشق عن المذهب الكاثوليكي ، بل كانت حركة دينية فكرية قائمة على الحفاظ على مسيحية الحواريين ، وجد فيها السكان فرصتهم أيضا للانعتاق من نير الإمبراطورية الرومانية.[1]

كما أن الدوناتية لم تكن مذهباً منتشراً في الأرياف أو مقتصراً على الفقراء ، بل كان من معتنقيها بعض الأرستقراطيين ومن بينهم والي هيبون أوزوبيوس ، وكذلك ملاك الأراضي ففي سنة 401 م أقدم أسقف كالاما الدوناتي المعروف باسم كريبينوس على شراء ضيعة في الأراضي التابعة لهيبوريجيوس ودعا فلاحي تلك الأرض إلى اعتناق المذهب الدوناتي خلال القرن الرابع للميلاد .[2]

*( انظر الخريطة رقم (28 ) . ص .461. )*

لكن الأرجح أنها كانت مذهب الغالبية العظمى من السكان من الطبقة الدنيا ، لأن المذهب الرسمي كان الكاثوليكية ، ومن الطبيعي أن الأرستقراطيين حفظاً على ممتلكاتهم كانوا يهادنون السلطة.

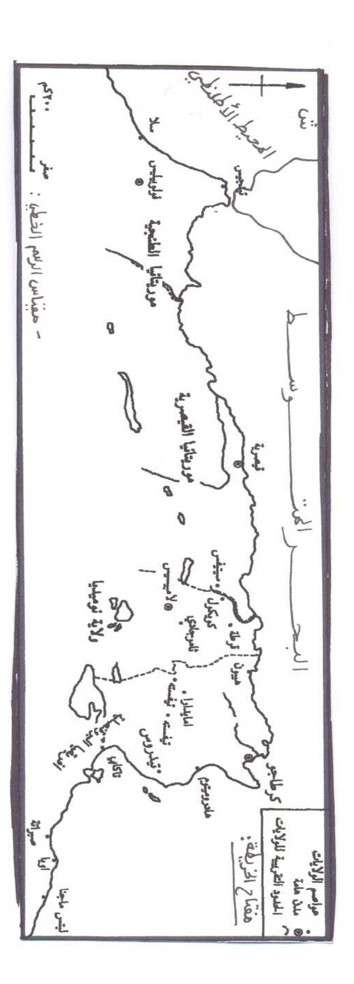
## 2- سياسة الكنيسة الكاثوليكية الرسمية تجاه المجتمع المغاربي القديم

بعد أن انتصرت الكنيسة الرسمية في شكلها السياسي الذي ميزه القديس أوغسطينوس ( 354 م – 420 م ) شرعت في تطبيق سياسة قائمة على إخضاع المجتمع

---

[1] رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 163 .

[2] كلود لوبولي ، " الكفاح من أجل الفقراء : ملاحظات حول العمل الاجتماعي للقديس أوغسطين بمنطقة هيبون " ، تر : محمد هناد ، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج . 1 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003 ، ص. ص. ( 118 120 ) .



**<u>الخريطة رقم ( 28 ) :</u>**

**أهم المدن التي انتشرت فيها المسيحية ببلاد المغرب القديم خلال القرن الرابع للميلاد**

**<u>نقلا عن</u> : عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 481.**

المحلي خضوعاً مطلقاً للسلطة الرومانية [1]، فأعلنت مجموعة من المسلَّمات الاجتماعية متمثلة فيما يلي :

- ضرورة الرضى بالتفاوت الطبقي .
- شرعية الرق بجميع وجوهه وأشكاله ، وعدم اعتبار العبودية مرادفاً للبؤس الاجتماعي .
- وجوب استخدام الطاقة البشرية المتواضعة من الأحرار الريفيين في الحياة الاقتصادية .

وقد تناست الكنيسة الرسمية ما جاءت به المسيحية الأولى من مبادئ العدالة والمساواة ، ولكن هذا لم يمنعها من إحداث مشاريع خيرية وتوزيع قسم من الأموال التي كان يتبرع بها المؤمنون الأثرياء لتعود بالنفع على البلديات المدقعة . [2]

## أ- القديس أوغسطينوس ونشاطه التنصيري في المجتمع الريفي

قضى أوغسطينوس [3]معظم حياته في هيبوريجيوس التابعة لنوميديا ، وقد كتب الكثير حول المجتمع والمدن ثم الأرياف ، حيث عالج المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي كان يعاني منها مجتمعه منذ تقلده منصب أسقف هيبوريجيوس سنة 391م ، وذلك عن طرق الدفاع عن الفقراء وتقديم المساعدة المادية لهم طوال أربعين عاما من ممارسته لوظيفته الكنسية .[4]

في بداية الأمر، كان نشاط أوغسطينوس مدفوعاً بالدفاع عن الكاثوليكية ، والوقوف ضد الدوناتية ، لكنه لم يلبث أن وقف على وضعية السكان البائسة فسارع إلى

---

[1] حول السياسة التي كان يتبعها القديس أوغسطينوس في تهذيب السلوك الاجتماعي للرهبان وإعدادهم للحياة الاجتماعية والاحتكاك بالسكان ، أنظر : *- Dom Basse , Les Moines de l'Afrique Romaine ( IVème et Vème Siècles ) , T : II , Librairie B. Bloud , Paris , 1903 , P. P. ( 12 - 22 ) . D'Après le Site web :* www.gallica.bnf.fr

[2] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 316 .

[3] ***أوغسطينوس ( 354-430 م )*** : أشهر لاهوتي من عصر الآباء الكاثوليك ، و أود أن أشير هنا إلى أنني لم أتعرض إلى سيرة حياة القديس أوغسطينوس أو تجاربه الدينية باعتباره علما من الأعلام البارزة ، والذي كتبت حوله مئات الدراسات وانجزت حول فكره ومؤلفاته عشرات البحوث ، و سأكتفي فقط بالتعرض إلى موقفه الاجتماعي حيال أبناء المجتمع المغاربي المسيحيين والوثنيين .

[4] كلود لوبولي ، المرجع السابق ، ص . 118 .

محاولة تحسين ظروفهم الاجتماعية ، إذ كانوا يعيشون مع عائلاتهم في الأراضي التي يعملون فيها ، وكان هناك من يدفع الضرائب الباهظة ، ولعله قد أدرك أن من واجبه الديني والاجتماعي أن يساند أفراد الطبقة الدنيا من أجل أن يضمن تحولهم من الوثنية أو الدوناتية إلى الكاثوليكية ، وهو جوهر النشاط التنصيري بالنسبة له .

لذلك عمد أوغسطينوس إلى الدفاع عنهم ، بموجب سلطة الأسقف التي تخوّل له حق الفصل في المسائل القضائية ، وقد تم العثور على إحدى الوثائق التي كتبها أوغسطينوس وتعرف بالرسالة رقم 247 ، و قد بعث بها إلى أحد ملاك الأرض في هيبون عرف باسم رومولوس يطلب فيها تخفيف دفع الضرائب على الفلاحين .[1]

أما في رسالة ثانية بعث بها إلى ثري يدعى بانكاريوس ، عبَّر فيها أوغسطينوس عن قلقه الشديد بشأن وضع قرويين كانوا يعملون بمزرعة محل نزاع ، معربا فيها عن خشيته من أن يقع على كاهل البؤساء ضرائب جديدة .[2]

والملاحظ أن الرسالتين السابقتين كانتا تبينا صعوبة العلاقات الاجتماعية على مستوى الأرياف المغاربية ، وبالتالي لجوء غالبيتهم إلى وسائط عديدة[3] تسهل عليهم تشدد ملاك الأراضي ، وبالتالي اتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية ، مما أدى إلى قيام ردود فعل عديدة ، وهكذا انتشرت المسيحية دينا رسميا ، وساد رمز المسيحية النصب والنقوش والبناءات العمومية و مختلف مظاهر الحياة ببلاد المغرب القديم .

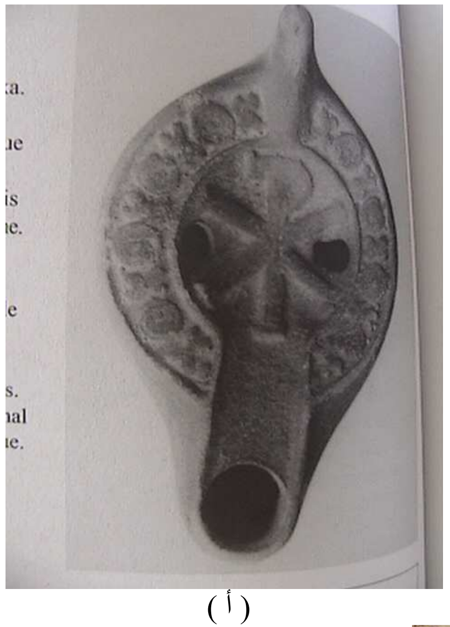
***<u>( انظر الشكل رقم ( 93 ) . ص. 464. )</u>***

---

[1] كلود لوبلاي ، المرجع السابق ، ص . 120 .

[2] كلود لوبولي ، المرجع السابق ، ص . 121 . ***و أنظر أيضاً*** : *- Serge Lancel , Saint Augustin ( La Numidie et la Société de son temps ) , éd.Ausonius , Actes du colloque SEMPAM,Bordeaux , 2005 , P. 765.. Le : 15/09/2008.* [www.ausonius.com](http://www.ausonius.com)

[3] ***<u>الوسائط في الأرياف المغاربية</u>*** : يقصد بها الممارسات الميتافيزيقية التي لجأ إليها الريفيون أمام عجزهم الإداري والقانوني الذي كان في صالح الأرستقراطيين والملاك دائما ، وفي الواقع لم يدخر القديس أوغسطينوس جهداً في محاربة بعض تلك العادات الاجتماعية ، ومنها التنجيم والعرافة والكهانة ، حيث حرم التضحية بالحيوانات عن طريق القرابين ، كما أخضع الناس لمراقبة شديدة لأن السحر كان هرطقة ، ومحل قمع ، وتوصل إلى غلق المعابد بقرطاجة نهائيا سنة 399 م ، كما بارك قانون هونوريوس سنة 408م على معاقبة الزنادقة ، وكان العرافون في أفريقيا يشهدون إقبالا منقطع النظير لحل مشاكلهم وإزالة قلقهم ، وكانت له مقولة مشهورة في ذلك مفادها : " النصراني لا حاجة له إلى معرفة ما سيكون في يوم سفره " .
***للمزيد من المعلومات انظر*** : فرانسوا دولبو ، " كفاح أوغسطين وخطبه ضد الدجالين " ، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج . 1 ، تر : محمد هناد ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003 ، ص. ص. ( 213 – 216 ) .



( أ )



( ج )



( ب )

**<u>الشكل رقم ( 93)</u> :**

**رمز المسيحية في النصب والنقوش ببلاد المغرب القديم**

**( أ ) : رمز المسيحية على مصباح من دوقة .**

**( ب ) : شاهد نذري في حديقة متحف مينارف بتبسة .**

**( ج ) : نصب يحمل رمز المسيحية محفوف بالأزهار .**

**<u>نقلا عن</u> : ( أ ) : Yann Le Bohec , Op.-Cit.,P.XLIII. ، ( ب ) : تصوير الباحثة ،**

**( ج ) : -Serge Lancel , Op.-cit. , P.42.**

### 3– الثورة الاجتماعية الريفية [1]

هي ثورة ذات طابع اجتماعي محض ، فهي كما يشير إليها المؤرخون الدينيون ثورة الريفيين الذين رفضوا المزيد من الخضوع ، وقد انتفضوا على الوضع القائم في منتصف القرن الرابع للميلاد ، فناصروا الدوناتيين ، وعرفوا في المصادر الرومانية بالدّوارين ومعنى التسمية الرجال الذين يدورون حول مخازن الحبوب فينهبونها .

وكان نشاط هذه الثورة منطلقاً من الأرياف مستهدفاً تهديم مصالح المجتمع الأرستقراطي المدني الذي كان يرى فيه الريفيون سبب شقائهم وبؤسهم ، وكان الثوار يجمعهم التجانس الاجتماعي الطبقي والتقارب في الأوضاع الاقتصادية ، وقد كانت ثورة على الطبقية . [2]

وتعود أسباب تلك الثورة إلى السياسة التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية في تضييق الخناق على المغاربة القدماء ، واحتفظت النقوش اللاتينية بإشارات عن المعارك التي دارت بين الريفيين والجيش الروماني في عهد ماكسيميانوس سنة 296 م والتي اعتبرت بداية للثورة .

ويحيط الغموض بالثورة الريفية ، إلا أن أوبطا الميلي تناول بالذكر أحداث تلك الثورة ، فذكر أن ثورة نشبت سببها رفض العمال الزراعيين في الريف النوميدي مواصلة نشاطهم لتشدد مالكي الأراضي في منح مستحقاتهم حوالي 330 م . وكانت قبائل الحلف الخماسي منتمية للثوار في إقليم نوميديا ، كذلك طبقة الدهماء أي الأحرار من الدرجة الدنيا الذين لم يتأثروا بالحضارة الرومانية وظلوا يتكلمون اللوبية والبونية إلى غاية القرن الخامس .

فكانت ثورة عبرت عن رفض الشريحة الاجتماعية الفقيرة للسلطة الرومانية المتعسفة و المتزلفين من الطبقة الأرستقراطية المالكة .

---

[1] تعرف في المصادر بثورة الدوارين ***(Circum Cellas)*** ، أي الذين يدورون حول أهراء ومطامير الحبوب ، ولها تسمية أخرى هي ثورة الريفيين ، لكن التعريف اللغوي لردة الفعل العسكرية المحلية التي تؤدي لتغييرات سياسية واجتماعية يعرف بالثورة ، ومن هنا اعتمدت المصطلح . ***راجع*** ( مادة ثار) في : مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط . 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 ، ص. 102 .

[2] كلود لوبولي ، المرجع السابق ، ص . 297 .

واستطاعت الثورة ضرب المؤسسات الإنتاجية الرومانية ، فأصبح جباة الضرائب يخشون الاقتراب من الأرياف لجمع الضرائب ، وانضموا إلى الدوناتيين فكانوا بمثابة الجناح العسكري للحركة ، وقد ساندهم القساوسة الدوانتيين و أعانوهم كثيرا .[1]

هذا وكانت أهم نتيجة للثورة الاجتماعية تتمثل في : تزايد أعداد العبيد المسرَّحين ، ومن ثمَّ تزايد أعداد الطبقة الناقمة على الوضع الاجتماعي السيئ .[2]

وانتهت الثورة الاجتماعية بانضمامهم للقائد الموري فيرموس سنة 375 م والذي وحَّد أبناء المجتمع المحلي وناهض الرومان .[3]

وهكذا لا تزال رؤى المؤرخين تتضارب حول موضوع الثورة الاجتماعية[4] لكن من الواضح أن ندرة المصادر الكتابية المعاصرة التي تتناولها بالتحليل والدراسة من حيث تبيان دوافعها وأهدافها له ما يبرره أولا بضياع الموروث الدوناتي ، وثانيا بأن الثورة اجتماعية شعبية لطبقة سوادها الأعظم أميٌّ لا يكتب وثقافته شفاهية .

وخلاصة لما سبق نجد أن المغاربة القدماء تقبلوا الديانة المسيحية كما نادى بها الحواريين ، وناضلوا من أجل انتصار ديانتهم الجديدة ، ثم اعتنقوا الدوناتية لأنهم كانوا دائما يرفضون التملق للسلطة الرومانية التي رأوا في اعتناقها المسيحية الكاثوليكية بداية لتغيير القيم السامية و تجسيداً للمصالح الشخصية .

---

[1] ***مساندة القساوسة الدوناتيين للسكان*** : في مجال الرؤية الأنثروبولوجية لا يزال لحد الآن في الموروث الشعبي في منطقة تبسة وضواحيها الريفية اعتقاد راسخ بأن فقراء المداشر والجياع يساندهم ( الرهباني ) وهو في المخيال الشعبي رجل أبيض البشرة يرتدي اللباس الصوفي الأبيض وعيناه زرقاوان وفلج الأسنان ويكثر تواجده في الأسواق الشعبية ثم لا يلبث أن يختفي بعد أن يقدم المساعدة من حبوب ومال للفقراء ، والمتمعن في تاريخ المنطقة يرى أن ليس هذا المخلوق الأقرب إلى الجان منه إلى الإنسان سوى ذلك القس الدوناتي الذي كان يجمع الدواري عنده الحبوب فيحملها في جنح الظلام إلى بيوت الفقراء ثم يختفي ، فكان الدوناتي يطبق مبادئ المسيحية كما نادى السيد المسيح .

[2] كلود لوبلاي ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 310 – 316 ) .

[3] *D.Lengrand , " L'Inscription de Petra et la révolte de Firmus " , B.A.C.T.H.S., (1990-1992) , P.- P. ( 159-170 ) .* -

[4] **موضوع الثورة الاجتماعية** : لا يزال يعد من المواضيع التي تطرح إشكالات كثيرة ، بدءا من تسميتها ووصولا بمشروعيتها ، فعند المؤرخين المعاصرين وفي مقدمتهم لوقاجي و لوبويك ولانسيل فإنهم يطلقون عليها : حركة الدوارين المارقين ، ووصولا بأهدافها من كونها حركة عصيان وتمرد ، و لكن لكل زاويته ، لكنني أجد بأنها ثورة اجتماعية ضد ظاهرة التفقر التي مارستها السلطة الرومانية في نوميديا ، وذلك بناءً على رأي المؤرخ البشير شنيتي الذي عالجها معالجة متميزة ، وكذلك رأي المؤرخ محمد الصغير غانم الذي نعت الدوارين بالريفيين المقاومين الأوراسيين .

# الفصل الرابع

# ثقافة ولغة المجتمع المغاربي القديم خلال الاحتلال الروماني

## وتطور تركيبته الاجتماعية خلال القرن السادس للميلاد

**أولا – الحياة الثقافية للمجتمع المغاربي القديم خلال العهد الروماني .**

**ثانياً – تطور النقوش والكتابة اللوبية خلال الفترة الرومانية المتأخرة.**

**ثالثاً – قراءة في أهم النقوش اللوبية المزدوجة خلال الاحتلال الروماني.**

**رابعا – تطور التركيبة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم خلال العهد البيزنطي.**

## أولا – الحياة الثقافية للمجتمع المغاربي القديم خلال العهد الروماني

### 1 – التعليم و التربية في المجتمع المغاربي القديم

استخدم المغاربة القدماء قبل الاحتلال الروماني لغتان هما : اللوبية [1] والبونية ، فكان جميع السكان يعبرون عن أنفسهم بإحدى اللغتين .

بعد الاحتلال لم تضمحل اللوبية أو البونية [2]، إلا أن اللغة والكتابة اللاتينية كانت هي الرسمية المتداولة في : المحاكم والمجالس والقرارات والمراسيم والمناقشات البلدية والمراسلات الإدارية والتجارية والاتفاقيات ، وأصبح السكان من مزدوجي اللغة ، أي أن الفرد منهم كان يتكلم باللوبية في حياته العائلية ، واللاتينية في معاملاته وعلاقاته الخارجية الرسمية ، وتدل على ذلك النقوش المزدوجة لوبية لاتينية .

كان السبب في انتشار اللاتينية هي الخدمة العسكرية التي فرضت على الشباب المغاربة ، مما جعلهم يحسنون فهم اللاتينية والتكلم بها ، وذلك كونهم قد قضى الواحد منهم سنوات في الجيش الروماني .[3]

أما عن التعليم ، فكان من الأعمال التي تشرف عليها إدارة بلديات المدن ، حيث كان يتم انتداب المعلمين الذين يقومون بالتدريس وتدفع لهم البلدية أجورهم ، إلا أن هذا كان لسكان المدن .[4]

كما لوحظ شيوع ظاهرة استقدام الأثرياء لمعلمين خاصين بأولادهم ، كما كانوا يساهمون بتقديم هبات لتأسيس مدارس في البلديات الفقيرة .

لقد أشارت بعض النقوش اللاتينية إلى ذلك ، إذ تذكر مساهمة شخصيات اجتماعية مرموقة في عملية إقامة منشآت عامة ثقافية ودينية واقتصادية مثل شخصية ، وتمثلت تلك المؤسسات الثقافية في المدارس . [5]

#### أ– التعليم الهليني في المغرب القديم

---

1 - *Lionel Galand , " Libyque et Berbère " , Sep2004 , P.1 .Sur le site : www.asays.com, le :19/07/2006.*

2 - *G.Camps , " Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie D'Hippone" , B.A.C.T.H.S. , V : 23 , ( 1990-1992) , éd. Du comité des Travaux hist. Et scien. , 1994 , P.34.*

3 - *Yann Le Bohec , Op. – Cit. , P. 162 .*

4 - *Stéphane Gsell , Op. – Cit . , T : I , P . 160 .*

5 عمار محجوبي ، المرجع السابق ، ص . 505 .

تأثر التعليم في المغرب القديم بنموذج مدرسة قورينه التي أسسها الفيلسوف أرستيوس ، فكان يرتادها طلاب من المغرب القديم ، وساهمت في قسط وافر في انتشار الثقافة الهلينية ، حيث ارتكز اتجاه التعليم نحو إبراز الثقافة اليونانية العريقة وفقا لما جاء في دستور بطليموس الذي حددت بعض مواده درجات التعليم ، فهناك :

- **التعليم الأولي**

كان ذلك النوع من التعليم عبارة عن دروس يدرس فيها التلميذ أشعار هوميروس ويتبعها المعلم بأسئلة ، و يصاحبها تدريب أولي على استخدام القوس وركوب الخيل .

- **التعليم المتخصص**

كان يتلقى التعليم المتخصص الشباب الأكبر سنا ، ويجمع بين الأخذ بآداب السلوك ومبادئ اللغة والكتابة فكان يتلقى فن الحديث ، هذا الفن الأدبي الذي تميز به المدني عن الريفي ، وكذا قواعد الإملاء والاستظهار ، وبعض المناهج البسيطة في الحساب والجغرافيا و الخطابة ، وفي المجال البدني كان الشاب يتلقى فنون استخدام السلاح والفنون القتالية .

وهناك محتشدات لتدريب الأولاد الصغار على المصارعة تحت إشراف مدرب .[1]

**ب – التعليم والطبقية**

كان التعليم في المغرب القديم خلال العهد الروماني يعكس طبقات المجتمع المدني ، فأبناء الأثرياء كانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم . وأبناء الطبقة المتوسطة يلتحقون بالمدارس وحتى بالمدارس البعيدة في المدن الأخرى ، ولا أدل على ذلك من أن القديس أوغسطين كان تلقى تعليمه في مدرسة مادور ، أما سكان الأرياف فكان من الواضح أنهم لم يتلقوا تعلميا كافيا .[2]

- **مدرسة مادور**

كان الأطفال يأتونها من المناطق البعيدة لمزاولة الدراسة فيها ، يدرس فيها أبناء الطبقة الثرية والمتوسطة ، وعرفت – على غرار المدارس في روما– المراحل الآتية:

---

[1] - *Yann Le Bohec , Op. – Cit. , P. 212 .*
[2] - *Marcel Benabou , Op.- Cit ., P. 484.*

- المرحلة الأولى

اختصت بصبيان السابعة ليتعلموا القراءة والكتابة و الحساب .

- المرحلة الثانية

اختصت بأطفال ما بعد الحادية عشر ، فكانوا يقرؤون تفاسير الكتب الشهيرة لمفكري العصور الكلاسيكية ككتب الفلسفة و الرحلات والعقيدة والقوانين والخطابة والقوائم الإمبراطورية التي كانت إرهاصات أولية لتدوين التاريخ ، إلى أن يصل الفتى إلى سن السابعة عشرة فيلتحق بمدارس العواصم الكبرى مثل قرطاجة .

وكانت تعد مدرسة مادور ذات صيت واسع أنجبت مفكرين كبار أشهرهم أبوليوس المادوري ، والقديس اوغسطين وفرونطونيوس السيرتي وترتيليانوس .

**وخلاصة لما سبق** ، فإن المعلومات المتعلقة بالوضعية التعليمية للمجتمع المغاربي من الأمور الصعبة نظرا لغياب المصادر التي تتناوله بالدراسة إذ لم تبرز النصوص قوائم من النوميديين والموريين المرتادين للمدارس ، بسبب ترومن أسمائهم ، بل إن هناك منهم من حافظ على اسمه النوميدي واختار لنفسه اسما لاتينيا .[1]

وهكذا نجد أن الثقافة المحلية انحصرت في التواصل عن طريق المشافهة لا التوثيق المكتوب .

## 2- التنوع الثقافي و اللغوي في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني

منذ سقوط قرطاجة و إلى غاية حكم أغسطس سادت ثلاث ثقافات : اللوبية والبونية [2] واللاتينية ، وتوزع تأثيرها الاجتماعي كالآتي :

- التأثير الثقافي اللاتيني : كان منحصرا في أبناء الطبقة الأرستقراطية ، وفي العهد الإمبراطوري الثالث تجاوزها إلى طبقة العامة .

- التأثير الثقافي البوني : كان متداولا بين الريفيين من النوميديين .

[1] شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق ، ص. ص . ( 261 - 263 ) .

[2] -*Ch.Courtois , " Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique " , Rev.Af. , T: XCIV , 1950 , P.-P. ( 259-282 ) .*

– التأثير الثقافي اللوبي : كان منحصرا في غير القبائل اللوبية ، غير أن الغالب عليها هو المشافهة ، كما سادت أيضا بين بعض اللوبيين المستقرين في المناطق الداخلية .

لقد أفرز ذلك التنوع الثقافي حضارة لوبية عرفت بالحضارة اللوبية الجديدة [1] وحضارة بونية مطعمة بالتأثيرات الرومانية ، ابتعدت كثيرا عن الصورة اللوبية القديمة التي عرفت منذ عهد هيرودوتس ثم سالوستيوس ، وذلك بشهادة الكم الهائل من النقوش اللاتينية التي عثر عليها في نوميديا ، وكذلك وجود نقوش لوبية صرفة تعود إلى عهد الازدهار الروماني في المناطق الريفية النائية .

هذا وقد درس علماء النقوش [2] ما عثروا عليه في كامل المغرب القديم متعمقين في قضايا كثيرة في مجال الكتابة والقيم الصوتية للرموز وأسماء الأعلام ومدلولاتها وتنظيم القبائل وديانتهم ، فوجدوا أن المجتمع المغاربي المحلي قد حافظ على لغته وعلى تواصلها ولم يسمح بضياعها في مواجهة المد الثقافي اللاتيني .[3]

**أ– النقوش ودورها في دراسة الحياة الاجتماعية خلال الاحتلال الروماني**

حفرت النقوش التي عثر عليها في المغرب القديم منذ عهد أغسطس بثلاثة أنواع من الخطوط هي اللوبية والبونية واللاتينية ، وعكس هذا التنوع اللغوي والخطي في المنطقة وجود فئة متعلمة تقرا وتكتب بهذه الكتابات .

إذا كانت اللاتينية لغة وكتابة لها قواعدها النحوية والصرفية ، فإن الكتابة البونية الجديدة ظلت متواصلة ولا يوجد إحصاء دقيق حول عدد النقوش في الفترة الرومانية على عكس الفترة السابقة التي قدرت النقوش بحوالي 2500 نقش .

---

[1] مصطلح درج استعماله عند المؤرخين الأوروبيين للدلالة على الثقافة المحلية للمجتمع المغاربي القديم خلال العهد الروماني وللتمييز بين ملامحه وملامح الحضارة اللوبية في العهد النوميدي ، وهو من حيث الدلالة التاريخية مناسب جدا للتفريق بين الحضارة اللوبية الخالصة والحضارة اللوبية المتعرضة للتأثيرات اللاتينية مابين القرنين 2م و 6م . ***أنظر*** : *Yann Le Bohec , Op. – Cit. , P . 246 .*

[2] ***علماء النقوش*** : هم الباحثين الذين حققوا النصوص النقوشية اللاتينية والبونية واللوبية ، أما بالنسبة للنقوش اللاتينية فقط فهم كثيرون ونذكر على سبيل المثال : ستيفان جزال و إرنست مارسيي الضليعين باللاتينية ، وأما البونية فنذكر بيرتيي ، واللوبية نذكر فيدارب وروبو وشابو ، وهؤلاء ساهموا بقسط وافر في التعريف بالواقع اللغوي في المغرب القديم عبر تاريخه الطويل .

[3] *- Yann Le Bohec , Op. – Cit. , P . 162 .*

أما النقوش اللوبية فقد قدرها شابو بحوالي 1100 نقش ، ثلثيها نقوش لوبية صرفة تعود إلى العهد الروماني .

– **أنواع الكتابة اللوبية في الفترة الرومانية**

انقسمت الكتابة اللوبية في فترة الاحتلال الروماني إلى أربعة أنواع[1] هي على الترتيب من ليكسوس إلى تاكاب ( قابس حاليا ) :

1/الكتابة اللوبية الماصيصيلية الغربية : نقوشها ما بين طنجاي وفولوبيليس .

2/الكتابة اللوبية الماصيصيلية الشرقية : نقوشها ما بين كارتيناي ( تنس) وإيومنوم ( تيقزيرت) .

3/الكتابة الماصيلية : تمتد ما بين تيقزيرت إلى توبورسيكوبور ( تبرسق) والجم .

4/ الكتابة الجيتولية : تمتد ما بين جنوب فولوبيليس إلى جنوب تاكاب ، وهي التخوم الصحراوية والصحراء حيث كان الجيتول يتنقلون ، وهي المعروفة في المصادر بالكتابة التيفيناغية .[2]

تجدر الإشارة هنا إلى وجود رموز نقوش جزر الكناري وهي رموز كتابية لوبية متميزة .[3] *( انظر الخريطة رقم (29) . ص .473 )*

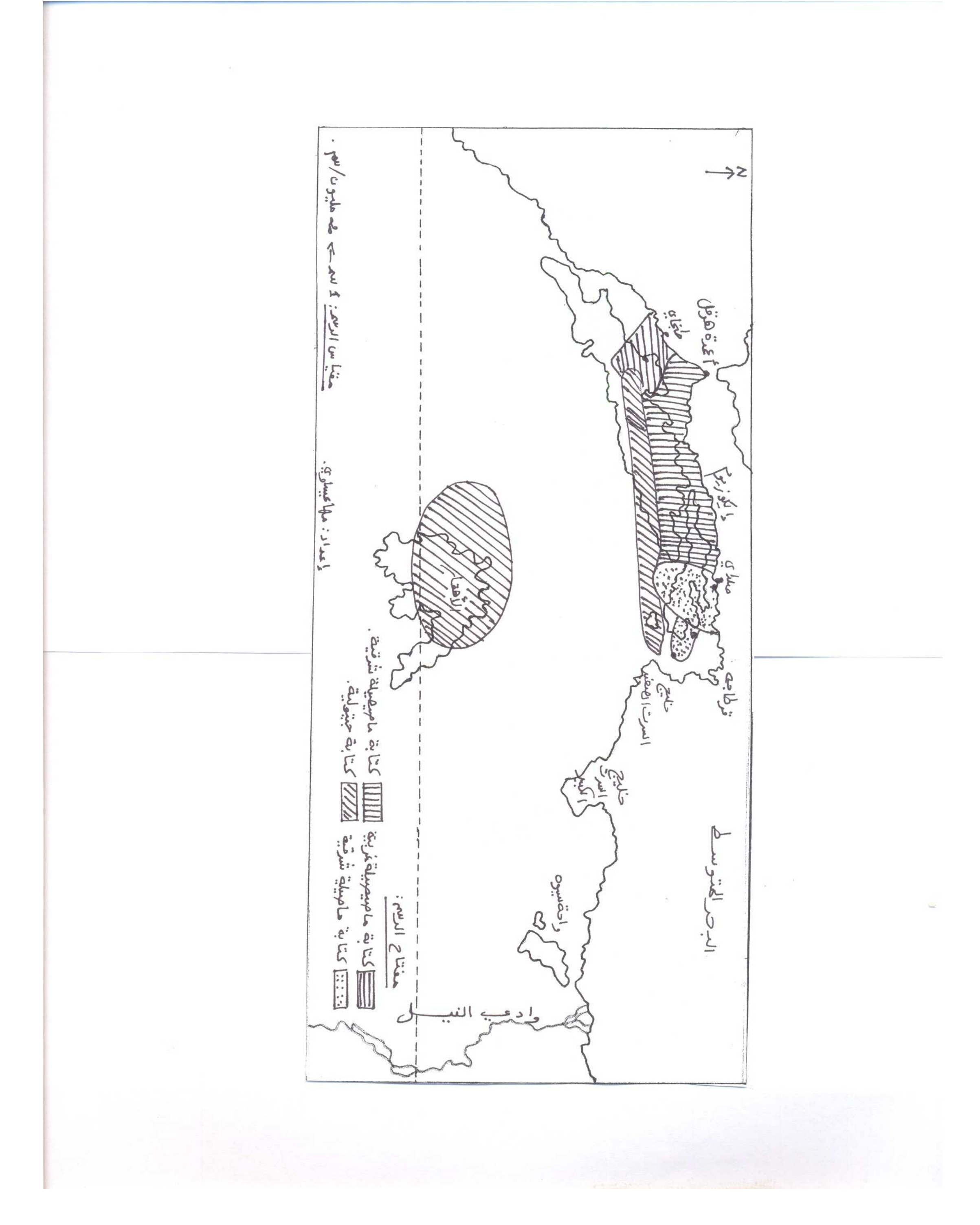
أما النقوش اللاتينية فقد تم إحصاء 50 ألف نقش في كامل المغرب القديم ، جلها مرتكز في المثلث الشمالي الشرقي للمغرب القديم ( البروقنصلية ونوميديا) ، وهي ثروة مصدرية مادية قد تضاهي تلك الموجودة في شبه الجزيرة الإيطالية .

---

[1] - Lionel Galand , " Les Alphabets Libyques " , Ant.Afr. , T: 25 , 1989 , P. 72.

[2] ***الكتابة التيفيناغية*** : هي نوع متطور من الكتابة اللوبية ، **أنظر** : - Lionel Galand , " Le libyque et les Tifinaghs " , P.1 .Sur le lien : http://www.chez.com/asafu/dossiers/libyque.htm , Le : 18/07/2006.

[3] - Vincent-Mansour Monteil ," Les Berbères aux Canaries " , Ency .Bér., T : II , éd.Edisud , Aix-en-Provence , 1984 , P.P. ( 61-76 ) .




**الخريطة رقم ( 29 ) :**

**مناطق انتشار الكتابة اللوبية في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني**

كما تم إحصاء 600 نقش يحتوي على نصوص كاملة واضحة المعاني ثرية الأفكار جيدة التحرير ، استشف المؤرخون منها المستوى اللغوي الذي كانت عليه اللاتينية من حيث محتوى النص ومستوى النقش ، وهي ثرية ومتنوعة منها مثلا النقوش البلدية بتاموقادي ونقوش كويكول ونقوش مادور وغيرها كثير .

لقد أفادتنا النقوش اللاتينية بأسماء أعلام متنوعة تعكس مقدار تقبل المواطنة في كل منطقة ، وقد بقي الكثير من الناس مخلصون لأطر الحياة التقليدية ، فظل الشعب قبليا ، وقد ألفت السلطة الرومانية هذا الوضع ، فكان لكل قبيلة ضابط روماني .

تعرضت الحضارة اللوبية الجديدة لتأثيرات ساميَّة بفعل العلاقات مع البونيين بالنسبة للمجال الجنائزي في نوميديا إذ نجد أضرحة وقبور وآبار دائرية من التومولوس والبازينات ظل يستخدمها الريفيون فضلا عن النواويس الرومانية المستطيلة ، كما أن آلهة باجا المحلية كانت دليلا آخر على محافظة أولئك الريفيين على تواصل الديانة البونية عندهم .

على كل ، فرغم صعوبة تحديد ملامح الإرث اللوبي في العهد الروماني – لأن المجتمع المحلي لم يترك سوى آثار قليلة في مجال اللغة نظرا لانتشارها في مناطق دون غيرها – فإنه من المؤكد أن استخدام اللاتينية عند الريفيين والبدو كان محدوداً جدا .[1]

هكذا ، فالحضارة اللوبية الجديدة حافظت على نظامها القديم وتقاليدها الاجتماعية والدينية ، كما أنَّ الأدباء الأفارقة كانوا مزدوجي الثقافة فإلى جانب حذقهم اللغة اللاتينية ولإبداعهم فيها ، فقد أتقنوا لغة آبائهم ودليل ذلك تلك النصوص المدرجة في كتاباتهم الموحية باعتزازهم بأصولهم ، مثل أبوليوس وفرونتونيوس وترتيليانوس وأوغسطينوس .[2]

---

1 - *Mansour Ghaki , " La répartition des inscriptions Libyques " , REPPAL , T: IX , éd.Institut Nationale du Patrimoine , Tunis , 1995 , P. 107.*

2 - *Laurence Roger , " Romain Narratives " , Archéological Dialogues , T : VIII , V : II , British Archeological Repport , London , 2001 , P. 90 .*

## ثانياً – تطور النقوش والكتابة اللوبية خلال الفترة الرومانية المتأخرة

### 1 – أنواع النقوش اللوبية

#### أ- النقوش المزدوجة لوبية – لاتينية

قدم القديس أوغسطينوس معلومات قيمة عن المزارعين المتواجدين بناحية هيبوريجيوس ، فذكر أنهم كانوا يتكلمون لغة عرفت بالبونية خلال القرن الرابع للميلاد ، ويمكن أن يكون المقصود بها هو اللغة اللوبية وليس البونية ، و قد استدل المؤرخون على ذلك أثناء التنقيبات الأثرية المتعاقبة في المنطقة التي تعود لتلك الفترة ، ونقصد هنا مجموعة النقوش اللوبية الصرفة التي عثر عليها، وتعود إلى تلك الفترات .[1]

**– تعريف نقوش الفترة المتأخرة**

تعد النوع الثالث المتطور من النقوش اللوبية ، و يعتبر ذلك النوع من النقوش الأكثر انتشارا في المغرب القديم ، استخدمت إلى جانب اللاتينية في المعاملات الرسمية ، وهذا يعني أن الكتابة اللوبية لم يخبُ أوار تداولها .

إن البحث في النقوش المزدوجة لوبية – لاتينية يطرح قضايا عديدة أهمها إثبات الهوية المحلية من خلال تواصل استخدام الكتابة اللوبية في المناطق الريفية النائية .[2]

#### ب – النقوش الصرفة في إقليم نوميديا

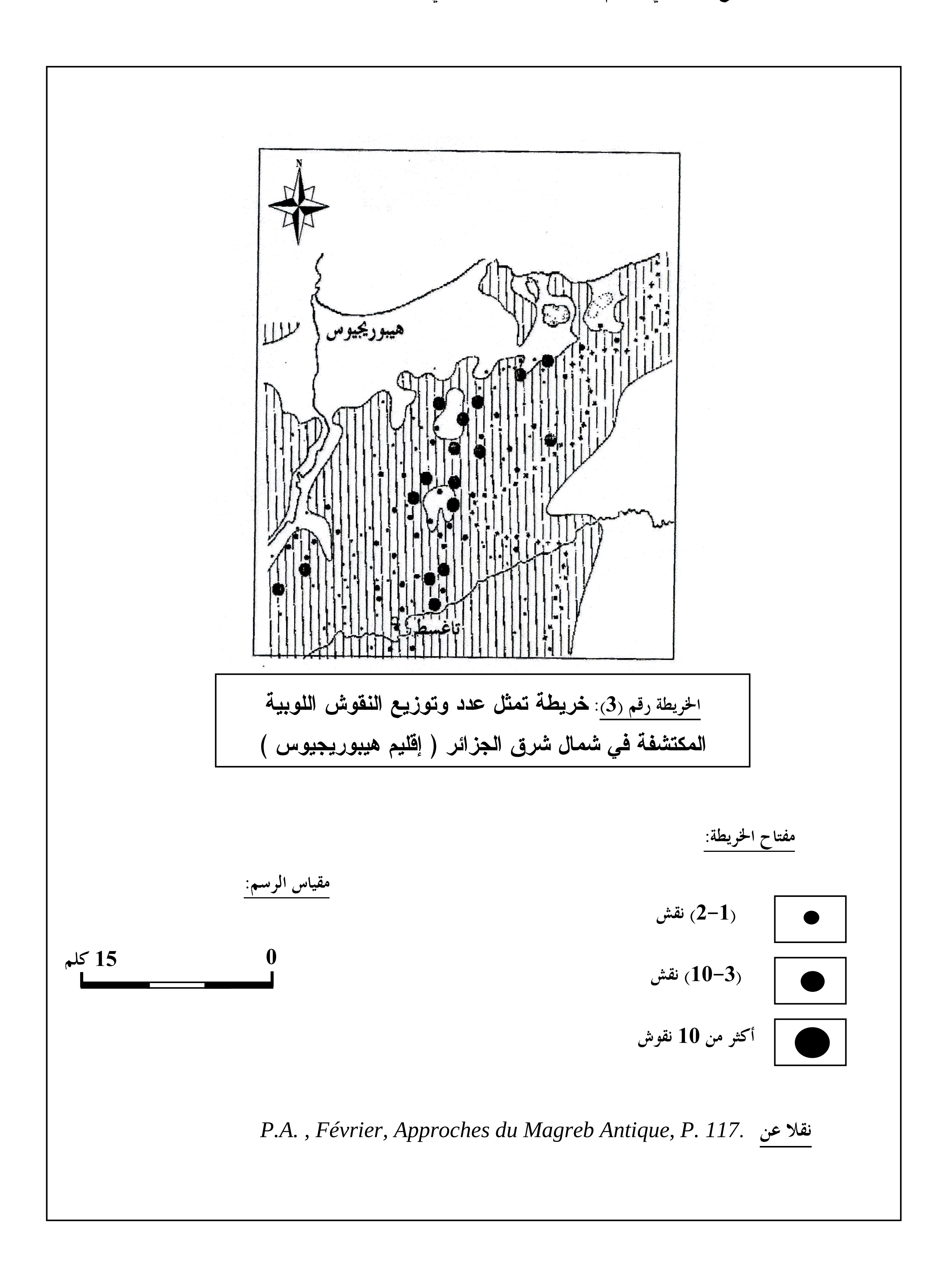
تعرف أيضا بالنقوش وحيدة الكتابة ، وهي غالبا نصوص لوبية صرفة يتضمنها النقش ، وهي منتشرة بتركيز في منطقة نوميديا ***( راجع الخريطة رقم ( 30 ) . ص . 476 ) .***

لقد بدأ الاهتمام بالنقوش اللوبية في ضواحي نوميديا من قبل البـــاحثين خـــلال النصف الثاني من القرن 19م ، وقد استطاع الأب شابو أن يحصي في " مدون النقوش اللوبية " تعداد النقوش في الولايات الحالية التي كانت تشكل نوميديا سابقا .

من أمثلة ذلك أنه في منطقة أم البواقي أحصى شابو 19 نقشا مثبتة من الرقم ( ***804 – 822*** ) منتشرة في هنشير بير بوعمار وسيدي عباسي وبرج القصر وعثر

[1] كلود لوبولي ، المرجع السابق ، ص . 119 .

[2] - *Mansour Ghaki , Op.-Cit. , P. 106.*




الخريطة رقم (3): **خريطة تمثل عدد وتوزيع النقوش اللوبية المكتشفة في شمال شرق الجزائر ( إقليم هيبوريجيوس )**

نقلا عن *P.A. , Février, Approches du Magreb Antique, P. 117.*

عليها من طرف الضابط لوجار ومشتى شعبة الماء وأولاد خالد وعين طاقزة .[1]

وفي منطقة تبسة أحصى 8 نقوش مثبتة من الرقم ( ***621 - 629*** ) ، وهي لها نماذج نسخية من مجموعة ماسكيري ( ***Masqueray*** ) ، كان قد عثر عليها في سيدي عبد الله بمرسط ( فاسامبوس في العهد الروماني ) وعين شابرو والعقلة وثليجان وبير العقلة وهنشير بوراوي في الشريعة وبحيرة لرنب قرب تازبنت وهنشير بوسكيكين وهنشير لعوابدية .

أما في بازيليكا تيفست ، فقد عثر على بعض النقوش لكنها نقلت وضاعت ولم يبق منها سوى نسخ منقولة عن الصور الأصلية ، ومن المحتمل أن يكون بعض تلك النقوش قد أتلف أو لا يزال في مواقعه الطبيعية بكرا لم يكتشف بعد ، ولكن الثابت هو أنها نقوش عثر عليها في مناطق ريفية ظلت محافظة على لهجاتها المحلية .[2]

## 2- مضامين النقوش المزدوجة

احتوت النقوش المشار إليها آنفاً على نصوص مزدوجة الأولى لاتينية واضحة المعاني جنائزية الطابع قليلة الأسطر ، والثانية نصوص لوبية قصيرة الأسطر تنتمي إلى نوع الكتابة الماصيلية الشرقية ، بالإضافة إلى علامات ورموز تصويرية ذات طابع ديني ، وأخرى خالية من أي دلالات دينية .

ومن أهم النقوش تلك التي عثر عليها في إقليم الشافية بالطارف ، وتتميز بثراء نصيها اللوبي واللاتيني .

كما انتشرت تلك النقوش في نوميديا وشمال غربي البروقنصلية في المناطق المعروفة حاليا بالحدود التونسية الجزائرية و عنابة وقالمة سيقوس وعين مليلة وسدراتة .[3]

---

[1] - *Stéphane Gsell , Atlas Archéologique de l'Algérie , T : I , F:28.*
[2] - *J.B.Chabot , Recueil des Inscriptions Libyques ,p.X.*
[3] - *J. Halévy , " Tableau général des localités ou l'on a découvert des inscriptions Libyques " , Rec . de Cne. , 1875 ,P. 58 .*

**أ – ظاهرة رومنة أسماء الأعلام في النقوش اللوبية المزدوجة**

إن أول ملاحظة يمكن تسجيلها حول النقوش اللوبية المزدوجة هي ظاهرة أسماء الأعلام المُرَوْمَنَة في النصوص اللاتينية ، واختلافها اختلافا جذريا في النصوص اللوبية من حيث المدلول والمعنى ، وهي واسعة الانتشار في النقوش المزدوجة ، مما يدعم من فرضية اكتساب الفرد النوميدي لاسمين ، فالمصادر المادية أوحت بذلك دون أن تؤكده ،[1] فعلى سبيل المثال ، إن النصوص التي تحتوي على إشارات دالة على ترومن الطبقة الأرستقراطية ، فإنما تشير بوضوح إلى المرتبة السياسية التي وصل إليها الأثرياء ، أما السكان المحليين فإنهم أقبلوا على الرومنة لحل مشاكلهم الإدارية مع السلطة الرومانية ، فلم يجدوا ضيرا من اتخاذ أسماء رومانية .

هكذا تسمَّى المغاربة القدماء بالأسماء الرومانية ، ودوَّنوها في نقوشهم الجنائزية ، كما دوَّنوا أسماءهم المحلية ذات الأصل اللوبي ، وهذا يعني أن لكل فرد اسمين الأول اسم في الوثائق الرسمية والثاني اسمه المتداول في حياته اليومية .

من الواجب الحذر أن ننوه هنا في النقوش عند البحث حول مسألة " الرومنة والترومن " عند الأشخاص ، للدلالة على التغيرات الحضارية التي عاشها المجتمع إبان الاحتلال الروماني ، لأنه لا يمكن معرفة ما إذا كان الشخص قد عاش فعلا مترومنا ثقافيا أو مرومنا في السجلات الإدارية فقط ؟

كما أن المفهوم المشار إليه آنفاً لم يكن ليشمل السكان الذين أعلنوا الولاء المطلق للسلطة الرومانية بل شمل أبناء المجتمع المحلي ، ففي عهد الأنطونيين كانت الرومنة مقتصرة على الأوراس ، وفي عهد السويريين كانت الرومنة متجددة في الأوراس وشاملة لمناطق كثيرة .[2]

فالرومنة – حينذاك – ليست حركة حضارية بقدر ما كانت حركة إدارية ، إذ مثلت من المنظور الروماني صورة عن نمط الحياة البلدية وتطبيق النظام البلدي في

[1] في إطار رصد المقاربات التاريخية الأنثروبولوجية : لا يزال لحد الآسكان الأوراس والنمامشة يتخذون اسمين أحدهما يدوَّن في الوثائق الرسمية ، والثاني ينادى به من طرف أفراد أسرته ومعارفه المقربين .

[2] *- Yann Le Bohec , Op. – Cit. , P . 162 .*

المدن ، ومن هنا فإن الاعتقاد بترومن السكان من خلال رصد أسماء الأعلام المترومنة ليس دلالة على الترومن الحضاري .

على كل ، فقد حافظ الكثير من المغاربة القدماء ضمن أسمائهم الثلاثية على اسم ذي أصل نوميدي أو جيتولي ، ومن خلال إحصاء أسماء الأعلام الواردة في النقوش اللاتينية فإن هناك 300 اسم من أصل لوبي مثل كتبت باللاتينية على النحو الآتي : ( Gildo , Zautum , Aptan,Chinidal ,Massiran ) وهي باللوبية ( كنديل ، يفطن ، زرتن ، جلد ، مسيرن ) ومن أسماء النسوة الشائعة في البروقنصلية ( بيبيا ) ، كما هناك أسماء ذات أصل بوني مثل : ( صفن ، بعل ) .[1]

كما تداولوا أسماء ملوكهم مثل يوبا وجودا وجايا وغلوسن وماسينيسا .[2]

## ***<u>3 - التوزيع الجغرافي للنقوش اللوبية</u>***

*اعتبرت نوميديا من أكثر المناطق التي تحتوي على النقوش اللوبية المزدوجة ووحيدة الكتابة ، ويمثلها حالياً الإمتداد الجغرافي الذي يبدأ من شمال غرب البروقنصلية ما بين دوقه وماكتاريس وسيكا ، ومنطقة نوميديا الشرقية حيث مناطق قبائل الماصيل ما بين هيبوريجيوس و تاغسط وتيفست و كالا وإقليم سيرتا .*

*أما التوزيع الحالي للنقوش اللوبية فلا يخرج عن المناطق الآتية :*

– <u>منطقة دوقه</u> : قدرعدد النقوش مزدوجة الكتابة ( لوبية – بونية ) بحوالي 03 ، وعدد النقوش وحيدة الكتابة ( لوبية ) بنحو 18 نقشاً .[3]

– <u>منطقة سدراتة وتبسة</u> : 1 نقش ( لوبي – لاتيني ) ، و10 نقوش وحيدة الكتابة .

– <u>منطقة سيقوس وعين مليلة</u> : 23 نقش وحيد الكتابة ، و1 نقش ( لوبي – بوني ) .

– <u>منطقة عنّابة وقالمة</u> : 2 نقشان مزدوجا الكتابة ، و138 نقشاً وحيد الكتابة .

– <u>منطقة الشّافية ( القالة )</u> : 134 نقشاً وحيد الكتابة ، و9 نقوش مزدوجة ( لوبية – لاتينية ) .

---

1 - *Gabriel Camps , " Liste Onomastique Libyque d'après les sources Latines " , REPPAL , T : VIII , Institut National de Patrimoine , Tunis , 1993 , P . 41 .*
2 - *Ibid , P . P . ( 54 – 57 ) .*
3 - *Mansour Ghaki ,Op.-Cit. , P.105.*

نستخلص مما سبق ، أن منطقة الشافية تعد من أكثر المناطق في الجزائر التـــي تحتوي على هذا الكمّ الهائل من النقوش ، ولذلك فإنّ دراستنا ستنصب على أحد النقوش المكتشفة في الشافية ، والذي عرف نسبة للمكان الذي وجد فيه. *( انظر الخريطة رقم (31 ) . ص . 481 )*

## ثالثاً – قراءة في أهم النقوش اللوبية المزدوجة خلال الاحتلال الروماني

### 1– دراسة أثرية لنقوش الشافية

#### أ – خصائص نقوش منطقة الشافية

تتميز نقوش منطقة الشافية عن غيرها من نقوش المواقع النوميدية بما يلي :

**1**– غزارة المحتوى :

بالمقارنة مع بقيّة النقوش المكتشفة في الجزائر، إذ أنّ نقــوش الــشافية ثريـــة بالمشاهد التّصويريّة والرموز الكتابيـــة ، وهذا جعلها ذات قيمة أثرية وتاريخية كبيرة

**2**– سهولة فكّ رموز النّقوش :

يتعـــلّق هذا بفك الرموز الكتابية للنص اللّوبي من خلال النّص المصاحب له – من الكتابـــات القـــديمة الرَّســـميّة – في مربّع النّقيشة مما يسهل فهم معانيها بدقة .

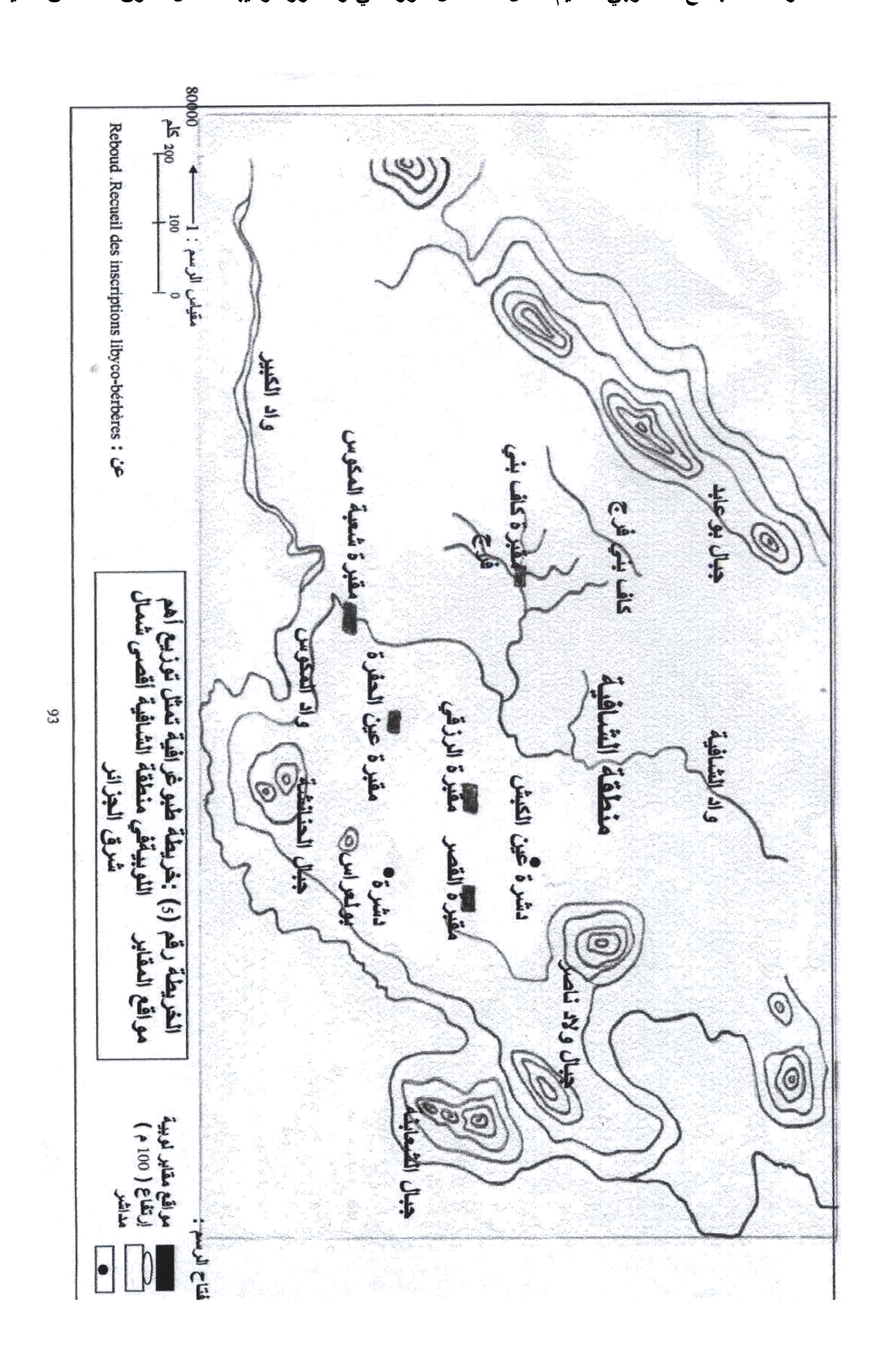
لأجل هذا ، نعتبر النقوش اللوبية المـــصدر المـــاديّ الوحيـــد الـــذي أفادنـــــا باستمرارية الكتابة واللغة المحليّة بين سكان بلاد المغرب القديم من النوميديين الريفيين خلال مرحلة الاحتلال الروماني .

#### ب – مراحل دراسة النقوش اللُّوبيّة من خلال نماذج نقوش الشَّافية

اعتمدنا في مراحل تحليل النقش على الخطوات الآتية :

– **عنوان النـــقش** :

تعتمد المرحلة الأولى في عملية تحليل الـــنقوش على إعطاء تسمية للنقش ، إما نسبة للمكان الذي عثر عليه فيه كنقش الشافية ، أو نسبة لرقمه المدوّن به في التَّقارير الأثرية ، أو المصنَّف به في سجل التصنيف الأثري الذي يتم وضعه خلال عمليّة




<u>نقلا عن</u> : **مها عيساوي ، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم ، ص. 193.**

التَّنقــيب ، كـــأن نقول نقش رقم 151 من " مجمع النقوش اللوبية " للأب شابو ، ويرمز له اختصارا بالآتي ( **R.I.L.** ) .

**– <u>وصف النقش</u> :**

يتم وصف النقش بتقديم عرض خارجي للنَّقش المراد دراسته من طول وعرض وارتفاع ، ونوع الحجر الذي نقش عليه ، والمكان الذي عثر عليه فيه ، ومكتشفه إن وجد .

**– <u>دراسة النّص اللوبي</u> :**

يشمل الخطوات الآتية :

– إعادة كتابة النص اللوبي مع مراعاة الحروف الضائعة بفعل الكسر أو التشويه .

– وصف أنواع المشاهد التصويرية في النَّقش – إن وجدت – .

– تحليل النّقيشة الكتابية .

– تصنيف نوع النص بحسب أنواع الكتابات اللوبية ، واتجاهات الكتابة – مثلاً إذا كان النص من اليمين إلى اليسار ، أو العكس ، أو من الأسفل إلى الأعلى – .

**– <u>ترجمة النص حرفيا</u> :**

يكون ذلك بوضع المقابل من الحروف اللوبية بما يقابلها من الحروف العربيّة وفقاً لجدول الأبجديات المقابلة ، ثمَّ وضع بعض الملاحظات حول طريقة الكتابة والمعنى العام .

**– <u>ترجمة النّص المصاحب للنص اللُّوبي</u> :**

سواء أكان بونياًّ أو بونياًّ جديداً أو لاتينياً ، في حالة أن النقش مزدوج الكتابة ( رسميّة – محلّية ).

**– <u>المقارنة بين النَّصين</u> :**

في النقوش المزدوجة تتم مقارنة النص اللّوبي بالنّص المصاحب له لفكّ غموضه ، ووضع ملاحظات حول طريقة كتابته ومعانيه ، واستنتاج ما يفيد في التعرف على جوانب من حياة المجتمع النوميدي وثقافته .

## 2 – نقش كاف بني فرج ( دراسة أثرية )

### أ– تعريف ووصف النقش

**– تعريفه :**

هذا النقش من النقوش المزدوجة ( لوبية – لاتينية ) ، وهو من أشهر نقوش المنطقة حيث يتميّز بثراء نصيّه ، ويشكّل إلى جانب نقش عين الحفرة رقم ( 252 )[1] و النقشين رقم ( 288–289) من أعمال شابو[2] ، وثائق لوبية هامة تعود إلى الفترة الرومانية . *( انظر الشكل رقم ( 94 ) . ص . 484)*

**– وصفه :**

– يسمّى أيضاً نقش كاف بني فرج نسبة للهنشير الذي وجد فيه .

– يحتوي على أطول نص لاتيني متكوّن من 8 أسطر ، ونص لوبي يتكون من4 أسطر عموديّة .

– يقدّر ارتفاع النصب ( 1.45 م ) ، وعرضه ( 35 سم ) ، وتمّ نحته من حجارة جبليّة .

### ب – تحليل النقش

**– ملاحظات حول النص اللوبي**

تمّت قراءة النص وفقاً لجدول الكتابة اللوبية العمودية ، والجدير بالذكر أنّها تقرأ من الأسفل إلى الأعلى ومن اليسار إلى اليمين ، وقد تمّ وضع الفواصل بين الكلمات بحسب كلمة ( و ) التي تعني ( ابن ) ، ويقرأ كالآتي :

– السطر الأول : مزبـــه .

– السطر الثاني : مسكره صرمه .

–السطر الثالث : مس بن منكده .

–السطر الرابع : كطه بن مسولت .[3]

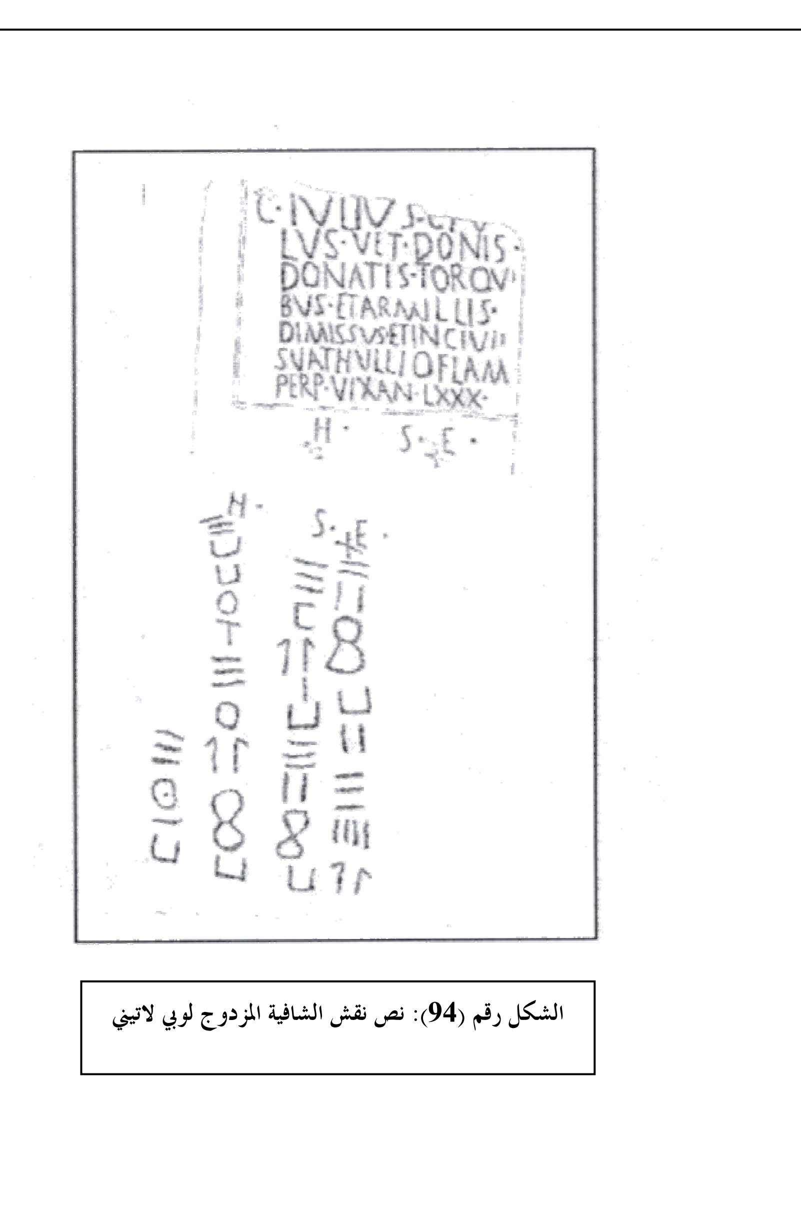
ويقصد بذلك : السيّد مزبه بن كطه ولد مسولت رئيس قبيلة مسكره .

---

[1] - *J.B.Chabot , Op.-Cit. , P .69 .*

[2] - *Ibid , P. 61* .

[3] - *Ibid , P. 37.*




الشكل رقم (**94**): نص نقش الشافية المزدوج لوبي لاتيني

نقلا عن: *J. , B. , Chabot , op-cit. , P . 37.*

نستنتج من قراءة النص أنه يزخر بأسماء الأعلام ، مثل كطه و مسولت إلاّ أنها غريبة ومجهولة المعاني ، ولم تعد متداولة كبعض الأسماء التي لا تزال تفرض نفسها الآن كبغاي و زيناي ، كما يحتوي النص على اسم قبيلة مسكره ، وبإضافة الحروف المتحرّكة نقرؤها ميسيكيري ، وكانت هذه الأخيرة تنزل بمنطقة الشافية ( على الحدود التونسية – الجزائرية ) ، وهي من أشهر القبائل النوميدية التي حاربت الوجود الروماني في المنطقة ورفضته .

– **ترجمة النص اللاتيني**

| | |
|---|---|
| – *السطر الأول : C . IVLIVSGL* | *- Caius Julius Gaetu-* |
| – *السطر الثاني : LVSVETDONIs* | *- lus, veteranus , donis* |
| – *السطر الثالث : DONATISTORQUI* | *donatistorqui* |
| – *السطر الرابع : BUS ET ARMILLIS* | *bus et armilis* |
| – *السطر الخامس :DIMISSVS ET IN CIVIT* | *dimissus et in civitate* |
| – *السطر السادس : SVA THULLIO FLAM* | *sua Thullio flamen* |
| – *السطر السابع : PERP VIX ANN LXX* | *–perpetuus, vixit annus 80 ( octoginto)* |
| – *السطر الثامن : H S T* | *hic situs est* |

من خلال النص اللاتيني كان بالإمكان معرفة المزيد عن هويّة صاحب النصب ، ونترجمه كالآتي :

1 – كايوس جوليوس جايتولوس .

2 – أهدي له وسام .

3 – وأُعْطِيَته قلادة .

4 – واستفاد من أساور

5 – يعتبر مواطناَ هاماً .

6 – في مدينة تولاّ .

7 – يخلد بعد أن عاش 80 عاماً .

8 – يرقد في هذا المكان .

– **ملاحظات**

يفسّر اللغويون اسم " جايتولوس " باسم " جايا" أحد أسماء الأعلام اللوبية أصيلة المنطقة ، والمتتبع للأسماء الرومانية يجد ان الاسم الثالث هو نسب القبيلة ولعله من الجيتول الذين استوطنوا في الشمال وظل وفيا لأصله الجيتولي .[1]

وقد توفي وحظي بتكريم يتمثل في إهدائه بعض الحلي ووسام شرف ، وهو من أعيان مدينة تولا والتي هي كاف بني فرج في الشافية ، ويبدو أنّ هذا الرجل كان يدين بتعدد الآلهة بدليل أن النص يفتتح بـــ **(DMS )** أي ( روح الآلهة المقدّسة ) ، وينتهي بـــ **(HSE )** وتعني ( إنه يرقد هنا ) .

وبناءً على ماسبق نستنتج مايأتي :

1/وفرة النقوش اللوبية على قاموس مندثر من أسماء الأعلام اللوبية ، ونذكر بعــضها مما تم إحصاؤه في نقوش أخرى مثل ( ندرمه ، زينان ، باغاي ، منجي ، مسوه ) [2].

2/التعرف على بعض الحرف المتداولة في تلك الفترة مثل النجارة والحــدادة والبنـــاء الحجري والهندسة ، ونظام توريثها لأبناء الأسرة الواحدة ( كما دلّت عليــه النقــوش المزدوجة مع البونية في نقش دوقه ) .

3/تقديس الحياة الآخرة بإقامة الأضرحة الجنائزيّة للملوك ، والنصب الفاخرة للطبقــة النبيلة .

4/تمجيد المتوفي ، وذكر أهله ونسبه ومكانته ( سيد أو مواطن أو من العامة ) .

### 3– نقش سيدي جـــاب الله في الشافية

تعد منطقة سيدي جاب الله من المنطق التي حظيت باهتمام الباحثين عن النقوش الموجودة على مستوى المقابر اللوبية بمنطقة الشافية ، تلك الأخيرة قدمت لنـــا نمـــاذج كثيرة من نقوش لوبية مزدوجة ووحيدة الكتابة ، ويقع بالقرب من منطقة عين الحفرة .

***( انظر الشكل رقم ( 95 ) . ص . 487 )***

---

1 - *Gabriel Camps , Massinissa … , P. 157 .*
2 - *J.B.Chabot , Op.-Cit .P.xix.*









**الشكل رقم ( 95 ) :**

**آثار متفرقة عثر عليها في موقع هنشير ديار الجدري بالشافية**

**تصوير : الباحثة .**

لقد أشار المؤرخ جزال إلى مناطق كثيرة في الشافية ، لكن على ما يبدو أنه لم يشر إلى واحة سيدي جاب الله ، رغم أن تسميتها تعود قديمة . [1]

**أ – بطاقة تقنية لنقش غير منشور**

– التعريف بالقطعة الأثرية : نقش جنائزي من حجارة كلسية .

– النوع : نقش لوبي وحيد الكتابة . ( **أنظر الشكل رقم ( 96) ، ص .** )

– المنطقة المكتشف فيها: زاوية سيدي جاب الله ببلدية واد الشافية بالطارف .

– التصنيف : نقش لوبي غير منشور ، وهو غير مصنف في الدواوين[2] – تاريخ الاكتشاف : 2009/08/06 . الساعة : 15.06 .

– **وصف الموقع** : هو واد ضيق وجاف يعرف بهرية الزعرورة ، وهو جزء من هنشير ديار الجدري [3]، والنقش اللوبي عثر عليه في مساحة تقدر بحوالي 200 م2 ، وتنتشر فيها قطع أثرية عديدة ، ورغم أنه قد تم العثور عليه ضمن دائرة شملتها عملية البحث الأثري المنظمة في الآونة الأخيرة ، إلا أنه لا توجد إشارات حول وجود نقوش لوبية في منطقة الشافية [4].

---

[1] ***للمزيد من المعلومات انظر*** : St.Gsell , *Atlas … , F.10, P.P. ( 2-3).* -

[2] *- Ibid. , P. xx.*

[3] لم يتم ذكره عند شابو ، وقد بحثنا حول إمكانية تطور التسمية فاتضح أن أسماء الهناشير لا تزال للآن مثل كاف بني فرج ، ***أنظر*** : *- Ibid , P.243.*

[4] ***مشاريع البحث الأثري المعاصرة في الشافية*** : رغم عمليات البحث الأثري العلمية المنظمة في المنطقة إلا أنه لا يوجد إحصاء حول وجود النقوش اللوبية ، حيث تم إعداد مشروع لوضع خريطة جديدة أثرية للشرق الجزائري من طرف وزارة الثقافة وجامعة تورينو بإيطاليا وفيما بين ( 2003–2007 ) تم اكتشاف مركزان لإنتاج أدوات ما قبل التاريخ ومقبرتان ميغاليتيتان تحتوي على تومولوس وبازينة ، و653 قطعة حجرية ، ولم تذكر مديرة المشروع ماريت دوفوس أية إشارة عن نقوش لوبية أو آثار نوميدية . هذا وتجدر الإشارة أنه أثناء أشغال الطريق السيار في بلديتي الزريزر والبسباس في عنابة ظهرت نقوش لوبية ، إلا أن المنطقة خطيرة جدا بسبب الاستخدام المتكرر للمتفجرات في فتح الطريق ، وكذا تمشيط الدرك الوطني للمنطقة بحثا عن الألغام سمح بحرث الأرض وخروج بعض النقوش منها ، ونستنتج من ذلك أنه لا توجد عمليات بحثية أثرية منظمة للبحث عن التراث الأثري للفترة النوميدية وإنما جل الاهتمام فهو منصب على الفترة الرومانية .

***للمزيد من المعلومات أنظر :***

*- Mariette Devos , Projet de carte Archéologique de l'Est Algérien ( 2003-2007), Laboratrio di Archeologia e Scienze Affini , Trento ,P. 3 .Sur le lien : http://lasa.let.unitn.it.Le:05/05/2009*



( أ )



( ب )

**الشكل رقم ( 96 ) :**

**وجه وظهر نقش غير منشور من منطقة سيدي جاب الله بالشافية**

**تصوير : الباحثة بتاريخ : 2009/08/06.**

- **تاريخ منطقة الشافية :**

هي منطقة تقع على دائرة عرض 36.71 درجة شمالا ،

تحتوي منطقة الشافية على مقابر لوبية ، تعد من المناطق النوميدية الريفية ، مارس سكانها الزراعة ، وحظيت باهتمام كبير من طرف الطبيب فيكتور روبو الذي اهتم بدراسة نقوش مقبرة شعبة المكوس واهتم كثيرا بدراسة لوترنو وهاليفي في مجال فك الرموز ومقارنتها مع نقوش اخرى.[1] ***( انظر الشكل رقم ( 97) . ص . 491 )***

**ب- تحليل النقش**

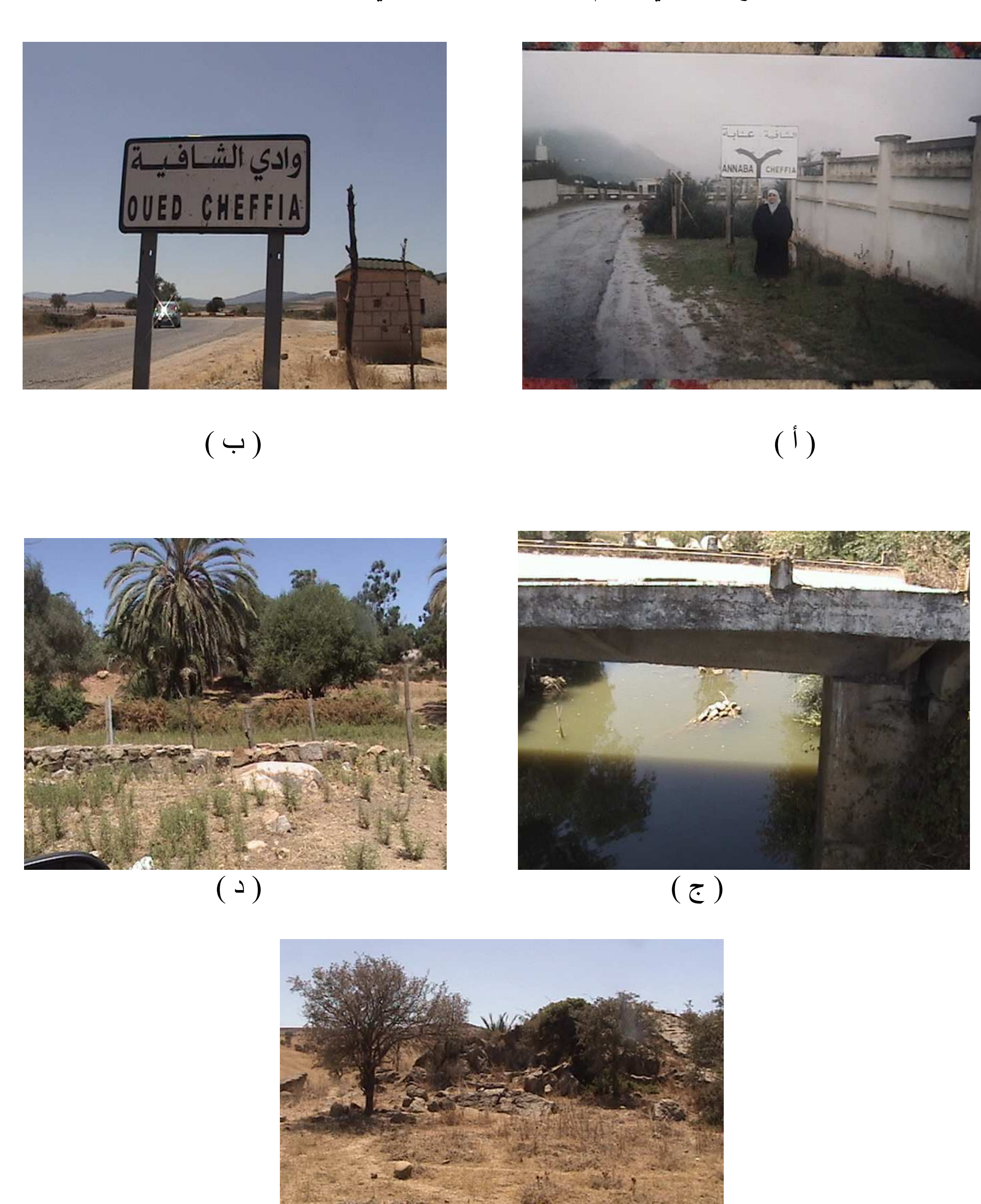
**- وصف النقش ومضمونه :**

يحتوي النقش على نص وحيد الكتابة مؤلف من سطرين ، يقرأ من اليسار إلى اليمين ومن الأسفل إلى الأعلى ، طوله 76سم ، وعرضه 42 سم ، وفكت رموزه عن طريق جدول الأبجدية العمودية . ***( انظر الشكل رقم ( 98 ) ، ص . 492 )***

- السطر الأول : س . ف . د . ط . ج .
- السطر الثاني : ب . ن . س .

الملاحظ أن الحروف تعبر عن اسم المتوفي و نسبه ، وهو كغيره من النقوش اللوبية وحيدة النص ، لا يمكن أن نستنتج منه أكثر من اسم العلَم للمتوفي ، ورغم قصر النص لكنه يضاف إلى قائمة النقوش والنسخ المحفوظة عن النقوش في كامل بلاد المغرب القديم والتي تثبت أن هناك لغة محلية تداولها سكان المغرب القديم واولوا ترجمتها كي تصاحب المتوفي إلى حياته الثانية .

1 - *Reboud , Op.-Cit. ,P. 36.*




( أ ) ( ب )

( ج ) ( د )

( هـ )

<u>الشكل رقم ( 97)</u> : منطقة الشافية

| |
|---|
| ( أ ) : الزيارة الاستكشافية بتاريخ 2008/12/23. |
| ( ب ) : الزيارة الأثرية لفرع واد الشافية بتاريخ : 2009/08/05. |
| ( ج ) : فرع واد الشافية المؤدي إلى واحة سيدي جاب الله بتاريخ : 2009/08/06. |
| ( د ) : واحة سيدي جاب الله . |
| ( هــ ) : مقبرة هرية الزعرورة بهنشير ديار الجدري بسيدي جاب الله بالشافية . |

تصوير : الطالبة الباحثة

| رموز الكتابة اللوبية في الشافية : | المقابل بالحرف اللاتيني حسب هاليفي : | المقابل بالحرف الفرنسي حسب لوترنو : | المقابل بالحرف العربي : |
|---|---|---|---|
| • | A | A | أ |
| // | OU W | OU W | و |
| ~ | I | I J | ج |
| = | L | L | ل |
| ⊔ | M | M | م |
| / | A | N | ن |
| ○ □ | R | R | ر |
| ⊙ ⊡ | B | B | ب |
| 7 V ∧ /\ | G | G | چ |
| ı | V OU | J | ڨ/ج |
| 1 Γ | K | K | ك |
| \|\|\|\| | H | H | هـ |
| ≡ | " | H | / |
| \|\|\| | O | G' | ج |
| ≡ | A | G' | ج |
| — | N | Ç S' | ص |
| ⊏ ⊐ | D | D | د |
| Ш | Z | TH DH | ث / ذ |
| X | S | " | س |
| ▵ | Ṣ | S | س |
| Ɛ | S | S | س |
| + | T | T | ت |
| ⌶ H | OU W | F | ف / و |

**الشكل رقم ( 98 ) :**

جدول الأبجدية اللوبية العمودية في الشافية

نقلا عن : *- V.Reboud , Op.-Cit. , P.187.*

**د – نقش إيفوغالن ( نقش غير منشور )**

**– تحليل النقش**

**– عنوان النقش**

أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى القرية التي عثـر فيهـا عليـه ، والمنطقـة بالضبط هي هنشير بغيِّت في قرية إيفوغالن التابعة لبلدية بوخليفة دائـرة آث بيمـون بولاية بجاية شرق الجزائر .

**– وصف النقش**

هو نقش لوبي جديد ، اكتشف في شهر نوفمبر 2006 مصادفة في إطار نـشاط البناءات حيث كشفت عنه آلة جرافة في أرض عائلة " حمادي " التابعة إداريـا لقريـة بغيِّت ، وهو من النوع وحيد الكتابة ، ليس مصنفا في دواوين الأعمال الأثرية ، حفرت رموزه اللوبية على حجارة جبلية كلسية ، يقدر طـول الـنقش بحـوالي 120 سـم ، وبعرض 80 سم .

واضطلع بتزمينه مختصون من المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا وعصور ما قبل التاريخ بالجزائر ، حيث أثبتوا أنها رموز نقوش لوبية وليست لوبية بربرية ( ***écriture libycoberbere*** ).[1]

**– مضمون النقش**

يتكون النص من 8 أسطر تنتمي لنوع الأبجدية العمودية مع بعـض الأحـرف التي تنتمي إلى الأبجدية التيفيناغية ، كما يحتوي النقش على أربعة أحـرف لا توجـد ضمن جداول الأبجدية اللوبية ، و يبدو أن النقش يعود إلى الفترة الرومانية التي شـاع فيها استخدام اللوبية العمودية .

[1] - *Djamel Beggaz , " La découverte archéologique de Bgayet " . Sur le site : www.kabyle.com , Le : 12/01/2007.*

ويمكن فك الرموز الكتابية لنقش إيفوغالن بالاعتماد على جدول الأبجدية اللوبية العمودية ، وكذلك جدول الكتابات الصحراوية التيفيناغية .

يمكن قراءة النص من اليسار إلى اليمين ومن الأسفل إلى الأعلى ، ومـــضمون النص اللوبي غير واضح المعالم ذلك أن رموزا كثيرة تعرضت للتشويه والإضـــافة ، ولم يحمل أي إشارة إلى أسماء أعلام أو أماكن أو قبائل ، ولا يحتوي على فواصل بين الكلمات ، مما يوحي أن الناقش قد كتب بطريقة عشوائية ، أو أضيف إليه في مرحلـــة لاحقة . وننوه هنا إلى أنه لحد الآن لم يتوصل الباحثون إلى قراءة وافية للـــنص ومـــا يحمله من دلالات.

**خلاصة لما سبق** ، نجد أن هناك نقوشا كثيرة لا تزال بحاجة إلى البحث و الاكتشاف وإزالة اللبس والغموض عن مضامينها ، وذلك عن طريق تكثيف البحث الأثري ، ذلك أنه على الرغم من قوانين السلطة الرومانية وإجراءات الكنيسة الرسمية إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية ، وذلك بغرض الرد على الاحتلال الروماني حتى وإن لم يكن بمؤلفات ؛لا أن استمرارية النقوش كانت دليلا على الحفاظ على الهوية المغاربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني .

كما تجدر الإشارة إلى أن المجتمع المغاربي المحلي حافظ على عاداته و ديانته و لغته وثقافته ، خاصة خلال مرحلة الاحتلال الواندالي حيث ازداد تمسكا بتراثه ، و استمر في ذلك واتضحت ملامح المجتمع بصورة أكبر خلال العهد البيزنطي ، كما سنشهد ذلك لاحقا من خلال تتبع المحطات الكبرى للتطور الاجتماعي خلال القرن السادس للميلاد.



الشكل رقم ( 99 ) : نقيشة إيفوغالن

نقلا عن : www.kabyle.com-
تاريخ الزيارة : 2007/01/12.

## رابعا – تطور التركيبة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم خلال العهد البيزنطي

كانت القوانين البيزنطية خلال مرحلة الاحتلال البيزنطي للمغرب القديم [1] أكثر دقة و تنظيما للحياة الاجتماعية في المنطقة ، خاصة بعد خروج الواندال الذين كانوا مجتمعا متفردا بخصائصه الحضارية حيث فرض الواندال على أنفسهم العزلة الاختيارية ، فمن قوانينهم حظر الزواج المختلط وعزل السكنات الاجتماعية عن سكنات المجتمع المغاربي ، ولذلك من العسير أن يتتبع الباحث مظاهر اندماج المجتمع الواندالي في المجتمع المحلي لأنه كان شعبا غازيا ومحاربا ، فحتى بعد امتلاكه الأراضي ظل رجاله يشغلون وظائف عسكرية ، كما كانوا متأكدين من زوال ملكهم في المغرب القديم نظرا للتنافر اللغوي والعرقي والديني والثقافي بينهم وبين سكان المغرب القديم ، ولذلك سعوا إلى عدم الزواج من المغاربة القدماء أو الاختلاط بهم .

لذلك ، فالمتتبع للتاريخ الاجتماعي في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال البيزنطي لا بد له من العودة إلى ما ذكره المؤرخ البيزنطي " بروكوبيوس " [2] عن المغرب القديم خلال الاحتلال البيزنطي بدءا من الجغرافية ووصولا باستقرار البيزنطيين في البلاد ، وحول جغرافية المغرب القديم ذكر ما يلي : " ... **لقد قسمت أفريقيا إلى سبعة مقاطعات ، أربعة يحكمها ولاة برتبة قنصل ، وثلاثة يسيرها موظفون إداريون وهي : موريطانيا الطنجية ، موريطانيا السطيفة ، نوميديا ، منطقة قرطاج ، البيزاسيوم ، ليبيا وجزيرتي كورسيكا وسردينيا وجزر الباليار** " .

وهكذا فبلاد المغرب القديم حافظت على التقسيمات الرومانية التي ورثتها عن الرومان .

---

[1] حول أوضاع المغرب القديم في ظل الاحتلال البيزنطي، ***راجع*** : *- Ch.Diehl , L'Afrique Byzantine ( Histoire de la domination Byzantine en Afrique ) , éd. Leroux , Paris , 1896 , P. P. ( 4-52 ) .*

***بروكوبيوس ( Procopius )*** : مؤرخ بيزنطي ولد بقيصرية بقلسطين في نهاية القرن الخامس للميلاد ، وامتهن المحاماة في القسطنطينية ، ثم عين أمين سر خاص بالقائد بيلازريوس سنة 527 للميلاد ، وصاحبه في حملاته و اعتنى بتدوين أخباره خاصة في بلاد المغرب القديم ، وتقع كتاباته في ثلاثة أقسام هي : التواريخ وعمائر جوستينيان والذكريات غير المنشورة . **للمزيد من المعلومات انظر :** علي فهمي اخشيم ، المرجع السابق ، ص . 130.

[2] *- Procope , Guerre des Vandales , trad.par : Dureau de la Malle , éd.Firmin Didot , Paris , 1856 , P. 8*

بناء على التقسيم الإداري الجديد الذي قامت بـه الإدارة البيزنطيـة ، أولـت القسطنطينية أهمية كبيرة بغية تنظيم المجتمع المغاربي القـديم عـن طريـق التنظـيم الإقطاعي للأراضي الزراعية ، بغية أن يتماشى وفرض سيطرتها كوريثـة للوجـود الروماني ، ومن أشهر الأساليب التي اتبعتها أيضا التقسيمات الإدارية .

وقد جعلت الدولة البيزنطية المغرب القديم بواسطة هذه التقـسيمات مجموعـة كبيرة من الولايات الصغيرة التي يسهل التحكم فيها ، فباستثناء كبار الملاكين ورجـال الكنيسة الذين حظي الوجود البيزنطي بمباركته في المغرب القديم ، فإن الفئات الوسطى والفقيرة عاشت على هامش المؤسسة الإدارية بل احتملت الكثير من مظـاهر الظلـم والقهر السياسي والاقتصادي والديني ، وخاصة في عهد الإمبراطور جوستينيانوس .[1]

## 1- قانون جوستينيانوس[2] الزراعي وأثره على المجتمع المغاربي القديم

اعتمد النظام القضائي البيزنطي على القوانين الرومانية باعتبارهـا الوريـث الشرعي للإمبراطورية الرومانية ، فحدَّد الوضعيات الاجتماعية والشخـصية بقـوانين تضبط وضعية الفرد داخل المجتمع ، ولذلك الغرض أصدر الإمبراطور جوستينيانوس سنة 534 للميلاد قانونا يمنع المزارعين من مغادرة المناطق التي ولدوا بها .[3]

اعتبر هذا القانون من القوانين الأكثر إجحافاً في حق السكان ، ذلك لأنه منـع المزارعين من التنقل وألزمهم البقاء في أراضيهم للحفاظ على إنتاج أكبر قدر ممكـن من المحصول لتغطية حاجة البيزنطيين في المغرب القديم .

سمحت تلك القوانين بتبلور فئات اجتماعية سكتت غالبية المـصادر المكتوبـة القديمة عن التعرض إليها كونها فئات وسطى أو فقيرة في التصنيف الاجتماعي ، ممـا خلق نوعا من الغموض فيما يتعلق بها ببلاد المغرب القديم ، وهذا ما يجعـل دراسـة

---

[1] محمد الطاهر المنصوري ، " ملامح من الفئات الاجتماعية بأفريقية في العهد البيزنطي ( 533 – 709 ) " ، المغيَّبون فـي تاريخ تونس الاجتماعي ، ط . 1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، 1999 ، ص . 23 .

[2] **جوستينيانوس :** أشهر إمبراطور بيزنطي بلغت الإمبراطورية خلال حكمه أوج ازدهارها . ***للمزيد من المعلومات انظر*** : شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص . 375 .

[3] - *Justinien , Les douzes livres du code , L : I , trad. Par : P.A.Tissot , éd. Behmer , Metz , 1806 , P.27.*

المجتمع المغاربي القديم في الفترة البيزنطية بحاجة إلى مصادر أثرية حتى يتسنى للباحث معرفة بعض جوانب هذه الفئات الاجتماعية.

بناءً على ما بين سطور المصادر وهوامشها ، فإنَّ التصنيف الاجتماعي لم يكن ليتطابق مع الوضعيات القانونية للأفراد ، إذ كم من صنف وضع قانونيا ضمن طبقة الفقراء ، ولكنه يوجد موضوعيا في وضعية أحسن من أولئك الذين ضلّوا خارج الأطر الإدارية وخارج الدورة الاقتصادية ، ومن هؤلاء الفقراء القانونيين يوجد الجنود وبعض التجار الصغار وبعض الفلاحين ، مما يجعل التركيبة الاجتماعية تخضع لنوعية المجتمع : المجتمع الريفي والمجتمع الحضري .

## 2- المجتمع المغاربي الريفي ( الفئات السكانية والخصائص الاجتماعية )

انقسم سكان المغرب القديم خلال هذه المرحلة إلى قسمين كبريين هما : سكان الريف وسكان الحضر . وتجدر الإشارة هنا إلى أن معيار التقسيم الاجتماعي العام جغرافي والفرعي على أساس الثروة .

بناء عليه ، انقسم سكان الأرياف إلى ثلاث فئات اجتماعية تبعا للقوانين القضائية البيزنطية على النحو الآتي :

### أ- الفئة الأولى :

شملت كبار الملاكين من البيزنطيين والموظفين الإداريين ، وكبار العسكريين ، والمترومنين القدماء من النوميديين . وتعتمد في سلطتها على ملكيتها العقارية ، وقد وضعت الدولة البيزنطية على عاتقها مسألة الإشراف على بقية الفئات الاجتماعية التي دونها في الأرياف ، وأكبر واجباتها تجاه الدولة هي بناء الحصون .

وقد ظهرت هذه الفئة إلى الوجود بعد استفادتها من قانون إعادة توزيع أراضي الواندال عليهم سنة 570 م ، والذي أصدرته الدولة البيزنطية لتأمين وجودها في المنطقة . وقد استفاد كبار الملاك من الناحية الإدارية بأن أصبحوا يشاركون رجال الكنيسة في تعيين حكام الأقاليم ، والذين عادة ما يكونون من بينهم أو من بين قدماء ضباط الجيش . وتتركز الثروة والسلطة بين كبار الموظفين والملاك ، وعلاقتهم

بالدولة المركزية تمر عبر الأطر الإدارية والدينية التي تتحكم فيها الإدارة المركزية في بيزنطة ، ولهم الحق في اكتساب الألقاب الاجتماعية الشريفة .[1]

لقد وصف كوريبوس [2] المناطق الساحلية ومناطق الشمالية الغربية من المغرب القديم بأنها مناطق ريفية ذات حيوية أكثر من حيوية المدن ، فأراضيها خصبة ومحاصيلها وفيرة .

وفي المقابل عانت هذه الفئة أحيانا من اضطهاد الدولة المركزية ، والدليل على ذلك أن المحاصيل الزراعية التي كانت مقيدة ولا يرسل أصحابها من كبار الملاك ضريبة عنها تتعرض للحرق والإتلاف كما ورد ذلك في الرسائل التي تتناول السياسة الجبائية البيزنطية في مختلف أرجاء مستعمراتها .[3]

**ب- الفئة الثانية**

شملت صغار الملاك من نفس النوعيتين السابقتين ، إلا أنهم يؤدون الواجب العسكري والجبائي دون تمييز، ولا يحق لهم أن يرتقوا إلى مكانة أفراد الفئة الأولى، ولذلك تعد هذه الفئة الركيزة الأساسية الممولة للاقتصاد البيزنطي بالمغرب القديم ، ولذلك سعت الدولة المركزية إلى تشجيع الملكيات الصغيرة في مختلف أنحاء الإمبراطورية ، الأمر الذي أدى بالإمبراطور جوستينيانوس إلى سنِّ " قانون حماية الملكية الصغرى " ، وكان سبب إصدار هذا القانون ديني بحت ، إذ كان جوستينيانوس يعتبر نفسه " ظل الله في الأرض " ويرى في نفسه أنه حامي الضعفاء . [4]

إلا أن الحقيقة تكمن في رغبة الدولة البيزنطية في أن يبقى المجتمع المحلي فقيراً ساعياً فقط لتحسين ظروفه المعيشية دون الالتفات إلى المقاومة العسكرية ، ونظرا لجهود الدولة البيزنطية في تشجيع الملكيات الصغيرة أطلق عليها المؤرخون المعاصرون لقب " إمبراطورية الملكية الصغرى " .

---

[1] محمد الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص . 27 .

[2] - *Corripe , La Johannide , trad.par : J.Alix , Revue Tunisienne ,T : I . éd. Le comité de l'Institut de Carthage , Tunis , 1900 ,P.*

[3] محمد الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص . 28 .

[4] حول سياسة جوستينيان الداخلية والخارجية واستصدار القوانين ، راجع : محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، 1994 ، ص . ص. ( 56 – 57 ) .

كما عملت الفئة الثانية على تأمين عائــدات الدولـــة البيزنطيـــة مـــن الــضرائب ، والمساهمة في احتياجاتها من الجنود .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الموقف الرسمي للدولة البيزنطية كان مختلفاً تماماً عـــن الواقع في المغرب القديم ، بدليل أن عهد جوستينيانوس كان أزهى عهــود الدولـــة البيزنطية في مجال جباية الضرائب .[1]

ج – **الفئة الثالثة**

شملت الفلاحين بنوعيهما القارين والموسميين ، وهي الفئة الفقيــرة المــسخرة لخدمة الفئتين السابقتين ، وتمثل الفئة السفلى في التشكيلة الاجتماعية ، وما يعرف عن هذه الفئة شح المصادر الشديد فيما يتعلق بهذه العناصر الاجتماعية المــسحوقة ، إذ لا تركّز في تأريخها للعصور والأحداث إلا على الجوانب العسكرية والسياسية والدينية ، فتزخر بأخبار الملوك و القادة العسكريين والعلماء والأدباء ورجال الدين دون غيرهم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنها تغفل كثيرا عن هذه الفئة ، وهـــي فئـــة وتجـــدر الإشارة إلى أن هؤلاء لم يكن بإمكانهم أن يرتقوا اجتماعيا كونهم فئة فقيرة كانت تنعت بعبارات تدل على ظاهرة التفقر التي تعيشها – بسبب الوجود البيزنطي – وأشـــهرها على الإطلاق " هوميليوروس " .[2]

**هكذا نستطيع أن ندرك أنَّ الوجود البيزنطي قد قام بدور كبير في تفكيك البنية الاجتماعية في المغرب القديم خشية نشوب المقاومات ، فاعتبر أن كل ملكية كبيرة لقبيلة ما تعتمد على مبدأ الوراثة العائلية للأرض ( ملكية العرش ) يجب أن تفقد أجزاء من أرضها ، ولا يتأت ذلك إلا عن طريق القوانين الزراعية التي تنفذ بالسلطة العسكرية .**

## 3- **المجتمع المغاربي الحضري ( الفئات السكانية والخصائص الاجتماعية )**

[1] محمد مرسي الشيخ ، المرجع السابق ، ص. ص. ( 25 – 28 ) .

[2] محمد الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص. 29 .

عاش ذلك النسيج الاجتماعي ضمن مدن موروثة من العهد الروماني ، حيث أسس الرومان مدناً مفتوحة تعبر بجلاء عن إيديولوجية الإمبراطورية الرومانية في التخطيط للمشاريع الاستيطانية ، فكانت هذه المدن رمزاً من رموز الاستقرار الروماني في المغرب القديم ، وهكذا ساعدت المدن على انتشار الظاهرة الحضريَّة وتنوعها وبقاء آثارها إلى غاية الآن دليل على كثافة التعمير وازدهار المدن .

و في هذا الصدد ذكر المؤرخ جورج القبرصي ( **Georges de Chypre** )[1] أن المدن البيزنطية قد أضافت للمدن الرومانية في المغرب القديم طابعا أمنيا يتمثل في الأسوار و الحصون والقلاع والأبراج فأحاطت المدن المفتوحة بحدود تقيها الهجمات الخارجية ، فاستبدلت بذلك نمط البناء المفتوح بالمحصَّن ، وباستثناء بعض المدن التي ظلت دون حماية الأسوار مثل قرطاجه وحضرموت و سبيطلة فإن المدن البيزنطية لم تكن تلك المدن الجديدة والواسعة وإنما مدنا رومانية محصنة .

وعلى كل فإنه يمكن الأخذ بالمظاهر العامة للمجتمع المغاربي القديم على النحو الآتي :

بناء على ما سبق فالمجتمع الحضري هو مجموعة تركيبتها غير متجانسة ، انقسمت على أساس تحصيل الثروات والمناصب ، وكعادة المدن المستعمرة فلضمان أمنها واستقرارها يتحكم البيزنطيون في زمام تسيير أمورها ، وتتشكل التركيبة على النحو الآتي :

**أ- الفئة الأولى**

هي الطبقة الحاكمة المؤلفة من قواد الجيش ورجال الكنيسة وكبار الملاكين من البيزنطيين الذين يملكون الضياع الواسعة في الأرياف ، ويتحكمون في النشاط الاقتصادي ، ويعيشون بالتناوب في حصونهم في الأرياف ، وفي المدن الأقرب إلى ضياعهم .

**ب - الفئة الثانية**

---

[1] ***المؤرخ جورج القبرصي ( Georges de Chypre )*** : يعد من المؤرخين البيزنطيين المغمورين الذين كتبوا عن الفئات الاجتماعية للمغرب القديم خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين أي في نهاية العهد البيزنطي وكان ذلك حوالي 600 للميلاد ، إذ ذكر بأن أمر دراسة ما بداخل المدينة أمر صعب بسبب الوضعية السياسية – آنذاك – .

هي الطبقة المسيِّرة للشؤون الداخلية للمدينة ، وتتكون من الموظفين الإداريين وأعوان البلديات ، فأما الموظفين فكانوا مرتبطين بتبعية مباشرة للطبقة الحاكمة التي كانت مسؤولة عن اختيارهم وتعيينهم ، مما جعلهم امناء في تحقيق أغراض من عَيَّنوهم وليس من عُيِّنوا لخدمتهم .

أما أعيان البلديات فلم يكونوا أفضل حالا من الموظفين على الرغم من أنهم قد تعينوا بواسطة التصويت لا التعيين ، إذ كانوا موالين للفئة الحاكمة ، كما أن عدم استقرارهم في وظائفهم جعلهم لا يقدمون شيئا يذكر للسكان الأصليين .

ولا تستطيع فئة الموظفين والبلديين أن ترتقي قانونيا إلى مواطنين من الفئة الأولى ، ولكن بالإمكان أن ترتقي اجتماعيا من حيث تحسين معاملة الفئة الأولى لها .[1]

### ج- الفئة الثالثة

هم صغار التجار والحرفيين من الصنَّاع والتجار ، ويشكلون طبقة وسطى دائمة التعرض للتقهقر والانحدار الاجتماعي ، ومن الصناعات المعروفة - آنذاك - صناعة الخزف والنسيج والدباغة والخبز ،

ويعد نص الرابطات الحرفية الصادر في أواخر القرن التاسع الميلادي أول مصدر تاريخي تعرض للمهن والوظائف في مختلف أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ، وتعرض بالذكر للمهن البسيطة التي مارسها سكان المدن في المغرب القديم ، كما تناول أيضا مهن الأثرياء الذين يجتمع لديهم النفوذ والثروة وبخاصة الصياغة .[2]

ومما اشتهرت به هذه الفئة اضطلاعها بحركات المقاومة ضد السلطة المركزية ، وحركات التمرد الديني على المذهب الأرثوذكسي للكنيسة الشرقية الذي جاء به البيزنطيون ، و انخرط صغار التجار والصناع والفلاحين - أيضا - في حياة الرهبنة هروبا من تعسف الموظفين الإداريين ، وجباية الضرائب ، واعتزلوا الحياة المدنية ، وشجعهم في ذلك عدم معارضة الدولة البيزنطية لظاهرة الترهبن ، بل تشجيعها في

---

[1] محمد الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص . - ص. ( 30 - 31 ) .

[2] المرجع نفسه ، ص . 32 .

المغرب القديم بهدف ترسيخ المسيحية على المذهب الأرثوذكسي ، مما جنح بـــالكثيرين إلى أن يعتزلوا الحياة ويسكنون الأديرة .

د – **الفئة الرابعة**

شكل بعض السكان المحليون فئة اجتماعية مميزة ، وقد عبرت عنها المــصادر بفقراء أفريقيا البيزنطية وهم من الطبقة الهامشية .

وتشير النصوص القانونية إلى هذه الفئة مثل قانون جوستينيانوس ، و تعرِّفهـــا القرارات الإمبراطورية بأنها الفئة الفقيرة التي تحتل الدرجة السفلى في المجتمع .

كانت تتكون من مجموع السكان الذين لا يحتكمون علـــى ثـــروة أو تجـــارة ، ويعيشون في مجال النفوذ البيزنطي ، فهم فئة شعبية محكومة لا يمكنها بأي حال مـــن الأحوال الوصول إلى وضعية النفوذ والحكم .[1]

وأشارت النصوص البيزنطية وفي مقدمتها قـــانون جوســـتينيانوس والقـــرارات الإمبراطورية إلى فئة في المجتمع المغاربي القديم أطلقت عليهـــا اصـــطلاح " فقـــراء أفريقيا البيزنطية " ، بحيث قسم القانون المجتمع إلى فئتين كبريين هما :

– فئة الثروة والنفوذ : ولها قوانينها الخاصة بها .

– فئة الفقراء : ولها قوانينها المنظِّمة لجماعاتها ، والتي لا يمكنها أبداً الوصول إلى وضعية الحاكم ، بسبب فقدانها للثروة و أساليب تحصيلها .

## 4– لمحة عن المجتمع الموري الانقسامي [2] في نهاية العهد البيزنطي

اعتبر المؤرخون " المور" كونفدرالية قبلية ظهرت بالموازاة مع النوميـــديين منذ القرن الثالث ق.م ، وهم اسم علم لسكان المغرب القديم الأصـــليين خـــلال العهـــد البيزنطي حيث انتشرت التسمية لتشمل الجماعات السكانية القاطنة بين خلـــيج الـــسرت الكبير والمحيط الأطلسي ، حتى أن اسم المور أصبحت له دلالة إدارية خـــلال العهـــد

[1] محمد الطاهر المنصوري ، المرجع السابق ، ص . 35 .

[2] ***المجتمع الموري الانقسامي*** : ليس من السهولة بمكان تتبع الخصائص الاجتماعية لقبائل المور – ويحتاج الأمـــر لدراســـة مستقلة – ذلك أن ما ورد في معظم الدراسات عن هذه الفترة إنما يتناول أصل التسمية وتطور مفهوم مصطلح المور في الفترة المتأخرة لدى كتاب القرن الرابع للميلاد ، حيث ساد على جميع الأهالي المستقلين في البداية ثم أصبح يميز ســـكان الجبـــال والبدو الذين لم يتأثروا بالحضارة الرومانية ، وعموما تركز جل الدراسات على التاريخ السياسي والعسكري وعلاقـــة المـــور بالبيزنطيين ، أما حياتهم الاجتماعية وتركيبهم العرقي وتصنيف الفئات فإنه مجرد إشارات هامشية متفرقة فـــي المـــصادر ، ***للمزيد من المعلومات أنظر*** : محمد البشير شنيتي ، الاحتلال ... ، ج. 2 ، ص. ص. ( 443 – 448 ) .

الروماني فكان المغرب يعرف بموريتانيا القيصرية والسيتيفية والطنجية ، وتضاعفت هذه المكانة في العهد البيزنطي .[1]

## أ – تركيبة المجتمع الموري

اختلفت تركيبة المجتمع الموري – الذي كان ينقسم إلى مجتمعات قبلية انقسامية لا حصر لها في المصادر –[2] خلال القرن السادس للميلاد اختلافا كبيرا عما كانت عليه في العهود الإمبراطورية الرومانية الثلاث والعهد البيزنطي الأول خلال القرن الخامس ، إذ أضحت الطبقة الأرستقراطية فئة اجتماعية قليلة العدد تناهز نسبة 5 بالمائة من مجموع سكان المدن ، حيث رحل معظمهم إلى الريف فكانوا سادة الضياع الكبرى ، مما سمح لبعض المؤرخين أن يصفوا فترة الحكم البيزنطي في المغرب القديم بعهد سيطرة الكنيسة والإقطاع والتجاوب مع النظام القائم في أوروبا من حيث استغلال الأراضي الزراعية وتحويلها إلى مقاطعات كبرى ، هذا من الناحية الاقتصادية .

أما من الناحية الدينية فإن سيطرة الكنيسة الرسمية وتعاونها مع الإقطاعيين سمح بظهور طبقة شكلت السواد الأعظم من المجتمع المغاربي – آنذاك – لا يمكن تصنيفها عرقيا وإنما بحسب الثروة ، وبما أنها لا تمتلكها فهي فئة فقيرة مستعبدة في إطار منظومة العصور الوسطى القائمة على علاقة السيد بالعبد في مجال الضيعة الزراعية .

و في سنة 646 م استطاع حاكم ولاية أفريقيه الانفصال بها بمساعدة جميع الأطراف الاجتماعية المتكونة من :

1–رجال الكنيسة[3]: يمثلون أصحاب النفوذ في المناطق الحضرية على الصعيد الأخلاقي والديني .

2- كبار الملاك : يشكلون الفئة الأولى في التنظيم الاجتماعي سواء في المدن أو في الأرياف .

---

[1] محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع ... ، ص . 156 .

[2] - *Henri Tauxier , " Etudes sur les migrations des Tribus Berbères avant l'Islamisme " , Rev.Af., V : 7 , 1863 , P. 25.*

[3] ***حول المظاهر العامة لرجال الكنيسة البيزنطية وسياستهم الدينية أنظر*** : يوسيفيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، تر : مرقس داود ، ط . 3 ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، 1998 ، ص . 12 .

3- صغار الملاك والتجار والحرفيين : ويمثلون السواد الأعظم من عموم أفراد المجتمع ، ويصنفون ضمن طبقة الفقراء .

ومن الناحية العمرانية عرفت مدن المغرب القديم تقلصا نسبيا في الحيوية الاقتصادية ، وقد عرفت الأوبئة طريقها إلى المدن الساحلية ومدن الطرقات الرئيسية ، وقد ذكرها كوريبوس في اليوحانتوية بصورة دقيقة تعكس حقيقة الوضع الاجتماعي في المنطقة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين .[1]

**ب- طبقات المجتمع المحلي القديم في نهاية العهد البيزنطي**

هو تصنيف فرعي في المنظومة الطبقية المغاربية ، فرضه النظام الإقطاعي ، بحيث تصنف المصادر البيزنطية الفئات الاجتماعية الفقيرة بحسب أصولها العرقية والحضارية على النحو الآتي :

**- الطبقة الأولى :**

هم أبناء الجنود البيزنطيون الذين قدموا أثناء حملة بليزاريوس سنة 533 م ، ويذكرهم بروكوبيوس بأنهم في الأصل فقراء عندما وصلوا إلى المغرب القديم مارسوا النهب والسلب ، ومنحوا بعض الامتيازات من السلطة البيزنطية لضمان تبعيَّتهم في قمع الثورات والتمردات المحلية

**- الطبقة الثانية :**

هم سكان البلاد من الموريين المترومنين بالتجنس من سكان المدن الذين خضعوا لسيطرة الواندال ، ولم يستفيدوا مباشرة من حكم البيزنطيين ، وكانت أوضاعهم سيئة زمن الواندال بعد أن افتك جنسريق منهم أراضيهم ووزعها على أتباعه ، وخاصة في منطقة الشمال الغربي لأفريقيا البروقنصلية ، ويذكرها بروكوبيوس بأنها سهول الواندال .

---

2 محمد الطاهر المنصور ، المرجع السابق ، ص . 33 . ***للمزيد من المعلومات انظر :***
*- Corripe , Op.-Cit. , P .( 1-12).*

لم تتحسن أحوال السكان المترومنين إلا في عهد جوستينيانوس الثاني ( 565 م – 578 م ) ، وذلك بعد إخماد ثورات المور ( 548 م – 550 م ) وإعادة توزيع الأراضي الخصبة على الموالين للوجود البيزنطي في المنطقة .[1]

وانعكست تلك العملية على تمويل بناء الحصون الدفاعية التي أشرف عليها كبار الملاك ، وقد استطاعت الإدارة البيزنطية أن تضمن ولاء السكان المترومنين بمنحهم الأراضي وإعادة تكريس ظاهرة الرومنة ، والتشجيع على بعث عملية الترومن ، ولكن تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية .[2]

أما عن موقف المجتمع القبلي الموري من الوجود البيزنطي فكان مشابها لمواقف أسلافهم من الرومان ، لكن ذلك لم يمنع من تباين المواقف بين مؤيد و معارض ، وقد كانت هذه الفئة منقسمة إلى قسمين :

– الفئة الأولى:

كانت تتكون من الجبليين والريفيين في إقليم الأوراس وهي جموع متحالفة مناصبة العداء للوجود البيزنطي ولا سيما في المناطق النوميدية ، وبناء على المعطيات التاريخية فقد استمالوا إليهم الواندال وتعاومنوا معهم في الإطاحة بالسيادة الرومانية في المنطقة .[3]

– الفئة الثانية :

كانت مساندة بصورة شكلية للإدارة البيزنطية ويمثلون زعماء بعض القبائل المورية حفاظا على مواطن انتجاعهم .

**خلاصة لما سبق** ، نجد أن المتتبع للخريطة البشرية في المغرب القديم في نهاية العهد البيزنطي يجد تبدلات كثيرة قد حصلت في أسماء القبائل في المصادر الكتابية وبخاصة في كتابات أميانوس مارسولانوس وبروكوبيوس وكوريبوس ، إلا أن هذا لا يعني أن مواطنهم قد تغيرت أيضاً أو أنهم انقرضوا أو اندمجوا ، فمثلا اختفى مصطلح الجيتول في المصادر البيزنطية وعوضه لفظ المور الشامل الذي غطى على كل

[1] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، ج . 2 – العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية – ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص . 70 .

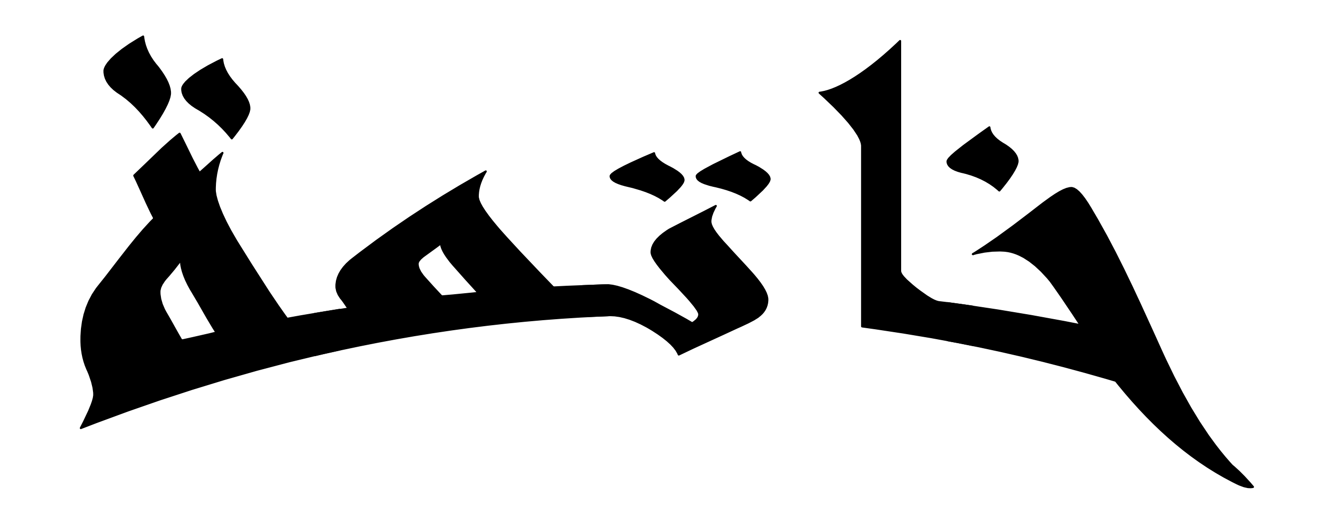
[2] المرجع نفسه ، ص . 71 .

[3] محمد البشير شنيتي ، الجزائر ... ، ج. 2 ، ص . 535 .

تسميات الكونفدراليات الكبرى من نوميديين ماصيل وماصيصيل وموريين وجيتوليين ، بحيث لم يظهر إلا لاحقا في المصادر الإسلامية بلفظ الجدالة .[1]

**كما** يمكن القول في اللمحة التاريخية الانفة الذكر ، إن تلك التغيرات التي حصلت في الخريطة البشرية لتوزيع قبائل المور ، إنما هي تغيرات مبنية على مقاربات بين المصادر البيزنطية والإسلامية ، إذ ندر استخدام مصطلح المور ليحل محله البربر ، ولتبدأ صفحة جديدة من تاريخ البربر الذين تركوا المسيحية طواعية واعتنقوا الدين الإسلامي الحنيف ، ورغم ذلك بقيت الكثير من الإرث اللوبي في العادات والتقاليد للبربر البتر والبرانس شاهدة على قوة وأصالة الثقافة اللوبية النوميدية ورسوخها عبر الزمن الطويل .

[1] محمد البشير شنيتي ، الاحتلال ... ، ص . 523 .


خاتمة

# خـــــــاتـــــمـــــــــــة

يستخلص من كل ماسبق ، وبالاعتماد على المصادر المتنوعة المادية والكتابية ، أن الإنسان المغاربي القديم كان يشكل منظومة اجتماعية عبر مراحل تاريخه الطويل ، وأن تسمية المجتمع اللوبي هي أفضل تسمية تاريخية اصطلاحية تدل على جميع سكان بلاد المغرب القديم في المنطقة الممتدة من غرب وادي النيل شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا ، إلا أن هذه التسمية كانت تتغير في مصادر التاريخ المادية والكتابيـــة وتتعدد معانيها لكنها في نهاية الأمر تفيد مدلولا واحدا ألا و هو : المجتمـــع المغـــاربي القديم .

إن المتتبع للتاريخ الاجتماعي في بلاد المغرب القديم يمكن أن يتلمس التطـــور الاجتماعي عند الإنسان المغاربي القديم عن طريق التجمعات ، إذ أنه كان قـــد صـــنع حضارات منذ عصور ما قبل التاريخ ، في وقت كان المغـــرب القـــديم يمثـــل وحـــدة جغرافية متكاملة ، ظهرت في نطاقه تلك الحضارات مرتبطة ببعضها بعضا ، و دليـــل ذلك انه كانت لها خصائص مشتركة فيما بينها .

وعلى امتداد مساحة بلاد المغرب القديم ، فإن الإنتاج الحــضاري فـــي فتـــرة عصور ما قبل التاريخ كانت مادته الأساسية الحجارة، أما السلالة البشرية فكانت قادرة على التـــفكير الصحـــيح في تأمين حاجـــياتها الضرورية ، وقـــد عُـــرف الإنـــسان المغاربي القديم المنتمي لمرحلة عصور ما قبل التاريخ المرحلة بالإنـــسان الأطلـــسي الموريطاني والعاتري ثم المشتوي ثم القفصي ، كل أولئك كانوا متشابهين فـــي نمـــط حياتهم اليومية التي اعتمدت على الدقة في صناعـــة الأدوات التي تمـــــيزت بالتعـــدد والتنوع في شكل وحجم وهدف الأداة المصنوعة.

لقد اصطلح المؤرخون والأثريون على أن الإنسان الأول الذي ظهر في مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط سمي بالإنسان العاتري ، أما الإنسان الثاني ، فعـــرف بالإنسان القفصي الذي يمتزج بمجموعة البحـــر المتوســـط ، ويعـــــتبر الجـــد الأول للمغاربة القدماء .

تشير الدلالات الأثرية بأنه من ناحية الصفات التشريحية والسلوكية واللغوية فإنه يشبه إلى حد كبير الإنسان الحالي إلا أنه لم يرق فقط إلى عملية تدوين مهاراته وثقافته .

إن ذلك يعني أن الثورة النيوليتية قد نجحت في بلاد المغرب القديم تقنيا واجتماعيا واقتصاديا ، إذ استمر الإنسان في الصناعة الحجرية وإنما على درجة عالية من التطور، كما عرف الفخار، وتنوَّع إنتاجه الزراعي ، واستأنس الحيوانات ، واستقر في القرى.

كل ذلك تأتى للإنسان المغاربي القديم ضمن إطار الجماعة التي كانت النواة الأولى لتشكل نظام المجتمع خلال فترة ما قبل التاريخ .

أما في الفترة التاريخية فإن تلك التجمعات السكانية الما قبل تاريخية قد أصبحت عبارة عن مجموعات قبلية كبرى ، ومعرفتنا بها كانت عن طريق النصوص المصرية أول وأهم الوثائق التاريخية التي تشكِّل مصدراً أساسيا يخبرنا عن الملامح العامة لسكان المغرب القديم الذي أصبح عبارة عن مجتمع قبلي .

لقد عرفت قبائل المغرب القديم بتسميات شهيرة في تلك النصوص ألا وهي قبائل التحنو والتمحو واللبو والمشوش ، حيث تعتبر قبائل اللبو أو الريبو من أكبر القبائل التي امتد نفوذها حتى شمل كامل منطقة شمال أفريقيا ، و كان أول ما ظهر هذا الاسم في النقوش الهيروغليفية ، و لذلك فإن اللوبيين القدماء الذين أشارت إليهم المصادر الأثرية والتاريخية المصرية لا ينحصرون فقط في منطقة غربي النيل وإنما يعنى بهم سكان المغرب القديم منذ الألف الثانية قبل الميلاد.

المصادر المصرية عند تناولها للوبيين القدماء أنهم مجتمع ذي خصائص متشابهة ، حيث كان مجتمعاً يسوده النظام القبلي كمنظومة أساسية شاملة في المكان والزمان ، حيث انقسم إلى أربعة مجموعات قبلية كبرى هي – على الترتيب – : التِّحنو ، التِّمحو ، اللِّيبو و المشوش ، وعدَّة مجموعات قبلية صغرى أشهرها ثلاث قبائل هي : الأكبت و الهس والبكن . تلك القبائل التي كانت تنتشر على الحدود الغربية لوادي النيل والتي لم يكن يفصلها عن جيرانها حدود واضحة ، اعتبرت تاريخيا

النسيج الاجتماعي الباكر لسكان المغرب القديم الذي ورد في النقوش والنصوص المصرية القديمة .

بناءً على التسلسل الزمني ، فإنَّ كل مجموعة قبلية قد شاع ذكرها في فترة من فترات التاريخ المصري القديم ، كانت تمثل مجتمعاً قبلياً لوبياً منذ الألف الثانية قبل الميلاد ، وكانت الأسرة هي النواة الأساسية لتشكل المجتمع ، فعلى سبيل المثال كانت نقوش الكرنك مصدرا مهما في معرفتنا ظاهرة تعدد الزوجات عند اللوبيين .

كما عرفنا أن شيشنق الأول كان واحدا من ستة ملوك حكموا في مصر ، وأصدروا مجموعة من القوانين التي كانت تهدف إلى تنظيم مجتمعه ، وذلك بحرصه على تدوين مختلف المعاملات القانونية المنظمة للأسرة بهدف إثبات الحقوق التي يجب توريثها للأولاد وحفظها بدقة في سجلات الأسرة .

وقد استنتجنا أن المجتمع اللوبي رغم تمصره لم يتخل عن أهم الأعراف والعادات والتقاليد التي كانت تشكّل أساس العلاقات الاجتماعية بين أفراده ، بل ازداد تمسكا بها لما تحمله من إشارات تدل على خصوصيته .

كما بيَّنت أنَّ القانون المصري القديم الذي أصدره شيشنق كان قانوناً واسع الأفق ومتطوراً يقوم على أسس ترسخ الاحترام الشديد للمرأة والمكانة الكبيرة التي تمتعت بها في المجتمع ، وأنَّ الزواج والأحوال الشخصية والمسائل المالية الأسرية لم تكن لتختلف كثيراً عن تلك التي عاشها المغاربة المتمصِّرون منذ آلاف السنين.

و بانتقالنا إلى الفترة الكلاسيكية نجد أن المصادر الإغريقية كانت واضحةً في تقديم رصدٍ شاملٍ للوبيين في مصنَّفات المؤرخ الشهير هيرودوتس ، خاصة في الكتاب الرابع من مؤلفاته ، كونه يعتبر أقدم وأوضح مصدر كتابي يعود إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، ففي كتابه قدَّم هيرودوتس معلوماتٍ قيِّمةٍ عن بعض عناصر العقليَّة التي تميِّز المجتمع اللوبي القبلي كاعتبار الأسفار والرحلات الاستكشافية محكاً للبطولة ، وقد اعتبره الكثير من الباحثين المعاصرين رائد أنثروبولوجية سكان المغرب القديم .

لقد كانت تلك القبائل اللوبية تمثل كياناً جماعياً ، تطور عبر الزمن وتألف من شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة والمستقرة نسبيا ، وقد تجدَّد ذلك الكيان في

الزمان والمكان ، فربطت أفراده لغة مشتركة ، واستمر التفاعل فيما بينهم مبلوِراً لهم أسلوباً مشتركاً للحياة ضمن بيئة جغرافية محددة ، فكانت لهم بفضلها ثقافتهم التي شملت : أدوات الإنتاج الخاصة بهم ، ومساكنهم وملابسهم وطعامهم ، فضلاً عن بعض المظاهر المحسوسة كالأساطير والقيم و المعايير و وقواعد السلوك وطرق الإدراك والتفكير والعادات والتقاليد

يمكن القول إنه وبالنظر لتعريف المجتمع من الوجهة الاجتماعية ، فإن تجمُّع القبائل اللوبية قد شكَّل في مفهومه الواسع المجتمع اللوبي القديم الكبير ، الذي ينضوي بداخله عدد من المجتمعات القبلية المونوغرافية متعددة الخصائص والعناصر الثقافية المميزة لكل واحد منها .

ومن هنا فإن المجتمع اللوبي كان تلك التركيبة المؤلفة من مجموعة من المجتمعات القديمة غير المعروفة جيداً في المصادر الكلاسيكية ، التي وردت على هامش الأحداث التاريخية الرئيسية في المصادر .

على كل ، تكاد تُجمع المصادر الإغريقية على صورةٍ واحدةٍ لنمط الحياة الاجتماعية لتلك القبائل ألا وهي صورة المجتمع القبلي البسيط ، و لكن رغم ذلك فإنها لم تصمت عن ذكر تفصيلات العادات المميزة لكل قبيلة ، مركزة على أنها قد اقتبست من بعضها بعضا .

وهكذا فإنَّ الأسرة اللوبية في الفترة الكلاسيكية ، كانت أسرةً زيجيّةً ، استطاعت أن تحقق منذ تلك الفترة الوظائف الاجتماعية للأسرة البسيطة ، حيث كانت أسرة متكونة من مجموعة من الأشخاص الذين اتحدوا بروابط الزواج والدم أو التبني ، وتفاعلوا وتواصلوا في الوظائف التناسلية كتزويد المجتمع بالصغار وممارسة الوظيفة الجنسية والاقتصادية بتقديم الدعم الاقتصادي لأفرادها ، وكذلك الوظيفة التعليمية بنقل الموروث الثقافي من الآباء للأبناء ، وقد استطاع اللوبيون إظهار هذه الصورة رغم محدوديتها في المصادر الإغريقية لبقية شعوب العالم القديم .

وقد أثر على اللوبيين أنهم قد عبدوا بعض المظاهر الطبيعية الكبرى التي عاشوا في كنفها وخاصة الشمس والقمر حيث قدموا الأضاحي لهما دون غيرهما من المظاهر الأخرى ، واعتبروهما القوتين الإلهيتين العُظْمَيَيْن في كامل بلاد لوبه .

هكذا نقول ، أن المجتمع اللوبي كون وحدة عرقيـة حـضارية فـي منظـور المصريين والإغريق لما لمسوه في صلب القبائل اللوبية وفي محيطها المعيـشي مـن مقومات إثنية موضوعية جعلتهم ينظرون إلى كل القاطنين من غرب النيل إلى المحيط الأطلسي على أنهم مجتمع واحد ، وتتجسد هذه المقومات الموضـوعية فـي الملامـح الخَلقيَّة والخُلُقيَّة والأزياء والسلوكات والعقائد واللغة وبعض العادات والتقاليد وطـرق العيش والنشاط الاقتصادي . لقد كانت العناصر البشرية المكوِّنة للمجتمع اللوبي القديم قبل وصول الفينيقيين محلية خالصة إذ كانت تتكون من العرق اللوبي الذين يعودون في جذورهم الأولى إلى الإنسان العاتري و القفصي والوهراني والمشتوي .

ويعني ذلك أن العناصر البشرية الوافدة من الفينيقيين لم تكن في بدايـة الأمـر لتشكِّل زيادة سكانية ذات تأثير واضح المعالم في النَّسيج الاجتماعي اللوبي الأصيل .

أما خلال الفترة البونية ، فإنَّ أول ظاهرة يلمسها الدارس للتاريخ الاجتماعي في المغرب القديم هي أن العناصر البشرية المنتشرة – آنذاك – قد بـدأت فـي التكتـل والانتظام منذ عهد ازدهار الحكم القرطاجي في شـما أفريقيـا ، ذلـك أن الامتـزاج الواضح بين تلك العناصر المختلفة عرقيا ضمن المنظومة الحضارية القرطاجيـة أدى إلى ثراء التركيبة الاجتماعية المغاربية ، حيث كان لطبيعة الفينيقيين الـسلمية عظـيم الأثر في تكوين مجتمع عرقي جديد هو المجتمع البوني .

لقد تبلورت العناصر السكانية في المغرب القديم منذ القرن الخامس ق .م إلـى نماذج اجتماعية جديدة لم تكن معروفة في أسمائها من قبل في المصادر الكتابية ، وإن كان بعضها يعد امتدادا عرقيا لفئات سابقة .

وقد تقلص مفهوم " لوبه " فلم يعد يعني العناصر السكانية للمغرب القديم قاطبة وإنما ظل اللوبيون الشرقيون قبائل متفرقة ، لكن اللوبيين الغربيين تغيـرت تـسميتهم فأصبحوا يعرفون بالمجتمع اللوبي النوميدي ، وهو مجتمع هجين اتـضحت ملامحـه خلال فترة الحرب البونية الأولى والثانية ، أي أن ذلك قد تزامن مع ضعف نفوذ الدولة القرطاجية وانشغالها بالشؤون العسكرية الدفاعية على الشؤون الثقافيـة والعمرانيـة ، وكذلك مع قيام الاتحادات النوميدية الكبرى و رغبتها في تأسيس كيان سياسي خـاص

بها ، ولذلك فإن المجتمع اللوبي النوميدي كان يحمل الروح الحضارية البونية بهوية محلية وطنية عازمة على استعادة أراضيها وتملكها و إدارتها .

لقد استفاد اللوبيون الكثير من المظاهر الحضارية الفينيقية والقرطاجية ، إلا أن هذا السلام لم يدم مع تغيُّر معاملة القرطاجيين للوبيين خاصة خلال الحرب التي نكَّل فيها القرطاجيون باللوبيين مما دفع هؤلاء الأخيرين إلى تغيير مواقفهم وتعاملاتهم مع الجانب القرطاجي إلى غاية حصولهم على استقلالهم السياسي مؤسسين بذلك ممالك محلية هي ممالك الماصيل والماصيصيل والمور .

ويعد المجتمع النوميدي هو النموذج المدروس في البحث لأنه كان عبارة عن الصورة الشاملة للمجتمع القبلي الماصيلي والماصيصيلي الذي حكته عائلة مسنسن خلال القرن الثاني قبل الميلاد .

وخلال القرن الثاني ق.م ، تغيرت الخارطة السكانية في المغرب القديم عما كانت عليه في الفترة الممتدة بين القرن الخامس ق.م والقرن الثالث ق.م ، إذ لم يعد ذلك المجتمع اللوبي الشامل الذي يمتد في إقليم الواحات الغربية و قورينة وقرطاجة والأطلس التلي والتخوم الصحراوية ، بل أصبح هناك مجتمعات فرعية لكل منها خصوصيتها الثقافية ، وبما أن النسب يعد عماد التقعيد للتحول الاجتماعي من صورة القبلية البسيطة إلى الانقسامية المتدرجة ، وبخاصة في تلك القبائل التي تنتمي إلى منطقة جغرافية واحدة ، فإن هوية الفئات الاجتماعية كانت واضحة في محتوى النقوش الإهدائية والجنائزية التي أظهرت أنَّ من خصائص البنية الانقسامية للمجتمع النوميدي هي أن الفئات الاجتماعية تحالفت في ما بينها بصورة تلقائية مما أدى إلى ظهور المجتمع المدني الذي جسده المجتمع السيرتي .

هكذا أصبح النسيج الاجتماعي في المغرب القديم خلال الفترة النوميدية متباين العناصر العرقية واستمر على تلك الحال حتى عرف المغرب القديم الاحتلال الأكثر عنفا في تاريخ البشرية ألا وهو الاحتلال الروماني .

بعد الاحتلال الروماني واستقرار الرومان في بلاد المغرب القديم ،و بعد سلسلة من التغيرات والتحولات السياسية والعسكرية ، تأثرت بنية المجتمع المغاربي القديم ،

فلم يعد ذلك المجتمع البوني أو القرطاجي المسالم ، فبعد أن كان مجتمعا ينعم أفـراده باستقلالهم الذاتي ، أضحوا مواطنين مهمشين و مسيطرا عليهم ومستعبدين .

وساد أثناء فترة الاحتلال الروماني مصطلح : " المجتمع الأفريقـي " للدلالـة على السكان المحليين ، في حين شكل الوافدون منذ القرن الأول للميلاد طبقات ضـمن المجتمع المغاربي القديم ذي المفهوم الأشمل والأوسع للنسيج الاجتمـاعي فـي العهـد الروماني.

في حقيقة الأمر ، لقد حدث انقلاب جذري في تركيبة المجتمع المغاربي القـديم في بداية الاحتلال الروماني ، لم يعد النوميديون والموريون هم أسياد مدنهم في كـرتن ودوقة وكالاما ، بل إن التراتب الاجتماعي في المغرب القديم أصـبح خاضـعا إلـى طبيعة نظام الاحتلال الروماني ، وذلك منذ عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس .

لقد تغير المجتمع المغاربي القديم من النمط القبلي إلى النمط المدني في المدن ، وظهرت الطبقية ، فأصبح نوميديي المدن أقل طبقة شأناً ضـمن طبقـات المجتمـع المغاربي القديم ، كما ظهرت طبقات اجتماعية جديدة في المدن يحكمها معياري الغنـى و الفقر لا معيار النسب ، وأفضل مثال على ذلك " طبقة الفرسان " ، تلـك الأخيـرة التي كان لها دوراً كبيراً في الحياة السياسية والعسكرية ببلاد المغرب القديم .

وقد رفض المغاربة القدماء الوجود الروماني ، فقاوموه ببسالة خلال المرحلـة الإمبراطورية الأولى وتجسد ذلك في مقاومة تاكفاريناس ( 17-24 م ) .

ونلاحظ خلال فترة الاحتلال الروماني ظاهرة تمثلت في اختفـاء المـدن ذات المنشأ النوميدي تحت مدن جديدة بأبنية ومرافق عمومية رومانيـة الطـراز لا تـزال أطلالها ماثلة للعيان إلى يومنا هذا .

وقد أثبت المجتمع المغاربي القديم من خلال التمسك باللغة اللوبيـة و الديانـة البونية هويته وخصوصيته ، وعندما وجد في مبادئ المسيحية ضالته المنشودة المتمثلة في العدالة الاجتماعية اعتنقها ودافع عنها وترسخت بين أفراده ، إلا أن هذا لـم يمنـع بعض السكان من الاعتقاد بقوة وسيطرة آلهتهم المحلية التي حاولوا جاهدين المحافظـة عليها من الاندثار والنسيان بحكم أنها من موروث الأجداد .

هكذا يمكن القول ، إن المجتمع المغاربي القديم وإن ترومن إداريا ، إلا أنه لم يترومن دينيا بل طوَّع الديانة الرومانية وفق معطياته التي آمن بها منذ آلاف السنين . إذ لم يكن للسيطرة الرومانية عمليا تأثير يؤدي إلى منع النوميديين والموريين والجيتول لممارسة عبادة الآلهة المحلية .

هكذا ، ظهرت حضارة لوبية جديدة خلال فترة الاحتلال الروماني ، حافظ فيها المجتمع على نظامه القديم وتقاليده الاجتماعية والدينية ، حتى أنَّ الأدباء الأفارقة الذين كانوا مزدوجي الثقافة كأبوليوس المادوري ، كان يتقن لغة آبائه ودليل ذلك تلك النصوص المدرجة في كتاباته الموحية باعتزازه بأصوله.

لقد خلف النوميديون في الفترة المتأخرة من الاحتلال الروماني بعض الآثار الدالة على استمرارية استخدامهم للغة والكتابة اللوبية ، فكان أن استخدموها إلى جانب الكتابة اللاتينية في المعاملات الرسمية ، وهذا يعني أن الكتابة اللوبية لم يخبُ أوار تداولها .

بناء عليه ، فإن النقوش المزدوجة لوبية – لاتينية لا تزال تطرح قضايا عديدة لعل أهمها أن المجتمع المغاربي أراد أن يثبت أن له لغة وكتابة سيطرت عليها اللاتينية.

أما في بداية المرحلة البيزنطية ، فقد ساد المجتمع المغاربي القديم تنظيم جديد عن طريق التنظيم الإقطاعي للأراضي الزراعية ، بغية أن يتماشى وفرض سيطرة البيزنطيين على سكان المغرب القديم كوريثين للرومان .

**وهكذا نستطيع أن ندرك أنَّ الوجود البيزنطي قد قام بدور كبير في تفكيك البنية الاجتماعية في المغرب القديم خشية نشوب المقاومات ، فاعتبر أن كل ملكية كبيرة لقبيلة ما تعتمد على مبدأ الوراثة العائلية للأرض ( ملكية العرش ) يجب أن تفقد أجزاء من أرضها ، ولا يتأت ذلك إلا عن طريق القوانين الزراعية التي تنفذ بالسلطة العسكرية .**

لقد عاش النسيج الاجتماعي المغاربي في الفترة البيزنطية ضمن مدن موروثة من العهد الروماني ، لأن الرومان استطاعوا فعلا أن يؤسسوا مدناً مفتوحة تعبر بجلاء عن إيديولوجية الإمبراطورية الرومانية في التخطيط للمشاريع الاستيطانية ، فكانت تلك المدن رمزاً من رموز الاستقرار الروماني في المغرب القديم ، وهكذا ساعدت تلك

المدن على انتشار الظاهرة الحضريَّة وتنوعها وبقاء آثارها إلى غاية الآن دليل على كثافة التعمير وازدهار المدن وكمثال على ذلك تيفست .

لنا في نهاية هذا البحث أن نقول ، إن تلك التغيرات التي حصلت في الخريطة البشرية لتوزيع قبائل المور ، إنما هي تغيرات مبنية على مقاربات بين المصادر البيزنطية والإسلامية ، إذ ندر استخدام مصطلح المور ليحل محله البربر ، ولتبدأ صفحة جديدة من تاريخ البربر الذين تركوا الوثنية إلى المسيحية طواعية ثم اعتنقوا الدين الإسلامي الحنيف ، ورغم ذلك بقي الكثير من الإرث اللوبي في العادات والتقاليد للبربر البتر والبرانس شاهدة على قوة وأصالة الثقافة اللوبية النوميدية ورسوخها عبر التاريخ ، ذلك أن الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء بلسان عربي لم يمنع البربر من ممارسات عاداتهم وتقاليدهم التي رأى أنها لا تتنافى مع مبدأ التوحيد .

وبناء عليه تواصلت مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد التي يمكن تلمسها في حياتنا الاجتماعية ، ولكن من الضروري للباحثين في مجال الربط بين التاريخ والأنثروبولوجيا ألا يتفاعلوا مع أية ظاهرة معاصرة وألا يطلقوا أحكاما قبل تتبع الظاهرة المدروسة في حقب التاريخ من المصادر المادية والكتابية .

إن المجتمع المغاربي كان متشابها في حضاراته وخصائصه الثقافية مما يعزز من فرضية وحدته وتلاحمه رغم فترات الاستعمار الأجنبي الذي سيطر عليه آلاف السنين .


ببليوغرافيا البحث

# فهرس المصادر والمراجع والدوريات

# بيبليوغرافيا البحث

## أولا – المصادر

### 1 – المصادر باللغة العربية


1. القرآن الكريم ، تخ : عثمان طه ، دار الفجر الإسلامي ، ط . 6 ، دمشق ، 1984.

2.الكتاب المقدس " العهد القديم ( التوراة ) ، العهد الجديد ( الأناجيل الأربعة : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا ) ، الرسائل " ، ط. 1 ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، القاهرة ، 2004.

3. أبوليوس ( لوكيوس ) ، التحولات ، تر : عمار الجلاصي ، منشورات تامغنست ، طرابلس ، 2000 .

4. أبوليوس ( لوكيوس ) ، المرافعة ( دفاع صبراطة ) ، ج . 1 ، تـر : عمـار الجلاصـي ، منشورات تامغنست ، طرابلس ، 2001 .

5. البكري ( أبو عبيد البكري ) ، المُغْرِب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب وهو جزء من كتـاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت .

6. ابن الأثير ( عز الدين ) ، الكامل في التاريخ ، ج. 7 ، ط. 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980 .

7. ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ) ، لسان العرب ، ج . 1 ، ط . 3 ، دار صادر ، بيروت ، 2004 .

8. الثعالبي ( أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسـماعيل ) ، ثمـار القلـوب فـي المـضاف والمنسوب ، ط . 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965

9. الزبيدي ( محمد مرتضى ) ، تاج العروس من جواهر القـاموس ، ج . 1 ، ط . 1 ، المكتبـة الخيرية ودار مكتبة الحياة ، القاهرة ، 1306 هـ .

10. ابن خلدون ( عبد الرحمن ) ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبـر فـي تـاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج .6 ، تـح : سـهيل زكـار وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 .

11. ترتيليانوس ( كوينتوس سبتيموس ) ، المنافحة ( دفاع عن التوحيد ) ، ط . 1 ، تر : عمـار الجلاصي ، طرابلس ، 2001 .

12. سالوستيوس ، حرب يوغرطة ، تر : محمد الهادي حـارش ، ط. 1 ، منـشورات دحلـب ، الجزائر ، 1991.

13. قيصر ( يوليوس ) ، ، حرب إفريقيه ( 47.46ق.م ) ، تر : محمد الهادي حـــارش ، ط.1 ، دار هومة الجزائر ، 2000 .
14. ( القيصري ) يوسيفيوس ، تاريخ الكنيسة ، تر : مـــرقس داود ، ط . 3 ، مكتبـــة المحبـــة ، القاهرة ، 1998 .
15. هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، تر : عبد الإله الملاح ، ط.1 ، منشورات المجمع الثقـــافي ، أبو ظبي ،2001 .

**2 – المصادر باللغة الأجنبية**

***1 . Ammien Marcelin , Histoires , Tome : IV ,Trad . par : P .Goukosky , éd . Belles Lettres , Paris , 1974.***
***2. Corripe , La Johannide , trad . par : J . Alix , Revue Tunisienne ,T : I . éd. Le comité de l'Institut de Carthage , Tunis , 1900***
***3. Diodore de Sicile , Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile , Trad . par:Ferdinand Hoefer , T: III , éd . Adolphe Delahays , Paris , 1851.***
***4. Hérodote , Histoires , Tome : IV , trad . par : Pierre Henri Larcher , Librairie Maspero, Paris 1980.***
***5. Justinien , Les douzes livres du code , L : I , trad. Par : P. A .Tissot , éd. Behmer , Metz , 1806***
***6. Marcus Junianus Justinus , Histoires philippiques de trogue Pompée , T : XVIII , trad. Par : Marie - Pierre Arnaud – Lindet , éd . M.P.A.L , Paris , 2003***
***7. Pline l'Ancien , Histoire Naturelle , T : (V, XXII) , Trad .Emile Littré , éd.Dubochet , Paris , 1850***
***8. Polybe , Histoire , trad. Par: A.Raussel , éd .Pléad Paris ,1970 .***
***9. Procope , Guerre des Vandales , trad.par : Dureau de la Malle , éd.Firmin Didot , Paris , 1856 .***
***10 . Salluste , Œuvres Complètes ( Guerre de Jugurtha , Conjuration de Catilina , Histoire Romaine ) , trad. Par : Charles du Rozier et Yves Germain , éd . Paléo , Paris , 2003***
***11. Strabon , Géographie de Strabon , Tomes : I , - La Libye - , trad . par : Amédée Tardieu , Librairie Hachette , Paris , 1881***
***12. Tacite , Annales , Livre : III – Règnes de Tibère et de Caius Tome : XX , Trad . par : J . H . Dotteville , éd . Imp. Et Libr . Froullé , Paris , 1793.***
***13. Tite Live , Histoire Romaine , Tomes : ( XXVII- XXX ) , Trad . par: E.Lassere ,éd.Garnier Classique ,Paris , 1955***

**ثانياً – المراجع**

**1- المراجع باللغة العربية**

**أ – الكتب باللغة العربية**


1. اخشيم ( علي فهمي) ، **نصوص ليبية** ، ط.2 ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1975.
2. ابراهيم ( سعد الدين ) وآخرون ، **المجتمع والدولة في الوطن العربي** ، ط . 3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2005 .
3. الإبراهيمي( خولة طالب ) ، **مبادئ في اللسانيات** ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000 .
4. أحمد حندوسة ( تحفة ) ، **الزواج والطلاق في مصر القديمة** ، ط . 2 ، مطابع المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ، 2003 .
5. أحمد علي (عبد اللطيف ) ، **التاريخ اليوناني** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 .
6. أيوب ( ابراهيم ) ، **التاريخ الروماني** ، ط . 1 ، المؤسسة العربية الحديثة ، بيروت ، 1996.
7. بازامة ( محمد مصطفى ) ، **ليبيا – هذا الاسم في جذوره التاريخية** – ، ط.2 ، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب ، بنغازي ، 1975 .
8 . بركات ( حليم ) ، **المجتمع العربي** ، ط . 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000

9. البرغوثي ( عبد اللطيف محمود ) ، **التاريخ الليبي القديم** – من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي – ،ج . 1 ، دار صادر ، بيروت ،1971 .
10. بوطالب (محمد نجيب ) ، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** ، ط. 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .
11. بورونيَّة ( الشاذلي )ومحمد طاهر، **قرطاج البونية** ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 1999 .
12. بوشناقي ( منير ) ، **المدن القديمة في الجزائر** ، ط . 1 ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، 1978.
13. بدر ( محمد عبد المنعم ) ، **القانون الروماني** ، ج . 2 ، ط . 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1938
14. جاد الله ( فوزي فهيم ) ، **مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت ( ليبيا في التاريخ )** ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1968 .
15. **جغلول** (عبد القادر) ، **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط** ، تر : فضيلة الحكيم ، ط. 2 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1988 .

- **حارش ( محمد الهادي )** ،
16. **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري** – منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي – ، ط . 1 ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1995 .
17. **التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا** ( منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203–46ق.م ) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1996.
18. **دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة** ، ط. 1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2001.
19. حماد ( محمد ) ، **تعلم الهيروغليفية** ( لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية ) ، ط. 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1991.
20. حتي ( فيليب ) ، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** ، ج . 1 ، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ط . 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1958 .
- **حسن ( سليم )** ،
21. **مصر القديمة** ، ج. 2 – في مدنيَّة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الإهناسي – ، د.ط. ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992.
22. **مصر القديمة** ، ج. 6 – عصر رعمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية– ، د. ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992.
23. **مصر القديمة** ، ج . 9 – نهاية الأسرة 21 وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الإثيوبي ولمحة عن تاريخ العبرانيين – ، ط . 1 ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1952.
24. خفاجة ( محمد صقر) ، **هيرودوت يتحدث عن مصر** ، ط . 1 ، دار القلم ، القاهرة ، 1966
25. ريحانا ( سامي ) ، **شعوب الشرق الأدنى القديم** ، ط . 1 ، منشورات نوبليس ، بيروت ، دت
26. رشوان (حسين عبد الحميد )، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**،المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2003 .
27. الرُّدَيْنِي (محمد علي عبد الكريم )، **فصول في علم اللغة العام** ، ط. 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.
28. زكري ( أنطوان ) ، **اللغة المصرية القديمة** (الهيروغليفية أصولها وقواعدها ) ، د. ط . ، دار الوثائق المصرية ، القاهرة ، د. ت .
- زياد ( منى ) ،
29. **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم** ، ط. 1 ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت،2000.
30. **جغرافية التوراة** ، ط. 1 ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، 1994 .

31. سالم ( السيد عبد العزيز) ، **تاريخ المغرب الكبير** ، ج . 2 – العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية – ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 .
32. السامرائي (عبد الرزاق ) ، **الماسونية واليهود والتوراة** ، ط.1 ، دار الحكمة ، بيروت ، د.ت .
33. سحنوني ( محمد ) ، **ما قبل التاريخ** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 .
سليم ( أحمد أمين ) ،
34. **العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 .
35. **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم** ، د . ط. ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 .
36. سعد الله ( محمد علي ) ، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم** ( مصر وسورية القديمة ) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2005 .
37. السواح ( فراس ) ، **دين الإنسان** ، ط . 4 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2002 .
38 . السعدني ( محمود إبراهيم )، **حضارة الرومان** ، ط. 1 ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 1998.
<u>**شنيتي ( محمد البشير)**</u> ،
39. **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني** ، ج . 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999
40. **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني** ، ط. 1 ، م.و.ك ، الجزائر ، 1984
41. **سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا** ( 146 ق. م – 40 م ) ، ط . 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982.
42. شفيق ( محمد ) ، **لمحة عن 33 قرن من تاريخ الأمازيغيين** ، منشورات تامغناست ، الرباط ، 1988 .
43 . الشيخ ( حسين ) ، **الرومان** ، ط.1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993 .
44 . شارن ( شافية ) وآخرون ، **الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007.
45 . شلبي ( رؤوف ) ، **أضواء على المسيحية** ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، 1975
46 . الشيخ (محمد مرسي ) ، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، 1994 .

**صالح ( عبد العزيز )** ،

47. **الشرق الأدنى القديم** ، ج. 1 – مصر والعراق – ، ط.2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1973 .

48. **الأسرة في المجتمع المصري** ، دار القلم ، القاهرة ، 1961 .

49 .صالح محمد سيد ( أشرف )، **تيبريوس ( 42 ق.م – 37 م )** ، ط. 1 ، شركة الكتاب العربي ، بيروت ، 2008 .

50. ظاظا ( حسن ) ، **الساميون ولغاتهم** ، ط. 2 ، دار القلم ، دار القلم – الدار الشامية ، دمشق- بيروت ، 1990 .

51 . العرباوي ( محمد مختار ) ، **البربر عرب قدامى** ، ج. 2 ،ط. 2 ، مطبعة فن الطباعة ، تونس ، 2000 .

52 . عكاشة ( علي ) وآخرون ، **اليونان والرومان** ، ط. 1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، عَمَّان ، 1999

53 . عثمان ( أحمد ) ، **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري** ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989

54 . عبد الحميد ( رأفت ) ، **الدولة و الكنيسة** ، ج. 1 – قسطنطين- ، منشورات جامعة عين شمس ، القاهرة .

55. العروي (عبد الله ) ، **مجمل تاريخ المغرب** ، ط.5 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996

56 . العدواني ( محمد الطاهر ) ، **الجزائر في التاريخ** ، ج.1 ، – الجزائر منذ نشأة الحضارة – ، م.و.ك. ، الجزائر ، 1984 .

عبده علي ( رمضان ) ،

57. **تاريخ مصر القديم** ، ج . 1 ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، 2001 .

58 . **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته** ، ط . 1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2000

89 . عبد العليم ( مصطفى كمال )، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم** ، ط . 1 ، المطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1966.

60.العابد ( مفيد رائف ) ، **المدخل إلى اللغة اليونانية** ، ط . 1 ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 1977 .

61 . عصفور ( محمد أبو المحاسن ) ، **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم** ( من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981.

- **غانم ( محمد الصغير )** ،
62 . **المملكة النوميدية والحضارة البونية** ، ط . 2 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2006 .
63. **مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم** ، ط . 1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003.
64. **سيرتا النوميدية** ، ط.1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2008.
65. **الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا** ، ط.1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2005 .
**66.معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر** ، دار الهدى ، الجزائر ، 2003 .
67. **التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 .
**فنطر ( محمد حسين )** ،
68. **الفينيقيون وقرطاج** ، منشورات المتوسط ، تونس ، 2005
69. **الحرف والصورة في عالم قرطاج** ، ط . 1 ، منشورات أليف ، تونس ، 1999 .
**فخري ( أحمد )** ،
70. **الأهرامات المصرية** ، د.ط. ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1963 .
71. **مصر الفرعونية** ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط . 2 ، القاهرة ، 1960 .
72. **مصر الفرعونية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 .
73. **دراسات في تاريخ الشرق القديم** ، ط. 2 ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1980
74.الفوّال ( صلاح مصطفى ) ، **علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية** ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982.
75. مراد ( ميشال ) ، **غرائب العالم** ، ط . 5 ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، 1982 .
76. الفرجاوي ( أحمد ) ، **بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة** ، ط . 1 ، منشورات بيت الحكمة والمعهد الوطني للتراث ، تونس ، 1993 .
77. قراقب ( عبد الرزاق ) وعلي مطيمط ، **حضارات ما قبل التاريخ في تونس والبلدان المغاربية** ، ط . 2 ، المطبعة العربية ، تونس ، 1993 .
78.كمال ( محرم ) ، **تاريخ الفن المصري القديم** ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1998 .
79. لحسن ( رابح ) ، **أضرحة الملوك النوميد والمور** ، ط . 1 ، دار هومة ، 2004 .

80.مجموعة من الباحثين ، **تاريخ أفريقيا العام** ، مج . 2 ، – حضارات أفريقيا القديمة – ، عمار محجوبي ، ج. 19 – **العصر الروماني وما بعده في شمال أفريقيا** – ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985 .

81. مجموعة من الباحثين ، **سلسلة كتاب تاريخنا** ، الكتاب الأول ، مطبعة دار التراث ، طرابلس ، 1977.

82 . مجموعة من الباحثين ، **المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي** ، ط . 1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، 1999.

83 . مجموعة من الباحثين ، **الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي)** ، ط .2 ، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 .

84 . مجموعة من الباحثين ، **تاريخ إفريقيا العام** ، مج : 1 ، مج : 2 ، منشورات اليونيسكو ، باريس ، 1980.

85. المجذوب ( أحمد علي ) ، **أهل الكهف في التوراه والإنجيل والقرآن** ، ط. 3 ، الدار المصرية اللبنانية للكتاب ، القاهرة ، 1998

86. مهران ( محمد بيومي ) ، **مصر والشرق الأدنى القديم** ، ج . 9 –المغرب القديم – ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990

**محجوب( محمد عبده )** ،

87. **طرق ومناهج البحث السوسيولوجي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 .

88. **مقدمة في الأنثروبولوجيا** ، ط . 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 .

الناضوري ( رشيد ) ،

89. **المغرب الكبير** ، ج . 1 ، – العصور القديمة – ، ط . 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 .

90. **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في ( جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا )** ، ج.1 ، – مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري من العصر الحجري الحديث إلى الألف 3 ق .م – ، دار الجامعة العربية ، بيروت ، 1968 .

91 . الناصري ( سيد أحمد علي ) ، **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر** ، ط . 2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976.

92. ناصف ( مصطفى ) ، **اللغة والتفسير والتواصل** ، ط.1 ، ع : 193 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995.

## ب – <u>الكتب المترجمة</u>

1. ابراهيمي ( كلود ) ، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر** ، تر : م . ب . شنيتي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1984.

2. ألدريد ( سيريل ) ، **الحضارة المصرية** ( من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية الدولة القديمة ) ، تر : مختار السويفي ، ط . 3 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة.

– إيمار ( أندريه ) وجانين أوبواييه ،

3. **تاريخ الحضارات العام ، ج . 1** – الشرق واليونان القديمة – ، تر : يوسف أسعد داغر وفؤاد أبو ريحان ، ط . 2 ، منشورات عويدات ، بيروت ،1981.

4. **تاريخ الحضارات العام ، ج. 2** – روما وإمبراطوريتها – تر : فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، ط. 2 ، منشورات عويدات ، 1986 .

5. أونج ( والتر) ، **الشفاهية والكتابية** ، تر : حسن البنا عز الدين ، ط.1 ، ع : 182 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1994

6. إيرمان ( أدولف ) ، **ديانة مصر القديمة** ، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحمد انور شكري ، ط . 1 ، مكتبة مدبولي ، 1995 ، القاهرة .

7. بارندر ( جفري ) ، **المعتقدات الدينية عند الشعوب** ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، ع : 173 ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1993.

8. بالو ( ليونال ) ، **الجزائر في ما قبل التاريخ** ، تر : محمد الصغير غانم ، ط . 2 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2005 .

9. بريستد ( جيمس هنري ) ، **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي** ، تر : حسن كمال ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 .

10. بتري ( فلاندرز ) ، **الحياة الاجتماعية في مصر القديمة** ، تر: حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975 .

11. بيدج ( والس ) ، **كتاب الموتى الفرعوني** ( برت إم هرو ) ، تر: فيليب عطية ، ط . 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000 .

12. تشرني ( ياروسلاف ) ، **الديانة المصرية القديمة** ، ط.1 ، تر : أحمد قدري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1996.

13. تولرا ( فيليب ) وجان فارنييه ، **إثنولوجيا وأنثروبولوجيا** ، تر:مصباح الصمد ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،2004.

14. جوليان ( شارل أندري ) ، **تاريخ أفريقيا الشمالية** ، ج . 1 ، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ط .2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1969 .

15. جورهان ( أندريه لوروا ) ، **أديان ما قبل التاريخ** ، تــر : ســعاد حــرب ، ط . 4 ، مجــد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .
16. دونادوني ( سارجيو ) ، **مصر في الألفية الأولى قبل الميلاد** ، تر: أحمد الصمعي ومحمد بن مراد ، منشورات أليف ، تونس ، 2002
17. داغوسطينو ( برونو ) ، **الأتروسكيون** ، تر : أحمد الصمعي ومحمد بن مــراد ، منــشورات المتوسط ، تونس ، د. ت.
18. ديزانج ( جان ) ، **تاريخ أفريقيا العام** ، مج : 2 – حضارات أفريقيا القديمة – ، ج . 17 – البربر الأصليون – ، ط . 1 ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985.
19. ديكريه ( فرانسوا ) ، **قرطاجة أو إمبراطورية البحــر** ، تر : عز الدين أحمد عزو ، ط . 1 ، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1996.
20. دوركايم ( إميل ) ، **قواعد المنهج السوسيولوجي** ، تر : سعيد سبعون ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2008 .
21. روبين ( دانيال ) ، **أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا** ( دراسة تاريخية عن القــرنين الأولين ) ، منشورات تامغناست ، 2000 .
سارتون ( جورج ) ، تاريخ العلم ، ج . 2 ،تر : جورج حداد وآخرون ، ط . 2 ، دار المعارف ، 1970 ، القاهرة.
22. شورتو ( آلن ) ، **الحياة اليومية في مصر القديمة** ، تر: نجيب ميخائيــل ابــراهيم ، الهيئــة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ، 1997
23. عقون ( العربي ) ، **المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالوســتيوس وكتابــه حــرب يوغرطة** ، ط. 1 ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2006 .
24. فرانكفورت ( فرانكفورت ) ، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى** ، تر : ميخائيــل خــوري ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت – نيويورك ، د.ت .
25. فيليبسون ( ديفيد ) ، **علم الآثار الأفريقي** ، تر : أسامة عبــد الــرحمن نــور ، منــشورات ELGA ، مالطا ، 2002.
26 . فخري ( أحمد ) ، **الصحراوات المصرية** ، ج.2 ، تر: جاب الله علــي جــاب الله، مطــابع المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ،1999 .
كامبس ( غابرييل ) ،
27. **البربر** ، تر : عبد الرزاق الحليوي ، ط. 1 ، منشورات أليف ، 1997.
28. **العصر الحجري الحديث في منطقة البحر المتوسط ( التقنيات وأنماط العيش )** ، تر : علــي التومي والطيب العشاش ، ط . 1 ، دار أليف للنشر ، تونس ، 2000.

29. كلارك ( رندل ) ، **الرمز والأسطورة في مصر القديمة** ، تر: أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999 .

30. كوب ( كاتي ) وهارولد جولد وايت ، **إبداعات النار** ، تر: فتح الله الشيخ ، مطابع الوطن ، الكويت ، 2001 .

31. لنتون ( رالف ) ، **شجرة الحضارة** ، ج. 1 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1990

32. لالويت ( كلير ) ، **الأدب المصري القديم** ، تـر: مـاهر جويجـاتي ، ط . 1 ، دار الفكـر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992 .

33. موسكاتي ( سباتينو ) وآخرون ، **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن** ، تـر : مهـدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي ، ط. 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1993

34. ميادان ( مادلين هورس ) ، **تاريخ قرطاج** ، تـر: ابـراهيم بـالش ، ط . 1 ، منـشورات عويدات ، بيروت- باريس ، 1981 .

35. المكتب العالمي للبحوث ، **علم التاريخ** ، د . ط ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984.

36 . هاملتون ( أديت ) ، **الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة** ، تر : حنا عبود ، ط. 1 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1994.

37. وارمنجتون ( ب . هـ ) ، **تاريخ أفريقيا العام** ، مج . 2 ، ج. 18 – العصر القرطاجي – ، مطابع كانالي ، تورينو ، 1985 .

38. ولفنستون ( إسرائيل ) ، **تاريخ اللغات السامية** ، ط. 1 ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1929 .

39. وورث ( تشارلز ) ، **الإمبراطورية الرومانية** ، تر : رمزي جرجس عبده ، منشورات مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 1999.

## 2 – المراجع باللغة الأجنبية

*__1.__ Aumassip ( Ginette ) , __Trésors de l' Atlas__ , éd . E.N.L. , Alger, 1986.*

*__2.__ Bates( Oric) , __The Eastern Lybians__ ( An Essay ) , éd . Macmilan and com Limited , London , 1914.*

*__3__. Bohec(Yann Le ), __Histoire de l'Afrique Romaine__ , éd.Picard , Paris , 2005.*

*__4.__ Alfoldy ( Géza) , __Histoire sociale de Rome__ , Trad. Par : Emile Evrard , éd. Picard , Paris , 1991.*

*__5.__ Anonyme __, Souvenirs de l'Ancienne église d'Afriqu__e , Librairie Catholique de Perisse Frères , Paris-Lyon , 1863*

*__6.__ Bohec ( Yann Le) , __Troisième Légion Auguste__ , éd. C.N.R.S., Paris , 1989.*

*7.* *Benseddik ( Nacéra),* ***Les Troupes auxiliaires de l'Armée Romaine*** *en Maurétanie Cesarienne sous le haut Empire , éd. S.N.E.D. , Alger , 1980.*
***8.*** *Bohec (Yann Le),* ***Les discours d'Hadrien à l'armée d' Afrique*** *, édit. Yann Le Bohec , Paris , 2003.*
***9.*** *Burguière ( André) et autres ,* ***Histoire de la famille*** *, éd . Arnaud Colin , Paris , 1986.*
***10.****Berger ( Phillipe),* ***Histoire de l'écriture dans l'Antiquité*** *, 2ème éd. , Imprimerie Nationale , Paris , 1892.*
***11.****Benabou( Marcel) ,* ***La résistance Africaine à la Romanisation*** *, éd.Maspéro et l'Univérsité de Paris-Sorbonne , Paris, 1976*
***12.****Basse(Dom) ,* ***Les Moines de l'Afrique Romaine ( IVème et Vème Siècles )*** *, T : II , Librairie B. Bloud , Paris , 1903.*
***13.*** *Bouquet – Appel( J . P.) ,* ***La paléodémographie*** *, éd . La comité des travaux historiques et scientifiques , Paris , 200*
***14.****Chabot ( J.B.) ,* ***Recueil des inscriptions Libyques*** *, Imprimerie Nationale , Paris , 1940.*
**15.***Coltelloni-Trannoy(M.),* ***Le Royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptollémée*** *, éd. Picard , Paris , 1997*
***16.****Cagnat( René) ,* ***Carthage Timgad Tebessa*** *, Librairie Renouard et Laurens éditeurs , Paris , 1927.*
**17.** *Cagnat(René) ,* ***L'Afrique Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empreurs*** *, Imprimerie Nationale et E.Leroux , Paris , 1913.*
***18.*** *Castel ( Pierre),****Tebessa*** *( Histoire et description d'un territoire Algérien ) , T : II , éd.Henry Paulin ,Paris , S.D.d'éd.*
***19.*** *Decret ( F.) ,* ***Christianisme en Afrique*** *, éd.Hachette , Paris, 1996 .*
***20.*** *Decret ( François ) et M'Hamed Hassine Fantar ,* ***L'Afrique du Nord dans l'Antiquité*** *( Des Origines au Vème Siècle,éd. Payot , Paris , 1981.*
***21.*** *Desanges(Jehan) ,* ***Catalogue des Tribus Africaines de l'Antiquité classique à l' ouest du Nil*** *, éd. Pub. De la section d'histoire , Dakkar , 1962*
**22.** *Dutour( Olivier) et Autres ,* ***Objets et Méthodes en Paléoanthropologie*** *, 1ère éd . , C . T . H . S . , Paris , 2005.*
***23.*** *Dutour ( Olivier) ,* ***L' homme de Mechta Afalou au Maghreb et au Sahara ( Aspect paléoanthropologiques et paléocologiques )*** *, éd . C.N.R.P.A.H. , Alger , 2001.*
***24.*** *Duday( Henri) ,* ***" L ' Archéotanatologie ( L ' Archéologie de la mort ) "*** *, éd . La comité des travaux historiques et scientifiques , Paris , 2005 –*
***25.****De Saussure( Ferdinand ) ,* ***Cours de linguistique génerale*** *, éd . Talantikit , Béjaia , 2002.*
***26.*** *Durrieux ( Alcée) ,* ***Du Divoorce et de la séparation de corps*** *( depuis leur origine jusqu'à nos jours ) , Librairie Germer Baillière , Paris , 1881.*
***27.****Diehl( Ch.) ,* ***L'Afrique Byzantine*** *( Histoire de la domination Byzantine en Afrique ) , éd. Leroux , Paris , 1896.*

**28**. *Fantar (M'Hamed Hassine) ,* ***Carthage*** *, T: I , éd.Alif Tunis , 1998.*
***29.*** *Février ( James),* ***Histoire de l'écriture*** *, éd . Payot , Paris , 1959*
***30.*** *Faidherbe ,* ***Collection complète des Inscriptions Numidiques*** *, Librairie Franck , Paris , 1870.*
***31.*** *Gaballa( Ali Gaballa) ,* ***Le grand Temple d ' Abou Simbel*** *, éd : Conseil Suprème des Antiquités , Le Caire , 2001*
***32.****Galand ( Lionel) ,* ***Langus et littératture berbères****( vingt cinq ans d'études)* , éd . C.N.R.S. , Paris , 1979.
**33.** *Gsell ( Stéphane) ,* ***Atlas Archéologique de l'Algérie*** *, 2ème éd.,A.N.A.P.S.M.H., Alger,1997.*
***34.*** *Gsell( Stéphane) ,* ***Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*** *, Tomes :( I ,II ,III,V, IV), Librairie Hachette , Paris , 1913- 1927.*
***35.*** *Gsell( Stéphane) , Textes relatifs à l ' histoire de l ' Afrique du Nord* ***( Hérodote )*** *, Alger , 1915.*
***36.*** *Heeren ( H.L.)* ***,De la politique et du commerce des peuples de l'Antiquité*** *,T: III , 2ème éd. , Firmin Didot et Frères , Paris , 1836.*
***37.*** *Himeur-Ensighaoui( Ouarda)* ***, Ils ont défié L'Empire****( Juba 1er , Tacfarinas , Firmus et Gildon ) , 1ère éd. , Casbah Editions ,Alger , 2009*
***38.*** *Kitchen( K.A) ,* ***The arrival of the Libyans in Late New-Kingdom*** *, London , s.d.*
***39.*** *Lancel( Serge) ,* ***L'Algérie Antique*** *( De Massinissa à Saint Augustin ) , éd.MENGES , Paris , 2003.*
40. *Lancel (Serge) ,* ***HANNIBAL*** *, Cérès éditions , Tunis , 2000 .*
***41.*** *Leclant( J . ) et P. Huard ,* ***La culture des chasseurs du Nil et du Sahara*** *, T: II , éd. C.R.A.P.E. , Alger , 1979 .*
***42.*** *Le Glay(M.) ,* ***Saturne l'Africain*** *, éd.Plon , Paris , 1961.*
***43.****Mazard ( Jean) ,* ***Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque*** *, Arts et Métiers Graphiques , Paris , 1955.*
***44.****-Moscati (Sabatino ) ,* ***L'Empire de Carthage*** *, éd. Alif , Les éditions de la Méditerranée , Tunis , 1996.*
***45.*** *Mohen( John Pierre) et Yvette Taborin ,* ***Les sociétés de la préhistoire*** *, 1ère éd . , Hachette, Paris , 2005.*
***46.*** *Mohen (John) Pierre et Autres ,* ***Histoire de l ' Humanité*** *, Tome : II , - De 3000 à 700 av . J.C.- , 2ème éd . , EDICEF , Paris , 2001.*
***47.*** *Mikalowsky ( Kazimir ) ,* ***L'Art et les grandes civilisations*** *, T : II , - L'Art de l' Ancienne Egypte - , éd . Lucien Maznod , Paris , 1977.*
***48.*** *Moret ( Alexandre ) ,* ***Histoire de la civilisation Egyptienne*** *, Tome : II – l ' Egypte Pharaonoque - , Librairie Plon , Paris , 1908.*
**49.** *Montet ( Pierre ) ,* ***La nécropole Royale de Tanis*** *, Paris , 1942* **.**
***50.*** *Montet ,* ***Douze année de fouilles*** *,éd. Payot Paris , 1942.*

***51.*** *Mércier ( Ernest) ,* ***Histoire de Constantine*** *, éd . J. Marle et F. Buon , Constantine , 1903.*
**52.** *Mossé( Claude) ,* ***Hérodote et la condition des femmes Lybiennes*** *, Centre de Publication Universitaires , Casablanca ,2007.*
***53.*** *Meltzer (Otto) ,* ***Geschichte Der Karthager*** *, Zweiter Band , Weidmnnsche Buchhandlung , Berlin , 1896.*
***54.*** *Marcy( Georges) ,* ***Les inscriptions Libyques Bilingues de l'Afrique du Nord*** *, imp. Nationale , Paris , 1936.*
***55.*** *Monçeaux( Paul) ,* ***Histoire litteraire de l'Afrique cheétienne*** *,éd. Leroux , Paris , 1901.*
***56.*** *Pavy ( Louis-Antoine Augustin) ,* ***Les Saints de l'Algérie*** *, Imp. Marc Aurel éditeurs , Valence , 1857.*
**57***Picard(Ch.) et C. ,* ***Vie et mort de Carthage*** *, éd .Hachette , Paris , 1970.*
***-58****. Reygasse( Maurice ) ,* ***Monuments funéraires préhislamiques de l'Afrique du Nord*** *, Arts et Métiers Graphiques , Paris , 1950.*
**59.** *Reboud( M.) ,* ***Recueil des inscriptions Libyco – Berbères*** *, imp. Adrian Leclaire , Paris , 1870 .*
***60.*** *Rossler(Otto) , Die Numider , Herkunft , Schrift , Sparch.*
**61.** *Roch ( Serre De) ,* ***Tebessa ( Antique Thévéste )*** *, Imp. Officielle , Alger , 1952 .*
***62.****Tuffreau ( Alain) ,* ***L'Acheuléen*** *( De l'Homo érectus à l' Homo de Néanderthal ) , La maison des Roches , Lille , 2004.*
***63.****Vermond( Edmond) , La possession en Droit Romain , éd. Larose , Paris , 1895.*
***64.*** *Vialou( Denis) , La préhistoire ( Histoire et Dictionnaire ) , éd . Robert Laffont , Paris , 2004..*

## ثالثا : المجلات والدوريات

### 1- المجلات والدوريات باللغة العربية

1. بنسالم ( ليليا ) ، " **التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير** " ، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي ، تر : عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، ط. 2 ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 .

البقلوطي ( حبيب ) ،
2. " **دور اللوبيين في حرب المرتزقة** " ، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية ، ع : ( 7 – 8 ) ، منشورات المعهد الوطني للتراث ، تونس ، ( 1992 – 1993 )

3. "**دور اللوبيين في حرب المرتزقة ( 241 ق.م – 238 ق.م )**" ، مج . 1 – المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي – ، ط . 1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون وبيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 2005 .
4. الحمودي ( عبد الله ) ، "**الإنقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة**" ، الأنثروبولوجيا والتاريخ ( حالة المغرب العربي) ، ط .2 ، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 2007 .
5. الخطيب ( عفراء محمد ) ، "**علاقات شمال أفريقيا بالصحراء الكبرى ( الحيوانات المتوجة نموذجاً )**" ، أدوماتو ،ع " 7 ، الرياض ، جانفي 2003.
6. الزعيم ( فاطمة الزهراء ) ، "**الوشم ( تميز هوياتي و نضج جنسي )**" ، مجلة هسبريس ، الرباط ، جوان 2008 .
7. العرباوي ( محمد المختار) ، "**في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية**" ، مجلة اتحاد الكتاب العرب ، ع : 398 ، دمشق ، 2005 .
8.عيسى ( محمد علي ) ، " اللوبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة " ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، بنغازي ، 2006 .
9. العقون ( أم الخير) ، "**مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة**" ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، ع : 7 ، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي ، يناير 2006 .
غانم ( محمد الصغير) ،
10. "**المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية ( المعطيات الجغرافية والمناخية )**" ، مجلة الأصالة ، عدد : 72 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1979 .
11. "**النقوش الليبية في شمال أفريقيا المصطلح والرموز الكتابية**" ، المورد ، مج. 19 ، ع : 12 ، بغداد ، 1990.
12. "**بعض من ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي ( ثورة تاكفاريناس نموذجاً )**" ، حولية المؤرخ ، ع : 1 ، الجزائر ، 2002 .
فنطر ( محمد حسين ) ،
13. "**اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة ؟**" ، مجلة : أفريقيه للدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية ، ع : 12 ، منشورات المعهد الوطني للتراث ، تونس ، 2002 .
14. "**صناعة الطين المفخور في قرطاج**" ، مجلة أدوماتو ، ع: 1 ، الرياض ، 2000 .
15. "**قبيلتان لوبيتان الجرميون والنسمونيون**" ، أدوماتو ، ع : 5 ، الرياض ، جانفي 2005 .

16. كليفورد ( ريتشارد ) ، " **الديانة الفينيقية** " ، الثقافة العالمية ، ع : 56 ، تــر : جـــاب الله علي جاب الله ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، جانفي 1993.

17. الماحي ( علي التجاني ) ، " **استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئيـــة والاقتـــصادية والثقافية** " ، مجلة أدوماتو ، ع : 4 ، الرياض ، جويلية 2001.

18. ماتنجلي ( دافيد ) و أندرو ويلسون ، " **زراعة الصحراء ، إسهام الجرميين في جنوب ليبيا** " ، تر : أسامة عبد الرحمن نور ، أركاماني ، مجلة الآثار والأنثروبولوجيـا الـسودانية ، أكتـوبر 2006.

19. المحيسن ( زيدون حمد ) و مولاي محمد جنيف ، " **البونيقيون بشمالي إفريقيا فــي ضــوء البحث الأثري** " ، أدوماتو ، ع : 13 ، جانفي 2006.

20. منصوري ( خديجة ) ، " **أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خـــلال المـــصادر الماديـــة والمصادر الأدبية** " ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، ع : 25 ، أفريل 2008

21. المنصوري ( محمد الطاهر ) ، " **ملامح من الفئات الاجتماعية بأفريقية في العهد البيزنطي ( 533 – 709 )** " ، المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، ط . 1 ، المجمع التونـــسي للعلـــوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، 1999.

**2– المجلات والدوريات باللغة الأجنبية**

***1.*** *Aumassip(Ginette) , La recherche préhistorique en Algérie , Al – Insan , N : I , C.R.A.P.E.1986 .*

*.2Bohec ( Yann Le) , " Les Juifs en Afrique Romaine " ,Ant.Afr. , T: 17 , 1981*

***3.****Basset(Henri) , " Les influences Puniques chez les Berbéres " , R..Afr., T: 62 , 1921 .*

*-" Recherches sur les Réligions des Bérbères" , éd. Ernest Leroux , Paris , 1910.*

***4.*** *Badel ( Christophe) , " Le thème de la (Nobilitas ) dans l' épigraphie latine (I^er^, N: 114 , T : 2 , éd. M.E.R.F.Ant. , Rome , 2002 , P.973.-*

***5.*** *Bosredon , " Promenade Archéologique dans les environs de Tebessa " , Rec. De Cne. , V : XIX , 1878*

*- Camps ( Gabriel) ,*

***6.*** *Massinissa ou les débuts de l'Histoire , Libyca , T: VIII , 1960.*

***7.*** *" Les Numides et la civilisation Punique" , Ant.Afr. , 1979*

*.8Données nouvelles sur les tombeaux du Djebel Mistiri , Libyca , T: VI , 1958-1959.*

***9.**" Liste Onomastique Libyque d'après les sources Latines " , REPPAL , T : VIII , Institut National de Patrimoine , Tunis , 1993*
***10.** " Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie D'Hippone" , B.A.C.T.H.S. , V : 23 , ( 1990-1992) , éd. Du comité des Travaux hist. Et scien. , 1994 .*
*-Carcopino( Jérome)*
***11.**" Survivances par substitutions des sacrifices d'enfants dans l'Afrique Romaine " , Revue de l'Histoire des Réligions , N. : 103 , 1932*
***12**." Salluste et les Numides " , Rev. His. , T : 88 , 1928.*
*- Chaker( Salem) ,*
***13.** " Quelques réflexions générales et méthodologiques sur le déchiffrement du Libyques" , Libyca, dans les numéros suivants : T : 25 , 1977 , T: ( 26 – 27 ) , ( 1978 – 1979 ) ; T: ( 28 – 29 ) ; ( 1980 – 1981 ) ; T : ( 30 – 31 ) , ( 1982 – 1983 ) .*
***14.** " Quelques considérations générales sur la langue des Touaregs " , Libyca , T : XXV , 1977 .*
***15.** " La situation linguistique dans le Maghreb Antique " , Libyca , T : ( XXVIII , XIX ) , ( 1980-1981) .*
***16.** Salem Chaker et Slimane Hachi , " A propos de l'origine de l'àge de l'écriture libyco-berbère " , éd. PEETER , Paris , 2000 .*
***17**. Courtois( Christian) , " Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique " , Rev.Af. , T: XCIV , 1950 , P.-P. ( 259-282 ) .*
**18.** *De Saulcy ( Alfred ) , " Lettre sur une inscription bilingue de Dougga " , J.As. , 1843 .*
***19.** De Villefosse (Héron) , " Tebessa et ses Monuments " , Annal : Le tour du monde , Algérie , 1871*
***20.**-Farges( Abel) , "Statues de Marbre à Khemissa " , Rec. de Cne., V:XIX.*
21*Galand( Lionel ) , " Les Alphabets Libyques " , Ant.Afr. , T : XXV, 1989 .*
***22**.Gobert ( Emile ) , " Note région de Gafsa " , Rev.Tun. , 1911.*
***23.**Ghaki( Mansour) , " La répartition des inscriptions Libyques " , REPPAL , T: IX , éd.Institut Nationale du Patrimoine , Tunis , 1995.*
***24.**Hachid ( Malika) , " La plus ancienne écriture de l'Afrique du Nord ,Le Libyque a plus de 3000 ans d'àge ", Dans le lien suivant :*
http://command-com.net/agadez.org/pages_culture/origine.htm
***25.**Hadas-Lebel(M.) , " Les Juifs en Afrique Romaine " , éd. La communauté juive de Tunisie , Tunis , 1999*
***26.**Halévy( Josephe ) , " Tableau général des localités ou l'on a découvert des inscriptions Libyques " , Rec . de Cne. , 1875 .*
***27.** Jarette (M.G.) , " An Album of the Equesterians from North Africa" , Epigraphische Studien , V : IX , 1972 .*
***24.**Litman , " L'Origine de l'Alphabet Libyque " , J. Asia. ,1904.*
***25**.Lengrand , " L'Inscription de Petra et la révolte de Firmus " , B.A.C.T.H.S., (1990-1992) .*

*26.Le Gall ( J. ) , " Un critère de différenciation sociale ( La situation de la femme )" , Recherches sur les structures sociale dans l'antiquité classique , éd. Caen , Paris , 1970 .*
*27. Marcy( Georges ) . " Les Mapalias " , Hesperis , T : XXIV , 1937 .*
*28. M.Moll , " Mémoire historique et Archéologique sur Tébessa(Théveste)et ses environs " , Rec.de Cne.,T: I , éd.Bastide-Challamel , Alger-Paris .*
*29. Morel( Jean ) , " Pierres gravées , pierres incisées et palettes à ocre du Capsien Supérieur de la région de Tebessa " , L ybica , Tome : XX*
*3Mercier(M.Gustave) , "Les Divinités Libyques " , Rec. De Cne. , 1900.*
*31..Meslin et P.Hadot , Apropos du Donatisme , Journal de Sociologie des Réligions , V: IV , N : I , 1957.*
*.32A.Ballu , Tebessa , Lambèse , Timgad , éd.Berthaut Frères , Paris , 1894*
*32.Racob( Frederic ) , Architecture Royale Numide , trad. Par: P.Veyne , Pub. E.F.R. , 1976 , P.P. ( 326-347). Sur le site web : www.publications-école , Le : 03/10/2008.*
*34.Roger( Laurence) , " Romain Narratives " , Archéological Dialogues , T : VIII , V : II , British Archeological Repport , London , 2001 , P. 90*
*35. Tauxier ( Henri) , " Etudes sur les migrations des Tribus Berbères avant l'Islamisme " , Rev.Af., V : 7 , 1863.*
*36.Vaufrey( Raymond ) , " Le Capsiens des environs de Tebessa " , T: I , Rec . de Cne. , 1936*

**3- المجلات والدوريات باللغة الأجنبية الإلكترونية**

*- Courtois ( Christian) ,*
*1." Les Vandales en Afrique" ,Imprimerie Officielle , Paris , 1955 , D'Après le compte rendu du Jean Gagé : www.persee.fr . Le : 15/01/2009.*
*2." St Augustin et le problème de survivance du Punique " , R. Af. , V : 94, 1950 , P . 170 . Sur le site web : www.algérie-ancienne.com . Le : 12 /01 / 2009 .*
3. *J.M.Lassère , Les Flavii du Cillium , éd. Collections d' Ecole Française de Rome , T : 169 , Sur le site web : www.publications.école-française.it .Le : 06/09/2009.*

*4.( Alexandre) Lézine , " Sur la population des villes Africaines " , Ant. Afr. , http://site.univ-provence.frT : III , 1969.*
*5. J . M . Lassère , Ubique Populus ( Peuplement et mouvement de population dans l' Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de Dynastie des Sévères ) , éd . C.N.R.S. , Paris , 1977 , D'Après un compte rendu dans le site web : www.persee.fr . Le : 13/01/2009.*
*.6 L. Poinssot , " Collier d' esclaves trouvé à Thelepte " , R. Af. , 1943 .*
*Sur le site web : www.algérie-ancienne .com . Le : 16 / 10 / 2008 .*

*7.Ch.G.Picard , La civilisation de l'Afrique Romaine , Paris , 1959 , D'Après : le compte rendu de Raymond Chevallier : www.persee.fr , Le : 15/01/2009.*
*8. Salem Chaker , " L'écriture Libyco-Bérbére , Etat des lieux et perspectives ".Sur le lien : www.bafricaine.com, Le : 24/07/2006.*

**رابعاً : القواميس والمعاجم :**

**1- القواميس والمعاجم باللغة العربية**

1. البستاني ( كرم ) وآخرون ، المنجد في اللغة والأعلام ، ط . 27 ، دار المشرق ، بيروت ، 1984.
2. بوطالب ( عبد الهادي ) ، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي ، د . ط ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، دت .
3. سعدي ( عثمان ) ، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية ، ط. 1 ، منشورات مجمع اللغة العربية بطرابلس ودار الأمة الجزائر ، 2007.
4. عبود ( هنري ) ، معجم الحضارات السامية ، ط . 2 ، المطبعة الكبرى ، طرابلس ، 1999.
5. فرانكو ( إيزابيل ) ، معجم الأساطير المصرية ، تر : ماهر جويجاتي ، ط. 1 ، دار المستقبل العربي ، بيروت ، 2001
6. متشل ( دنكن ) ، معجم علم الاجتماع ، تر : إحسان محمد الحسن ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981 .
7. مداس ( فاروق ) ، قاموس علم الاجتماع ، ط . 1 ، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2003 .
8. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط . 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 .

**2- القواميس والمعاجم باللغة الأجنبية**

***1.** André Leroi – Gourhan , Dictionnaire de la préhistoire , P . U . F . , Paris , 1997.*
***2.** Guy Rachet , Dictionnaire de la civilisation égyptienne , éd. Larousse , Paris , 2001.*

**خامساً : الموسوعات والأطالس**

1- **الموسوعات والأطالس باللغة العربية**


1. أديب ( سمير ) ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط . 1 ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .
2. بورتر ( هارفي ) ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991
3. حامد ( حسان ) ، أطلس العالم الصحيح ، ط . 1 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 2000 .
4. غربال ( محمد شفيق ) ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج . 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1987 ، ص . 101 .
5. الكاتب ( سيف الدين ) وآخرون ، أطلس التاريخ القديم ، ط.4 ، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2008
6. ماكيفيدي ( كولين ) ، أطلس التاريخ الأفريقي ، تر : مختار السويفي ، ط. 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 .
7. مجموعة من الباحثين ، الأطلس العالمي ، ط . 1 ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر ، 1986
8. نصر ( محمد سيد ) و نيكولا زيادة ، أطلس العالم ، د . ط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1996.


**2-الموسوعات و الأطالس باللغة الأجنبية**


***1.***-*Encyclopédie Grand Atlas , éd. Payot , Paris , 2002.*

***2.*** *G. Camps , " Le bélier à Sphéroide " , Encyclopédie Berbère , T : IX , éd . Edisud , Paris , 1991.*

***3.*** *Vincent-Mansour Monteil ," Les Berbères aux Canaries " , Ency .Bér., T : II , éd.Edisud , Aix-en-Provence , 1984 .*


**سادساً : المذكرات والرسائل**


***1***.*Kitouni Dahou Kalthoum , " Les Inscriptions Libyques – Puniques , Néo-Puniques Bilingues en Algérie Orientale " , Univérsité de Provrnce , 1982.*

***2***.*Fréderic Colin , " Les Lybiens en Egypte ( Xve siècle A.C – II siècle A.C – Onomastique et Histoire", V. I , Thèse de Doctorat publiée par le site web de l'Université de Bruxelles , la Faculté de Philosophie et lettres de 1996 ,.D'après: www.tel.archives-ouvertes.fr. Le: 18/07/2007.*

**سابعاً : أعمال الملتقيات والمؤتمرات**

**1- باللغة العربية**

1. دولبو ( فرانسوا ) ، " كفاح أوغسطين وخطبه ضد الدجالين " ، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج . 1 ، تر : محمد هناد ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003 .
2. لوبولي ( كلود ) ، " الكفاح من أجل الفقراء : ملاحظات حول العمل الاجتماعي للقديس أوغسطين بمنطقة هيبون " ، تر : محمد هناد ، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج . 1 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003
3. ماندوز ( أندري ) ، " القديس أوغسطين و الدوناتية " ، تر : محمد هناد ، أعمال الملتقى الدولي الأول للفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين ، ج.1 ، أفريل 2001 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2003.

**2- باللغة الأجنبية**

**1**.*Mariette Devos , Projet de carte Archéologique de l'Est Algérien ( 2003-. 2007), Laboratrio di Archeologia e Scienze Affini , Trento ,.Sur le lien : http://lasa.let.unitn.it.Le:05/05/2009*

**2**. *Rob Ettienne , " Démographie et Epigraphie " , Atti del 3 Congresso internazionale di Epigraphia , 1957 , Rome .*

**3**.*Serge Lancel , Saint Augustin ( La Numidie et la Société de son temps ) , éd.Ausonius , Actes du colloque SEMPAM,Bordeaux , 2005 .*

3- **مراسلات ولقاءات**

رسالة خطية من المؤرخ محمد حسين فنطر للطالبة الباحثة بتاريخ ( 1999/09/06).

**ثامناً : المواقع الإلكترونية**

**1- المكتبات الإلكترونية :**

1. المكتبة الوطنية الفرنسية : -www.gallica .bnf.fr
2. مكتبة الإسكندرية : -www.bibalex.org
3. مكتبة جامعة بروفانس : http://site.univ-provence.fr
4. مكتبة المصطفى : www.al-mostafa.com
5. مكتبة جامعة بروكسل : www.tel.archives-ouvertes.fr
6. مكتبة الكتب العربية المصورة : www.arabicbook.com

**2- المجلات الإلكترونية**

1. مجلات العلوم الإنسانية والاجتماعية بفرنسا : www.persee.fr
2. مجلة الأنثروبولوجيا والتاريخ بالسودان : www.arkamani.org
3. مجلة المتوسط للمصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية : www.meditterrannée.net
4. مكتبة محمد ناصف : www.algérie-ancienne.com
5. موقع المجلات والحوليات : www.revues.org

**3- مواقع المتاحف العالمية**

1. متحف اللوفر بباريس : www.muséelouvre.fr
2. المتحف البريطاني : www.britishmeusem.uk
3. المتحف المصري : www.cairomeusem.eg

**4- مواقع حكومية علمية** :

1. www.livius.org
2. www.tertilianus.org
3. www.santaugustin.org
4. www.histoireromain.org
5. www.insecula.fr
6. www.eternalegypt.eg
7. www.libsc.org
8. www.remacle.org

**5- حساب خاص في موقع إلكتروني** :

1- منتدى الكتب المصورة بالرياض : www.pdfbooks.net
2- منشورات المدرسة الفرنسية بروما للتاريخ القديم :
3- www.publications.école-française.it

# فهرس الخرائط

# فهرس الأشكال

**فهرس الأشكال**

# فهرس الأعلام

# فهرس الأعلام

# فهرس الأماكن والبلدان

<u>فهرس الأماكن والبلدان</u>

# فهرس القبائل والشعوب

## فهرس القبائل والشعوب

# فهرس الآلهة

## فهرس الآلهة

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات